

البلدان
وفتوحها وأحكامها

صنفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

تحقيق الدكتور الأستاذ سهيل زكار



دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

البلدان

وفتوحها وأحكامها



البلدان

وفتوحها وأحكامها

صنفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ - ٨٩٢م

حققه وقدم له

الدكتور سهيل زكار



جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الفكر
بيروت
لبنان

المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٨٣٨٢٠٢ - ٣٩٠٦٦٣ - ٨٣٧٨٩٨
برقياً: فكير - تلكس: ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أحمد بن يحيى بن جابر : أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان – سقت حديثهم واختصرته ورددت من بعضه على بعض – أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة من مكة، نزل على كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بقباء [١] ، وكان يتحدث عند سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك أحد بني السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس، حتى ظن قوم أنه نزل عنده .

وكان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ ،ومن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجداً يصلون فيه ، والصلاة يومئذ إلى بيت المقدس ، فلما ورد رسول الله ﷺ قباء صلى بهم فيه ، فأهل قباء يقولون إنه المسجد الذي يقول الله تعالى فيه : ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾ [٢] ، وروى أن المسجد الذي أسس على التقوى مسجد رسول الله ﷺ.

حدثنا عفان بن مسلم الصفار ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرني هشام بن عروة عن عروة أنه قال في هذه الآية : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ [٣] .

---

(١) قرية قبلي المدينة ، وهي في الأصل اسم بئر هناك عرفت القرية بها ، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار ، كانت على بعد ميلين من المدينة . المغانم المطابة في معالم طابة الفيروز أبادي . ط : بيروت ١٩٦٩ .

(٢) سورة التوبة – الآية : ١٠٨ .

(٣) سورة التوبة – الآية : ١٠٧ .

قال : كان سعد بن خيثمة بنى مسجد قباء ، وكان موضعه للبة تربط فيه حمارها ، فقال أهل الشقاق نحن نسجد في موضع كان يربط فيه حمار لبة ، لا ولكنا نتخذ مسجداً نصلي فيه حتى يجيئنا أبو عامر فيصلي بنا فيه ، وكان أبو عامر(١) قد فرّ من الله ورسوله إلى أهل مكة ، ثم لحق بالشام فتنصر فأنزل الله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ يعني أبا عامر .

وحدثنا روح بن عبد المؤمن المقري ، قال: حدثني بهز بن أسد ، قال: حدثنا حماد بن زيد ، قال: أخبرنا أيوب عن سعيد بن جبير ، أن بني عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً فصلى بهم رسول الله ﷺ فيه فحسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف ، فقالوا: لو بنينا أيضاً مسجداً وبعثنا إلى رسول الله ﷺ يصلي فيه كما صلى في مسجد أصحابنا ، ولعل أبا عامر أن يمر بنا إذا أتى من الشام فيصلي بنا فيه ، فبنوا مسجداً وبعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يأتيه فيصلي فيه ، فلما قام رسول الله ﷺ لينطلق إليهم أتاه الوحي فنزل عليه فيهم : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله ﴾ .

قال : هو أبو عامر : ﴿ لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ﴾ (٢) قال هذا مسجد قباء .

وحدثنا محمد بن حاتم بن ميمون قال حدثنا يزيد بن هارون ، عن هشام عن الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ أرسل رسول الله ﷺ إلى أهل مسجد قباء ، فقال : ما هذا الطهور الذي ذكرتم به ؟ قالوا : يا رسول الله إنا نغسل أثر الغائط والبول .

---

(١) ليس في كتاب السيرة لابن هشام وشروحه مادة مفيدة حوله .

(٢) سورة التوبة – الآيتان : ١٠٨ – ١٠٩ .

وحدثنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن عامر ، قال : كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ الآية .

حدثني عمرو بن محمد الناقد وأحمد بن هشام بن بهرام ، قالا : حدثنا وكيع ابن الجراح ، قال : أخبرنا ربيعة بن عثمان عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد الرسول ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا النبي ﷺ فسألاه ، فقال : هو مسجدي هذا .

حدثنا عمرو بن محمد ومحمد بن حاتم بن ميمون ، قالا : حدثنا وكيع عن ربيعة بن عثمان التيمي عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع عن ابن عمر ، قال: المسجد الذي أسس على التقوى مسجد الرسول ﷺ .

حدثنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَين قال : حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أُبيّ ابن كعب ، قال : سئل النبي ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو مسجدي هذا .

قال: حدثني هُدْبةَ بن خالد ، قال: حدثنا أبو هلال الراسبي ، قال: أخبرنا قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله : ﴿ لمسجد أسس على التقوى ﴾ ، قال : هو مسجد النبي ﷺ الأعظم .

حدثنا علي بن عبد الله المديني ، قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت ، قال : المسجد الذي أسس على التقوى مسجد الرسول عليه السلام .

حدثنا عفان ، قال : حدثنا وهيب ، قال : حدثنا داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب ، قال : المسجد الذي أسس على التقوى مسجد المدينة الأعظم.

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون السمين قال : حدثنا وكيع ، حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ، قال : هو مسجد الرسول ﷺ ـيعني ـ الذي أسس على التقوى .

قالوا : وقد وسع مسجد قباء بعد وزيد فيه وكان عبد الله بن عمر إذا دخله صلى إلى الاسطوانة المخلقة ، وكان ذلك مصلى رسول الله ﷺ (١) .

قالوا : وأقام رسول الله ﷺ بقباء يوم الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، وركب منها يوم الجمعة يريد المدينة فجمع في مسجد كان بنو سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بنوه وكانت تلك أول جمعة جمع فيها ، ثم مر رسول الله ﷺ بمنازل الأنصار منزلاً منزلاً وكلهم يسأله النزول عليه ، حتى إذا انتهى إلى موضع مسجده بالمدينة بركت ناقته ، فنزل عنها وجاء أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، فأخذ رحله فنزل ﷺ عند أبي أيوب ، وأراده قوم من الخزرج على النزول عندهم ، فقال : المرء مع رحله فكان مقامه في منزل أبي أيوب سبعة أشهر .

ونزل عليه تمام الصلاة بعد مقدمه بشهر ، ووهبت الأنصار لرسول الله ﷺ كل فضل كان في خططها (٢) وقالوا : يا نبي الله إن شئت فخـــذ منازلنا ، فقال لهم خيراً .

قالوا : وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب النقباء (٣) يجمع بمن يليه من المسلمين في مسجد له ، فكان

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع وحول وصف بناء مسجد قباء . انظر الروض الأنف : ٢ / ٢٣٧ – ٢٤٦ . المغانم المطابة .

(٢) أي كل زيادة في أرض المدينة وأبنيتها .

(٣) نقيب نقباء بيعة العقبة الثانية التي تم الاتفاق فيها بين النبي ﷺ وحجاج المدينة المسلمين على هجرته وأصحابه من مكة إلى المدينة .

رسول الله ﷺ يصلي فيه ، ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حجره ، يقال لهما سهل وسهيل ، ابنا رافع بن أبي عمرو ابن عابد بن ثعلبة بن غنم ، فعرض عليه أن يأخذها ويغرم عنه لليتيمين ثمنها ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك ، وابتاعها منه بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم إن رسول الله ﷺ أمر باتخاذ اللبن، فاتخذ ، وبنى به المسجد ، ورفع أساسه بالحجارة ، وسقف بالجريد ، وجعلت عمده جذوعاً، فلما استخلف أبو بكر رضي الله عنه لم يحدث فيه شيئاً ، واستخلف عمر رضي الله عنه فوسعه ، وكلم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في بيع داره ليزيدها فيه، فوهبها العباس لله والمسلمين، فزادها عمر رضي الله عنه في المسجد، ثم إن عثمان بن عفان رضي الله عنه بناه في خلافته بالحجارة والقصة(١) وجعل عمده حجارة وسقفه بالساج (٢) وزاد فيه ، ونقل إليه الحصباء من العقيق (٣) ، وكان أول من اتخذ فيه المقصورة (٤) مروان بن الحكم بن العاص بن أمية ، بناها بحجارة منقوشة .

ثم لم يحدث فيه شيء إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام ، وثمانين صانعاً من الروم والقبط ، من أهل الشام ومصر ، فبناه وزاد فيه ، وولي القيام بأمره والنفقة عليه صالح

---

(١) القصة : الجصة . القاموس .

(٢) ضرب عظيم من الشجر خشبه أسود يشبه الآبنوس يجلب من الهند . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي ـ ط . القاهرة : ١٩٦٥ ص ٦٨ .

(٣) هما عقيقان : أصغر وأكبر ، وهما مما يلي حرة المدينة ـ المغانم المطابة.

(٤) أثناء امارته للمدينة حماية لنفسه من الاغتيال اقتداء بمعاوية بن أبي سفيان إثر تعرضه لمحاولة الاغتيال من قبل متآمرين من الخوارج .

ابن كيسان ، مولى سعدى مولاة آل معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ، وذلك في سنة سبع وثمانين ، ويقال في سنة ثمان وثمانين .

ثم لم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئاً حتى استخلف المهدي أمير المؤمنين صلاة الله عليه .

قال الواقدي : بعث المهدي عبد الملك بن شبيب الغساني ، ورجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه ، وعليها يومئذ جعفر بن سليمان بن علي ، فمكثا في عمله سنة وزادا في مؤخره مائة ذراع ، فصار طوله ثلاثمائة ذراع ، وعرضه مائتي ذراع .

وقال علي بن محمد المدائني : ولّى المهدي أمير المؤمنين جعفر بن سليمان مكة والمدينة واليمامة ، فزاد في مسجد مكة ومسجد المدينة ، فتم بناء مسجد المدينة في سنة اثنتين وستين ومائة . وكان المهدي أتى المدينة في سنة ستين قبل الحج ، فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد .

ولما كانت سنة ست وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله رحمه الله بمرمة مسجد المدينة ، فحمل إليه فسيفساء كثير وفرغ منه في سنة سبع وأربعين ومائتين .

حدثني عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال : حدثنا مالك بن أنس ، قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ « مايفتح من مصر أو مدينة ، عنوة ، فإن المدينة فتحت بالقرآن »(١) .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأُبلّي قال : حدثنا أبو الأشهب قال : أخبرنا الحسن أن رسول الله ﷺ قال : « إن لكل نبي حرما ، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة مابين حرتيها لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا

---

(١) انظر كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي – ط. القاهرة : ١٩٥٥ ص ١٨ .

يحمل فيها السلاح لقتال ، فمن أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل »[١] .

وحدثني روح بن عبد المؤمن البصريَ المقرىء ، قال : حدثنا أبو عوانـة ، عن عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اللهم ان إبراهيم عبدك ورسولك ، وأنا عبدك ورسولك ، وإني قد حرمت مابين لابتيها[٢] كما حرم إبراهيم مكة »[٣] فكان أبو هريرة يقول : « والذي نفسي بيده لو أجد الظباء ببطحان ما عانيتها »[٤] .

وحدثنا شيبان بن أبي شيبة قال : حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن محمد ابن زياد عن جده ، وكان مولى عثمان بن مظعون ، وكانت في يـــده أرض لآل مظعون بالحرة ، قال : كان عمر بن الخطاب ربما أتاني نصف النهار واضعاً ثوبــه على رأسه ، فيجلس إلي ويتحدث عندي فأجيئه من القثاء والبقل،فقال لي يوماً: لا تبرح فقـــد استعملتك على ما هينا ، ولا تدعن أحـــداً يخبط شجرة ولا يعضدها[٥] — يعني من شجر المدينة — فإن وجدت أحداً يفعل ذلك فخذ حبله وفأسه ، قال ، قلت : آخذ ثوبه ؟ قال : لا .

وحدثني أبو مسعود بن القتات،قال : حدثنا ابن أبي يحيى المدني عن جعفر ابن محمد عن أبيه،أن رسول الله ﷺ حرم من الشجر ما بين أحد إلى عَيْر[٦] ،

---

(١) انظره في كنز العمال : ١٤ / ٣٨١٣٢ .

(٢) أي ما بين حرتيها .

(٣) انظر تحقيق النصرة : ١٦ ، ١٩ .

(٤) أي لم أحبسها أو أقهرها . القاموس .

(٥) أي يقطعها .

(٦) جبل يقال له عاير أيضاً يقع قبلي المدينة — المغانم المطابة .

وأذن لصاحب الناضح [١] في الغضى [٢] وما يصلح به محارثه وهَرّبه .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح،عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرجل استعمله على حمى الربذة [٣] — نسي بكر اسمه — اضمم جناحك — عن كل مسلم،واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة،وأدخل رب الصريمة [٤] والغنيمة ، ودعني من نعم ابن عفان وابن عوف فإنها إن تهلك ماشيتها يرجعا إلى زرع ، وان هذا البائس ان تهلك ماشيته يجيء فيصرخ يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ، فالكلاء أهون على المسلمين من غرم المال ذهبه وورقه [٥] ، والله إنها لأرضهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام ، وانهم ليرون أني أظلمهم ، ولولا النعم التي تحمل عليها في سبيل الله ما حميت عن الناس من بلادهم شيئاً أبداً .

حدثنا القاسم بن سلام أبو عبيد ، قال حدثنا ابن أبي مريم ، علي العمري ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : حمى رسول الله ﷺ النقيع [٦] لخيل المسلمين ، قال

---

(١) الناضح : النخل أو الشجر أو الزرع .

(٢) الغضى ج . غضاه وهي شجرة معروفة والغضى من نبات الرمل له هدب كالأرطى . معجم أسماء النباتات : ١١٤ .

(٣) على بعد ثلاثة أيام من المدينة كان فيها أرض محمية لا بل الصدقة . جرت فيها حفريات أثرية مؤخراً . انظر المغانم المطابة : ١٥١ .

(٤) الصرمة : القطعة الصغيرة من الإبل . القاموس .

(٥) الورق هنا الفضة .

(٦) النقيع لغة مستنقع الماء ، والنقيع القاع ، وحمى النقيع موضع قرب المدينة فيه مسجد يقال له مسجد مقمل على مسافة خمسين فرسخاً من المدينة . المغانم المطابة . الأموال لأبي عبيد : ٢١٧ — ١٤١٩ .

لي أبو عبيد : بالنون وقال النقيع فيه قاع ذُرَق وهو الحندقوق[١].

وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه ، عن ابن الدراوردي عن محمد ابن إبراهيم التيمي عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص، أنه وجد غلاماً يقطع الحمى فضربه وسلبه فأسه ، فدخلت مولاته ، أو امرأة من أهله على عمر رضي الله عنه ، فشكت إليه سعداً ، فقال عمر : رد الفأس والثياب ، أبا إسحاق رحمك الله ، فأبى وقال لا أعطي غنيمة غنمنيها رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : « من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه »[٢] ، فاتخذ من الفأس مسحاة فلم يزل يعمل بها في أرضه حتى توفي .

وحدثنا أبو الحسن المدائني ، عن ابن جُعْدُبَة وأبي معشر ، قال : لما كان النبي ﷺ بظريب التأويل[٣] مقدمه من غزوة ذي قرد قالت له بنو حارثة من الأنصار : يارسول الله ، ههنا مسارح ابلنا ، ومرعى غنمنا ، ومخرج نسائنا ، يعنون موضع الغابة ، فقال رسول الله ﷺ من قطع شجرة فليغرس مكانها ودية ، فغرست الغابة[٤] .

وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن أبي مالك بن ثعلبة ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ

---

(١) بقلة يقال لها بالعربية « الذرق» وبالنبطية «الحندقوق» . معجم أسماء النبات : ٤٦ ، ٦٠ .

(٢) انظر كنز العمال : ٤ / ١١٢٧٩ .

(٣) الظريب تصغير ظرب وهو الرابية الصغيرة ، وذكر ياقوت ظريب على أنه موضع كانت تنزله طيء قبل نزولها الجبلين ، وليس المعني هنا ، ولم أجد من ذكر « ظريب التأويل » .

(٤) الغابة موضع قرب المدينة على بضعة أميال منها . المغانم المطابة .وحول غزوة ذي قرد انظر الروض الأنف : ٤ / ٣ .

قضى في وادي [١] مهزور أن يحبس الماء في الأرض إلى الكعبين ، فإذا بلغ الكعبين أرسل إلى الأخرى ، لا يمنع الأعلى الأسفل .

وحدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث أن رسول الله ﷺ قضى في سيل مهزور أن الأعلى يمسك على من أسفل منه حتى يبلغ الكعبين ، ثم يرسله على من أسفل منه .

وحدثني عمر بن حماد بن أبي حنيفة،قال : حدثنا مالك بن أنس،عن عبدالله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن أبيه، قال : قضى رسول الله ﷺ في سيل مهزور ومذينيب[١] أن يحبس الماء حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، قال مالك : وقضى رسول الله ﷺ في سيل بطحان بمثل ذلك .

وحدثني الحسين بن الأسود العجلي ، قال حدثنا يحيى بن آدم ، قال: حدثنا يزيد بن عبد العزيز ، عن محمد بن إسحاق قال حدثنا أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك عن أبيه ، قال اختصم إلى رسول الله ﷺ في مهزور وادي بني قريظة فقضى أن الماء إلى الكعبين لا يحبسه الأعلى على الأسفل .

وحدثني الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قضى رسول الله ﷺ في سيل مهزور أن لأهل النخل إلى العقبين ، ولأهل الزرع إلى الشراكين ، ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم [٢] .

وحدثني حفص بن عمر الدوري قال : حدثنا عباد بن عباد ، قال : حدثنا

---

(١) واديان خارج المدينة يسيلان بماء المطر . معجم البلدان .

(٢) انظر كتاب أقضية رسول الله ﷺ لمحمد بن فرج القرطبي – ط . حلب ١٣٩٦ : ١٨٠ .

هشام بن عروة عن عروة ، قال : قال رسول الله ﷺ : بُطْحان [١] على ترعة من ترع الجنة [٢] .

وحدثني علي بن محمد المدائني أبو الحسن عن ابن جعدبة وغيره ، قالوا : أشرفت المدينة على الغرق في خلافة عثمان من سيل مهزور حتى اتخذ له عثمان ردما [٣] .

قال أبو الحسن وجاء أيضاً بماء مخوف عظيم في سنة ست وخمسين ومائة فبعث إليه عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو الأمير يومئذ، عبيدالله ابن أبي سلمة العمري ، فخرج وخرج الناس بعد صلاة العصر ، وقد ملأ السيل صدقات رسول الله ﷺ ، فدلتهم عجوز من أهل العالية [٤] على موضع كانت تسمع الناس يذكرونه ، فحفروه ، فوجد الماء متسرباً ، فغاص منه إلى وادي بطحان ، قال : ومن مهزور إلى مذينيب شعبة يصب فيها .

حدثني محمد بن أبان الواسطي ، قال : حدثنا أبو هلال الراسبي ، قال : حدثنا الحسن ، قال « دعا رسول الله ﷺ للمدينة وأهلها وسماها طيبة » [٥] .

وحدثني أبو عمر حفص بن عمر الدوري، قال : حدثنا عباد بن عباد هشام ابن عروة، عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين قالت: لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة مرض المسلمون بها ، فكان ممن اشتد به مرضه أبو بكر ، وبلال ، وعامر بن فهيرة ، فكان أبو بكر رضي الله عنه يقول في مرضه :

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

---

(١) ويضبط أيضاً « بَطحان » وهو أحد أودية المدينة الثلاثة . المغانم المطابة .

(٢) انظره في كنز العمال : ١٢ / ٣٤٩٧٩ .

(٣) أي سداً .

(٤) اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها . المغانم المطابة .

(٥) انظر تحقيق النصرة : ١٧ .

وكان بلال رضي الله عنه يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ [١] وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة [٢] وهل تبدون لي شامة وطفيل [٣]

وكان عامر بن فهيرة يقول :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه
(كل امرىء مجاهد بطوقه) كالثور يحمي جلده بروقه

قال : فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : « اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة وبارك لنا في مدها وصاعها » [٤] .

حدثنا الوليد بن صالح ، قال : حدثنا الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوام في اشراج الحرة [٥] ، فقال رسول الله ﷺ : « اسق يازبير ثم أرسل إلى جارك » .

وأخبرني عن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : الاشراج مسايل الماء في الحرار ، والحرة أرض مفروشة بصخر ، قال : وقال الأصمعي : ومسايل من الحرار إلى السهولة .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا يزيد بن عبد العزيز ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، قال : أقطع عمر رضي الله عنه العقيق حتى انتهى إلى أرض ، فقال : ما أقطعت مثلها ، قال خوات بن جبير أقطعنيها فأقطعه إياها .

---

(١) فخ واد بمكة . معجم البلدان .
(٢) المكان الذي كان يعقد فيه سوق ذي المجنة بأسفل مكة على قدر بريد منها . معجم البلدان .
(٣) جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة . معجم البلدان .
(٤) انظر تحقيق النصرة : ١٧ .
(٥) مسيل ماء من الحرة إلى السهل . القاموس .

وحدثني الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن يزيد بن عبد العزيز، عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقطع عمر العقيق مابين أعلاه إلى أسفله .

وحدثني الحسين ، قال : حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة قال: خرج عمر يقطع الناس وخرج معه الزبير فجعل عمر يقطع حتى مر بالعقيق ، فقال : أين المستقطعون منذ اليوم ما مررت بقطعة أجود منها ، فقال الزبير: أقطعنيها فأقطعه إياها .

وحدثني الحسين ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال : أقطع عمر العقيق كله حتى انتهى إلى قطيعة خوات بن جبير الأنصاري ، فقال : أين المستقطعون ؟ ما أقطعت اليوم أجود من هذه .

وحدثنا خلف بن هشام البزاز ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، قال أقطع عمر بن الخطاب خوات بن جبير الأنصاري أرضاً مواتاً فاشتريناها منه .

حدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش ، عن هشام عن أبيه بمثله .

وحدثني الحسين ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة عن عروة ، قال : أقطع أبو بكر الزبير ، ما بين الجرف إلى قناة [1] .

وأخبرني أبو الحسن المدائني ، قال : قناة واد يأتي من الطائف ويصب إلى الأرحضية ، وقرقرة الكدر، ثم يأتي سد معاوية، ثم يمر على طرف القدوم ويصب في أصل قبور الشهداء بأحد .

---

(١) وردت هذه الرواية في الخراج ليحيى بن آدم – ط . القاهرة ١٣٤٧ : ٧٧ . ولم ترد في هذا الكتاب الروايات السالفة .

وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا إسحاق بن عيسى ، عن مالك بن أنس ، عن ربيعة ، عن قوم من علمائهم،أن رسول الله ﷺ أقطع بلال ابن الحارث المزني معادن بناحية الفرع .

وحدثني عمرو الناقد وابن سهم الأنطاكي ، قالا : حدثنا الهيثم بن جميل الأنطاكي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي مكين ، عن أبي عكرمة ، مولى بلال بن الحارث المزني ، قال : أقطع رسول الله ﷺ بلالاً أرضاً فيها جبل ومعدن، فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز أرضاً منها فظهر فيها معدن أو قال: معدنان ، فقالوا : إنما بعناك أرض حرث ولم نبعك المعادن ، وجاؤوا بكتاب النبي ﷺ لهم في جريدة،فقبلها عمر ومسح بها عينه وقال لقيمه : أنظر ماخرج منها وما أنفقت وقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل .

وحدثنا أبو عبيد،قال: حدثنا نعيم بن حماد ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن الحارث بن بلال بن الحارث المزني ، عن أبيه بلال بن الحارث ، أن النبي ﷺ أقطعه العقيق أجمع [١] .

وحدثني مصعب الزبيري ، قال : قال مالك بن أنس : أقطع رسول الله ﷺ بلال بن الحارث معادن بناحية الفرع [٢] لا اختلاف في ذلك بين علمائنا ، ولا أعلم بين أحد من أصحابنا خلافاً أن في المعدن الزكاة ربع العشر [٣] .

قال مصعب : وروي عن الزهري أنه كان يقول : في المعادن الزكاة، وروي عنه أيضاً قال : فيها الخمس مثل قول أهل العراق، وهم يأخذون اليوم من معادن

(١) الأموال لأبي عبيد : ٣٨٧ .
(٢) قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة ثمانية برد . المغانم المطابة .
(٣) انظر الموطأ : ١٦٦ (٥٨٤) .

الفرع ، ونجران [١] وذي المروة ، ووادي القرى [٢] ، وغيرها الخمس ، على قول سفيان الثوري ، وأبي حنيفة ، وأبي يوسف وأهل العراق .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا الحسن بن صالح بن حي،عن جعفر بن محمد أن رسول الله ﷺ أقطع علياً رضي الله عنه أربع أرضين الفقيرين [٣] ، وبئر قيس ، والشجرة [٤] .

وحدثني الحسين عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، عن جعفر ابن محمد مثله [٥] .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثنا حفص بن غياث ، عن جعفر ابن محمد عن أبيه ، أنه قال : أقطع عمر بن الخطاب علياً رضي الله عنهما ينبع فأضاف إليها غيرها .

وحدثني الحسين ، عن يحيى بن آدم ، عن حفص بن غياث ، عن جعفر بن محمد عن أبيه بمثله [٦] .

وحدثني من أثق به ، عن مصعب بن عبد الله الزبيري ، انه قال : نسبت بئر عروة بن الزبير إلى عروة بن الزبير ،ونسب حوض عمرو إلى عمرو بن الزبير ، ونسب خليج بنات نائلة إلى ولد نائلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان بن عفان ،

---

(١) ماتزال تحمل هذا الاسم في المملكة العربية السعودية على مقربة من اليمن . انظرها في معجم البلدان .

(٢) ذي المروة قرية بوادي القرى ليس بعيداً عن المدينة . معجم البلدان .

(٣) اسم لموضعين قرب المدينة . المغانم المطابة : حيث أورد الحديث نفسه وزاد فيه وأقطعه عمر رضي الله عنه ينبع وأضاف إليها غيرها .

(٤) على ستة أميال من المدينة . المغانم المطابة .

(٥) الخراج ليحيى بن آدم : ٧٨ .

(٦) الخراج ليحيى بن آدم : ٧٨ .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اتخذ هذا الخليج، وساقه إلى أرض استخرجها واعتملها بالعرصة[١] وأرض أبي هريرة نسبت إلى أبي هريرة الدوسي، والصهوة صدقة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في جبل جهينة، وقصر نفيس ينسب فيما يقال إلى نفيس التاجر ابن محمد بن زيد بن عبيد بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد من الخزرج، وهم حلفاء بني ذريق بن عبد حارثة من الخزرج وهذا القصر بحرة واقم بالمدينة، واستشهد عبيد بن المعلى يوم أحد قال: ويقال إنه نفيس بن محمد بن زيد بن عبيد بن مرة مولى المعلى فإن عبيداً هذا وأباه من سبى عين التمر[٢]، ومات عبيد بن مرة أيام الحرة[٣] وكان يكنى أبا عبد الله.

قال: وبئر عائشة[٤] نسبت إلى عائشة بن نمير بن واقف. وعائشة رجل وهو من الأوس، وبئر المطلب على طريق العراق، نسبت إلى المطلب بن عبدالله ابن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وبئر ابن المرتفع نسبت إلى محمد بن المرتفع بن النضير العبدري[٥].

حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن شريك بن عبد الله عن أبي نمر الليثي، عن عطاء بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث بن

---

(١) في عقيق المدينة من أفضل بقاع المدينة وأكرم نواحيها وأنزه أصقاعها. المغانم المطابة.

(٢) سباهم خالد بن الوليد سنة ١٣ هـ أثناء فتحه العراق وسلف ذكر ذلك لدى ابن حبيش وسير ذكره ثانية.

(٣) معركة الحرة أيام يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين. انظر تاريخ خليفة: ١ / ٢٨٩ - ٣١٣.

(٤) هو في المدينة - المغانم المطابة.

(٥) من أجل التحديد المعاصر لآبار المدينة انظر «آثار المدينة المنورة» لعبد القدوس الأنصاري - ط. دمشق ١٩٣٥: ١٦١ - ١٧٢.

حزن بن بجير الهلالية قال : لما أراد رسول الله ﷺ أن يتخـذ السوق بالمدينة قال : هذا سوقكم لا خراج عليكم فيه .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جـده محمد بن السائب ، وشرقي بن القطامي الكلبي ، قالا : لما هدم بختنصر بيت المقدس ، وأجلى من أجلى وسبى من سبى من بني إسرائيل لحق قوم منهم بناحيـــة الحجاز فنزلوا وادي القرى ، وتيماء ، ويثرب ، وكان بيثرب قوم من جرهم ، وبقية من العماليق قد اتخذوا النخل والزرع ،فأقاموا معهم وخالطوهم فلم يزالوا يكثرون وتقل جرهم والعماليق ،حتى نفوهم عن يثرب واستولوا عليها ،وصارت عمارتها ومراعيها لهم فمكثوا على ذلك ما شاء الله ، ثم إن من كان باليمن من ولد سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بغوا وطغوا وكفروا نعمة ربهم فيما آتاهم من الخصب ورفاهة العيش ، فخلق الله جرذاناً جعلت تنقب سداً كان لهم بين جبلين فيه أنابيب يفتحونهـا إذا شاؤوا فيأتيهم الماء منها على قدر حاجتهم وإرادتهم ، والسد العرم ، فلم تزل تلك الجرذان تعمل في ذلك العرم حتى خرقته ،فأغرق الله تعالى جنانهم ،وذهب بأشجارهم وأبدلهم خمطاً واثلاً [١] وشيئاً من سدر قليلاً .

فلما رأى ذلك مزيقيا ، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ،باع كل شيء له من عقار وماشية وغير ذلك ، ودعا الأزد حتى صاروا معه إلى بلاد عك فأقاموا بها ، وقال عمرو : الانتجاع قبل العلم عجز ، فلما رأت عك غلبة الأزد على أجود مواضعهم غمها ذلك ، فقالت للأزد انتقلوا عنا ، فقام رجل من الأزد أعور أصم يقال له جذع ، فوثب بطائفة منهم فقتلهم ونشبت الحرب بين الأزد وعك ، فانهزمت الأزد ، ثم كرت فقـال جذع في ذلك :

نحن بنو مازن غير شك ‏ غسان غسان وعك عك
سيعلمون أين أرك

(١) أي نباتات مرة لا شأن لها . القاموس .

وكانت الأزد نزلت بماء يقال له غسان (١)، فسموا بذلك، ثم إن الأزد سارت حتى انتهت إلى بلاد حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقاتلوهم فظهرت الأزد على حكم، ثم إنه بدا لهم الانتقال عن بلادهم فانتقلوا وبقيت طائفة منهم معهم، ثم أتوا نجران فحاربهم أهلها فنصروا عليهم فأقاموا بنجران، ثم رحلوا عنها إلا قوم منهم تخلفوا بها لأسباب دعتهم إلى ذلك فأتوا مكة وأهلها جرهم فنزلوا بطن مر، وسأل ثعلبة بن عمرو مزيقيا جرهم أن يعطوهم سهل مكة فأبوا، فقاتلهم حتى غلب على السهل، ثم إنه والأزد استوبوا مكانهم ورأوا شدة العيش به فتفرقوا، فأتت طائفة منهم عُمان، وطائفة السراة (٢) وطائفة الأنبار والحيرة وطائفة الشام، وأقامت طائفة منهم بمكة، فقال جذع أكلما صرتم يا معاشر الأزد إلى ناحية انخزعت منكم جماعة، يوشك أن تكونوا أذناباً في العرب، فسمى من أقام بمكة خزاعة.

وأتى ثعلبة بن عمرو، مزيقيا وولده ومن تبعه يثرب، وسكانها اليهود فأقاموا بها خارج المدينة، ثم انهم عفوا (٣) وكثروا وعزوا حتى أخرجوا اليهود منها ودخلوها فنزلت اليهود خارجها، فالأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر وأمها قيلة بنت الأرقم بن عمرو، ويقال انها غسانية من الأزد، ويقال أنها عذرية، وكانت للأوس والخزرج قبل الإسلام وقائع وأيام

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر الايناس في علم الأنساب للوزير المغربي — ط. الرياض ١٩٨٠ ص ٦٢ — ٦٤. وحكاية خراب السد تعد من الأساطير، ويبدو أن السد لم يخرب بل جاءت كميات كبيرة من الماء فاضت حيث تجاوزت قدرته على الاستيعاب، وقد أعيد بناء هذا السد حديثاً.

(٢) السراة الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن. معجم البلدان.

(٣) أي تعافوا.

تدربوا فيها بالحروب ، واعتادوا اللقاء ، حتى شهر بأسهم ، وعرفت نجدتهم ، وذكرت شجاعتهم ، وجـــل في قلوب العرب أمرهم ، وهابوا حدهـــم ، فامتنعت حوزتهم وعز جارهم ، وذلك لمـــا أراد الله من إعزاز نبيه ﷺ واكرامهم بنصرته .

قالوا : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة كتب بينه وبين يهود يثرب كتاباً ، وعاهدهم عهداً ، وكان أول من نقض ونكس منهم ، يهود بني قينقاع ، فأجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة ، وكان أول أرض افتتحها رسول الله ﷺ أرض بني النضير [١] .

أموال بني النضير

قال : أتى رسول الله ﷺ بني النضير من يهود ومعه أبو بكر ، وعمـــر ، وأسيد بن حضير ، فاستعانهم في دية رجلين من بني كلاب بن ربيعة موادعين له ، كان عمرو بن أمية الضمري [٢] قتلهما، فهموا [٣] بأن يلقوا عليه رحا ، فانصرف عنهم وبعث إليهم يأمرهم بالجلاء عن بلده اذ كان منهم ما كان من الغدر والنكث ، فأبوا ذلك وأذنوا بالمحاربة ، فزحف إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، ثم صالحوه على أن يخرجوا من بلده ، ولهم ما حملت الابل إلا الحلقة والآلة ولرسول الله ﷺ أرضهم ونخلهم والحلقة وسائر السلاح – والحلقة الدروع – فكانت أموال بني النضير خالصة لرسول الله ﷺ ، وكان يزرع تحت النخل في أرضهم فيدخل من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله في الكراع

---

(١) انظر مغازي الزهري بتحقيقي : ٧١ – ٧٥ .

(٢) قتلهما ثأراً لأصحاب بئر معونة . انظر الروض الأنف : ٣ / ٢٣١ .

(٣) أي اليهود حيث أرادوا اغتياله ﷺ .

والسلاح وأقطع رسول الله ﷺ من أرض بني النضير ، أبا بكر ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي وغيرهم ، وكان أمر بني النضير في سنة أربعة من الهجرة [١] .

قال الواقدي : وكان مخيريق أحد بني النضير حبراً عالماً، فآمن برسول الله ﷺ ، وجعل ماله له ، وهو سبعة حوائط ، فجعلها رسول الله ﷺ صدقة ، وهي الميثب والصافية والدلال ، وحسنى ، وبرقة ، والأعواف [٢] ، ومشربة أم ابراهيم بن رسول الله ﷺ ، وهي مارية القبطية .

حدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : أخبرنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري ، أن وقيعة بني النضير من يهود كانت على ستة أشهر من يوم أحد ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة [٣] الا الحلقة فأنزل الله فيهم ﴿ سبح لله ماقي السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ [٤] إلى قوله ﴿ وليخزي الفاسقين ﴾ .

وحدثنا الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق في قوله ﴿ ما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ ، قال من بني النضير ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من

---

(١) انظر من أجل الخلاف حول تاريخ أمر بني النضير مغازي الزهري:٧٣. مغازي الواقدي – ط . اكسفورد ١٩٦٦ : ١ / ٣٦٣ – ٣٦٩ . الروض الأنف: ٣ / ٢٤٠ – ٢٤١ . طبقات ابن سعد – ط . دار صادر بيروت: ٢ / ٥٧ – ٥٩.

(٢) انظر حولها مادة ميثب في معجم البلدان .

(٣) زادت رواية مغازي الزهري : ٧١ « والأموال » .

(٤) سورة الحشر – الآيتان : ١ – ٢ .

يشاء ﴾ (١) ،قال أعلمهم أنها لرسول الله ﷺ خالصة دون الناس،فقسمها رسول الله ﷺ في المهاجرين إلا أن سهل بن حنيف ، وأبا دجانة ذكرا فقراً فأعطاهما.

قال: وأما قوله ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ﴾ (٢) إلى آخر الآية . قال : هذا قسم آخر بين المسلمين على ماوصفه الله .

وحدثني محمد بن حاتم السمين ، قال : حدثنا الحجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : أحرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير ، وقطع ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

لهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير (٣)

قال ابن جريج وفي ذلك نزلت ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ « اللينة النخلة » .

وحدثنا أبو عبيد قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن موسى عن نافع ، عن ابن عمر بمثله . وقال أبو عمر الشيباني الراوية وغيره من الرواة : إن هذا الشعر لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وإنما هو :

لعز على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير

ويروى بالبويلة . فأجابه حسان بن ثابت فقال :

أدام الله ذلكم حريقاً ... وضرم في طوائفها السعير

هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... فهم عمي عن التوراة بور (٤)

وحدثني عمرو بن محمد الناقد،قال:حدثنا سفيان بن عُيينة،عن مَعْمَر،عن

---

(١) سورة الحشر — الآية : ٦ .

(٢) سورة الحشر — الآية : ٧ .

(٣) ديوان حسان — ط . دار صادر بيروت ١٩٧٤ : ١ / ٢١٠ .

(٤) استدرك محقق ديوان حسان بيتاً من رواية البلاذري هذه، هذا وهناك بعض الفوارق الأخرى في الروايتين .

الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : قال عمر بن الخطاب : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت له خالصة ، فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، قال : حدثنا حاتم بن اسماعيل قال : حدثنا أسامة بن زيد ، عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه أخبره أن عمر بن الخطاب ، قال : كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا : مال بني النضير ، وخيبر [1] ، وفدك [2] ، فأما أموال بني النضير فكانت حبساً لنوائبه ، وأما فدك فكانت لأبناء السبيل ، وأما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء ، فقسم جزئين منها بين المسلمين وحبس جزءاً لنفسه ونفقة أهله ، فما فضل من نفقتهم رده إلى فقراء المهاجرين .

وحدثنا الحسين بن الأسود، قال : حدثنا يحيى بن آدم،قال حدثنا سفيان، عن الزهري ، قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة ، فقسمها بين المهاجرين ، ولم يعط أحداً من الأنصار منها شيئاً إلا رجلين كانا فقيرين ، سماك ابن خرشة أبا دجانة ، وسهل بن حُنيف .

وحدثنا الحسين ، قال حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الكلبي ، قال لما ظهر رسول الله ﷺ على أموال بني النضير،وكانوا أول من أجلي قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾[3]والحشر الجلاء،فكانت مما لم يوجف المسلمون

---

(١) اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير ، فتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة ، وقيل سنة ثمان . المغانم المطابة .

(٢) قرية على يومين من المدينة . المغانم المطابة .

(٣) سورة الحشر – الآية : ٢ .

عليه بخيل ولا ركاب ، فقال رسول الله ﷺ للأنصار : ليست لاخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة ، فقالوا : بل قسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت فنزلت ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (١) فقال ابو بكر : جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً،فوالله مامثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الوطأتين فزلت

أبوا أن يملونا ولو ان أمنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت

فذو المال موفور وكل معصب ... إلى حجرات أدفأت وأظلت(٢)

وحدثنا الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : أخبرنا قيس بن الربيع ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال أقطع رسول الله ﷺ الزبير بن العوام أرضاً من أرض بني النضير ذات نخل .

وحدثنا الحسين ، قال حدثنا يحيى ، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال أقطع رسول الله ﷺ من أموال بني النضير ، واقطع الزبير (٣) .

وحدثني محمد بن سعد، كاتب الواقدي،قال حدثنا أنس بن عياض،وعبدالله ابن نمير قالا : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، أن النبي ﷺ أقطع الزبير أرضاً من أموال بني النضير فيها نخل ، وان أبا بكر أقطع الزبير الجرف ، قال أنس في حديثه:أرضاً مواتاً . وقال عبد الله بن نمير في حديثه: وان عمر أقطع الزبير العقيق أجمع .

---

(١) سورة الحشر- الآية:٩ . وانظر أيضاً الخراج ليحيى بن آدم:٤١-٤٣.

(٢) الشعر لطفيل الغنوي . انظر الخراج ليحيى بن آدم : ٣٥ .

(٣) لم يرد هذا في الخراج ليحيى بن آدم والذي فيه ص ٧٧ « أن أبا بكر أقطع الزبير مابين الجرف إلى قناة » .

أموال بني قريظة

قالوا: حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة لليال من ذي القعدة وليال من ذي الحجة سنة خمس ، فكان حصارهم خمس عشرة ليلة،وكانوا ممن أعان على رسول الله ﷺ في غزوة الخندق ، وهي غزوة الأحزاب ، ثم إنهم نزلوا على حكمه ، فحكم فيهم سعد بن معاذ الأوسي ، فحكم بقتل من جرت عليه المواسي،وبسبي النساء والذرية ، وأن يقسم مالهم بين المسلمين ، فأجاز رسول الله ﷺ ذلك ، وقال : لقد حكمت بحكم الله ورسوله .

حدثني عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حمـــاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة :أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب،دخل مغتسلا ليغتسل ، فجاءه جبريل،فقال : يامحمد قد وضعتم أسلحتكم وما وضعنا أسلحتنا بعد ، إنهد إلى بني قُريظة فقالت عائشة: يارسول الله لقد رأيته من خلل الباب، وقد عصب التراب رأسه .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمـة عن أبي جعفر الخطمي ، عن عمارة بن خزيمـة ، عن كثير بن السائب ، أن بني قريظة عرضوا على النبي ﷺ ، فمن كان منهم محتلماً أو قد نبتت عانته قتل،ومن لم يكن احتلم ولا نبتت عانته ترك .

وحدثني وهب بن بقية ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن هشام عـــن الحسن قال:عاهد حُيي بن أخطب رسول الله ﷺ على أن لا يظاهر عليه أحداً، وجعل الله عليه كفيلا،فلما أتى به رسول الله ﷺ يوم قريظة وبابنه،قال رسول الله ﷺ : لقد أوفى الكفيل ، ثم أمر به فضربت عنقه وعنق ابنه .

حدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر قال : سألت

الزهري،هل كانت لبني قريظة أرض ، فقال:سُوَيراً [١] قسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين على السهام .

وحدثني الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : قسم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة وخيبر بين المسلمين .

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، كاتب الليث عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهري أن رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فقضى بأن تقتل رجالهم، وتُسبي ذراريهم،وتقسم أموالهم ، فقتل منهم يومئذ كذا و كذا رجلاً [٢].



---

(١) السرير واد قريب من المدينة . المغانم المطابة : ١٧٧ .

(٢) انظر مغازي الزهري : ٨١ — ٨٣ .

خيبر[1]

قالوا : غزا رسول الله ﷺ خيبر في سنة سبع[2] ، فطاوله أهلها وماكثوه، وقاتلوا المسلمين ، فحاصرهم رسول الله ﷺ قريباً من شهر ، ثم أنهم صالحوه على حقن دمائهم ، وترك الذرية على أن يجلوا ويخلوا بين المسلمين وبين الأرض والصفراء والبيضاء والبزة ، إلا ما كان منها على الأجساد وأن لا يكتموه شيئاً ، ثم قالوا لرسول الله ﷺ : إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً فأقرنا ، فأقرهم رسول الله ﷺ وعاملهم على الشطر من الثمر والحب ، وقال : أقركم ما أقركم الله ، فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظهر فيهم الزنا ، وتعبثوا بالمسلمين ، فأجلاهم عمر ، وقسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين .

حدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم، قال : حدثنا زياد ابن عبد الله بن طفيل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : سألت ابن شهاب عن خيبر، فأخبرني أنه بلغه أن رسول الله ﷺ افتتحها عنوة بعد القتال[3]، وكانت مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، فخمسها رسول الله ﷺ وقسمها بين المسلمين ،

(١) الخيبر بلسان يهود الحصن وعرفت بذلك لأن بقعتها كانت تشتمل على سبعة حصون هي: ناعم. القموص . الشق . النطاة . السلالم. الوطيح . الكتيبة. معجم البلدان . المغانم المطابة .

(٢) روى الواقدي في مغازيه : ٢ / ٦٣٤ « قدم رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة تمام سنة ست فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم ، وخرج في صفر سنة سبع » .

(٣) من أجل تفاصيل القتال انظر الروض الأنف : ٤ / ٣٩–٦٨ .

ونزل من ترك من أهلهـا على الجلاء ، فدعاهـم رسول الله ﷺ إلى المعاملة ففعلوا [١] .

وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عـن عبيدالله بن عمر ، عن نافـع ، عن ابن عمر ، قال : أتى رسول الله ﷺ أهل خيبر فقاتلهم حتى ألجاهم إلى قصرهم وغلبهم على الأرض والنخل ، وصالحهم على أن يحقن دماءهم ويجلوا ، ولهم ماحملت ركابهم ، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقـة ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ، ولا يغيبوا شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد ،فغيبوا مسكا فيه مال وحلي لحيي بن أخطب ،وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت بنو النضير ، فقال رسول الله ﷺ لسعية بن عمرو : مافعل مسك حيي الذي جاء به من قبل بني النضير ؟ قال : أذهبتـه الحروب والنفقات ، قال : العهد قريب ، والمال كثير ، وقد كان حيي قتل قبل ذلك ، فدفع رسول الله ﷺ سعية إلى الزبير فمسه بعذاب ، فقال : رأيت حيياً يطوف في خربة ههنا ، فذهبوا إلى الخربة ففتشوهـا فوجدوا المسك ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق ، وأحدهما زوج صفيـة بنت حيي بن أخطب ، وسبى نساءهم وذراريهم ، وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا فأراد أن يجليهم عنها، فقالوا : دعنا نكن في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله ﷺ وأصحابه غلمان يقومون بها ، وكانوا لا يفرغون للقيام عليهـا بأنفسهم ، فأعطاهم رسول الله ﷺ خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخـل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ ،فكان عبد الله بن رواحة يأتيهم في كل عام فيخرصها [٢]

---

(١) أوضح الزهري سبب ذلك بقولـه في ص ٨٥ : « ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه عمال يعملون خيبر ولا يزرعونها » .

(٢) خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصاً : إذا حزر ما عليهـا من الرطب ، تمراً ومن العنب زبيباً ، فهو من الخرص : الظن ، لأن الحزر إنما هو تقدير بظن . النهاية لابن الأثير .

عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال : يا أعداء الله أتطعمونني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الي وإنكم لأبغض إلي من عدتكم من القرود والخنازير ولن يحملني بغضي لكم وحبيي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

قال : ورأى رسول الله ﷺ بعين صفية بنت حيي خضرة ، فقال يا صفية ما هذه الخضرة؟ فقالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة،فرأيت كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني،وقال أتمنين ملك يثرب ، قــالت : وكان رسول الله ﷺ أبغض الناس إليّ ، قتل زوجي وأبي وأخي ، فما زال يعتذر ويقول : إن أباك ألب عليّ العرب وفعـــل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي .

قال : وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام ، وعشرين وسقاً من شعير من خيبر .

قال نافع فلما كان عمر بن الخطاب عاثوا في المسلمين وغشوهم ، وألقوا ابن عمر من فوق بيت وفدغوا يديه ، فقسمها عمر رضي الله عنه بين المسلمين ممن كان شهد خيبر من أهل الحديبية .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنيهم الوطيح وسلام، فلما أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان في هذين الحصنين .

حدثنا الحسين بن الأسود قــال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن شعبة ، عن الحكم ، عـــن عبد الرحمن بن أبي ليلى في

قوله تعالى : ﴿ وأثابهم فتحاً قريبـاً ﴾ (١) ، قال : خيبر ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها ﴾ (٢) فارس والروم .

حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار، أن النبي ﷺ قسم خيبر على ستة وثلاثين سهماً وجعل كل سهم مائة سهم فعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به(٣)، وقسم النصف الباقي بين المسلمين فكان سهم رسول الله ﷺ فيا قسم الشق والنطاة وما حيز معها ، وكان فيا وقف الكتيبة وسلالم ، فلما صارت الأموال في يـدي رسول الله ﷺ لم يكن له من العمال من يكفيه عمل الأرض فدفعها إلى اليهود يعملونها على نصف ما خرج منها ، فلم يزل على ذلك حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر ، فلما كان عمر و كثر المال في أيدي المسلمين وقووا على عمارة الأرض أجلى اليهود إلى الشام وقسم الأموال بين المسلمين .

حدثني بكر بن الهيثم، قال : حدثنا عبد الرزاق،عن معمر ، عن الزهري أن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر كان سهم الخمس منهـا الكتيبة ، وكان الشق والنطاة وسلالم والوطيح للمسلمين ، فأقرهـا في يد يهود على الشطر فكان ما أخرج الله منها للمسلمين يقسم بينهم ، حتى كان عمر فقسم رقبـة الأرض بينهم على سهامهم .

وحدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا علي بن معبد ، عن أبي المليـح عن ميمون ابن مهران ، قال : حصر رسول الله ﷺ أهل خيبر مـا بين عشرين ليلة إلى ثلاثين ليلة .

---

(١) سورة الفتح – الآية : ١٨ .

(٢) سورة الفتح – الآية : ٢١ .

(٣) لابن كثير في تاريخه البداية والنهاية : ٤ / ٢٠١ رأي شكك فيه بصحة هذه الرواية .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال أخبرنا حماد ابن سلمة عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار : أن رسول الله ﷺ قسم خيبر على ستة وثلاثين سهماً ، لرسول الله ﷺ ثمانية عشر سهماً، لما ينوبه من الحقوق وأمر الناس ، والوفود ، وقسم ثمانية عشر سهماً كل سهم لمائة رجل .

وحدثنا الحسين ، قال حدثنا يحيى بن آدم ، عن عبد السلام بن حرب ،عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت بشير بن يسار يقول : قسمت سهمان خيبر على ستة وثلاثين سهماً جمع كل سهم مائة سهم ، فكان من ذلك للمسلمين ثمانية عشر سهماً ، اقتسموها بينهم ولرسول الله ﷺ مثل سهم أحدهم ، وثمانية عشر سهماً لمن نزل برسول الله ﷺ من الناس ، والوفود ، وما نابه [1] .

حدثنا عمرو الناقد ، والحسين بن الأسود ، قالا : حدثنا وكيع بن الجراح، قال : حدثني العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ : بعث ابن رواحة إلى خيبر ، فخرص عليهم النخل ، ثم خيرهم أن يأخذوا أو يردوا ، فقالوا هذا الحق وبه قامت السموات والأرض .

وحدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا الحجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن رجل من أهل المدينة : أن النبي ﷺ صالح بني أبي الحقيق على أن لا يكتموا كنزاً فكتموه ، فاستحل دماءهم .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا علي بن معبد ، عن أبي المليح ، عن ميمون ابن مهران أن أهل خيبر أخذوا الأمان على أنفسهم ، وذراريهم ،على أن لرسول الله ﷺ كل شيء في الحصن . قال : وكان في الحصن أهل بيت فيهم شدة على

(١) كان لفتح خيبر أثره الكبير على أحوال المسلمين المعاشية ، ومصداقاً على هذا يكفي أن نسوق مارواه الإمام البخاري — فتح الباري : ٧ / ٤٩٥ — عن ابن عمر قوله : « ما شبعنا حتى فتحنا خيبر . انظر أيضاً مغازي الواقدي : ٢ / ٦٨٠ .

رسول الله ﷺ ، فقال لهم : قد عرفت عداوتكم لله ، ولرسوله ، ولن يمنعني ذلك من أن أعطيكم ما أعطيت أصحابكم ، وقد أعطيتموني أنكم إن كتمتم شيئاً حلت لي دماؤكم ، مافعلت آنيتكم ؟ قالوا : استهلكناها في حربنا ، قال : فأمر أصحابه فأتوا المكان الذي هي فيه فاستثاروها ، ثم ضرب أعناقهم .

حدثنا عمرو الناقد ، ومحمد بن الصباح ، قالا : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : دفع رسول الله ﷺ خيبر بأرضها ونخلها إلى أهلها مقاسمة على النصف.

حدثنا محمد بن الصباح ، قال : حدثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا داود ابن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : دفع رسول ﷺ خيبر إلى أهلها بالنصف ، وبعث عبد الله بن رواحة لخرص التمر – أو قال: النخل– فخرص عليهم وجعل ذلك نصفين، فخيرهم أن يأخذوا أيها شاؤوا، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

وحدثنا بعض أصحاب أبي يوسف ، قال : حدثنا أبو يوسف ، عن مسلم الأعور ، عن أنس أن عبد الله بن رواحة قال لأهل خيبر : إن شئتم خرصت وخيرتكم، وإن شئتم خرصتم وخيرتموني؟ فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض[١].

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح المصري، عن ليث بن سعد ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري أن النبي ﷺ فتح خيبر عنوة بعد قتال ، فخمسها ، وقسم أربعة أخماسها بين المسلمين .

وحدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : قرأت على مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» ، ففحص عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله ﷺ ، قال: « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » فأجلى يهود خيبر[٢] .

---

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف – ط . القاهرة ١٣٨٢ : ٥٠ .
(٢) الموطأ : ٦٤٤ (٠٩ ١٦) .

حدثني الوليد بن صالح ، عن الواقدي عن أشياخــه ، أن رسول الله ﷺ أطعم من سهمه بخيبر طعماً فجعل لكل امرأة من نسائه ثمانين وسقــاً من تمر ، وعشرين وسقاً من شعير ، وأطعم عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مائتي وسق ، وأطعم أبا بكر وعمر والحسن والحسين وغيرهم ، وأطعم بني المطلب بن عبد مناف أوساقاً معلومة ، وكتب لهم بذلك كتاباً ثابتاً .

وحدثني الوليد ، عن الواقدي عن أفلح بن حميد ، عن أبيه ، قال : ولاني عمر بن عبد العزيز الكتيبة ، فكنا نعطي ورثة المطعمين ، وكانوا محصين عندنا .

وحدثنا محمد بن حاتم السمين ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن ليث عن نافع ، قال : أعطى رسول الله ﷺ خيبر أهلها بالشطر ، فكانت في أيديهم حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر ، وصدراً من خلافة عمر ، ثم إن عبد الله بن عمر أتاهم في حاجة فبيتوه ، فأخرجهم منهـــا وقسمها بين مَن حضر من المسلمين ، وجعل لأزواج النبي ﷺ فيهـــا نصيباً ، وقال أيتكن شاءت أخذت الثمرة وأيتكن شاءت أخذت الضيعة ، فكانت لها ولورثتها .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عـــن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : قسمت خيبر على ألف وخمسمائة سهم وثمانين سهماً ، وكانوا ألفاً وخمسمائة وثمانين رجلاً ، الذين شهدوا الحديبية منهم ألف وخمسمائة وأربعون ، والذين كانوا مع جعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة أربعون رجلاً [١] .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثني يحيى بن آدم . قال : حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقطع رسول الله ﷺ الزبيـر أرضاً بخيبر فيها نخل وشجر .

---

(١) وذلك أنهم عادوا من الحبشة أيام خيبر .

فــدك

قالوا : بعث رسول الله ﷺ إلى أهل فدك [١] منصرفه من خيبر محيصة بن مسعود الأنصاري يدعوهم إلى الإسلام ، ورئيسهم رجل منهم ، يقال له يوشع بن نون اليهودي ، فصالحوا رسول الله ﷺ على نصف الأرض بتربتها ، فقبل ذلك منهم ، فكان نصف فدك خالصاً لرسول الله ﷺ ، لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان يصرف ما يأتيه منها إلى أبناء السبيل .

ولم يزل أهلها بها إلى أن استخلف عمر بن الخطـاب رضي الله عنه ، وأجلى يهود الحجاز ، فوجه أبا الهيثم مالك بن التيهان – ويقال التيهـان – وسهل بن أبي حثمة ، وزيد بن ثابت الأنصاريين . فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل ، فدفعها إلى اليهودي وأجلاهم إلى الشام .

حدثنا سعيد بن سليمان ، عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد أن أهل فدك صالحوا رسول الله ﷺ على نصف أرضهم ونخلهم ، فلما أجلاهم عمر بعث من أقام لهم حظهم من النخل والأرض فأداه إليهم .

حدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر عن الزهري أن عمر بن الخطاب أعطى أهل فدك قيمة نصف أرضهم ونخلهم .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حـدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق . عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر ، وبعض

---

(١) قرية على يومين من المدينة المغانم المطابة . وتعرف الآن باسم الحائط ، فيها نخل كثير وتقع بين خيبر وحائل ، في واد عظيم من أودية الحرة ، يزيـد سكانها على ألف نسمة .

ولد محمد بن مسلمة قالوا : بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا وسألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسيرهم ، فسمع بذلك أهل فـــدك فنزلوا على مثل ذلك ، وكانت فـــدك لرسول الله ﷺ خاصة لأنه لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب .

وحدثنا الحسين عـــن يحيى بن آدم عن زياد البكائي عن محمـــد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بنحوه وزاد فيه ، وكان فيمن مشى بينهم محيصة بن مسعود .

حدثنا الحسين ، قال : حـدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثني إبراهيم بن حميد عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه ، قال : كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفـــايا فكانت أرض بني النضير حبساً ، وكانت لنوائبه ، وجزأ خيبر على ثلاثة أجزاء وكانت فـــدك لأبناء السبيل .

حدثنا عبد الله بن صالح العجلي، قال : حدثنا صفوان بن عيسى عن أسامة ابن زيد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، أن أزواج النبي ﷺ أرسلن عثمان ابن عفان إلى أبي بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله ﷺ بخيبر وفدك ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ، أما سمعتن رسول الله ﷺ يقول: « لا نورث ما تركنا صدقة إنما هذا المال لآل محمد ، لنائبتهم وضيفهم ، فإذا مت فهـو إلى والي الأمر بعدي »[1] . قال : فأمسكن .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي،حدثنا صفوان بن عيسى الزهري عن أسامة عن ابن شهاب عن عروة بمثله .

حدثني إبراهيم بن محمد عن عرعرة عن عبد الرزاق عن معمر عن الكلبي ،

---

(١) انظر كنز العمال : ٣٠٤٥٩ – ٣٠٤٦٤ .

أن بني أمية اصطفوا فدك وغيروا سنة رسول الله ﷺ فيها ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ردها إلى ما كانت عليه .

وحدثنا عبد الله بن ميمون المكتب ، قال : أخبرنا الفضيل بن عياض عن مالك بن جعونة عن أبيه ، قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إن رسول الله ﷺ جعل لي فدك فأعطني إياها ، وشهد لها علي بن أبي طالب ، فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن ، فقال : قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين فانصرفت .

وحدثني روح الكرابيسي قال : حدثنا زيد بن الحباب ، قال أخبرنا خالد ابن طهمان ، عن رجل — حسبه روح جعفر بن محمد — أن فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : أعطني فدك فقـــد جعلها رسول الله ﷺ لي، فسألها البينة فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبي ﷺ ،فشهدا لها بذلك فقال : إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين .

حدثنا ابن عائشة التيمي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح باذام ، عن أم هـانىء أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتت أبا بكر الصديـق رضي الله عنه ، فقالت له : من يرثك إذا مت ؟ قال : ولدي وأهلي ، قالت : فما بالك ورثت رسول الله ﷺ دوننـا ؟ فقال : يا بنت رسول الله والله ماورثت أباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا ، فقالت : سهمنا بخيبر وصدقتنا فدك ، فقال : يابنت رسول الله سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما هي طعمة أطعمنيها الله حياتي فإذا مت فهي بين المسلمين » .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة أن عمر بن عبد العزيز جمع بني أمية فقال : إن فدك كانت للنبي ﷺ ، فكان ينفق منها ، ويأكل ، ويعود على فقراء بني هاشم ، ويزوج أيمهم [١] ، وان

---

(١) الأيم : من لا زوج لها ، بكراً أو ثيباً ، ومن لا امرأة له . القاموس .

فاطمة سألتــه أن يهبها لها فأبى ، فلما قبض عمل أبو بكر فيها كعمل رسول الله ﷺ ، ثم ولي عمر فعمل فيها بمثل ذلك ، وإني أشهدكم اني قد رددتهــا إلى إلى ما كانت عليه [1] .

حدثنا سريج بن يونس ، قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عـن الزهري في قول الله تعالى : ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ [2] ، قال: هذه قرى عربية [3] لرسول الله ﷺ فدك وكذا وكذا .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن عفير ، عن مالك بن أنس . قال أبو عبيد . لا أدرى ذكره عن الزهري أم لا ، قال أجلى عمر يهود خيبر فخرجوا منها ، فأما يهود فدك فكان لهـم نصف الثمرة ونصف الأرض ، لأن رسول الله ﷺ صالحهم على ذلك ، فأقام لهم عمر نصف الثمرة ونصف الأرض من ذهب وورق واقتاب ثم أجلاهم .

وحدثني عمرو الناقد ، قال : حدثني الحجاج بن أبي منيـع الرصافي ، عن أبيه عن أبي برقان ، أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة خطب ، فقال : إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ، ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فسألته إياها فاطمة رحمها الله تعالى ، فقال : ما كان لك ان تسأليني وما كان لي ان أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، ثم ولي أبو بكر وعمر

---

(١) المروي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ردها على آل البيت ، وحدث خلاف حولها بين علي بن أبي طالب وعمه العباس ، ورفعا الشكوى إلى عمر بن الخطاب ، فرفض التدخل بينهما . انظر مغازي الزهري : ١٦٣-١٦٦ . المغانم المطابة — مادة فدك .

(٢) سورة الحشر — الآية : ٦ .

(٣) هناك خلاف حول ضبط هذا الاسم بين « عربية » و« عرينة » والمرجح ما أثبت في المتن انظر كتاب الخراج لأبي يوسف : ٥٩ .

وعثمان وعلي رضي الله عنهم فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ،ثم ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم ، فوهبها مروان لأبي[1] ولعبد الملك،فصارت لي وللوليد وسليمان، فلما ولي الوليد سألته حصته منها فوهبها لي . وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي فاستجمعتها وما كان لي من مال أحب إلي منها،فاشهدوا أني قد رددتها إلى ما كانت عليه .

ولما كانت سنة عشر ومائتين أمر أمير المؤمنين المأمون ، عبد الله بن هارون الرشيد فدفعها إلى ولد فاطمة ،وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله، وخلافة رسوله ﷺ والقرابة به أولى من استن سنته ، ونفذ أمره ، وسلم لمن منحه منحة ، وتصدق عليه بصدقة . منحته وصدقته ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته .

وقد كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدك، وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ ، ولم تزل تدعي منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عماله، فلأن كان ينادي في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه ﷺ أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك ، فيقبل قوله وينفذ عدته، إن فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها .

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن

---

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم .

الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بهـا لأهلها ، فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وما ألهمه الله من طاعته ووفقه له من التقرب إليه ، وإلى رسوله ﷺ وأعلمه من قبلك، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، وأعنهما على مافيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله والسلام » .

وكتب يوم الأربعـاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة عشر ومائتين . فلما استخلف المتوكل على الله رحمه الله أمر بردها إلى ما كانت عليه قبل المأمون رحمه الله (١) .



(١) كان المأمون صاحب ميول شيعية حتى أنه ولى عهده علي الرضا لفترة من الزمن ، واختلفت مواقف المتوكل من الشيعة إلى حد أنه أمر بطمس معالم قبر الحسين بن علي وآله عليهم السلام بكربلاء .

أمر وادي القرى وتيماء

قالوا : أتى رسول الله ﷺ منصرفه من خيبر وادي القرى [١] ، فدعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا ، ففتحها رسول الله ﷺ عنوة ، وغنّمه الله أموال أهلها. وأصاب المسلمون منهم أثاثاً ومتاعاً . فخمس رسول الله ﷺ ذلك ، وترك النخل والأرض في أيدي اليهود وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر ، فقيل إن عمر أجلى يهودها ، وقسمها بين من قاتل عليها ، وقيل : إنه لم يجلهم لأنها خارجة من الحجاز ، وهي اليوم مضافة إلى عمل المدينة وأعراضها .

وأخبرني عدة من أهل العلم : أن رفاعة بن زيد الجذامي كان أهدى لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له مدعم ، فلما كانت غزاة وادي القرى أصابه سهم غرب ، وهو يحط رحل رسول الله ﷺ فقيل : يارسول الله هنيئاً لغلامك أصابه سهم فاستشهد فقال : كلا ان الشملة التي أخذها من المغانم يوم خيبر لتشتعل عليه ناراً .

حدثنا شيبان بن فروخ ، قال : حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، أنه قيل لرسول الله ﷺ استشهد فتاك فلان ، فقال : إنه يجر إلى النار في عباءة غلها .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن عبد الله بن سفيان ، قال : وحدثنا حبيب بن الشهيد ، عن الحسن أنه قيل لرسول الله ﷺ هنيئاً لك استشهد فتاك فلان ، فقال : بل هو يجر إلى النار في عباءة غلها .

---

(١) واد كبير من أعمال المدينة كثير القرى بين المدينة والشام فتحه النبي ﷺ سنة سبع عنوة ، ثم صولحوا على الجزية . المغانم المطابة .

قالوا : ولما بلغ أهل تيماء [١] ما وطىء به رسول الله ﷺ أهل وادي القرى صالحوه على الجزية ، فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم .

وولى رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية وادي القرى ، وولى يزيد بن أبي سفيان بعد الفتح ، وكان إسلامه يوم فتح تيماء .

وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى ابن سعيد عن إسماعيل بن حكيم عن عمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب أجلى أهل فدك وتيماء وخيبر ، قال : وكان قتال رسول الله ﷺ أهل وادي القرى في جمادى الآخر سنة سبع .

حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده ، قال : أقطع رسول الله ﷺ حمزة بن النعمان بن هوذة العذري رمية سوطه من وادي القرى ، وكان سيد بني عذرة ، وهو أول أهل الحجاز قدم على النبي ﷺ بصدقة بني عذرة .

وحدثني علي بن محمد بن عبد الله مولى قريش عن العباس بن عامر عن عمه، قال : أتى عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية فقال: يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين معاوية كان ابتاع من بعض اليهود أرضاً بوادي القرى ، وأحيا إليها أرضاً ، وليست لك بذلك المال عناية ، فقد ضاع وقلت غلته فاقطعنيه فإنه لا خطر له ، فقال يزيد: إنا لا نبخل بكبير ، ولا نخدع عن صغير ، فقال يا أمير المؤمنين : غلته كذا ، قال : هو لك ، فلما ولى قال يزيد : هذا الذي يقال إنه يلي بعدنا ، فإن يكن ذلك حقاً فقد صانعناه ، وإن يكن باطلاً فقد وصلناه .

---

(١) بليد في أطراف الشام،بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق . معجم البلدان .

مكـــة

قالوا : لما قاضى رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية ، وكتب القضية على المدنة ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد ﷺ دخل،ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل ، وأنه من أتى قريشاً من أصحـــاب رسول الله ﷺ لم يردوه ، ومن أتاه منهم ومن حلفائهم رده ، قـــام من كان من كنانة فقالوا : ندخل في عهد قريش ومدتها ، وقامت خزاعة فقالت : ندخل في عهد محمـــد وعقده ، وقد كان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم ، فلذلك قال عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعي :

لا هم إني ناشد محمـــدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

ثم إن رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من كنانة ينشد هجاء في رسول الله ﷺ فوثب عليه فشجه فهاج ذلك بينهم الشر والقتال ، وأعانت قريش بني كنانة ، وخرج منهم رجال معهم فبيتوا خزاعة ، فكان ذلك مما نقضوا العهد والقضية ، وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعي يستنصر رسول الله ﷺ ، فدعاه ذلك إلى غزو مكة .

وحدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة في حديث طويل،قال : فهادنت قريش رسول الله ﷺ على أن يأمن بعضهم بعضاً على الاغلال والاسلال – أو قال ارسال – فمن قدم مكة حاجاً أو معتمراً أو مجتازاً إلى اليمن والطائف فهو آمن ومن قدم المدينة من المشركين عامداً إلى الشام والمشرق فهو آمن ، قال : فأدخل رسول الله ﷺ في عهده بني كعب ، وأدخلت قريش في عهدها حلفاءها من بني كنانة.

وحدثنا عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا

أيوب،عن عكرمة أن بني بكر من كنانة كانوا في صلح قريش ، وكانت خزاعة في صلح رسول الله ﷺ ،فاقتتلت بنو بكر وخزاعة بعرفة، فأمدت قريش بني بكر بالسلاح وسقوهم الماء وظللوهم، فقال بعضهم لبعض : نكثتم العهد فقالوا: ما نكثنا والله ماقاتلنا إنما مددناهم وسقيناهم وظللناهم ، فقالوا لأبي سفيان بن حرب: انطلق فأجّد الحلف ، وأصلح بين الناس، فقدم أبو سفيان المدينة فلقي أبا بكر ، فقال له : يا أبا بكر أجد الحلف وأصلح بين الناس ، فقال أبو بكر : الق عمر ، فلقي عمر ، فقال له : أجد الحلف وأصلح بين الناس ، فقال عمر : قطع الله منه ما كان متصلاً ، وأبلى ما كان جديداً ، فقال أبو سفيان : تالله ما رأيت شاهد عشيرة شراً منك ، فانطلق إلى فاطمة ، فقالت : الق علياً فلقيه ، فذكر له مثل ذلك ، فقال علي : أنت شيخ قريش وسيدها فأجد الحلف واصلح بين الناس ، فضرب أبو سفيان يمينه على شماله ، وقال : قـد جددت الحلف وأصلحت بين الناس ، ثم انطلق حتى أتى مكة ،وقد كان رسول الله ﷺ قال: إن أبا سفيان قد أقبل وسيرجع راضياً بغير قضاء حاجة ، فلما رجـع إلى أهل مكة أخبرهم الخبر ، فقالوا : تالله ما رأينا أحمق منك ماجئتنا بحرب فنحذر ولا بسلم فنأمن [١] .

وجاءت خزاعة إلى رسول الله ﷺ فشكوا ما أصابهم،فقال رسول الله ﷺ: إني قد أمرت بإحدى القريتين مكة أو الطائف ، وأمر رسول الله ﷺ بالمسير، فخرج في أصحابه وقال : « اللهم اضرب على آذانهـم فلا يسمعوا حتى نبغتهم بغتة » ، وأغذ المسير حتى نزل مر الظهران ، وقد كانت قريش قالت لأبي سفيان: ارجع ، فلما بلغ مر الظهران ورأى النيران والأخبية، قال : ما شأن الناس، كأنهم أهل عشية عرفة،وغشيته خيول رسول الله ﷺ فأخذوه أسيراً،فأتي به النبي ﷺ ، وجاء عمر فأراد قتله فمنعه العباس وأسلم ، فدخل على رسول الله

(١) رواية الزهري في مغازيه : ٨٧-٨٨ . أوفى من روايتنا هذه .

ﷺ ، فلما كان عند صلاة الصبح تحشحش [١] الناس وضوءاً للصلاة ، فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : ما شأنهم يريدون قتلي؟ قال: لا ولكنهم قاموا إلى الصلاة ، فلما دخلوا في صلاتهم رآهم إذا ركع رسول الله ﷺ ركعوا، وإذا سجد سجدوا ، فقال : تالله ما رأيت كاليوم طواعية قوم جاؤوا من ههنا وههنا ولا فارس الكرام ولا الروم ذات القرون .

فقال العباس : يارسول الله ابعثني إلى أهل مكة أدعهم إلى الإسلام ، فلما بعثه أرسل في أثره وقال : ردوا علي عمي لا يقتله المشركون ، فأبى أن يرجع حتى أتى مكة ، فقال : أي قوم أسلموا تسلموا، أتيتم أتيتم واستبطنتم بأشهب بازل ، هذا خالد بأسفل مكة ، وهذا الزبير بأعلى مكة ، وهذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار وخزاعة ، فقالت قريش : وما خزاعة الجدعة الأنوف .

وحدثنا عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن قائل خزاعة، قال النبي ﷺ :

لا هم إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً أيدا وادع عباد الله يأتوا مددا

قال حماد : فحدثني علي بن زيد، عن عكرمة أن خزاعة نادوا النبي ﷺ، وهو يغتسل فقال : لبيكم .

وقال الواقدي وغيره : تسلح قوم من قريش يوم الفتح ، وقالوا : لا يدخلها محمد إلا عنوة ، فقاتلهم خالد بن الوليد ، وكان أول من أمره رسول الله ﷺ بالدخول ، فقتل أربعة وعشرين رجلاً من قريش ، وأربعة نفراً من هذيل ، ويقال : قتل يومئذ ثلاثة وعشرين رجلاً من قريش ، وانهزم الباقون فاعتصموا

---

(١) أي خرجوا للغائط والبول استعداداً للوضوء . القاموس .

برؤوس الجبال وتوغلوا فيها واستشهد من أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كرز ابن جابر الفهري ، وخالد الأشعر الكعبي ، وقال هشام بن الكلبي : هو حبيش الأشعر بن خالد الكعبي من خزاعة [١] .

وحدثنا شيبان بن أبي شيبة الأبلي ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، قال : حدثنا ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، قال : وفدت إلي وفود معاوية وذلك في شهر رمضان ، وكان بعضنا يصنع لبعض الطعام ، وكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال : فصنعت لهم طعاماً ودعوتهم ، فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم معشر الأنصار ، ثم ذكر فتح مكة ، فقال : أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة ، فبعث الزبير على احدى المجنبتين ، وبعث خالد بن الوليد على الأخرى ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح على الحُسَّر [٢] ، فأخذوا بطن الوادي . ورسول الله ﷺ في كتيبته قرآني، فقال: يا أبا هريرة، قلت : لبيك يارسول الله ، قال : ناد الأنصار فلا يأت إلا أنصاري ، قال : فناديتهم فأطافوا به ، وجمت قريش أوباشها وأتباعها ، وقالوا : نقدم هؤلاء، فإن أصابوا ظفراً كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذي يسأل ، فقال رسول الله ﷺ أترون أوباش قريش ؟ قالوا : نعم ، فقال بإحدى يديه على الأخرى، يشير : أن اقتلوهم ، ثم قال : وافوني بالصفا ، قال فانطلقنا فما يشاء أحد أن يقتل أحداً إلا قتله ، فجاء أبو سفيان ، فقال : يا رسول الله أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، فقال بعض الأنصار لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قرابته ورأفة بعشيرته ، وجاء

---

(١) انظر مغازي الواقدي : ٢ / ٨٢٥ . وانظر أيضاً مغازي الزهري ، ٨٨-٩٠ . الروض الأنف : ٤ / ٩٢ .

(٢) أي الذين كانوا حاسري الرؤوس .

رسول الله ﷺ الوحي ، وكان إذا جاءه لم يخف علينا، فقال : يا معشر الأنصار قلتم كذا وكذا ؟ قالوا : قد كان ذلك يارسول الله ، قال : كــلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والممات مماتكم ، فجعلوا يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا للضن برسول الله ﷺ .

قال : وأقبل الناس إلى دار أبي سفيان وأغلقوا أبوابها ووضعوا سلاحهم : وأقبل رسول الله ﷺ الى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت،وأتى على صنم كان إلى جنب الكعبة وفي يده قوس قد أخذ بسيتها [1] فجعل يطعن في عين الصنم ويقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ [2] ، قال: فلمــا فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاه حتى نظر إلى البيت ، ثم رفع يده يحمد الله ويدعو .

حدثنا محمد بن الصباح ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي حصين ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : لا تجهزن على جريح ، ولا يتبعن مدبر ، ولا يقتلن أسير ، ومن أغلق بابه فهو آمن .

قال الواقدي : كانت غزوة الفتح في شهر رمضان سنة ثمان ، فأقام رسول الله ﷺ بمكة إلى الفطر ، ثم توجه لغزوة حنين ، وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وأمر رسول الله ﷺ بهدم الأصنام ومحو الصور التي كانت في الكعبة [3] وقال : اقتلوا ابن خطل ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، فقتله أبو برزة الأسلمي .

---

(١) السيته : ما عطف من طرف القوس . التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري – ط . دمشق . ١٩٧ : ٢ / ٥٣٤ .

(٢) سورة الاسراء – الآية : ٨١ .

(٣) قيل كان مرسوماً على جدران الكعبة « صور الأنبياء ، وصور الشجر وصور الملائكة » أخبار مكة للأزرقي – ط . مدريــد – دار الأندلس : ١ / ١٦٥ .

قال أبو اليقظـان : واسم ابن خطل قيس ، وقتله أبو شرياب الأنصاري ، وكان لابن خطل قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فقتلت احـداهما وبقيت الأخرى حتى كسرت لها ضلع أيام عثمان فماتت .

وقتل نميلة بن عبد الله الكناني مقيس بن صبابة الكناني ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر من وجده أن يقتله وذلك لأن أخاه هاشم بن صبابة بن حزن أسلم وشهد غزوة المريسيع مع رسول الله ﷺ فقتله رجل من الأنصار خطأ وهـــو يظنه مشركا ، فقدم مقيس على رسول الله ﷺ ، فقضى له بالديـــة على عاقلة القاتل ، فأخذها وأسلم ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وهرب مرتداً ، وقال :

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندا ... يضرج ثوبيـــه دماء الأخـــادع
ثأرت بـــه قهراً وحملت عقله ... سراة بني النجـار أرباب فارع
حللت بـــه وتري وأدركت ثورتي ... وكنت عن الإسلام أول راجـع

وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحويرث بن نقيذ بن بجير بن عبد بن قصي ، وكان النبي ﷺ أمر أن يقتله من وجده (١) .

وحدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الكلبي،قال : جاءت قينة لهلال بن عبد الله ، وهو ابن خطل الأردمي من بني تيم إلى النبي ﷺ متنكرة فأسلمت وبايعت ، وهو لا يعرفها ، فلم يعرض لها وقتلت قينـة له أخرى ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ .

قال : وأسلم ابن الزعبري السهمي قبل أن يقدر عليه ،ومدح رسول الله ﷺ وكان قد أباح دمه يوم الفتح ولم يعرض له .

حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، قال : حدثنا هشيم، قال أخبرنا خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة ، أن رسول الله ﷺ خطب يوم مكة فقال «الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر جنده ، وهزم الأحزاب وحـده ، ألا إن كل مأثرة كانت

(١) انظر مغازي الواقدي : ٢ / ٨٦٠ — ٨٦٢ .

في الجاهلية وكل دم ودعوى موضوعة تحت قدمي إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج » .

وحدثنا خلف البزاز ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أشياخه ، قالوا : لما كان يوم فتح مكة قال النبي ﷺ لقريش : ما تظنون؟ قالوا : نظن خيراً ، ونقول خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت. قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام ، (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) [١] ألا كل دين ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي إلا سدانة البيت وسقايه الحاج .

حدثنا شيبان ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، قال : حدثنا عبد الله بن عبيد ابن عمير ، قال : قال رسول الله ﷺ في خطبته : « ألا إن مكة حرام ما بين أخشبيها لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا تعضد عضاها ، ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا أن تعرف — أو يعرف — فقال العباس رحمه الله : إلا الأذخر فإنه لصاغتنا وقيوننا وطهور بيوتنا ، فقال ﷺ : إلا الأذخر » [٢] .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « لا يختلى خلا مكة ولا يعضد شجرها ، فقال العباس : إلا الأذخر فإنه للقيون وطهور البيوت فرخص في ذلك » .

حدثنا شيبان ، قال : حدثنا أبو هلال الراسبي عن الحسن ، قال : أراد عمر أن يأخذ كنز الكعبة فينفقه في سبيل الله ، فقال له أبي بن كعب الأنصاري : يا أمير المؤمنين قد سبقك صاحباك ، ولو كان هذا فضلاً لفعلاه .

---

(١) سورة يوسف — الآية : ٩٢ .

(٢) انظر كنز العمال : ١٠ / ٣٠١٩٧ .

وحدثنا عمرو الناقـــد ، قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عـــن مجاهـــد قال : قال رسول الله ﷺ : « مكة حرام لا يحل بيع رباعها [١] ولا أجور بيوتها » [٢] .

حدثنا محمد بن حاتم المروزي،قال:حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن يوسف بن ماهك عن أبيـه عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله : إبنِ لك بناء يظللك من الشمس بمكة ، فقال : « إنما هي مناخ من سبق » [٣] .

حدثنا خلف بن هشام البزاز ، حدثنا اسماعيل عن ابن جريج ، قال : قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز ينهي عن كراء بيوت مكة .

حدثنا أبو عبيد،حدثنا إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر ، قال : الحرم كله مسجد .

حدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير مكة : أن لا تدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجراً فإنه لا يحل لهم .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، قال : حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن سابط في قوله: ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ [٤] ، قال: البادي من يخرج من الحجاج والمعتمرين ، هم سواء في المنازل ، ينزلون حيث شاؤوا ، غير ألا يخرج أحد من بيته .

---

(١) حول رباع مكة انظر أخبار مكة للأزرقي : ٢ / ٢٣٣ - ٢٦٥ .

(٢) انظره في كنز العمال : ١٢ / ٣٤٦٨٣ .

(٣) انظر كنز العمال : ١٢ / ٣٤٦٤٥ .

(٤) سورة الحج - الآية : ٢٥ .

حدثنا عثمان ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور عن مجاهد في هذه الآية ، قال : أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء .

وحدثنا عثمان وعمرو ، قالا : حدثنا وكيع عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد أن عمر بن الخطاب ، قال لأهل مكة : لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث شاء .

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة ، وبكر بن الهيثم ، قالا : حدثنا يحيى ابن ضريس الرازي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، قال قلت لسعيد بن جبير وهو بمكة : إني أريد أن أعتكف ، فقال : أنت عاكف ثم قرأ : ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ .

حدثنا عثمان ، قال : حدثنا حفص بن غياث عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله : (سواء العاكف فيه والباد) قال : خلق الله فيه سواء أهل مكة وغيرها .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ،قال : كان يتخاصم إلى أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم في أجور الدور بمكة فيقضي بها على من اكتراها وهو قول مالك وابن أبي ذئب .

قال : وقال ربيعة ، وأبو الزناد : لا بأس بأكل كراء بيوت مكة وبيع رباعها .

وقال الواقدي : رأيت ابن أبي ذئب يأتيه كراء داره بمكة بين الصفا والمروة .

وقال الليث بن سعد : ما كان من دار فأجرها طيب لصاحبها ، فأما القاعات ، والسكك ، والأفنية ، والخرابات ، فمن سبق نزل ذلك بغير كراء .

وأخبرني أبو عبد الرحمن الأودي ، عن الشافعي بمثل ذلك .

وقال سفيان بن سعيد الثوري : كراء بيوت مكة حرام ، وكان يشدد في ذلك .

وقال الأوزاعي وابن أبي ليلى ، وأبو حنيفة : إن كراها في ليالي الحج فالكراء باطل ، وإن كان في غير ليالي الحج ، وكان المكتري مجاوراً أو غير ذلك فلا بأس .

وقال بعض أصحاب أبي يوسف : كراؤها حل طلق ، وإنما يستوي العاكف والبادي في الطواف بالبيت .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن الحسن بن صالح عن العلاء بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، أنه كان لا يرى ببقل مكة ولا بالزرع الذي يزرع فيها ولا بشيء مما أنبته الناس بها من شجر أو نخل بأساً أن تقطعه وتأكله وتصنع فيه ما شئت ، قال : وإنما كره ما أنبتت الأرض بمكة من شجر وغيره مما لم يعمله الناس إلا الأذخر . قال الحسن ابن صالح : وقد رخص في الشجر البالي الذي قد يبس وتكسر .

وقال محمد بن عمر الواقدي ، قال مالك ، وابن أبي ذئب في محرم أو حلال قطع شجراً من الحرم إنه قد أساء ، فإن كان جاهلاً علم ولا شيء عليه ، وإن كان عالماً خالعاً عوقب ولا قيمة عليه ، ومن قطع من ذلك شيئاً فلا بأس أن ينتفع به .

قال : وقال سفيان الثوري وأبو يوسف : عليه في الشجرة لقطعها قيمة ولا ينتفع بذلك ، وهو قول أبي حنيفة ، وقال مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب : لا بأس بالضغابيس[1] ، وأطراف السنى[2] ، تؤخذ من الحرم للدواء والسواك[3] .

وقال سفيان بن سعيد ، وأبو حنيفة وأبو يوسف : كل شيء أنبته الناس في

---

(١) الضغابيس : صغار القثاء ، وأغصان الثمام والشوك التي تؤكل ، أو نبات كالهليون . القاموس .

(٢) واحده سناة ، نبت يتداوى به . معجم أسماء النباتات : ٧٦ .

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر أخبار مكة للأزرقي : ٢ / ١٦٠ — ١٦٦ .

الحرم أو كان مما ينبتون فلا شيء على قاطعه ، وكل شيء ممـــا لا ينبته الناس فعلى قاطعته قيمته .

وقال الواقدي : سألت الثوري ، وأبا يوسف عن رجل أنبت في الحرم ما لا ينبته الناس ، فقام عليـــه حتى نبت له ، أله أن يقطعه ؟ قالا : نعم . قلت : فإن ثبتت في بستانه شجرة مما لا ينبت الناس من غير أن يكون أنبتها ؟ قالا : يصنع بها ما شاء .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي، قال : روي لنا أن ابن عمر كان يأكل بمكة بقلاً زرع في الحرم .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني الواقدي ، عن معاذ بن محمد، قال : رأيت على مائدة الزهري بقلا من الحرم .

قال أبو حنيفة : لا يرعى الرجل المحرم بعيره في الحرم ولا يحتش له ، وهو قول زفر ، وقال مالك وابن أبي ذئب ، وسفيـــان ، وأبو يوسف ، وابن أبي سبرة : لا بأس بالرعي ولا يحتش ، وقال ابن أبي ليلى : لا بأس بأن يحتش .

وحدثني عفان ، والعباس بن الوليد النرسي ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدثنا ليث ، قال : كان عطاء لا يرى بأساً ببقل الحرم ومـــا زرع فيه وبالقضيب والسواك . قال : كان مجاهد يكرهه .

قال : ولم يكن للمسجد الحرام على عهد رسول الله ﷺ ، وأبي بكر جدار يحيط به ، فلما استخلف عمر بن الخطاب وكثر الناس وسّع المسجد ، واشترى دوراً فهدمها وزادها فيه ، وهدم على قوم من جيران المسجـد أبو أن يبيعوا ، ووضع لهم الأثمان حتى أخذوها بعد، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة، فكانت المصابيح توضع عليه ، فلما استخلف عثمان بن عفان ابتاع منازل ووسع المسجد بها ، وأخذ منازل أقوام ووضع لهم الأثمان فضجوا به عند البيت فقال: إنما جرأكم علي حلمي عنكم وليني لكم ، لقد فعل بكم عمر مثل هـذا فأقررتم

ورضيتم ، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص فخلى سبيلهم .

ويقال : ان عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة ، واتخذها حين وسعه .

قالوا : وكان باب الكعبة على عهد إبراهيم عليه السلام وجرهم والعماليق بالأرض حتى بنته قريش ، فقال أبو حذيفة بن المغيرة : يا قوم ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا بسلم فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم ، فإن جاء أحد ممن تكرهون رميتم به فسقط فكان نكالاً لمن وراءه ، فعملت قريش بذلك .

قال : ولما تحصن عبد الله بن الزبير بن العوام في المسجد الحرام واستعاذ به – والحصين بن نمير السكوني إذ ذاك يقاتله في أهل الشام – أخذ ذات يوم رجل من أصحابه ناراً على ليفة في رأس رمح ، وكانت الريح عاصفاً ، فطارت شرارة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها ، فتصدعت حيطانها واسودت ، وذلك في سنة أربع وستين ، حتى إذا مات يزيد بن معاوية ، وانصرف الحصين بن نمير إلى الشام أمر ابن الزبير بما في المسجد من الحجارة التي رمي بها فأخرج ، ثم هدم الكعبة وبناها على أساسها وأدخل الحجر فيها ، وجعل لها بابين موضوعين بالأرض شرقياً وغربياً يدخل من واحد ويخرج من الآخر ، وكان قد وجد أساس الكعبة متصلاً بالحجر ، وإنما التمس اعادتها إلى بناء إبراهيم عليه السلام ، على ما كانت عائشة أم المؤمنين أخبرته عن النبي ﷺ (١) ، وجعل على بابها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من ذهب ، فلما حاربه الحجاج بن يوسف من قبل عبد الملك بن مروان وقتله ، كتب إليه عبد الملك يأمره ببناء الكعبة والمسجد الحرام ، وقد كانت الحجارة حلحلت الكعبة ، فهدمها الحجاج وبناها فردها إلى بناء قريش وأخرج

---

(١) يروى أنه ﷺ قال لها : « لولا أن قومك حديث عهد بشرك – أو بجاهلية – لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض ، وجعلت لها بابين » . كنز العمال : ١٢ / ٣٤٧٦٣ .

الحجر، فكان عبد الملك يقول بعد ذلك : وددت أني كنت حملت ابن الزبير أمر الكعبة وبناءها ما تحمل .

قالوا : وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الانطاع والمعافر [١] ، فكساها رسول الله ﷺ الثياب اليمانية ، ثم كساها عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي، ثم كساها يزيد بن معاوية الديباج الخسرواني ، وكساها ابن الزبير والحجاج بعده الديباج ، وكساها بنو أمية في بعض أيامهم الحلل التي كان أهل نجران يؤدونها وأخذوهم بتجريدها وفوقها الديباج ، ثم إن الوليد بن عبد الملك وسع المسجد الحرام وحمل إليه عمد الحجارة والرخام والفسيفساء .

قال الواقدي : فلما كانت خلافة أمير المؤمنين المنصور رحمه الله زاد في المسجد وبناه وذلك في سنة تسع وثلاثين ومائة .

وقال علي بن محمد بن عبد الله المدائني: ولى المهدي جعفر بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن العباس مكة والمدينة واليمامة فوسع مسجدي مكة والمدينة وبناهما ، وقد جدد أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن أبي إسحاق المعتصم بالله ابن الرشيد هارون بن المهدي رضوان الله عليهم رخام الكعبة وأزرها بفضة ، وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب ، ولم يفعل ذلك أحد قبله وكسا أساطينها الديباج .

ذكر حفائر مكة

قالوا : كانت قريش قبل جمع قصي إياها وقبل دخولها مكة تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال،ومن بئر حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم

---

(١) نسبة إلى قبيلة من اليمن اسمها المعافر ، وروي عن الأصمعي قوله: ثوب معافر غير منسوب . معجم البلدان .

تدعى اليسيرة [١]، ومن بئر حفرها مرة بن كعب تدعى الروى، وهي مما يلي عرفة، ثم حفر كلاب بن مرة خم ورم، والحفر بظاهر مكة، ثم إن قصي بن كلاب حفر بئراً سماها العجول واتخذ سقاية، وفيها يقول بعض رجاز الحاج:

نروي على العجول ثم ننطلق　　قبل صدور الحاج من كل أفق
إن قصيا قد وفى وقد صدق　　بالشبع للناس وري مغتبق [٢]

ثم انه سقط في العجول بعد ممات قصي رجل من بني نصر بن معاوية فعطلت، وحفر هاشم بن عبد مناف بذر، وهي عند الخندمة على فم شعب أبي طالب [٣]، وحفر هاشم أيضاً سجلة فوهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل بن عبد مناف بن المطعم، ويقال: بل ابتاعها منه، ويقال إن عبد المطلب وهبها له حين حفر زمزم وكثر الماء بمكة، فقالت خالدة بنت هاشم:

نحن وهبنا لعدي سجله　　في تربة ذات عذاة سهله
تروى الحجيج زغلة فزغلة [٤]

وقد دخلت [٥] سجلة في المسجد، وحفر عبد شمس بن عبد مناف الطوي

---

(١) جاء اسمها في أخبار مكة للأزرقي: ٢ / ٢٢٠ «السيرة».

(٢) انظر أخبار مكة للأزرقي: ٢ / ٢١٥. وفيه أن بئر العجول كان موضعها في دار أم هانىء بنت أبي طالب بالحزورة عند باب الوداع.

(٣) خارج مكة، وهو الشعب الذي عاش فيه الهاشميون فترة مقاطعة قريش لهم. انظر الروض الأنف: ١٠١ – ١١٠. اخبار مكة للأزرقي: ٢ / ٢١٦.

(٤) أي دفعة دفعة. القاموس.

(٥) وهي البئر التي يقال لها بئر جبير بن مطعم. أخبار مكة للأزرقي: ٢ / ٢١٧.

وهي بأعلى مكة، وحفر أيضاً لنفسه الجفر ، وحفر ميمون بن الحضرمي خليف بني عبد شمس بن عبد مناف بئره وهي آخر بئر حفرت في الجاهلية بمكة [١] ، وعندها قبر أمير المؤمنين المنصور رحمه الله ، واسم الحضرمي عبد الله بن عماد ، واحتفر عبد شمس أيضاً بئرين وسماها خم ورم ، على ماسمى كلاب بن مرة بئريه ، فاما خم فهي عند الردم ، وأما رم فعند دار خديجة بنت خويلد، وقال عبد شمس:

حفرت خماً وحفرت رما حتى أرى المجد لنا قد تما

وقالت سبيعة بنت عبد شمس في الطوي :

إن الطوي إذا شربتم ماءها صوب الغمام عذوبة وصفاء

وحفرت بنو أسد بن عبد العزي بن قصي شفية بئر بني أسد ، وقال الحويرث بن أسد :

ماء شفية كماء المزن وليس ماؤها بطرق أجن

وحفر بنو عبد الدار بن قصي أم احراد . فقالت أميمة بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار :

نحن حفرنا البحر أم احراد ليست كبذر النذر والجماد

فأجابتها صفية بنت عبد المطلب :

نحن حفرنا بذر تروي الحجيج الأكبر
من مقبل ومدبر وأم أحراد بشر
فيها الجراد والذر وقذر لا يذكر

وحفر بنو جمح السنبلة وهي بئر خلف بن وهب الجمحي فقال قائلهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبلة صوب سحاب ذو الجلال أنزله

---

(١) بئر ميمون ، بسبيل الست بطريق منى . أخبار مكة للأزرقي : ٢٢٢/٢ .

وحفر بنو سهم الغمر وهي بئر العاصي بن وائل فقال بعضهم :

نحن حفرنا الغمر للحجيج   تثج مـــاء أيما ثجيـــج

قال ابن الكلبي: قالها ابن الزبعري، وحفرت بنو عدي الحفير فقال شاعرهم:

نحن حفرنا بئرنا الحفيرا   بحراً يجيش ماؤه غزيرا

وحفرت بنو مخزوم السقيا بئر هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر مخزوم . وحفرت بنو تيم الثريا ، وهي بئر عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم . وحفرت بنو عامر بن لؤي النقع . قالوا : وكانت لجبير بن مطعم بئر، وهي بئر بني نوفل ، فأدخلت حديثاً في دار القوارير التي بناها حماد البربري في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد. وكان عقيل بن أبي طالب حفر في الجاهلية بئراً وهي في دار ابن يوسف. فكانت للأسود بن أبي البختري بن هاشم بن الحارث ابن أسد بن عبد العزي بئر على باب الأسود عند الحناطين فدخلت في المسجد . بئر عكرمة ، نسبت إلى عكرمة بن خالد بن العاصي بن هاشم بن المغيرة . بئر عمرو، نسبت إلى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي . وكذلك شعب عمرو الطلوب أسفل مكة كانت لعبد الله بن صفوان . بئر حويطب نسبت إلى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس من بني عامر بن لؤي ، وهي بفناء داره ببطن الوادي. بئر أبي موسى كانت لأبي موسى الأشعري بالملاة . بئر شوذب نسبت إلى شوذب مولى معاوية ، وقد دخلت في المسجد ، ويقال : ان شوذبـاً كان مولى طارق بن علقمه بن عريج بن جذيمة الكناني ، ويقال كان مولى لنافـع ابن علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث بن خمل بن شق الكناني، خال مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أميـة . وبئر بكار نسبت إلى رجل سكن مكة من أهل العراق، وهي بذي طوى . وبئر وردان نسبت إلى وردان مولى السائب ابن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي . وسقاية سراج بفخ ، كانت لسراج مولى بني هاشم . وبئر الأسود نسبت إلى الأسود بن سفيان بن عبد الأسد بن هـلال بن

عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهي بقرب بئر خالصة مولاة أمير المؤمنين المهدي. والبرود بفخ لمخترش الكعبي من خزاعة .

وقال ابن الكلبي : صاحب دار ابن علقمة بمكة طارق بن علقمة بن عريج ابن خزيمة الكناني .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وعبد الملك بن قريب الأصمعي وغيرهما : بستان ابن عامر لعمر بن عبد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، ولكن الناس غلطوا فيها فقالوا : بستان ابن عامر وبستان بني عامر ، وإنما هو بستان ابن معمر، وقوم يقولون نسب إلى ابن عامر الحضرمي ، وآخرون يقولون : نسب إلى ابن عامر بن كريز وذلك ظن وترجيم[1] .

حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري ، قال : كانت في الجاهلية مكة تدعى صلاح ، قال أبو سفيان بن حرب الحضرمي :

أبا مطر هلم إلى صلاح ليكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديماً وتأمن أن ينالك رب جيش

وحدثني العباس بن هشام الكلبي ، قال : كتب بعض الكنديين إلى أبي يسأله عن سجن ابن سباع بالمدينة إلى من نسب ، وعن قصة دار الندوة ودار العجلة ودار القوارير بمكة ، فكتب إليه: أما سجن ابن سباع فإنه داراً لعبدالله ابن سباع بن عبد العزى بن نضلة بن عمرو بن غبشان الخزاعي ، وكان سباع يكنى أبا نيار ، وكانت أمه قابلة بمكة فبارزه حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ، فقال له : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور ، ثم قتله ، وأكب عليه ليأخذ درعه فزرقه وحشي[2] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر أخبار مكة للأزرقي : ٢ / ٢١٤ - ٢٢٧ .

(٢) انظر الروض الأنف : ٣ / ١٥١ - ١٥٣ .

وأم طريح بن إسماعيل الثقفي الشاعر بنت عبد الله بن سباع ، وهو حليف بني زهرة [١] .

وأما دار الندوة فبناها قصي بن كلاب ، فكانوا يجتمعون إليه فتقضى فيها الأمور ، ثم كانت قريش بعده تجتمع فيها فتتشاور في حروبها وأمورها وتعقد الألوية وتزوج من أراد التزويج ، وكانت أول دار بنيت بمكة من دور قريش .

ثم دار العجلة ، وهي دار سعيد بن سعد بن سهم ، وبنو سهم يدعون أنها بنيت قبل دار الندوة وذلك باطل،فلم تزل دار الندوة لبني عبد الدار بن قصي حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من معاوية بن أبي سفيان فجعلها داراً للامارة .

وأما دار القوارير فكانت لعتبة بنت ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ثم صارت للعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ، وقد صارت بعد لأم جعفر زبيدة بنت أبي الفضل بن المنصور أمير المؤمنين،واستعمل في بعض فرشها وحيطانها شيء من قوارير ، فقيل دار القوارير ، وكان حماد البربري بناها في خلافة الرشيد أمير المؤمنين رحمه الله .

وقال هشام بن محمد الكلبي : كان عمرو بن مضاض الجرهمي حارب رجلا من جرهم يقال له السميدع ، فخرج عمرو في السلاح يتقعقع فسمي الموضع الذي خرج منه قعيقعان ، وخرج السميدع مقلداً خيله الأجراس في أجيادها ، فسمي الموضع الذي خرج منه أجياد .

وقال ابن الكلبي : ويقال : إنه خرج بالجياد المسومة ، فسمي الموضع

---

(١) كان شاعراً شريفاً ، وله عقب بالطائف ، وقد مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . الشعر والشعراء لابن قتيبه – ط . ليدن ١٩٠٢ : ٤٢٧ .

أجياد ، وعامة أهل مكة يقولون : جياد الصغير ، وجياد الكبير (١) .

حدثنا الوليد بن صالح ، عن محمد بن عمر الأسلمي ، عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده ، قال : قدمنا مع عمر بن الخطاب في عمرته سنة سبع عشرة فكلمه أهل المياه في الطريق أن يبتنوا منازل فيما بين مكة والمدينة ، ولم تكن قبل ذلك ، فأذن لهم ، واشترط عليهم ان ابن السبيل أحق بالماء والظل .

أمر السيول بمكة

حدثنا العباس بن هشام عن أبيه هشام بن محمد عن ابن خربوز المكي وغيره ، قالوا : كانت السيول بمكة أربعة : منها سيل أم نهشل وكان في زمن عمر بن الخطاب أقبل السيل حتى دخل المسجد من أعلى مكة فعمل عمر الردمين جميعاً الاعلى بين دار ببة ، وهو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبدمناف الذي ولي البصرة في فتنة ابن الزبير اصطلح أهلها عليه (٢) ، ودار أبان بن عثمان بن عفان . والأسفل عند الحمارين ، وهو الذي يعرف بردم آل أسيد ، فتراد السيل عن المسجد الحرام ، قال : وأم نهشل بنت عبيدة بن سعيد ابن العاصي بن أمية ذهب بها السيل من أعلى مكة فنسب إليها ، ومنها سيل الجحاف والجراف في سنة ثمانين في زمن عبد الملك بن مروان صبح الحاج يوم اثنين فذهب بهم وبأمتعتهم ، وأحاط بالكعبة فقال الشاعر :

لم تر غسان كيوم الاثنين   أكثر محزوناً وأبكى للعين
إذ ذهب السيل بأهل المصرين   وخرج المخبآت يسعين
شوارداً في الجبلين يرقين

(١) انظر أخبار مكة للأزرقي : ٢ / ١٠٩ - ١١٤ .
(٢) كان ذلك سنة ٦٤ هـ . انظر تاريخ الطبري : ٥ / ٥٢٧ .

فكتب عبد الملك إلى عبد الله بن سفيان المخزومي عامله على مكة ، ويقال بل كان عامله يومئذ الحارث بن خالد المخزومي الشاعر يأمره بعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادي ، وضفائر المسجد، وعمل الردم على أفواه السكك لتحصن دور الناس ، وبعث لعمل ذلك رجلاً نصرانياً فاتخذ الضفائر، وردم الردم الذي يعرف بردم بني قراد ، وهو يعرف ببني جمح ، واتخذت ردوم بأسفل مكة .

قال الشاعر :

سأملك عبرة وأفيض أخرى ... إذا جاوزت ردم بني قراد

ومنها السيل الذي يدعى المخبل أصاب الناس في أيامه مرض في أجسادهم وخبل في ألسنتهم فسمي المخبل ، ومنها سيل أتى بعد ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك في سنة عشرين ومائة يعرف بسيل أبي شاكر ، وهو مسلمة بن هشام، وكان على الموسم ذلك العام فنسب إليه ، قال : وسيل وادي مكة يأتي من موضع يعرف بسدرة عتاب بن أسيد بن أبي العيص .

قال عباس بن هشام ، وقد كان في خلافة المأمون عبد الله بن الرشيد رحمه الله سيل عظيم بلغ ماؤه قريباً من الحجر ، فحدثني العباس ، قال : حدثني أبي عن أبيه محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح عن عكرمة ، قال : درس شيء من معالم الحرم على عهد معاوية بن أبي سفيان ، فكتب إلى مروان ابن الحكم – وهو عامله على المدينة – يأمره إن كان كرز بن علقمة الخزاعي حياً أن يكلفه إقامة معالم الحرم لمعرفته بها ، وكان معمراً ، فأقامها عليه ، فهي مواضع الأنصاب اليوم [١] .

قال الكلبي : هذا كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة بن عبد نهم بن حليل ابن حبشية الخزاعي ، وهو الذي قفا أثر النبي ﷺ حين انتهى إلى الغار الذي استخفى فيه وأبو بكر الصديق معه ، حين أراد الهجرة إلى المدينة فرأى عليه نسج العنكبوت ، ورأى دونه قدم رسول الله ﷺ فعرفها ، فقال : هذه قدم محمد ﷺ وههنا انقطع الأثر [٢] .

---

(١) انظر أخبار مكة للأزرقي – اللاحق – : ٢ / ٣١٠ – ٣٢٦ .

(٢) انظر تفاصيل خبر الهجرة في مغازي الزهري : ٩٨ – ١٠٥ .

الطـائـف

قال: لما هزمت هوازن يوم حنين وقتل دريد بن الصمة أتى فلهم أوطاس[1]، فبعث إليهم رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري فقتل، فقام بأمـر الناس أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وأقبل المسلمون إلى أوطاس، فلما رأى ذلك مالك بن عوف بن سعد أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وكان رئيس هوازن يومئذ، هرب إلى الطائف فوجد أهلها مستعدين للحصار، قد رموا حصنهم، وجمعوا فيه الميرة، فأقام بها.

وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين حتى نزل الطائف فرمتهم ثقيف بالحجارة والنبل، ونصب رسول الله ﷺ منجنيقاً على حصنهم، وكانت مع المسلمين دبابـة من جلود البقر، فألقت عليها ثقيف سكك الحديد المحماة فأحرقتها فأصيب من تحتها من المسلمين[2]، وكان حصار رسول الله ﷺ الطائف خمس عشرة ليلة، وكان غزوه إياها في شوال سنة ثمان.

قالوا: ونزل إلى رسول الله ﷺ رقيق من رقيق أهل الطائف، منهم أبو بكر بن مسروح مولى رسول الله ﷺ، واسمه نفيع، ومنهم الأزرق الذي نسبت

---

(١) واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين. معجم البلدان. ومن أجل أخبار حنين انظر مغازي الزهري: ٩٢ — ٩٥. ودريد بن الصمة شاعر جاهلي مشهور قيل انه عمر مائتي سنة. انظر «المعمرون والوصايا» لأبي حاتم السجستاني. ط. القاهرة ١٩٦١: ٢٧ — ٢٨.

(٢) هذه أول إشارة في تاريخ الإسلام لاستخدام الأسلحة الجماعية، ولمزيد من التفاصيل انظر مغازي الواقدي: ٣ / ٩٢٧ — ٩٢٨.

الأزارقة إليه ، كان عبداً رومياً حداداً وهو أبو نافـــع بن الأزرق الخارجي فاعتقوا بنزولهم ، ويقال أن نافع بن الأزرق الخارجي من بني حنيفة ، وأن الأزرق الذي نزل من الطائف غيره [١] .

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف إلى الجعرانة [٢] ليقسم سبي أهـــل حنين وغنائمهم ، فخافت ثقيف أن يعود إليهم ، فبعثوا إليه وفدهم فصالحهم على أن يسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم ، واشترط عليهـــم أن لا يرابوا، ولا يشربوا الخمر ، وكانوا أصحاب ربا، وكتب لهم كتاباً قال : وكانت الطائف تسمى وج فلما حصنت وبني سورها سميت الطائف .

حدثني المدائني ، عن أبي اسماعيل الطائفي، عن أبيه ، عن أشياخ من أهل الطائف، قال : كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب، فأقاموا بهـــا للتجارة فوضعت عليهم الجزية ، ومن بعضهم ابتاع معاويـــة أمواله بالطائف .

قالوا : وكانت للعباس بن عبد المطلب رحمـــه الله أرض بالطائف ، وكان الزبيب يحمل منها فينبذ في السقاية للحاج، وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها ، فلمـــا فتحت مكة وأسلم أهلهـــا طمعت ثقيف فيها ، حتى إذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكيين، وصارت أرض الطائف مخلافاً من مخاليف مكة .

قالوا : وفي يوم الطائف أصيبت عين أبي سفيان بن حرب .

حدثنا الوليد بن صالح ، قال : حدثنا الواقدي ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن عتاب بن أسيد أن رسول الله ﷺ أمر أن

---

(١) المحقق أن نافع بن الأزرق كان تميمياً من بني حنظلة انظر تاريخ الطبري: ٥ / ٥٦٦ . نهاية الأرب للنويري : ٢٠ / ٥٢٢ – ٥٢٣ .

(٢) ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . معجم البلدان .

تخرص أعنـــاب ثقيف كخرص النخل ، ثم يأخـــذ زكاتهم زبيباً كما تؤدى زكاة النخل .

قال الواقدي : قال أبو حنيفة : لا يخرص ولكنه إذا وضع بالأرض أخذت الصدقة من قليله وكثيره .

وقال يعقوب : إذا وضع بأرض فبلغت مكيلته خمسة أوسق ففيـه الزكاة العشر أو نصف العشر ، وهو قول سفيان بن سعيـــد الثوري ، والوسق ستون صاعاً ، وقال مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب : السنة أن تؤخذ منه الزكاة على الخرص كما يؤخذ التمر من النخل .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة ، قال حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا يحيى ابن سعيد ، عن عمرو بن شعيب أن عامـــلا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على الطائف كتب إليـــه : إن أصحاب العسل لا يرفعون إلينا ما كانوا يرفعون إلى رسول الله ﷺ ، وهو من كل عشرة زقاق زق، فكتب إليه عمر إن فعلوا فاحملوا لهم أوديتهم وإلا فلا تحموها .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عـن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمر أنه جعل في العسل العشر .

حدثنا داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن مروان بن شجاع عن خصيف عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عماله على مكة والطائف : إن في الخلايا صدقة فخذوها منها . قال : والخلايا الكوائر .

وقال الواقدي : وروي عن ابن عمر أنه قال : ليس في الخلايا صدقة .

وقال مالك والثوري : لا زكاة في العسل وإن كثر ، وهو قول الشافعي .

وقال أبو حنيفة في قليل العسل وكثيره إذا كان في أرض العشر العشر، وإذا كان في أرض الخراج فلا شيء عليه ، لأنه لا تجتمع الزكاة والخراج على رجل .

وقال الواقدي : أخبرني القاسم بن معن ، ويعقوب ، عن أبي حنيفة أنـه

قال في العسل يكون في أرض ذمي وهي من أرض العشر : إنه لا عشر عليه فيه وعلى أرضه الخراج ، وإذا كان في أرض تغلبي أخذ منه الخمس [١] . وقول زفر مثل قول أبي حنيفة . وقال أبو يوسف : إذا كان العسل في أرض الخراج فلا شيء فيه وإذا كان في أرض العشر ففي كل عشرة أرطال رطل ، وقال محمد بن الحسن ليس فيما دون خمسة أفراق صدقة ، وهو قول ابن أبي ذئب [٢] .

وروى خالد بن عبد الله الطحان عن ابن أبي ليلى أنه قال: إذا كان في أرض الخراج أو العشر ففي كل عشرة أرطال رطل ، وهو قول الحسن بن صالح بن حي .

وحدثني أبو عبيد،قال : حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي ، عن الزهري ، قال : في كل عشرة زقاق زق .

وحدثنا الحسين بن علي بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن حميد الرقاشي ، عن جعفر بن نجيح المديني ، عن بشر بن عاصم ، وعثمان بن عبد الله بن أوس ، أن سفيان بن عبد الله الثقفي كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه — وكان عاملاً له على الطائف — يذكر أن قبله حيطاناً فيها كروم وفيها من الفرسك والرمان ، وما هو أكثر غلة من الكروم أضعافاً واستأمره في العشر ، قال : فكتب إليه عمر : ليس عليها عشر .

قال يحيى بن آدم،وهو قول سفيان بن سعيد،سمعته يقول: ليس فيما أخرجت الأرض صدقة إلا أربعة أشياء: الحنطة ، والشعير ، والتمر والزبيب إذا بلغ كل واحد من ذلك خمسة أوسق . قال: وقال أبو حنيفة : فيما أخرجت أرض العشر العشر ولو دستجة بقل ، وهو قول زفر . وقال مالك،وابن أبي ذئب ويعقوب:

---

(١) لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ضاعف عليهم الصدقة بدلاً عن الجزية. انظر الخراج لأبي يوسف : ١٢٠ — ١٢١ .

(٢) انظر الخراج لأبي يوسف : ٧٠ — ٧١ .

ليس في البقول ومـــا أشبهها صدقة ، وقالوا : ليس فيما دون خمسة أوسق من الحنطة ، والشعير ، والذرة ، والسلت ، والزوان ، والتمر ، والزبيب، والأرز، والسمسم ، والجلبـــان ، وأنواع الحبوب التي تكال وتدخر مـــع العدس ، واللوبيا ، والحمص ، والماش [١] ، والدخن ، صدقة ، فإذا بلغت خمسة أوسق ففيها صدقة [٢] .

قال الواقدي : وهذا قول ربيعـــة بن أبي عبد الرحمن . وقال الزهري : التوابل والقطاني كلها تزكى . وقال مالك : لا شيء في الكمثرى والفرسك ، وهو الخوخ ، ولا في الرمان وسائر أصناف الفواكه الرطبة من صدقة ، وهـــو قول ابن أبي ليلى .

قال أبو يوسف : ليس الصدقـــة إلا فيما وقع عليـــه القفيز ، وجرى عليه الكيل [٣] .

وقال أبو الزناد، وابن أبي ذئب، وابن أبي سبرة لا شيء في الخضر والفواكه من صدقة ولكن الصدقة في أثمانها ساعة تباع .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ استعمل عثمان بن أبي العاصي الثقفي على الطائف .

---

(١) حب معروف مدور أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة، يكون بالشام وبالهند ، يزرع زرعا . معجم أسماء النباتات .

(٢) انظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم : ١١٢ – ١١٣ .

(٣) انظر خراج أبي يوسف : ٧١ .

تبالة وجرش

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهري ، قال : أسلم أهل تبالة وجرش[١] من غير قتال ، فأقرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وولى أبا سفيان بن حرب جرش .



(١) تبالة بلد باليمن ، وميز ياقوت بين هذه وتبالة أخرى إسمها تبالة الحجاج كانت تبعد عن مكة اثنان وخمسون فرسخاً . وكانت جرش من مخاليف اليمن الواسعة . معجم البلدان .

تبوك وإيلة وأذرح ومقنا والجرباء

قالوا : لما توجه رسول الله ﷺ إلى تبوك (١) من أرض الشام لغزو من انتهى إليه إنه قد تجمع له من الروم وعاملة ولخم وجذام وغيرهم وذلك في سنة تسع من الهجرة لم يلق كيدا ، فأقام بتبوك أياماً فصالحه أهلها على الجزية وأتاه وهو بها يحنة بن رؤبة صاحب أيلة (٢) فصالحه على أن جعل له على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار ، واشترط عليهم قرى (٣) من مر بهم من المسلمين ، وكتب لهم كتاباً بأن يحفظوا ويمنعوا .

فحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا الواقدي ، عن خالد بن ربيعة ، عن طلحة الأيلي أن عمر بن عبد العزيز كان لا يزداد من أهل أيلة على ثلاثمائة دينار شيئاً ، وصالح رسول الله ﷺ أهل أذرح (٤) على مائة دينار في كل رجب ، وصالح أهل الجرباء (٥) على الجزيه وكتب لهم كتاباً ، وصالح أهل مقنا (٦) على ربع عروكهم وغزولهم ، والعروك خشب يصطاد عليه ، وربع كراعهم وحلقتهم ، وعلى ربع ثمارهم ، وكانوا يهوداً .

---

(١) تبوك بين الحجر وأول بلاد الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام . معجم البلدان .

(٢) موقع العقبة اليوم .

(٣) تقديم الضيافة والعون .

(٤) في الأردن الآن معروفة بها اجتمع الحكمان ، وليست درعا كما ظن بعضهم .

(٥) قرية قريبة من أذرح . معجم البلدان .

(٦) قرب أيله (العقبة) . معجم البلدان .

وأخبرني بعض أهل مصر أنه رأى كتابهم بعينه في جلد أحمر دارس الخط ، فنسخه وأملى عليّ نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى بني حبيبة ، وأهل مقنا .

سلم أنتم ، فإنه أنزل علي أنكم راجعون إلى قريتكم ، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم، وكل دم اتبعتم به ، لا شريك لكم في قريتكم إلا رسول الله،أو رسول رسول الله ، وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان ، وإن رسول الله ﷺ يجيركم مما يجير منه نفسه ، فإن لرسول الله بزتكم ورقيقكم والكراع والحلقة ، إلا ما عفا عنه رسول الله ، أو رسول رسول الله ، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت عرككم ، وربع ما اغتزلت نساؤكم ، وإنكم قد ثريتم بعد ذلكم ورفعكم رسول الله ﷺ عن كل جزية وسخرة ، فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم ، ومن ائتمر في بني حبيبة ، وأهل مقنا من المسلمين خيراً فهو خير له،ومن أطلمهم بشر فهو شر له ، وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله ﷺ وكتب علي بن أبي طالب في سنة تسع [1] .

---

(١) جاء في حاشية نسخة الأصل : « يقول الراجي رحمة ربه محمد بن أحمد ابن عساكر : إنه كذا في الأصل مضبوط ما صورته في آخر الكتاب ، وكتب علي بن أبي طالب في سنة تسع ، وكذا الحكاية عن جملة الكتب التي بيد يهود منسوبة إلى خط علي كرم الله وجهه وفي هذا نظر لذي فهم بتأمله يبين له أن هذا الكتاب مفتعل والدليل عليه من وجهين أحدهما: أن علياً كرم الله وجهه هو الذي اخترع الكلام في علم النحو خشية من اختلاط كلام العرب بكلام النبط فما كان عليه‌السلام ليخشى من شيء ويعتمد ما يؤدي إلى الإلتباس، والثاني أن =

دومة الجندل[١]

قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي إلى أكيدر ابن عبد الملك الكندي ثم السكوني بدومة الجندل فأخذه أسيراً ، وقتل أخاه وسلبه قباء ديباج منسوجاً بالذهب ، وقدم بأكيدر على النبي ﷺ فأسلم وكتب له ولأهل دومة كتاباً نسخته :

هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر ، حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام ، ولأهل دومة .

= صلح رسول الله ﷺ لأهل مقنا إنما كان في غزوة تبوك على ما هو مذكور في هذا الكتاب ولاخلاف في أن علياً لم يكن مع النبي عليه السلام في غزوة تبوك فكيف ينسب هذا الكتاب إليه وفي هذا كفاية » .

ويؤيد وجهة النظر النقدية هـذه واقعة رئيس الرؤساء ابن المسلمة أيام القائم بأمر الله العباسي في القرن الخامس للهجرة حيث أظهر يهودي كتاباً زعم أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب ، وعرض ابن المسلمة الكتاب على الحافظ أبي بكر الخطيب صاحب تاريخ بغداد ، فتأمله ثم ألقاه وقال : هذا مزور ، فقيل له : من أين لك كل ذلك ؟ فقال : فيه شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح ، وفتوح خيبر قبل ذلك سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو مات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين ، بغية الطلب في تاريخ حلب – ط . دمشق ١٩٨٨ : ١ / ٢٠ – ٢١ .

(١) في المملكة الأردنية معروفة .

أن لنا الضاحية من الضحل ، والبور والمعامي ، واغفـال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعمور ، لا تعدل سارحتكم ولا تعدّ فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم به الصدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين [١] .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جده ، قال : وجه رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر ، فقدم به عليه فأسلم ، فكتب له كتاباً ، فلما قبض النبي ﷺ منع الصدقة ونقض العهد وخرج من دومـة الجندل فلحق بالحيرة ، وابتنى بها بناء سماه دومة بدومة الجندل،وأسلم حريث بن عبد الملك أخوه على ما في يده ، فسلم ذلك له ، فقال سويد بن شبيب الكلبي :

لا يأمنن قوم عثار جدودهم   كما زال من خَبْث ظعائنُ أكدرا

قال : وتزوج يزيد بن معاوية ابنة حريث أخي أكيدر ، قال العبـــاس :

---

(١) الضاحي : البارز . والضحل: المـــاء القليل . والبور : الأرض التي لم تستخرج ولم تعتمل . والمعامي : الأرض المجهولة . والاغفال : التي لا آثار فيها . والحلقة : الدروع . والحـــافر : الخيل والبراذين والبغال والحمير . والحصن : حصنهم. والضامنة : النخل الذي معهم في الحصن.والمعين : الماء الظاهر الدائم. وقوله : لا تعدل ماشيتكم أي لا نصدقها إلا في مراعيها ومواضعها لا نحشرها .

وقوله : لا تعدل سارحتكم : السارحة الماشية التي تسرح وترعى وهو من قوله تعالى : ﴿ حين تريحون وحـــين تسرحون ﴾ وقوله : لا تعـدل يقول لا تصرف عن مرعى تريـده . وقوله : « لا تعد فاردتكـم » يعني الزائدة على ما تجب فيه الزكاة . يقول : ولا تعد عليكم تلك في الزكـــاة حتى تنتهي إلى الفريضـة الاخرى . وقوله : « لا يحظر عليكم النبات » يقول : لا تمنعون من الزراعة .

وأخبرني أبي عن عوانة بن الحكم أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد وهو بعين التمر يأمره أن يسير إلى أكيدر ، فسار إليه فقتله ، وفتح دومة ، وكان قد خرج منها بعد وفاة رسول الله ﷺ ثم عاد إليها ، فلما قتله خالد مضى إلى الشام .

وقال الواقدي : لما شخص خالد من العراق يريد الشام مرّ بدومة الجندل ففتحها وأصاب سبايا[1]،فكان فيمن سبا منها ليلى بنت الجودي الغساني ويقال إنها أصيبت في حاضر من غسان أصابتها خيل له ، وابنة الجودي هي التي كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق هويها وقال فيها :

تذكرت ليلى والسماوة بيننا ۞ وما لابنة الجودي ليلى وماليا

فصارت له فتزوجها وغلبت عليه حتى أعرض عمن سواها من نسائه ، ثم إنها اشتكت شكوى شديدة فتغيرت فقلاها ، فقيل له متعها وردها إلى أهلها ففعل .

وقال الواقدي : كان النبي ﷺ غزا دومة الجندل في سنة خمس فلم يلق كيداً ، ووجه خالد بن الوليد إلى أكيدر في شوال سنة تسع بعد إسلام خالد ابن الوليد بعشرين شهراً .

وسمعت بعض أهل الحيرة يذكر أن أكيدر وأخوته كانوا ينزلون دومة الحيرة ، وكانوا يزورون أخوالهم من كلب فيتغربون عندهم ، فإنهم لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا بعض حيطانها ، وكانت

---

(١) يرجح أن خالداً لم يمر بدومة الجندل أثناء توجهه إلى بلاد الشام بل قدم إليها بعد عين التمر مغيثاً لعياض بن غنم . انظر مغازي ابن حبيش : ٤٣٠ — ٤٣٣ .

مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها دومة الجندل، تفرقة بينها وبين دومة الحيرة .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، عن عبد الله بن وهب المصري ، عن يونس الأيلي ، عن الزهري ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بن المغيرة إلى أهل دومة الجندل ، وكانوا من عباد [1] الكوفة فأسر أكيدر رأسهم فقاضاه على الجزية .

* * *

(١) كذا بالاصل وهو بالحق أراد الحيرة التي أقيمت الكوفة على مقربة منها بعد فتح العراق ، وشهر العباد في الحيرة وتميزوا بين سكانها عقائدياً واجتماعياً .

صلح نجران

حدثني بكر بن الهيثمي ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري ،قال : أتى رسول الله ﷺ السيد والعاقب وفدا أهل نجران اليمن فسألاه الصلح ، فصالحهما عن أهل نجران على ألفي حلة في صفر ، وألف حلة في رجب ، ثمن كل حلة أوقية ، والأوقية وزن أربعين درهماً ، فإن أدوا حلة بما فوق الأوقية حسب لهم فضل ذلك ، وإن أدوها بما دون الأوقية أخذ منهم النقصان ، وعلى أن يأخذ منهم ما أعطوا من سلاح أو خيل أو ركاب أو عرض من العروض بقيمته قصاصاً من الحلل ، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ شهراً فما دونه ، ولا يحبسوهم فوق شهر ، وعلى أن عليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً ، وثلاثين بعيراً إن كان باليمن كيد ، وأن ما هلك من تلك العارية فالرسل ضامنون له حتى يردوه، وجعل لهم ذمة الله وعهده ، وأن لا يفتنوا عن دينهم [1] ومراتبهم فيه ، ولا يحشروا ولا يعشروا واشترط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به .

حدثني الحسين بن الأسود : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال:جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ فعرض عليهما الإسلام فقالا : إنا قد أسلمنا قبلك ، فقال : كذبتما يمنعكما من الإسلام ثلاث : أكلكما الخنزير وعبادتكما الصليب ، وقولكما لله ولد ، قالا : فمن أبو عيسى ؟ قال الحسن : وكان ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ذلك نتلوه عليك من

---

(١) كانوا يدينون بالمسيحية ، وفي نجران كانت واقعة أصحاب الأخدود المذكورة بالقرآن الكريم .

الآيات والذكر الحكيم . إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ إلى قوله: ﴿ الكاذبين ﴾[١] فقرأها رسول الله ﷺ عليهما، ثم دعاهما إلى المباهلة، وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين، فقال أحدهما لصاحبه :

اصعد الجبل ولا تباهله فإنك إن باهلته بؤت باللعنة ، قال : فما ترى؟ قال : أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله .

حدثني الحسين ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال أخذت نسخة كتاب رسول الله ﷺ لأهل نجران من كتاب رجل ، عن الحسن بن صالح رحمه الله ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما كتب النبي رسول الله محمد لنجران :

إذ كان له عليهم حكمة في كل ثمرة وصفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فأفضل عليهم ، وترك ذلك ألفي حلة حلل الأواقي ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة ، كل حلة أوقية ، وما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب وعلى نجران مثواة رسلي شهراً فدونه ، ولا يحبس رسلي فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين فرساً ، وثلاثين بعيراً ، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة – أي إذا كان كيد بغدر منهم– وما هلك مما أعاروا رسلي من خيل أو ركاب فهم ضمن حتى يردوه إليهم ، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم ، وملتهم ، وأرضهم ، وأموالهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعيرهم ، وبعثهم ، وأمثلتهم ، لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق

---

(١) سورة آل عمران – الآيات : ٥٨ – ٦١ ، والآية / ٦١ / هي آية المباهلة قوله تعالى : ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ .

من حقوقهم ، وأمثلتهم، لا يفتن أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا واقه من وقاهيته [١] على مـا تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ، من سأل منهم حقاً فبينهم النصف ، غير ظالمين ولا مظلومين بنجران ، ومن أكل منهم رباً من ذي قبل فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، ولهم على ما في هذه الصحيفة جوار الله ، وذمة محمد النبي أبداً حتى يأتي أمر الله ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مكلفين شيئاً بظلم .

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة وكتب .

وقال يحيى بن آدم ، وقد رأيت كتاباً في أيدي النجرانيين كانت نسخته شبيهة بهذه النسخـة وفي أسفله : وكتب علي بن أبي طالب ، ولا أدري ما أقول فيه .

قالوا : ولما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه حملهم على ذلك فكتب لهم كتاباً على نحو كتاب رسول الله ﷺ ، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصابوا الربا وكثر فخافهم على الإسلام فأجلاهم [٢] وكتب لهم :

أما بعد- فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الأرض، وما اعتملوا من شيء فهو لهم مكان أرضهم باليمن .

---

(١) الوقه : الطاعة . القاموس .

(٢) يوهم هذا أنه أجلاهم جميعاً ويبـدو أن هـذا لم يحدث فقد ظل النصارى وجود فعال في نجران حتى أواخر القرن الثالث للهجرة ، ويمكن التعرف إلى ذلك من ثنايا ما ورد في كتاب سيرة الهادي إلى الحـق يحيى بن الحسين بتحقيقي .

فتفرقوا فنزل بعضهم الشام ، ونزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة ، وبهم سميت .

ودخل يهود نجران مع النصارى في الصلح ، وكانوا كالأتباع لهم .

فلما استخلف عثمان بن عفان كتب إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو عامله على الكوفة :

أما بعد — فإن العاقب ، والأسقف ، وسراة نجران ، أتوني بكتاب رسول الله ﷺ ، وأروني شرط عمر ،وقد سألت عثمان بن حُنيف عن ذلك فأنبأني أنه كان بحث عن أمرهم فوجده ضاراً للدهاقين ، لردعهم عن أرضهم ، وإني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله ، وعقبى لهم من أرضهم ، وإني أوصيك بهم ، فإنهم قوم لهم ذمة .

وسمعت بعض العلماء يذكر أن عمر كتب لهم :

أما بعد — فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الأرض — وسمعت بعضهم يقول من خريب الأرض .

وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن حكيم ،عن عمر بن عبد العزيز أن رسول الله ﷺ قال في مرضه : « لا يبقين دينان في أرض العرب » ، فلما استخلف عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أجلى أهل نجران إلى النجرانية ، واشترى عقاراتهم وأموالهم .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده ، قال : سميت نجران اليمن بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع بن الجراح، قال :حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد ، قال : كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفاً فتحاسدوا بينهم ، فأتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : أجلنا ، وكان

عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم فندموا بعد ذلك ، وأتوه فقالوا : أقلنا فأبى ذلك ، فلما قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتوه فقالوا: ننشدك خطك بيمينك وشفاعتك لنا عند نبيك إلا أقلتنا ، فقال : إن عمر كان رشيد الأمر ، وأنا أكره خلافه [١] .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ، قال : حدثني محمد بن مروان ، والهيثم بن عدي ، عن الكلبي ، أن صاحب النجرانية بالكوفة كان يبعث رسله إلى جميع من بالشام والنواحي ، من أهل نجران ، فيجبونهم مالاً يقسمه عليهم لإقامة الحلل ، فلما ولي معاوية أو يزيد بن معاوية ،شكوا إليه تفرقهم وموت من مات وإسلام من أسلم منهم ، وأحضروه كتاب عثمان بن عفان بما حطهم من الحلل وقالوا : إنما ازددنا نقصاناً وضعفاً ، فوضع عنهم مائتي حلة يتمه أربعمائة حلة ، فلما ولي الحجاج بن يوسف العراق ، وخرج ابن الأشعث عليه اتهم الدهاقين بموالاته واتهمهم معهم فردهم إلى ألف وثمانمائة حلة وأخذهم بحلل وشي ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصانهم ، وإلحاح الأعراب بالغارة عليهم وتحميلهم إياهم المؤن المجحفة بهم ، وظلم الحجاج إياهم ، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولى، فقال أرى هذا الصلح جزية على رؤوسهم وليس هو بصلح عن أرضهم وجزية الميت والمسلم ساقطة ، فألزمهم مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم ، فلما ولي يوسف بن عمر العراق، في أيام الوليد بن يزيد ردهم إلى أمرهم الأول عصبية للحجاج .

فلما استخلف أمير المؤمنين أبو العباس رحمه الله عمدوا إلى طريقه يوم ظهر بالكوفة ، فألقوا فيه الريحان ونثروا عليه وهو منصرف إلى منزله من المسجد، فأعجبه ذلك من فعلهم ، ثم إنهم رفعوا إليه في أمرهم وأعلموه قلتهم وما كان من عمر بن عبد العزيز ويوسف بن عمر وقالوا : إن لنا نسباً في أخوالك بني

---

(١) انظر كتاب الخراج لأبي يوسف : ٧١ – ٧٥ .

الحارث بن كعب ، وتكلم فيهم عبد الله بن الربيع الحارثي ، وصدقهم الحجاج بن أرطاة فيما ادعوا ، فردهم أبو العباس صلوات الله عليه إلى مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم .

قال أبو مسعود : فلما استخلف الرشيد هارون أمير المؤمنين ، وشخص إلى الكوفة يريد الحج رفعوا إليه في أمرهم ، وشكوا تعنت العمال إياهم ، فأمر فكتب لهم كتاب بالمائتي حلة قد رأيته ، وأمر أن يعفوا من معاملة العمال ، وأن يكون مؤداهم بيت المال بالحضرة .

حدثنا عمرو الناقد ، قال : أخبرنا عبد الله بن وهب المصري ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : أنزلت في كفار قريش والعرب : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾[1] وأنزلت في أهل الكتاب: ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ﴾ إلى قوله : ﴿ صاغرون ﴾[2] ، فكان أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما علمنا ، وكانوا نصارى ، ثم أعطى أهل أيلة ، وأذرح ، وأهل أذرعات[3] الجزية في غزوة تبوك .

---

(١) سورة البقرة – الآية : ١٩٣ .

(٢) سورة التوبة – الآية : ٢٩ .

(٣) من المعتقد أنها درعا الحالية .

اليمـن

قالوا : لما بلغ أهل اليمن ظهور رسول الله ﷺ ، وعلو حقه أتته وفودهم ، فكتب لهم كتابـاً بإقرارهم على ما أسلموا عليـه من أموالهم ، وأرضيهم وركازهم[1] فأسلموا ووجه إليهم رسله وعماله ، لتعريفهم شرائـع الإسلام وسننه ، وقبض صدقاتهم ، وجز رؤوس من أقام على النصرانية واليهوديـة والمجوسية منهم .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيـع بن الجراح ، قال : حدثنا يزيـد بن إبراهيم التستري ، عن الحسن ، قـال : كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن :

من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلكم المسلم ، له ذمـة الله وذمة رسوله ﷺ ، ومن أبى فعليه الجزية .

وحدثني هدبة ، قال : حدثنا يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن بمثله .

قال الواقدي : وجه رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص أمـيراً إلى صنعاء وأرضها قال : وقال بعضهم : ولى رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي صنعاء فقبض[2] وهو عليها.

قال:وقال آخرون: إنما ولى المهاجر صنعاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وولى خالد بن سعيد مخاليف أعلى اليمن .

وقال هشام بن الكلبي ، والهيثم بن عـدي : ولى رسول الله ﷺ المهاجر

---

(١) الركاز : ما ركزه الله تعالى في المعادن – أي أحدثه . القاموس .

(٢) أي توفي النبي ﷺ وهو عليها.

كِنْدَة والصدف ، فلما قبض رسول الله ﷺ ، كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد البياضي من الأنصار بولاية كندة والصدف إلى ما كان يتولى من حضرموت ، وولى المهاجر صنعاء ، ثم كتب إليه بإنجاد زياد بن لبيد ، ولم يعزله عن صنعاء .

وأجمعوا جميعاً : أن رسول الله ﷺ ولى زياد بن لبيد حضرموت ، قالوا : وولى النبي ﷺ أبا موسى الأشعري زبيد [١] ، ورمع [٢] وعدن والساحل : وولى معاذ بن جبل الجَنَد [٣] وصير إليه القضاء وقبض جميع الصدقات باليمن : وولى نجران عمرو بن حزم الأنصاري ، ويقال : إنه ولى أبا سفيان بن حرب نجران بعد عمرو بن حزم .

وأخبرني عبد الله بن صالح المقرىء ، قال : حدثني الثقة ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ كتب إلى ذرعة بن ذي يزن .

أما بعد — فإذا أتاكم رسولي معاذ بن جبل وأصحابه ، فاجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية فأبلغوه ذلك ، فإن أمير رسلي معاذ وهو من صالحي من قبلي ، وإن مالك بن مرارة الرهاوي حدثني أنك قد أسلمت أول حِمْيَر ، وفارقت المشركين ، فابشر بخير ، وأنا آمركم يا معشر حِمْيَر ألا تخونوا ، ولا تخادوا ، فإن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآله ، إنما هي زكاة تزكون بها . هي لفقراء المسلمين والمؤمنين ، وإن مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وإن معاذاً من صالحي أهلي وذوي دينهم ، فآمركم به خيراً فإنه منظور إليه والسلام .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا

---

(١) معروفة بهذا الإسم حتى الآن في اليمن .

(٢) واد باليمن على مقربة من زبيد . معجم البلدان .

(٣) من أعظم مدن اليمن في الإسلام بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً . معجم البلدان .

يزيد بن عبد العزيز ، عن عمر بن عثمان بن موهب، قال : سمعت موسى بن طلحة يقول : بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل على صدقات اليمن ، وأمره أن يأخذ من النخل والحنطة والشعير والعنب - أو قال الزبيب - العشر ونصف العشر [1] .

وحدثني الحسين ، قال حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا زياد عن محمد ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ كتب لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا بيان من الله ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [2] .

عهد من محمد النبي رسول الله ، لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، وان يأخذ من المغانم خمس الله، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل وسقت السماء ونصف العشر مما سقى الغرب [3] .

وحدثني الحسين، قال : حدثني يحيى بن آدم، قال : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كتب رسول الله ﷺ إلى ملوك حمير :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد النبي رسول الله ، إلى الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، وشَرْح بن عبد كلال ، وإلى النعمان قيل ذي رعين، ومعافر وهَمْدان .

أما بعد . فإن الله قد هداكم بهدايته، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خمس الله ، وسهم النبي وصفيه ، وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ماسقت العين وسقت السماء وما سقى بالغرب نصف العشر [4] .

---

(١) الخراج ليحيى بن آدم : ١٢٠ .

(٢) سورة المائدة - الآية : ١ .

(٣) الخراج ليحيى بن آدم : ١١٩ . والغرب : الراوية ، والدلو العظيمة . القاموس .

(٤) الخراج ليحيى بن آدم : ١١٩ .

وقال هشام بن محمد الكلبي : كان كتاب رسول الله ﷺ إلى عريب ، والحارث ابني عبد كلال بن عريب بن ليشرح .

وحدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد قال : حدثنا منصور عن الحكم ، قال : كتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وهو باليمن : إن فيما سقت السماء أو سقي غيلا العشر ، وفيما سقى بالغرب والدالية نصف العشر ، وإن على كل حالم ديناراً أو عدل ذلك من المعافر ، وأن لا يفتن يهودي عن يهوديته .

قالوا : الغيل السيح : والغرب الدلو يعني ما سقى بالسواني ، والدوالي ، والدواليب، والغرافات ، والبعل السيح أيضاً : والمعافر ثياب لهم .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا مروان بن معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي وائل عن مسروق ، قال : بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعا ، ومن كل أربعين مسنة ، ومن كل حالم ديناراً أو عدل ذلك من المعافر (١) .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثني شيبان البرجي ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : أخذ رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هجر ، ومجوس أهل اليمن ، وفرض على كل من بلغ الحلم من مجوس اليمن من رجل أو إمرأة ديناراً أو قيمته من المعافر (٢) .

حدثنا عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب ، عن مسلمة بن علي ، عن المثنى ابن الصباح ، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ فرض الجزية على كل محتلم من أهل اليمن ديناراً .

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأبلي ، قال : حدثنا قزعة بن سويد الباهلي ،

---

(١) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد : ٣٨ .

(٢) الخراج ليحيى بن آدم : ٧٢ – ٧٣ .

قال : سمعت زكريا بن إسحاق يحدث عن يحيى بن صيفي ، أو أبي معبد، عن ابن عباس ، قال : لما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال : أما إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فقل لهم : إن الله فرض عليكم في اليوم والليلة خمس صلوات ، فإن أطاعوك فقل : إن الله فرض عليكم في السنة صوم شهر رمضان ، فإن أطاعوك فقل : إن الله فرض عليكم حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، فإن أطاعوك فقل : إن الله قد فرض عليكم في أموالكم صدقة تؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم ، فإن أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم ، وإياك ودعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ولا ستر [١] .

حدثنا شيبان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا الحجاج بن أرطاة ، عن عثمان بن عبد الله، أن المغيرة بن عبد الله قال : قال الحجاج: صدقوا كل خضراء ، فقال أبو بردة بن أبي موسى : صدق ، فقال موسى بن طلحة لأبي بردة : هذا الآن يزعم أن أباه كان من أصحاب النبي ﷺ ، بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن فأمره أن يأخذ الصدقة من التمر والبر والشعير والزبيب .

وحدثني عمرو الناقد، قال : حدثنا وكيع عن عمرو بن عثمان، عن موسى ابن طلحة بن عبيد الله، قال : قرأت كتاب معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله ﷺ الى اليمن فكان فيه ، أن تؤخذ الصدقة من الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والذرة .

حدثنا علي بن عبد الله المديني ، قال: حدثنا سفيان بن عُيينة عن ابن أبي نجيح ، قال : سألت مجاهداً : لم وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الشام من الجزية أكثر مما وضع على أهل اليمن ؟ فقال لليسار .

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود، قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن إبراهيم

(١) الأموال لأبي عبيد : ٥٥١ — ٥٥٢ .

ابن ميسرة عن طاوس،قال : لما أتى معاذ اليمن أتي بأوقاص البقر [١]،والعسل فقال:لم أؤمر فيهذا بشيء .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، قـــال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن يحيى بن قيس المازني عن رجل عن أبيض بن حمال أنه استقطع رسول الله ﷺ الملح الذي بمأرب ، فقال رجل : إنه كالمـاء العِد ، فأبى أن يقطعه إياه[٢] .

وحدثني القاسم بن سلام وغيره عن اسماعيل بن عياش عن عمرو بن يحيى ابن قيس المازني عن أبيه عمن حدثه عن أبيض بن حمال بمثله .

وحدثني أحمـــد بن إبراهيم الدورقي ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا شعبة عن سماك عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيــه أن النبي ﷺ أقطعه أرضاً بحضرموت .

وحدثني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف ، مولى قريش ، عن مسلمـة ابن محارب ، قال : لمـا ولى محمد بن يوسف أخو الحجـــاج بن يوسف اليمن ، أساء السيرة ، وظلم الرعية ، وأخذ أراضي الناس بغير حقها ، فكان ممـــا اغتصبه الحرجة [٣] .

قال : وضرب على أهل اليمن خراجاً جعله وظيفة عليهم ، فلما ولي عمر بن

---

(١) مابين الفريضتين كالزيادة على الخمس من الإبل إلى التسع ، وعلى العشر إلى أربع عشر . النهاية لابن الأثير .

(٢) الخراج ليحيى بن آدم : ١١٠ . والماء العـــد : الدائم مثل ماء العيون والآبار .

(٣) الحرجة :الشجرالكثيف الملتف وهي موجودة بمأرب ،والحرجة أيضاً قرية شمال صعدة ، وفي اليمن أكثر من حرجة أخرى . انظر صفة الجزيرة للهمداني . ط . بيروت ١٩٧٤ ص ١٥٠ .

عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والإقتصار على العشر ، وقال: والله لأن لا تأتيني من اليمن حفنة كتم أحب إلي من إقرار هذه الوظيفة، فلما ولي يزيد بن عبد الملك أمر بردها .

حدثني الحسن بن محمد الزعفراني عن الشافعي عن أبي عبد الرحمن هشام بن يوسف قاضي صنعاء ، أن أهل حفاش [1] أخرجوا كتاباً من أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قطعة أديم ، يأمرهم فيه أن يؤدوا صدقة الورس .

وقال مالك ، وابن أبي ذئب ، وجميع أهل الحجاز من الفقهاء ، وسفيان الثوري ، وأبو يوسف : لا زكاة في الورس ، والوسمة ، والقرط ، والكتم ، والحناء ، والورد ، وقال أبو حنيفة : في قليل ذلك وكثيره الزكاة، وقال مالك في الزعفران : إذا بلغ ثمنه مائتي درهم وبيع خمسة دراهم ، وهو قول أبي الزناد ، وروى عنه أيضاً أنه قال : لا شيء في الزعفران . وقال أبو حنيفة وزفر : في قليله وكثيره الزكاة ، وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن : إذا بلغ ثمنه أدنى ثمن خمسة أوسق من تمر أو حنطة أو شعير أو ذرة أو صنف من أصناف الحبوب ففيه الصدقة ، وقال ابن أبي ليلى : ليس في الخضر شيء ، وهو قول الشعبي . وقال عطاء ، وإبراهيم النخعي : فيما أخرجت أرض العشر من قليل وكثير : العشر ، أو نصف العشر .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن سعيد بن سالم، عن الصلت بن دينار ، عن ابن أبي رجاء العطاردي ، قال : كان ابن عباس بالبصرة يأخذ صدقاتنا حتى دساتج الكراث [2] .

وحدثنا الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا ابن المبارك ،

---

(١) جبل باليمن . صفة الجزيرة : ١١٠ ، ٢٤٧ .

(٢) الخراج ليحيى بن آدم : ١٤٤ — ١٤٥ .

عن معمر ، عن طاووس ، وعكرمة إنهما قالا : ليس في الورس والعطب– وهو القطن – زكاة .

وقال أبو حنيفة وبشر : في الذمة يملكون الأرضين من أراضي العشر مثل اليمن التي أسلم عليها أهلها ، والبصرة التي أحياها المسلمون ، وما أقطعته الخلفاء من القطائع التي لا حق فيها لمسلم ولا معاهد أنهم يلزمون الجزية في رقابهم ، ويوضع الخراج على أرضهم بقدر احتمالها ، ويكون مجرى ما يجتبى منهم مجرى مال الخراج ، فإن أسلم منهم مسلم وضعت عنه الجزية ، وألزم الخراج في أرضه أبداً على قياس السواد ، وهو قول ابن أبي ليلى .

وقال ابن شبرمة ، وأبو يوسف : توضع عليهم الجزية في رقابهم وعليهم الضعف مما على المسلمين في أرضهم ، وهو الخمس أو العشر ، وقاسا ذلك على أمر نصارى بني تغلب ، وقال أبو يوسف : ما أخذ منهم فسبيله سبيل الخراج ، فإن أسلم الذمي أو خرجت أرضه إلى مسلم صارت عشرية ، وقد روي ذلك عن عطاء ، والحسن [١] .

وقال : ابن أبي ذئب ، وابن أبي سبرة ، وشريك بن عبد الله النخعي ، والشافعي : عليهم الجزية في رقابهم ولا خراج ولا عشر في أرضهم ، لأنهم ليسوا ممن تجب عليه الزكاة وليست أرضهم بأرض خراج ، وهو قول الحسن بن صالح ابن حي الهمداني ، وقال سفيان الثوري ، ومحمد بن الحسن : عليهم العشر غير مضعف ، لأن الحكم حكم الأرض ولا ينظر إلى مالكها .

وقال الأوزاعي ، وشريك بن عبد الله : إن كانوا ذمة مثل يهود اليمن التي أسلم أهلها وهم بها : لم يؤخذ منهم شيئاً غير الجزية ولا تدع الذمي يبتاع أرضاً من أراضي العشر ولا يدخل فيها – يعني يملكها به –

---

(١) الخراج لأبي يوسف : ٢١ .

وقال الواقدي : سألت مالكاً عن اليهودي من يهود الحجاز يبتـاع أرضاً بالجرف [(١)] فيزرعها ، قال : يؤخذ منه العشر ، قلت : أو لست تزعم أنـه لا عشر على أرض ذمي إذا ملك أرض عشر ، فقال : ذاك إذا أقاموا ببلادهـم فأما إذا خرجوا من بلادهم فإنها تجارة .

وقال أبو الزناد ، ومالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، والثوري ، وأبو حنيفة ويعقوب ، في التغلبي يزرع أرضاً من أرض العشر إنه يؤخذ منه ضعف العشر . وإذا اكترى رجل مزرعة عشرية فإن مالكـاً ، والثوري ، وابن أبي ذئب ، ويعقوب ، قالوا : العشر على صاحب الزرع . وقال أبو حنيفـة : هو على رب الأرض ، وهو قول زفر ، وقال أبو حنيفة : إذا لم يؤد رجل عشر أرضه سنتين فإن السلطان يأخذ منه العشر لما يستأنف ، وكذالك أرض الخراج ، وقال أبو ثمر : يأخذ ذلك منه لما مضى لأنه حق وجب في ماله .



(١) الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . معجم البلدان .

عُمان

قالوا : كان الأغلبين على عُمان الأزد ، وكان بهـــا من غيرهم بشر كثير في البوادي ، فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ أبا زيد الأنصاري أحـــد الخزرج ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، واسمه فيما ذكــر الكلبي : قيس بن سكن بن زيد بن حرام ، وقال بعض البصريين اسمــه عمرو ابن أخطب ، جد عروة بن ثابت بن عمرو بن أخطب ، وقال سعيــد بن أوس الأنصاري : اسمه ثابت بن زيد [١] .

وبعث عمرو بن العاصي السهمي إلى عبيد ، وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الإسلام، وقال : إن أجاب القوم إلى شهادة الحق، وأطاعوا الله ورسوله ، فعمرو الأمير، وأبو زيد على الصلاة ، وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن .

فلما قدم أبو زيد ، وعمرو عمان وجداً عبيداً ، وجيفرا بصُحَــار [٢] على ساحل البحر ، فأوصلا كتاب النبي ﷺ إليهما ، فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام ، فأجابوا إليه ورغبوا فيه ، فلم يزل عمرو وأبو زيــد بعمان حتى قبض النبي ﷺ ، ويقال : إن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك .

قالوا : ولما قبض رسول الله ﷺ ارتدت الأزد وعليهــا لقيط بن مالك ذو

---

(١) لمعرفة المزيد من الروايات حوله انظر الإستبصار في نسب الصحابة من الأنصار – ط . بيروت ١٩٧٢ : ١٣٥ – ١٤١ .

(٢) قصبة عمان مما يلي الجبل . معجم البلدان .

التاج ، والمحازت إلى دبا ، وبعضهم يقول دما في دبا [١] ، فوجه أبو بكر رضي الله عنه إليهم حذيفة بن محصن البارقي من الأزد ، وعكرمــة بن أبي جهل بن هشام المخزومي ، فواقعا لقيطاً ومن معه فقتلاه وسبيا من أهل دبا سبيا بعثا به إلى أبي بكر رحمه الله ، ثم إن الأزد راجعت الإسلام وارتدت طوائف من أهل عمان ولحقوا بالشحر [٢] فسار إليهم عكرمة فظفر بهم وأصاب منهم مغنماً وقتل بشراً ، وجمع قوم من مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة جمعاً ، فأتاهم عكرمة فلم يقاتلوه وأدوا الصدقـــة ، وولى أبو بكر رضي الله عنه حذيفـــة بن محصن عُمان ، فمات أبو بكر وهو عليها ، وصرف عكرمـــة ووجه إلى اليمن .

ولم تزل عُمان مستقيمة الأمر يؤدي أهلها صدقات أموالها ، ويؤخذ ممن بها من الذمة جزية رؤوسهم حتى كانت خلافة الرشيد صلوات الله عليه ، فولاها عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، فخرج إليها بأهل البصرة فجعلوا يفجرون بالنساء ويسلبونهم ، ويظهرون المعازف ، فبلـــغ ذلك أهل عُمان وجلهم شراة [٣] ، فحـــاربوه ومنعوه من دخولها ، ثم قدروا عليه فقتلوه وصلبوه ، وامتنعوا على السلطان فلم يعطوه طاعة ، وولوا أمرهم رجلاً منهم .

وقد قال قوم : إن رسول الله ﷺ كان وجه أبا زيد بكتابه إلى عبيد ، وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة ست،ووجه عَمْراً في سنة ثمان بعد إسلامه

(١) سوق من أسواق العرب بعمان ، وهي غير دما ، ودما أيضاً من أسواق العرب . معجم البلدان .

(٢) الشحر : الشط وهو صقع ساحلي بين عدن وعمان . معجم البلدان .

(٣) إباضية وما زالوا كذلك .

بقليل . وكان إسلامه ، وإسلام خالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة العبدي في صفر سنة ثمـان ، أقبل من الحبشة حتى أتى إلى النبي ﷺ ، وأن رسول الله ﷺ قال لأبي زيد : خذ الصدقة من المسلمين ، والجزية من المجوس .

حدثني أبو الحسن المدائني عن المبارك بن فضالة، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة الفزاري عامله على البصرة :

أما بعد – فإني كنت كتبت إلى عمرو بن عبد الله أن يقسم ما وجـد بعُمان من عشور التمر والحب في فقراء أهلها ، ومن سقط إليهـا من أهل البادية ، ومن أضافته إليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل ، فكتب إلي أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه، فأردد إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عمان من ثمن التمر والحب ، ليضعه في المواضع التي أمرته بها ، ويصرفه فيها إن شاء الله والسلام .



البحرين

قالوا : وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس ، وكان بهـــا خلق كثير من العرب من عبد القيس ، وبكر بن وائل وتميم مقيمين في باديتها، وكان على العرب بها من قبل الفرس على عهد رسول الله ﷺ المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة،وعبد الله بن زيد هذا هو الأسبذي نسب إلى قرية بهجر [١] يقال لها الأسبذ [٢] ، ويقال : إنه نسب إلى الأسبذيين وهم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين .

فلما كانت سنة ثمان وجه رسول الله ﷺ العلاء بن عبد الله بن عمـــاد الحضرمي ، حليف بني عبد شمس إلى البحرين ليدعو أهلهـــا إلى الإسلام أو الجزية ، وكتب معـه إلى المنذر بن ساوى وإلى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام ، أو الجزية ، فأسلمـــا ، وأسلم معهما جميع العرب هنـــاك وبعض العجم .

فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء، وكتب بينه وبينهم كتاباً نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما صالح عليـــه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين ، صالحهم على أن

---

(١) الهجر بلغة حمير والعرب العاربة : القرية، وهجر البحرين مدينةوهي قاعدة البحرين . معجم البلدان .

(٢) قرية بالبحرين كان صاحبها المنذر بن ساوى . معجم البلدان .

يكفونا العمل ، ويقاسمونا التمر ، فمن لم يف بهـــذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم ديناراً .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبـاس قال : كتب رسول الله ﷺ إلى البحرين :

أما بعد-فإنكم إذا أقمتم الصلاة،وآتيتم الزكاة ونصحتم لله ورسوله،وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ، ولم تمجسوا أولادكم، فلكم ما أسلمتم عليه غير أن بيت النار لله ورسوله ، وإن أبيتم فعليكم الجزية .

فكره المجوس واليهود الإسلام وأحبوا أداء الجزية ، فقال منافقوا العرب : زعم محمد أنه لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب،وقد قبلها من مجوس هجر وهم غير أهل كتاب فنزلت: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ (١) ، وقد قيل إن رسول الله ﷺ وجه العلاء حين وجـه رسله إلى الملوك في سنة ست .

وحدثني محمـد بن مصفى الحمصي ، قال : حدثنا محمـد بن المبارك ، قال : حدثنا عتاب بن زياد قال : حدثني محمد بن ميمون عن مغيرة الأزدي عن محمـد ابن زيد بن حيان الأعرج عن العلاء بن الحضرمي ، قال : بعثني رسول الله ﷺ الى البحرين – أو قال هجر – وكنت آتي الحائط بين الأخوة،قد أسلم بعضهم ، فأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج .

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عثمان بن صالح عن عبـد الله

---

(١) سورة المائدة – الآية : ١٠٥ . وقيل : أخذت الجزيـــة من المجوس وسواهم على أساس الآية ﴿ وإن من أمة إلا خلا نذير ﴾ [سورة فاطر–الآية : ٢٤] . مما يفيد أن جميع البشر هم أهل كتاب .

ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل هجر :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد النبي إلى أهل هجر سلم أنتم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم .

أما بعد ، فإنه قد أتاني الذي صنعتم وأنه من يحسن منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء ، فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم ، وأعينوهم على أمر الله وفي سبيله ، فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله وعندي [1] .

وأما بعد فقد جاءني وفدكم ، فلم آت إليهم إلا ما سرهم وإني لو جهدت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر ، فشفعت غائبكم ، وأفضلت على شاهدكم ، فـ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ [2] .

حدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان النحوي عن قتادة ، قال : لم يكن بالبحرين في أيام رسول الله ﷺ قال ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر .

وحدثني الحسين ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا الحسن بن صالح عن أشعث عن الزهري أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر .

وحدثني الحسين،قال : حدثنا يحيى بن آدم،قال : حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد ، قال : كتب رسول الله ﷺ إلى مجوس

---

(١) الأموال لأبي عبيد : ٢٨٧ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية : ٩ .

هجر يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ومن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم .

وحدثني الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري عن سعيد بن المسيب،قال : أخذ رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هجر ، وأخذها عمر من مجوس فارس ، وأخذها عثمان من بربر .

وحدثنا الحسين ، قال : حدثنا يحيى،قال : حدثنا عبد الله بن إدريس عن مالك بن أنس عن الزهري بمثله [١] .

وحدثنا عمرو الناقد، قال : أخبرنا عبد الله بن وهب عن يحيى بن عبدالله ابن سالم بن عبد الله بن عمر عن موسى بن عقبة أن النبي ﷺ كتب إلى منذر بن ساوى :

من محمد النبي إلى منذر بن ساوى .

سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد – فإن كتابك جاءني وسمعت ما فيه ، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ، ومن أبى ذلك فعليه الجزية .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى ، فأسلم ودعا أهل هجر فكانوا بين راض وكاره ، أما العرب فأسلموا ، وأما المجوس واليهود فرضوا بالجزية فأخذت منهم .

وحدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، قال : حدثنا حميد بن هلال قال :بعث العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ مالاً من البحرين يكون ثمانين ألفاً ، ما أتاه أكثر منه قبله ولا بعده ، فأعطى منه العباس عمه .

حدثني هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عبيد الله،

---

(١) انظر الخراج ليحيى بن آدم : ٧٣ .

قال : بعث رسول الله ﷺ إلى وضائع كسرى بهجر فلم يسلموا ، فوضع عليهم الجزية ديناراً على كل رجل منهم .

قالوا : وعزل رسول الله ﷺ العلاء ، ثم ولى البحرين أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية ، وقوم يقولون : إن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف [١] وإن أبان كان على ناحية أخرى فيها الخط [٢] : والأول أثبت.

قالوا : ولما توفي رسول الله ﷺ خرج أبان من البحرين فأتى المدينة ، فسأل أهل البحرين أبا بكر رضي الله عنه أن يرد العلاء عليهم ففعل، فقال : إن العلاء لم يزل والياً حتى توفي بها سنة عشرين ، فولى عمر مكانه أبا هريرة الدوسي .

ويقال أيضاً : إن عمر رضي الله عنه ولى أبا هريرة قبل موت العلاء ، فأتى العلاء توج [٣] من أرض فارس وعزم على المقام بها .

قال : ثم رجع إلى البحرين فمات هناك ، وكان أبو هريرة يقول: دفنا العلاء، ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها فلم نجده في اللحد .

وقال أبو مخنف : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العلاء بن الحضرمي وهو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه ، وولى عثمان بن أبي العاصي الثقفي البحرين وعُمان ، فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة ، مكان عتبة بن غزوان، فلم يصل إليها حتى مات وذلك في سنة أربع عشرة أو في أول سنة خمس عشرة، ثم إن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحي جباية البحرين ، وولى أبا هريرة

---

(١) مدينة بالبحرين غدت قصبتها وأعظم مدنها . معجم البلدان .

(٢) خط عبد القيس بالبحرين ، وهو كثير النخل . معجم البلدان .

(٣) هي توز أيضاً ، مدينة بفارس ، شديدة الحر، لأنها في غور من الأرض، ذات نخل . معجم البلدان .

الأحداث [١] والصلاة ، ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر ، وولى أبا هريرة الصلاة والاحداث ، ثم عزله وقاسمه ماله ، ثم ولى عثمان بن أبي العاصي البحرين وعُمان .

حدثني العمري عن الهيثم ، قال : كان قدامة بن مظعون على الجباية والأحداث ، وأبو هريرة على الصلاة والقضاء ، فشهد على قدامة بما شهد به ، ثم ولاه عمر البحرين بعد قدامة ثم عزله وقاسمه وأمره بالرجوع فأبى فولاها عثمان بن أبي العاصي فمات عمر وهو واليه عليها ، وكان خليفته على عمان والبحرين وهو بفارس أخوه مغيرة بن أبي العاصي ، ويقال : حفص ابن أبي العاصي .

حدثنا شيبان بن فروخ ، قال : حدثنا أبو هلال الراسبي،قال : حدثنا محمد ابن سيرين عن أبي هريرة ، قال : استعملني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين ، فاجتمعت لي اثنا عشر ألفاً ، فلما قدمت على عمر قال لي : يا عدو الله وعدو المسلمين – أو قال وعدو كتابه – سرقت مال الله ! قال . قلت لست بعدو لله ولا للمسلمين – أو قال لكتابه – ولكني عدو من عاداهما ، ولكن خيلا تناتجت وسهاماً اجتمعت ، قال : فأخذ مني اثنا عشر ألفاً ، فلما صليت الغداة ، قلت : اللهم اغفر لعمر ، قال : فكان يأخذ منهم ويعطيهم أفضل من ذلك حتى إذا كان بعد ذلك ، قال : ألا تعمل يا أبا هريرة ؟ قلت : لا ، قال : ولم قد عمل من هو خير منك يوسف ﴿ قال اجعلني على خزائن الأرض ﴾ [٢]

---

(١) لعله أراد بالاحداث هنا القضايا التي يبت بها،وفي معاجم اللغة الأحداث: المطر المبكر ، ولا مكان لهذا المعنى هنا إلا إذا أراد عملية الجباية للعشور والخراج ، ويؤيد هذا مسألة عزله ومقاسمته ماله وما روي أيضاً أنه قدم على أمير المؤمنين عمر بمال كثير .

(٢) سورة يوسف – الآية : ٥٥ .

فقلت يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة بن أمية، وأخاف منكم ثلاثاً واثنتين، قال : فهلا قلت خمساً ، قلت : أخشى أن تضربوا ظهري ، وتشتموا عرضي ، وتأخذوا مالي ، وأكره أن أقول بغير حلم ، وأحكم بغير علم .

حدثنا القاسم بن سلام وروح بن عبد المؤمن، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن سيرين عن أبي هريرة أنه لما قدم من البحرين ، قال له عمر : ياعدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله ، قال : لست عدو الله ولا عدو كتابه ، ولكني عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله ، قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيل تناسلت وعطاء تلاحق وسهام اجتمعت ، فقبضها منه . وذكر من باقي الحديث نحو الذي روى أبو هلال .

قالوا: ولما مات المنذر بن ساوى بعد وفاة النبي ﷺ بقليل ارتد من البحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، وإنما سمي الحطم بقوله :

قد لفها الليل بسواق حطم [١]

وارتد سائر من بالبحرين من ربيعة خلا الجارود، وهو بشر بن عمرو العبدي ومن تابعه من قومه ، وأمروا عليهم ابناً للنعمان بن المنذر يقال له المنذر، فصار الحطم حتى لحق بربيعة فانضم إليها بمن معه ، وبلغ العلاء بن الحضرمي الخبر ، فسار بالمسلمين حتى نزل جواثا [٢] ، وهو حصن البحرين ، فدلفت إليه ربيعة فخرج إليها بمن معه من العرب والعجم فقاتلها قتالاً شديداً ، ثم إن المسلمين لجؤوا إلى الحصن فحصرهم فيه عدوهم ، ففي ذلك يقول عبد الله بن حذف الكلابي :

---

(١) الشعر الذي استشهد الحجاج به في خطبته المشهورة .

(٢) حصن عبد القيس بالبحرين . معجم البلدان.

ألا أبلغ أبا بكر ألوكا[1] وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لك في شباب منك أمسوا أسارى في جواثا محصرينا

ثم إن العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة فبيت ربيعة فقاتلوا قتالاً شديداً وقتل الحطم .

وقال غير هشام بن الكلبي : أتى الحطم ربيعة وهو بجواثا وقد كفر أهلها جميعاً وأمروا عليهم المنذر بن النعمان ، فأقام معهم ، فحصرهم العلاء حتى فتح جواثا ، وفض ذلك الجمع وقتل الحطم . والخبر الأول أثبت . وفي قتل الحطم يقول مالك بن ثعلبة العبدري :

وتركنا شريحاً قد علته بصيرة كحاشية البرد اليماني المحبر

« البصيرة من الدم ما وقع في الأرض » .

ونحن فجعنا أم غضبان بابنها ونحن كسرنا الرمح في عين حبتر
ونحن تركنا مسمعاً متجدلاً رهينة ضبع تعتريه وأنسر

قالوا : وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون ، قال: لست بالغرور ولكني المغرور ، ولحق هو وفل ربيعة بالخط ، فأتاها العلاء ففتحها وقتل المنذر ومن معه ، ويقال : إن المنذر نجا فدخل إلى المشقر[2] وأرسل الماء حوله فلم يوصل إليه حتى صالح الغرور على أن يخلي المدينة فخلاها، ولحق بمسيلمة فقتل معه .

وقال قوم : قتل المنذر يوم جواثا ، وقوم يقولون : انه استأمن ثم هرب فلحق فقتل .

وكان العلاء كتب إلى أبي بكر يستمده ، فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره

---

(١) الألوكة والمالكة — الرسالة . النهاية لابن الأثير . وفي رواية ابن حبيش ص ١١٥ : « رسولا » .

(٢) المشقر : حصن لعبد القيس بالبحرين . معجم البلدان .

بالنهوض إليه من اليمامة وانجاده ، فقدم عليه وقد قتل الحطم ، فحصر معه الخط ، ثم أتاه كتاب أبي بكر بالشخوص إلى العراق ، فشخص إليه من البحرين وذلك في سنة اثنتي عشرة .

وقال الواقدي : يقول أصحابنا : ان خالداً قدم المدينة ثم توجه منها إلى العراق .

واستشهد بجواثا عبد الله بن سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ، ويكنى أبا سهيل ، وأمه فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان عبد الله أقبل مع المشركين يوم بدر ، ثم انحاز إلى المسلمين مسلماً ، وشهد بدراً مع النبي ﷺ ، فلما بلغ أباه سهيل بن عمرو خبره ، قال : عند الله أحتسبه ، ولقيه أبو بكر وكان بمكة حاجاً فعزاه به ، فقال سهيل : إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « يشفع الشهيد في سبعين من [1] أهله » وإني لأرجو أن لا يبدأ ابني بأحد قبلي ، وكان يوم استشهد ابن ثمان وثلاثين سنة ، واستشهد عبد الله بن عبد الله بن أبيّ يوم جواثا .

وقال غير الواقدي : استشهد يوم اليمامة ، قالوا : وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي كان وجهه لقتل بني تميم حين عرضوا لعيره واسمه فيروز ابن جشيش بالزارة [2] وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف ، وامتنعوا من أداء الجزية ، فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها في خلافة أبي بكر وفتحها في أول خلافة عمر ، وفتح العلاء السابور [3] ودارين [4] في خلافة عمر عنوة وهناك موضع يعرف بخندق العلاء .

---

(١) انظره في كنز العمال : ٤ / ١١١١٩ ، ١١١٥١ .

(٢) قرية كبيرة بالبحرين . معجم البلدان . وسبق أن ضبطها ابن حبيش ص ١١٥ « الزأرة » .

(٣) موضع بالبحرين . معجم البلدان .

(٤) فرضة بالبحرين . معجم البلدان .

وقال معمر بن المثنى : غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابور في خلافة عمر ابن الخطاب ففتحها ، ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم ، ثم أتى الزارة وبها المكعبر فحصره،ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله وأخذ سلبه فبلغ أربعين ألفاً ، ثم خرج رجل من الزارة مستأمناً على أن يدل على شرب القوم،فدله على العين الخارجة من الزارة فسدها العلاء ، فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثلث المدينة ، وثلث ما فيها من ذهب وفضة وعلى أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها .

وأتى الأخنس العامري العلاء ، فقال له : إنهم لم يصالحوك على ذراريهم وهم بدارين،ودله كراز النكري على المخاضة إليهم فتقحم العلاء في جماعة من المسلمين البحر فلم يشعر أهل دارين إلا بالتكبير فخرجوا فقاتلوهم من ثلاثة أوجه فقتلوا مقاتلتهم وحووا الذراري والسبي ولما رأى المكعبر ذلك أسلم وقال كراز:

هاب العلاء حياض البحر مقتحماً فخضت قدماً إلى كفار دارينا

حدثنا خلف البزاز وعفان ، قالا : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا ابن عون ويونس ، عن محمد بن سيرين ، قال : بارز البراء بن مالك مرزبان الزارة فطعنه فوق صلبه وصرعه ، ثم نزل فقطع يديه ، وأخذ سواريه ، ويلمقاً كان عليه ومنطقة فخمسه عمر لكثرته ، وكان أول سلب خمس في الإسلام [١] .

---

(١) انظر ما سلف ذكره في مغازي ابن حبيش : ١١٣ – ١١٩ .

اليمامة

قالوا : وكانت اليمامة تدعى جو فصلبت امرأة من جديس يقال لها اليمامة بنت مر على بابها فسميت باسمها والله أعلم .

وقالوا : ولما كتب رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق في أول سنة سبع، ويقال في سنة ست ، كتب إلى هوزة بن علي الحنفي ، وأهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام،وأنفذ كتابه بذلك مع سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري ثم الخزرجي، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ وفدهم ، وكان في الوفد مجاعة من مرارة ، فأقطعه رسول الله ﷺ أرضاً مواتاً سأله إياها ، وكان فيها أيضاً الرجال بن عنفوة فأسلم وقرأ سورة البقرة وسوراً من القرآن إلا أنه ارتد بعد ، وكان فيهم مسيلمة الكذاب ثمامة بن كبير بن حبيب ، فقال مسيلمة لرسول الله ﷺ : إن شئت خلينا لك الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك ، فقال له رسول الله ﷺ : لا ولا نعمة عين ، ولكن الله قاتلك .

وكان هوزة بن علي الحنفي قد كتب إلى النبي ﷺ يسأله أن يجعل الأمر له من بعده على أن يسلم ويصير إليه فينصره ، فقال رسول الله ﷺ : لا ولا كرامة ، اللهم اكفنيه ، فمات بعد قليل .

فلما انصرف وفد بني حنيفة إلى اليمامة ادعى مسيلمة الكذاب النبوة وشهد له الرجال بن عنفوة بأن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر معه فاتبعه بنو حنيفة وغيرهم ممن باليمامة ، وكتب إلى رسول الله ﷺ مع عبادة بن الحارث أحد بني عامر بن حنيفة ، وهو ابن النواحة الذي قتله عبد الله بن مسعود بالكوفة،وبلغه أنه وجماعة معه يؤمنون بكذب مسيلمة : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول

الله ، أما بعد فإن لنا نصف الأرض،ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً لا ينصفون والسلام عليك .

وكتب عمرو بن الجارود الحنفي .

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد النبي إلى مسيلمة الكذاب .

أما بعد فـ ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾(١) ، والسلام على من اتبع الهدى . وكتب أُبيّ بن كعب :

فلما توفي رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر فأوقع بأهل الردة من أهل نجد وما والاه في أشهر يسيرة بعث خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي إلى اليمامة وأمره بمحاربة الكذاب مسيلمة ، فلما شارفها ظفر بقوم من بني حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة بن سلمى ، فقتلهم واستبقى مجاعة وحمله معه موثقاً ، وعسكر خالد على ميل من اليمامة فخرج إليه بنو حنيفة،وفيهم الرجال ومحكم ابن الطفيل بن سبيع ، الذي يقال له محكم اليمامة ، فرأى خالد البارقة فيهم ، فقال : يامعشر المسلمين قد كفاكم الله مؤنة عدوكم ألا ترونهم وقد شهر بعضهم السيوف على بعض وأحسبهم قد اختلفوا ووقع بأسهم بينهم ، فقال مجاعة وهو في حديدة : كلا ولكنها الهندوانية خشوا تحطمها فأبرزوها الشمس لتلين متونها .

ثم التقى الناس فكان أول من لقيهم الرجال بن عنفوة فقتله الله ، واستشهد وجوه الناس وقراء القرآن ، ثم إن المسلمين فاؤوا وثابوا فأنزل الله عليهم نصره ، وهزم أهل اليمامة فاتبعوهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً ، ورمى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أخو عائشة لأبيها محكماً بسهم فقتله ، وألجأوا

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية : ١٢٨ .

الكفرة إلى الحديقة فسميت يومئذ حديقة الموت، وقتل الله مسيلمة في الحديقة.

فبنو عامر بن لؤي بن غالب يقولون : قتله خداش بن بشير بن الأصم أحد بني معيص بن عامر بن لؤي ، وبعض الأنصار يقولون : قتله عبد الله بن زيد ابن ثعلبة أحد بني الحارث بن الخزرج وهو الذي أري الأذان، وبعضهم يقول: قتله أبو دجانة سماك بن خرشة ثم استشهد ، وقال بعضهم : بل قتله عبد الله بن زيد بن عاصم أخو حبيب بن زيد من بني مبذول من بني النجار ، وقد كان مسيلمة قطع يدي حبيب ورجليه ، وكان وحشي بن حرب الحبشي قاتل حمزة رضي الله عنه يدعي قتله ويقول : قتلت خير الناس وشر الناس .

وقال قوم : إن هؤلاء جميعاً شركوا في قتله ، وكان معاوية بن أبي سفيان يدعي أنه قتله ، ويدعى ذلك له بنو أمية .

حدثني أبو حفص الدمشقي ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم عن خالدبن دهقان عن رجل حضر عبد الملك بن مروان سأل رجلاً من بني حنيفة ممن شهد وقعة اليمامة عن قاتل مسيلمة فقال: قتله رجل من صفته كذا وكذا، فقال عبد الملك : قضيت والله لمعاوية بقتله .

قال : وجعل الكذاب يقول حين أخذ منه بالخنق : يا بني حنيفة قاتلوا عن أحسابكم فلم يزل يعيدها حتى قتله الله .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كفرت العرب فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيهم، ثم قال : والله لا أنتهي حتى أناطح مسيلمة ، فقالت الأنصار : هذا رأي تفردت به لم يأمرك به أبو بكر ، ارجع إلى المدينة حتى نريح كراعنا ، فقال : والله لا أنتهي حتى أناطحه ، فرجعت عنه الأنصار ، ثم قالوا : ماذا صنعنا لئن ظهر أصحابنا لقد خسنا ولئن هربوا لقد خذلناهم ، فرجعوا ومضوا معه، فالتقى المسلمون والمشركون ، فولى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال ، فقام السائب

ابن العوام ، فقال : أيها الناس قد بلغتم الرحال فليس لامرىء مفر بعد رحله ، فهزم الله المشركين ، وقتل مسيلمة ، وكان شعارهـــم يومئذ يا أصحاب سورة البقرة .

وحدثني بعض أهل اليمامة أن رجلا كان مجاوراً في بني حنيفـــة فلما قتل محكم أنشأ يقول :

فإن أنج منهـا أنج عظيمة   وإلا فإني شارب كأس محكم

قالوا : وكانت الحرب قد نهكت المسلمين وبلغت منهم ، فقال مجاعة لخالد : إن أكثر أهل اليمامة لم يخرجوا لقتالكم ، وإنما قتلتم منهم القليل ، وقد بلغوا منكم ما أرى ، وأنا مصالحك عنهم ، فصالحه على نصف السبي ونصف الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع .

ثم إن خالداً توثق منه وبعثه إليهم ، فلما دخل اليمامـة أمر الصبيان والنساء ومن باليمامة من المشايخ أن يلبسوا السلاح ويقوموا على الحصون ففعلوا ذلك ، فلم يشك خالد والمسلمون حين نظروا إليهم أنهم مقاتلة ، فقالوا : لقد صدقنا مجاعة ثم إن مجاعة خرج حتى أتى عسكر المسلمين فقال: إن القوم لم يقبلوا ماصالحتك عليه عنهم واستعدوا لحربك وهذه حصون العرض مملوءة رجالاً ولم أزل بهم حتى رضوا بأن يصالحوا على ربع السبي،ونصف الصفراءوالبيضاء والحلقة والكراع، فاستقر الصلح على ذلك ورضي خالد به وأمضاه ، وأدخل مجاعة خالداً اليمامة ، فلما رأى من بقي بها قال : خدعتني يا مجاع .

وأسلم أهل اليمامة فأخذت منهم الصدقة ، وأتى خـــالداً كتاب أبي بكر رضي الله عنه بانجاد العلاء بن الحضرمي،فسار إلى البحرين واستخلف على اليمامة سمرة بن عمرو العنبري ، وكان فتح اليمامة سنة اثني عشرة .

حدثني أبو رباح اليمامي ، قال : حدثني أشياخ من أهل اليمامة أن مسيلمة الكذاب كان قصيراً شديد الصفرة أخنس الأنف أفطس ، يكنى أبا ثمامـة ،

وقال غيره : كان يكنى أبا ثمـــالة ، وكان له مؤذن يسمى حجيرا ، فكان إذا أذن يقول : أشهد أن مسيلمة يزعم أنـــه رسول الله ، فقال : أفصح حجير ، فمضت مثلاً .

وكان ممن استشهد باليمامة أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعـــة بن عبد شمس واسمه هشيم ويقال مهشم، وسالم مولى أبي حذيفة ويكنى أبا عبد الله وهو مولى ثبيتة بنت يعار الانصارية ، وبعض الرواة يقول نبيثة وهي امرأة ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وعبد الله وهو الحكم بن سعيد بن العاصي بن أمية ويقال : انه قتل يوم مؤتة ، وشجاع بن وهب الأسدي حليف بني أمية، يكنى أبا وهب ، والطفيل بن عمرو الدوسي من الأزد، ويزيد بن رقيش الأسدي حليف بني أمية ، ومخرمة بن شريح الحضرمي حليف بني أميــة ، والسائب بن العوام أخو الزبير بن العوام ، والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي ، والسائب بن عثمان بن مظعون الجمحي ، وزيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب يقال قتله أبو مريم الحنفي واسمه صبيح بن محرش ، وقال ابن الكلبي قتله لبيد بن برغث العجلي ، فقدم بعـد ذلك على عمر رضي الله عنه فقال : أنت الجوالق ؟ - واللبيد ، هو الجوالق - وكان زيد يكنى أبا عبدالرحمن وكان أسن من عمر ، وقال بعضهم اسم أبي مريم إياس بن صبيح وهو أول من قضى بالبصرة زمن عمر ، وتوفي بسنبيل [1] من الأهواز، وأبو قيس بن الحارث بن عدي بن سهم ، وعبدالله ابن الحارث بن قيس، وسليط بن عمرو أخو سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ، وإياس بن البكير الكناني .

ومن الأنصار عباد بن الحارث بن عدي أحد بني جحجبي من الأوس، وعباد ابن بشر بن وقش الأشهلي من الأوس ، ويكنى أبا الربيع ، ويقال إنه كان يكنى أبا بشر ، ومالك بن أوس بن عتيك الأشهلي ، وأبو عقيل بن عبدالله بن

---

(١) كورة من أعمال خوزستان متاخمة لفارس . معجم البلدان .

ثعلبة بن بيحان البلوي حليف بني جحجبي ، كـان اسمه عبد العزى فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن عدو الأوثان، وسراقة بن كعب بن عبد العزى النجاري من الخزرج ، وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان النجاري، ويقال إنه مات زمن معاوية ، وحبيب بن عمرو بن محصن النجاري ، ومعن بن عدي بن الجـد بن العجلان البلوي من قضاعة ، حليف الأنصار، وثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير خطيب النبي ﷺ ، أحد بني الحارث بن الخزرج ويكنى أبا محمد وكان على الأنصار يومئذ وأبو حنة بن غزية بن عمرو أحد بني مازن بن النجـار ، والعاصي بن ثعلبة الدوسي من الأزد حليف الأنصار، وأبو دجانة سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان الساعدي من الخزرج ، وأبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ، ويقال إنه مات سنة ستين بالمدينة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك ، وكان اسمه الحباب فسماه رسول الله ﷺ باسم أبيه ، وكان أبوه منافقاً: وهو الذي يقال له ابن أبي بن سلول ، وسلول أم أبي ، وهي خزاعية نسب إليها ، وأبوه مالك بن الحارث أحـد بني الخزرج ، ويقال انه استشهد يوم جواثا من البحرين ، وعقبة بن عامر بن نابي من بني سلمة من الخزرج، والحارث بن كعب ابن عمرو أحد بني النجار .

وكان رسول الله ﷺ بعث حبيب بن زيـد بن عاصم أحد بني مبذول ابن عمرو بن غَنْم بن مـازن بن النجار ، وعبـد الله بن وهب الأسلمي إلى مسيلمة فلم يعرض لعبد الله وقطع يدي حبيب ورجليـه ، وأم حبيب نسيبة بنت كعب .

وقال الواقدي : إنما أقبل مع عمرو بن العاصي من عُمان فكتفهما مسيلمة ، فنجا عمرو ومن معه غير هذين فأخذا ، وقاتلت نسيبة يوم اليمامة فانصرفت وبها جراحات وهي أم حبيب ، وعبد الله بن زيد ، وقد قاتلت يوم أحد أيضاً وهي إحدى المرأتين المبايعتين يوم العقبة ، واستشهد يوم اليمامـة عائذ بن ماعص

الزرقي من الخزرج ، ويزيد بن ثابت الخزرجي أخو زيد بن ثابت صاحب الفرائض .

وقد اختلفوا في عدة من استشهد باليمامة فأقل ما ذكروا من مبلغها سبعمائة، وأكثر ذلك ألف وسبعمائة ، وقال بعضهم : ان عدتهم ألف ومائتان[١] .

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا الحارث بن مرة الحنفي عن هشام بن اسماعيل : أن مجاعة اليمامي أتى رسول الله ﷺ فأقطعه رسول الله ﷺ وكتب له كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجاعة بن مرارة بن سلمى .

إني أقطعتك الغورة وغرابة والحبل[٢] فمن حاجك فإليّ .

« الغورة » قرية الغرابات تلت قارات .

قال : ثم وفد بعدما قبض النبي ﷺ ، على أبي بكر ، فأقطعه الخضرمة[٣] ثم قدم على عمر فأقطعه الرياء ، ثم قدم على عثمان فأقطعه قطيعة ، قال الحارث : لا أحفظ اسمها .

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا أبو أيوب الدمشقي عن سعدان بن يحيى عن صدقة بن أبي عمران عن أبي إسحاق الهمداني « عن عدي بن حاتم أن رسول الله ﷺ أقطع فرات بن حيان العجلي أرضاً باليمامة [٤] » .

حدثني محمد بن ثمال اليمامي عن أشياخهم ، قال : سميت الحديقة حديقة الموت لكثرة من قتل بها .

---

(١) انظر ابن حبيش : ٦١ – ١٠٤ .

(٢) أماكن من بلاد اليمامة .

(٣) بلد باليمامة .

(٤) الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٣٩٥ – ٣٩٦ .

قال : وقد بنى إسحاق بن أبي خميصة مولى قيس فيها أيام المأمون مسجداً جامعاً ، وكانت الحديقة تسمى أباض .

وقال محمد بن ثمال : قصر الورد نسب إلى الورد بن السمين بن عبيد الحنفي .

وقال غيره : سمى الحصن معتقاً لحصانته ، يريدون أن من لجأ إليه عتق من عدوه .

وقال الرياعين منها شرب الصعفوقة وهي ضيعة نسبت إلى وكيل كان عليها يقال له صعفوق ، وشرب الخبيبة والخضرمة منها .

★ ★ ★

خبر ردة العرب
في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قالوا : لما استخلف أبو بكر – رحمه الله – ارتدت طوائف من العرب ومنعت الصدقة . وقال قوم منهم : نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لو منعوني عقالاً لقاتلتهم ، وبعض الرواة يقول: لو منعوني عناقاً [١] . « والعقال » صدقة السنة .

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن يحيى بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جرير بن يزيد عن الشعبي ، قال : قال عبد الله بن مسعود : لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبي بكر اجتمع رأينا جميعاً على أن لا نقاتل على بنت مخاض وابن لبون وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، وعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على قتالهم ، فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية: فأما الخطة المخزية فإن أقروا بأن من قتل منهم في النار وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم .

حدثنا إبراهيم بن محمد عن عرعرة ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : أخبرنا سفيان الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب ، قال : قدم وفد بزاخة [٢] على أبي بكر فخيرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية ،

---

(١) العناق زكاة عامين ، والعقال زكاة عام . القاموس .

(٢) بزاخة ماء لبني أسد . وانظر ما سلف في مغازي ابن حبيش: ٣٢–٤٠ .

فقالوا : قد عرفنا الحرب المجلية فما السلم المخزية ، قال : أن ننزع منكم الحلقة والكراع ، ونغنم ما إصبنا منكم ، وتردوا إلينا ما أصبتم منا ، وتدوا قتلانا ، ويكون قتلاكم في النار .

حدثنا شجاع بن مخلد الفلاس،قال : حدثنا بشر بن المفضل مولى بني رقاش، قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عمته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت:توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها،اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فوالله ما اختلفوا في واحدة إلا طار أبي بحظها وغنائها عن الإسلام [١] .

قالوا: فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى القصة [٢]من أرض محارب لتوجيه الزحوف إلى أهل الردة ومعه المسلمون،فصار إليهم خارجة بن الحصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري ومنظور بن زبان بن سيار الفزاري أحد بني العشراء في غطفان فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم المشركون واتبعهم طلحة بن عبيد الله التيمي ، فلحقهم بأسفل ثنايا عوسجة فقتل منهم رجلاً وفاته الباقون فأعجزوه هرباً،فجعل خارجة بن حصن يقول : ويل للعرب من ابن أبي قحافة .

ثم عقد أبو بكر وهو بالقصة لخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي على الناس ، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وهو أحد من استشهد يوم اليمامة ، إلا أنه كان من تحت يد خالد ، وأمر خالداً أن يصمد لطليحة بن خويلد الأسدي وكان قد ادعى النبوة وهو يومئذ ببزاخة مـاء لبني أسد بن خزيمة فسار إليه خالد ، وقدم أمامه عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني عبد

---

(١) انظره في تاريخ خليفة : ١ / ٨٠ .

(٢) ذو القصة موضع بينه وبين المدينة أربع وعشرين ميلاً .

شمس ، وثابت بن أقـــرم البلوي حليف الأنصار ، فلقيهما حبال بن خويلد فقتلاه ، وخرج طليحة ومسلمة أخوه وقد بلغهما الخبر فلقيا عكاشة وثابتـــاً فقتلاهما فقال طليحة :

ذكرت أخي لما عرفت وجوههم وأيقنت أني ثائر بحبـــال
عشية غادرت ابن أقرم ثاويا وعكاشة الغنمي عنـــد مجال

ثم التقى المسلمون وعدوهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان عُيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر مع طلحة في سبعمائة من بني فزارة ، فلمـــا رأى سيوف المسلمين قـــد استلحمت المشركين أتاه فقال له : أما ترى ما يصنع جيش أبي الفصيل [1] فهل جاءك جبريل بشيء ؟ قال : نعم جاءني فقال : إن لك رحـا كرحاه ويوماً لا تنساه ، فقال عُيينة : أرى والله أن لك يوماً لا تنساه،يا بني فزارة هذا كذاب ، وولى عن عسكره ، فانهزم الناس وظهر المسلمون ، وأسر عُيينة بن حصن فقدم بـــه المدينة فحقن أبو بكر دمه ، وخلى سبيله، وهرب طليحة بن خويلد فدخل خباء له فاغتسل وخرج فركب فرسه، وأهلّ بعمرة ، ثم مضى إلى مكة ، ثم أتى المدينة مسلماً،وقيل بل أتى الشام فأخذه المسلمون ممن كان غازياً وبعثوا به إلى أبي بكر بالمدينة فأسلم، وأبلى بعد في فتح العراق ونهاوند ، وقال له عمر : أقتلت العبد الصالح عكاشة بن محصن ، فقال : إن عكاشة بن محصن سعد بي وشقيت به وأنا أستغفر الله .

وأخبرني داود بن حبال الأسدي عن أشياخ من قومه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لطليحة : أنت الكذاب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً فاذكروا الله أعفة قياماً فإن الرغوة فوق الصريح ، فقال يا أمير المؤمنين : ذلك من فتن الكفر الذي هدمـه الإسلام كله ، فلا تعنف علي ببعضه ، فاسكت عمر ، قالوا : وأتى خـــالد بن

(١) أراد أمير المؤمنين الصديق .

الوليد زمان وأبانين [١] وهناك فل بزاخة فلم يقاتلوه وبايعوه لأبي بكر .

وبعث خالد بن الوليد هشام بن العاصي بن وائل السهمي وأخا عمرو بن العاصي، وكان قديم الإسلام وهو من مهاجرة الحبشة إلى بني عامر بن صعصعة ، فلم يقاتلوه ، وأظهروا الإسلام والأذان فانصرف عنهم .

وكان قرة بن هبيرة القشيري امتنع من أداء الصدقة وأمدّ طليحة فأخذه هشام بن العاصي ، وأتى به خالداً فحمله إلى أبي بكر ، فقال : والله ماكفرت مذ آمنت ولقد مرّ بي عمرو بن العاصي منصرفاً من عمان فأكرمته وبررته ، فسأل أبو بكر عَمْراً رضي الله عنهما عن ذلك فصدقه فحقن أبو بكر دمه .

ويقال : إن خالداً كان سار إلى بلاد بني عامر ، فأخذ قرة وبعث به إلى أبي بكر .

قال : ثم سار خالد بن الوليد إلى الغمر [٢] وهناك جماعة من بني اسد وغطفان وغيرهم وعليهم خارجة بن حصن بن حذيفة ، ويقال انهم كانوا متساندين قد جعل كل قوم عليهم رئيساً منهم قاتلوا خالداً والمسلمين فقتلوا منهم جماعة وانهزم الباقون ، وفي يوم الغمر يقول الحطيئة العبسي :

ألا كل أرماح قصار أذلة ... فداء لأرماح الفوارس بالغمر [٣]

ثم أتى خالد حنو قراقر [٤] ، ويقال أتى النقرة [٥] وكان هناك جمع لبني سُلَيم عليهم أبو شجرة عمرو بن عبد العزى السلمي ، وأمه الخنساء فقاتلوه

---

(١) زمان اسم قبيلة من أسد ، وأبانين جبل لأسد . معجم البلدان .

(٢) الغمر ماء من مياه أسد . معجم البلدان .

(٣) ديوان الحطيئة — ط . دار صادر بيروت : ١٤٢ .

(٤) من وديان بلاد أسد قريباً من جبلي طيء ويقال: موضع حول ذي قار. معجم البلدان .

(٥) من ديار فزارة . معجم البلدان .

فاستشهد رجل من المسلمين ، ثم فض الله جمع المشركين ، وجعل خالد يومئذ يحرق المرتدين ، فقيل لأبي بكر في ذلك ، فقال : لا أشيم سيفاً سله الله على الكفار [١] .

وأسلم أبو شجرة فقدم على عمر وهو يعطي المساكين ، فاستعطاه فقال له : ألست القائل :

ورويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

وعلاه بالدرة فقال : قد محا الإسلام ذلك يا أمير المؤمنين [٢] .

قالوا : وأتى الفجاءة وهو بجير بن اياس بن عبد الله السلمي أبا بكر فقال : احملني وقوني أقاتل المرتدين فحمله وأعطاه سلاحاً، فخرج يعترض الناس فيقتل المسلمين والمرتدين ، وجمع جمعاً . فكتب أبو بكر إلى طريفة بن حاجر أخي معن بن حاجر يأمره بقتاله فقاتله وأسره ابن حاجر فبعث به إلى أبي بكر ، فأمر أبو بكر بإحراقه في ناحية المصلى [٣] .

ويقال : إن أبا بكر كتب إلى معن في أمر الفجاءة فوجه معن إليه طريفة أخاه فأسره .

ثم سار خالد إلى من بالبُطاح [٤] والبعوضة من بني تميم فقاتلوه ففض جمعهم وقتل مالك بن نويرة أخا متمم بن نويرة وكان مالك عاملاً للنبي ﷺ على صدقات بني حنظلة ، فلما قبض ﷺ خلى ما كان في يده من الفرائض وقال : شأنكم بأموالكم يابني حنظلة ، وقد قيل : إن خالداً لم يلق بالبطاح والبعوضة

---

(١) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ٣٢ - ٥١ .

(٢) انظر مغازي ابن حبيش : ١١٠ - ١١١ .

(٣) انظر مغازي ابن حبيش : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) البطاح ماء في ديار بني أسد بن خزيمة . والبعوضة ماء لأسد بنجد به كان مقتل مالك بن نويرة . معجم البلدان .

أحداً ، ولكنه بث السرايا في بني تميم وكان منها سرية عليها ضرار بن الأزور الأسدي ، فلقي ضرار مالكاً فاقتتلوا وأسره وجماعة معه،فأتى بهم خالداً فأمر بهم فضربت أعناقهم ، وتولى ضرار ضرب عنق مالك .

ويقال : إن مالكاً قال لخالد : إني والله ما ارتددت ، وشهد أبو قتادة الأنصاري أن بني حنظلة وضعوا السلاح وأذنوا ، فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما : بعثت رجلاً يقتل المسلمين ويعذب بالنار .

وقد روى أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له : ما بلغ من وجدك على أخيك مالك قال: بكيته حولاً حتى أسعرت[1] عيني الذاهبة عيني الصحيحة وما رأيت ناراً إلا كدت انقطع لها أسفاً عليه، لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف فلا يعرف مكانه .

قال : فصفه لي ، قال : كان يركب الفرس الجرور، ويقود الجمل الثفال وهو بين المزادتين النضوحين في الليلة القرة ، وعليه شملة فلوت،معتقلاً رمحاً خطلاً [2] فيسرى ليلته ثم يصبح ، وكان وجهه فلقة قمر ، قال : فأنشدني بعض ماقلت فيه فأنشده مرثيته التي يقول فيها :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل: لن يتصدعا

فقال عمر : لو كنت أحسن قول الشعر لرثيت أخي زيداً ، فقال متمم : ولا سواء يا أمير المؤمنين : لو كان أخي صرع مصرع أخيك ما بكيته فقال عمر ماعزاني أحد بأحسن مما عزيتني [3] .

قالوا : وتنبأت أم صادر سجاح بنت أوس بن أسامة بن العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : هي سجاح بنت الحارث بن

---

(١) أي أصابتها بالعدوى . القاموس .

(٢) أي رمحاً طويلاً .

(٣) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ٤٨ – ٥١ .

عقفان بن سويد بن خالد بن أسامة ، وتكهنت فاتبعها قوم من بني تميم ، وقوم من أخوالها بني تغلب ، ثم إنها سجعت ذات يوم فقالت : إن رب السحاب ، يأمركم أن تغزوا الرباب ، فغزتهم فهزموها ولم يقاتلها أحد غيرهم .

فأتت مسيلمة الكذاب وهو بحجر فتزوجته وجعلت دينها ودينه واحداً. فلما قتل صارت إلى أخوالها فماتت عندهم .

وقال ابن الكلبي : أسلمت سجاح ، وهاجرت إلى البصرة وحسن إسلامها.

وقال عبد الأعلى بن حماد النرسي : سمعت مشايخ من البصريين يقولون : إن سمرة بن جندب الفزاري صلى عليها ، وهو يلي البصرة من قبل معاوية ، قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة .

وقال ابن الكلبي : كان مؤذن سجاح الجنبة بن طارق بن عمرو بن حوط الرياحي ، وقوم يقولون : ان شبث بن ربعي الرياحي كان يؤذن لها [1] .

قالوا : وارتدت خولان باليمن، فوجه أبو بكر إليهم يعلى بن مُنية ، وهي أمه ، وهي من بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر ، وأبوه أمية بن أبي عبيدة من ولد مالك بن حنظلة بن مالك حليف بني نوفل ابن عبد مناف ، فظفر بهم ، وأصاب منهم غنيمة وسبايا ، ويقال : لم يلق حرباً فرجع القوم إلى الإسلام .

(١) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ٥٦ — ٥٨ .

ردة بني وليعة والأشعث بن قيس
ابن معدي كرب بن معاوية الكندي

قالوا: ولى رسول الله ﷺ زياد بن لبيد البياضي، من الأنصار، حضرموت، ثم ضم إليه كندة. ويقال، إن الذي ضم إليه كندة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان زياد بن لبيد رجلاً حازماً صلباً، فأخذ في الصدقة من بعض كندة قلوصاً، فسأله الكندي ردها عليه، وأخذ غيرها وكان قد وسمها بميسم الصدقة فأبى ذلك، وكلمه الأشعث بن قيس فيه فلم يجبه، وقال: لست براد شيئاً قد وقع الميسم عليه، فانتقضت عليه كندة كلها إلا السكون فإنهم كانوا معه فقال شاعرهم:

ونحن نصرنا الدين إذ ضل قومنا شقاء، وشايعنا ابن أم زياد
ولم نبغ عن حق البياضي مزحلا وكان تقى الرحمن أفضل زاد

وجمع له بنو عمرو بن معاوية بن الحارث الكندي، فبيتهم فيمن معه من المسلمين فقتل منهم بشراً فيهم: «مخوس ومشرح وجمد وأبضعة» بنو معدي كرب ابن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرد، «والقرد: الجواد في كلامهم» ابن الحارث بن الولادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث، وكانت لهؤلاء الأخوة أودية يملكونها فسموا: الملوك الأربعة، وكانوا وفدوا على النبي ﷺ، ثم ارتدوا، وقتلت أخت لهم يقال لها العمردة وقاتلها يحسبها رجلاً.

ثم إن زياداً أقبل بالسبي والأموال، فمر على الأشعث بن قيس وقومه فصرخ النساء والصبيان وبكوا فحمي الأشعث أنفاً، وخرج في جماعة من قومه فعرض لزياد ومن معه، فأصيب ناس من المسلمين، ثم هزموهم فاجتمعت عظماء كندة إلى الأشعث بن قيس.

فلما رأى زياد ذلك كتب إلى أبي بكر يستمده، وكتب أبو بكر إلى المهاجر ابن أبي أمية يأمره بانجاده ، فلقيا الأشعث بن قيس فيمن معهما من المسلمين ففضا جمعه ، وأوقعا بأصحابه فقتلا منهم مقتلة عظيمة . ثم إنهم لجأوا إلى النجير [١] – وهو حصن لهم – فحصرهم المسلمون حتى جهدوا فطلب الأشعث الأمان لعدة منهم وأخرج نفسه من العدة وذلك أن الجفشيش الكندي ، واسمه معدان بن الأسود بن معدي كرب أخذ بحقوه [٢] ، وقال : اجعلني من العدة فأدخله ، وأخرج نفسه، ونزل إلى زياد بن لبيد والمهاجر فبعثا به إلى أبي بكر الصديق فمنّ عليه ، وزوجته أخته أم فروة بنت أبي قحافة فولدت له: محمداً، وإسحق ، وقريبة وحبابة ، وجعدة ، وبعضهم يقول : زوجة أخته قريبة .

ولما تزوجها أتى السوق[٣] فلم يرها جزوراً إلا كشف عرقوبيها وأعطى ثمنها وأطعمها الناس، وأقام بالمدينة ثم سار إلى الشام والعراق غازياً، ومات بالكوفة، وصلى عليه الحسن [٤] بن علي بن أبي طالب بعد صلحه معاوية، وكان الأشعث يكنى أبا محمد ويلقب « عرف الباز » [٥] .

وقال بعض الرواة : ارتد بنو وليعة قبل وفاة النبي ﷺ ، فلما بلغت زياد ابن لبيد وفاته ﷺ دعا الناس إلى بيعة أبي بكر ، فبايعوه خلا بني وليعة فبيتهم وقتلهم ، وارتد الأشعث وتحصن في النجير ، فحاصره زياد بن لبيد والمهاجر ، اجتمعا عليه، وأمدهما أبو بكر رضي الله عنه بعكرمة بن أبي جهل

---

(١) حصن باليمن قرب حضرموت . معجم البلدان .

(٢) هو في بغية الطلب لابن العديم بتحقيقي . ط . دمشق ١٩٨٨ : ١٩٠٨ « جحدم » وثب على الأشعث « بشفرة وقال : نفسك أو تكتبني ، فكتبه وترك نفسه » .

(٣) سوق المدينة المنورة .

(٤) تزوج الحسن رضي الله عنه ابنة الأشعث ، وقد اتهمت بدس السم له .

(٥) كلام يماني يسمون به الغادر . بغية الطلب : ١٩٠٩ .

بعد انصرافه من عُمان ، فقدم عليها ، وقد فتح النجير ،فسأل أبو بكر المسلمين أن يشركوه في الغنيمة ، ففعلوا .

قالوا : وكان بالنجير نسوة شمتن بوفاة رسول الله ﷺ ، فكتب أبو بكر رضي الله عنه في قطع أيديهن وأرجلهن ، منهن الشجاء الحضرمية ، وهند بنت يامين اليهودية .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثني عبد الرزاق بن همام اليماني عن مشايخ حدثوه من أهل اليمن أن رسول الله ﷺ ولى خالد بن سعيد بن العاصي صنعاء ، فأخرجه العنسي الكذاب عنها ، وأنه ولى المهاجر بن أبي أمية على كندة ، وزياد بن لبيد الأنصاري على حضرموت ، والصدف ، وهم ولد مالك بن مرتع بن معاوية بن كِندَة ، وإنما سمي صدفاً لأن مرتعاً تزوج حضرمية ،وشرط لها أن تكون عنده ، فإذا ولدت ولداً لم يخرجها من دار قومها ،فولدت له مالكاً فقضى الحاكم عليه بأن يخرجها إلى أهلها ،فلما خرج مالك عنه معها قال : صدف عني مالك فسمي الصدف .

وقال عبد الرزاق : فأخبرني مشايخ من أهل اليمن ،قالوا : كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أمية المخزومي ، وهو يومئذ على كندة يأمرهما أن يجتمعا فتكون أيديهما يدا ، وأمرهما واحداً فيأخذا له البيعة ويقاتلا من امتنع من أداء الصدقة ، وأن يستعينا بالمؤمنين على الكافرين وبالمطيعين على العاصين والمخالفين ، فأخذا من رجل من كِندَة في الصدقة بكرة من الإبل ، فسألهما أخذ غيرها فساعه المهاجر ، وأبى زياد إلا أخذها ، وقال : ما كنت لأردها بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة ، فجمع بنو عمرو بن معاوية جمعاً ،فقال زياد بن لبيد للمهاجر : قد ترى هذا الجمع وليس الرأي أن نزول جميعاً عن مكاننا ، ولكن انفصل عن العسكر في جماعة فيكون ذلك أخفى للأمر وأستر ، ثم أبيت هؤلاء الكفرة ، وكان زياد حازماً صلباً ، فصار إلى بني عمرو وألفام

في الليل فبيتهم فأتى على أكثرهم، وجعل بعضهم يقتل بعضاً، ثم اجتمع والمهاجر ومعهما السبي والأسارى ، فعرض لهما الأشعث بن قيس ووجوه كندة ، فقاتلاهم قتالاً شديداً ، ثم إن الكنديين تحصنوا بالنجير فحاصراهم حتى جهدهم الحصار وأضر بهم، ونزل الأشعث على الحكم .

قالوا : وكانت حضرموت أتت كندة منجدة لها فواقعهم زياد والمهاجر فظفرا بهم ، وارتدت خولان فوجه إليهم أبو بكر يعلى بن منية فقاتلهم حتى أذعنوا وأقروا بالصدقة.

ثم أتى المهاجر كتاب أبي بكر بتوليته صنعاء ومخاليفها ، وجمع عمله لزياد إلى ما كان في يده فكانت اليمن بين ثلاثة : المهاجر ، وزياد ، ويعلى ، وولي أبو سفيان بن حرب ما بين آخر حد الحجاز وآخر حد نجران .

وحدثني أبو التمار ، قال : حدثني شريك قال: أنبأنا إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي ، قال : ارتد الأشعث بن قيس الكندي في ناس من كندة ، فحوصروا ، فأخذ الأمان لسبعين منهم ، ولم يأخذه لنفسه ، فأتي به أبو بكر فقال : إنا قاتلوك لأنه لا أمان لك ، إذ أخرجت نفسك من العدة ، فقال : بل تمن علي يا خليفة رسول الله وتزوجني ففعل وزوجه أخته [١] .

وحدثني القاسم بن سلام أبو عبيد ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح، كاتب الليث بن سعد ، عن علوان بن صالح ، عن صالح بن كيسان ، عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن عوف عن أبي بكر الصديق أنه قال: ثلاث تركتهن وودت أني لم أفعل ، وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس ضربت عنقه فإنه تخيل إلي أنه لا يرى شراً إلا سعى فيه وأعان عليه ، ووددت أني يوم أتيت بالفجاءة قتلته ولم أحرقه ، ووددت أني حيث وجهت خالداً إلى الشام

---

(١) كان قد خطبها من قبل حين وفد إلى المدينة قبل وفاة النبي ﷺ .

بقية الطلب : ١٩٠٩ .

وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فأكون قد بسطت يميني وشمالي جميعاً في سبيل الله .

أخبرني عبد الله بن صالح العجلي ، عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن فراس أو بنان ، عن الشعبي أن أبا بكر رد سبايا النجير بالفداء لكل رأس أربعمائة درهم ، وأن الأشعث بن قيس استسلف من تجار المدينة فداءهم ففداهم ثم رده لهم ، وقال الأشعث بن قيس يرثي بشير بن الأودح ، وكان ممن وفد على رسول الله ﷺ ثم ارتد ويزيد بن أماناة ومن قتل يوم النجير :

لعمري ومـــا عمري على بهين … لقد كنت بالقتلى أحق ضنين
فلا غرو إلا يوم يقسم سبيهم … وما الدهر عندي بعدهم بأمين
وكنت كذات البو[١] ريعت فأقبلت … على بوهـــا إذ طربت بحنين
عن ابن أماناة الكريم وبعده … بشير الندى فليجر دمع عيون[٢]

أمر الأسود العنسي ومن ارتد معه باليمن

قالوا : كان الأسود بن كعب بن عوف العنسي قد تكهن[٣]، وادعى النبوة فاتبعه عنس ، واسم عنس زيد بن مالك بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد

---

(١) البو : ولد الناقة ، وجلد الحوار يحشى ثمامـــا أو تبناً فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر . القاموس .

(٢) انظر بغية الطلب : ١٩٠٣ مع فوارق شديدة . ومن أجل ردة كندة انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١٣١ – ١٤١ .

(٣) شهر بـ «عبهلة» وهو لقب له مضامين تدل على الكهانـة ، وكان بالوقت نفسه من أقيال اليمن . انظر مادة « قيل » في النهاية لابن الأثير ، ومادة «عبهل» في القاموس .

ابن كهلان بن سبأ ، وعنس أخو مراد بن مالك ، وخالد بن مالك وسعد العشيرة بن مالك ، واتبعه أيضاً قوم من غير عنس، وسمى نفسه رحمان اليمن كما تسمى مسيلمة رحمان اليمامة ، وكان له حمار [١] معلم يقول له : اسجد لربك فيسجد ، ويقول له : أبرك فيبرك فسمي ذا الحمار ، وقال بعضهم : هو ذو الخمار لأنه كان متخمراً معتماً أبداً ، وأخبرني بعد أهل اليمن أنه كان أسود الوجه فسمى الأسود للونه وأن اسمه عبهلة .

قالوا : فبعث رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي في السنة التي توفي رسول الله ﷺ فيها ، وفيها كان إرسال جرير الى الأسود يدعوه إلى الإسلام فلم يجبه ، وبعض الرواة ينكر بعث النبي ﷺ جريراً إلى اليمن .

قالوا : وأتى الأسود صنعاء فغلب عليها وأخرج خالد بن سعيد بن العاصي عنها ، ويقال : إنه انما أخرج المهاجر بن أبي أمية وانحاز إلى ناحية زياد بن لبيد البياضي ، وكان عنده حتى أتاه كتاب أبي بكر يأمره بمعاونة زياد، فلما فرغ من أمرهما ولاه صنعاء وأعمالها ، وكان الأسود متجبراً ، فاستذل الأبناء، وهم أولاد أهل فارس الذين وجههم كسرى إلى اليمن مع ابن ذي يزن ، وعليهم وهرز واستخدمهم فأضر بهم ، وتزوج المرزبانة امرأة باذام ملكهم ، وعامل أبرويز عليهم فوجه رسول الله ﷺ قيس بن هبيرة المكشوح المرادي لقتاله ، وإنما سمى المكشوح لأنه كوي على كشحه من داء كان به،وأمره باستمالة الأبناء وبعث معه فروة بن مُسيك المرادي ، فلما صار إلى اليمن بلغتهما وفاة رسول الله ﷺ فأظهر قيس للأسود أنه على رأيه حتى خلى بينه وبين دخول صنعاء ، فدخلها في جماعة من مذحج وهمدان وغيرهم ، ثم استمال فيروز بن الديلمي أحد الأبناء ، وكان فيروز قد أسلم ثم أتيا باذام رأس الأبناء ، ويقال: إن باذام

---

(١) للحمار مكانة كبيرة في تاريخ الكهنة وأصحاب الحركات الدينية.

قد كان مات ورأس الأبناء بعده خليفة له يسمى داذويه ، وذلك أثبت .

فأسلم داذويه ولقي قيس ثابت بن ذي الحرة الحميري، فاستماله وبث داذويه دعاته في الأبناء فأسلموا ، فتطابق هؤلاء جميعاً على قتل الأسود واغتياله، ودسوا إلى المرزبانة امرأته من أعلمها الذي هم عليه وكانت شانئة له ، فدلتهم على جدول يدخل إليه منه فدخلوا سحراً ، ويقال : بل نقبوا جدار بيته بالخل (١) نقباً ، ثم دخلوا عليه في السحر وهو سكران نائم ، فذبحه قيس ذبحاً ، فجعل يخور خوار الثور حتى أفزع ذلك حرسه ، فقالوا : ما شأن رحمان اليمن ؟ فبدرت امرأته فقالت : إن الوحي ينزل عليه فسكنوا وأمسكوا ، واحتز قيس رأسه ثم علا سور المدينة حين أصبح فقال : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن الأسود كذاب عدو الله ، فاجتمع أصحاب الأسود فألقى إليهم رأسه فتفرقوا إلا قليلا ، وخرج أصحاب قيس ففتحوا الباب ووضعوا في بقية أصحاب العنسي السيف فلم ينج إلا من أسلم منهم .

وذكر بعض الرواة أن الذي قتل الأسود العنسي فيروز بن الديلمي، وأن قيساً أجهز عليه واحتز رأسه .

وذكر بعض أهل العلم ان قتل الأسود كان قبل وفاة النبي ﷺ بخمسة أيام ، فقال في مرضه : « قد قتل الله الأسود العنسي قتله الرجل الصالح فيروز ابن الديلمي » وأن الفتح ورد على أبي بكر بعد ما استخلف بعشر ليال .

وأخبرني بكر بن الهيثم ، قال : حدثني ابن أنس اليماني ، عمن أخبره عن النعمان بن برزج أحد الأبناء أن عامل النبي ﷺ الذي أخرجه الأسود عن

---

(١) الخل هنا : الطريق ينفذ في الرمل ، أو النافذ بين رملتين ، أو النافذ في الرمل المتراكم . القاموس . وقارن هذه الرواية برواية ابن حبيش : ١٢٥ .

صنعاء أبان بن سعيـــد بن العاصي ، وأن الذي قتل الأسود العنسي فيروز بن الديلمي ، وأن قيساً وفيروزاً ادعيا قتله وهما بالمدينة ، فقال عمر : قتله هـــذا الأسد يعني فيروز .

قالوا : ثم إن قيساً اتهم بقتل داذويه ، وبلغ أبا بكر أنه على اجلاء الأبناء عن صنعاء فأغضبه ذلك ، وكتب إلى المهاجر بن أبي أميـــة حين دخل صنعاء وهو عامله عليها يأمره بحمل قيس إلى ما قبله ، فلما قدم به عليه أحلفه خمسين يميناً عند منبر رسول الله ﷺ أنه ما قتل داذويه ، فحلف فخلى سبيله ووجهه إلى الشام مع من انتدب لغزو الروم من المسلمين [١] .

* * *

(١) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١٢٤ – ١٣٠ .

فتوح الشام

قالوا : لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أمر أهل الردة ، رأى توجيه الجيوش إلى الشام ، فكتب إلى أهل مكة ، والطائف ، واليمن ، وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد، ويرغبهم فيه ، وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة من كل أوب ، فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال : خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية . وشرحبيل بن حسنة حليف بني جمح، وشرحبيل -فيما ذكر الواقدي- ابن عبد الله بن المطاع الكندي، وحسنة أمه وهي مولاة معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح .

وقال الكلبي: هو شرحبيل بن ربيعة بن المطاع من ولد صوفة، وهم الغوث ابن مر بن أدبن طابخة ، وعمرو بن العاصي بن وائل السهمي، وكان عقده هذه الألوية يوم الخميس المستهل صفر سنة ثلاث عشرة وذلك بعد مقام الجيوش معسكرين بالجرف [١] المحرم كله ، وأبو عبيدة بن الجراح يصلي بهم . وكان أبو بكر أراد أبا عبيدة ان يعقد له فاستعفاه من ذلك ، وقد روى قوم أنه عقد له وليس ذلك بثبت ولكن عمر ولاه الشام كله حين استخلف .

وذكر أبو مخنف أن أبا بكر قال للأمراء :إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وإلا فيزيد بن أبي سفيان ، وذكر أن عمرو بن العاصي إنما كان مدداً للمسلمين وأميراً على من ضم إليه .

قال : ولما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد كره عمر ذلك فكلم أبا بكر في عزله ، وقال : إنه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب ، فعزله أبو

---

(١) على ثلاثة أميال من المدينة باتجاه الشام . معجم البلدان .

بكر ، ووجه أبا أروى الدوسي لأخذ لوائه فلقيه بذي المروة،فأخذ اللواء منه وورد به على أبي بكر ، فدفعه أبو بكر رضي الله عنه إلى يزيد بن أبي سفيان ، فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه ، ويقال : بل سلم إليه اللواء بذي المروة فمضى على جيش خالد ، وسار خالد بن سعيد محتسباً في جيش شرحبيل (١) .

وأمر أبو بكر رضي الله عنه عمرو بن العاصي أن يسلك طريق أيلة عامداً لفلسطين ، وأمر يزيد أن يسلك طريق تبوك ، وكتب إلى شرحبيل أن يسلك أيضاً طريق تبوك ، وكان العقد لكل أمير في بدء الأمر على ثلاثة آلاف رجل، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الإمداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة ثم تتام جمعهم بعد ذلك أربعة وعشرين ألفاً .

وروي عن الواقدي أن أبا بكر ولى عمراً فلسطين ، وشرحبيل الأردن ، ويزيد دمشق ، وقال : إذا كان بكم قتال فأميركم الذي تكونون في عمله .

وروي أيضاً أنه أمر عَمْراً مشافهة أن يصلي بالناس إذا اجتمعوا ، وإذا تفرقوا صلى كل أمير بأصحابه ، وأمر الأمراء ان يعقدوا لكل قبيلة لواء يكون فيهم .

قالوا : فلما صار عمرو بن العاصي إلى أول عمل فلسطين كتب إلى أبي بكر يعلمه كثرة عدد العدو وعدتهم وسعة أرضهم ونجدة مقاتلتهم ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي وهو بالعراق يأمره بالمسير إلى الشام فيقال : إنه جعله أميراً على الأمراء في الحرب .

وقال قوم: كان خالد أميراً على أصحابه الذين شخصوا معه،وكان المسلمون إذا اجتمعوا لحرب أمره الأمراء فيها لبأسه وكيده ويمن نقيبته .

قالوا : فأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزة يقال لها

(١) انظر أيضاً ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١٤٦ – ١٤٨ .

داثن كانت بينهم وبين بطريق غزة،فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً ، ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه وهزم أعداءه وفض جمعهم ، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام ، وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جمعاً للروم ، فوجه إليهم أبا أمامة الصدي بن عجلان الباهلي ، فأوقع بهم وقتل عظيمهم ثم انصرف .

وروى أبو مخنف في يوم العربة أن ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة في ثلاثة آلاف ، فسار إليهم أبو أمامة في كثف من المسلمين ، فهزمهم وقتل أحد القواد ، ثم اتبعهم فصاروا إلى الداثنة — وهي الداثن — فهزموهم وغنم المسلمون غنماً حسناً [١] .

وحدثني أبو حفص الشامي عن مشايخ من أهل الشام قالوا : كانت أول وقائع المسلمين وقعة العربة ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز ، ولم يمروا بشيء من الأرض فيما بين الحجاز وموضع هذه الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب وصار في أيديهم .

ذكر شخوص خالد بن الوليد إلى الشام وما فتح في طريقه

قالوا : لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة ، خلف المثنى ابن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة ، وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ، ويقال في ستمائة ، ويقال في خمسمائة ، فأتى عين التمر ففتحها عنوة ، ويقال : ان كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ١٦٦ — ١٧٩ .

فتحها ، فسار خالد من عين التمر فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم ، فقاتله أهلهـا وخلف بها سعد بن عمرو بن حـرام الأنصاري فولده اليوم بها (١) .

وبلغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمصيخ والحصيد مرتدين عليهم ربيعة بن بجير ، فأتاهم فقاتلوه فهزمهم وسبي وغنم وبعث بالسبي إلى أبي بكر، فكانت منهم أم حبيب الصهباء بنت حبيب بن بجير ، وهي أم عمر بن علي بن أبي طالب ، ثم أغار خالد على قراقر وهو ماء لكلب ، ثم فـوز (٢) منه إلى سوى ، وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيـه قوم من بهراء ، فقتل حرقوص بن النعمان البهرائي من قضاعة ، واكتسح أموالهم .

وكان خالد لما ركب المفازة عمد إلى الرواحل فأرواها من المـاء ثم قطع مشافرها وأجرها لئلا تجتر فتعطش ، ثم استكثر من الماء وحمله معه ، فنفذ في طريقه ، فجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة ، ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها ، وكان له دليل يقال له : رافع بن عمير الطائي ففيه يقول الشاعر :

لله در رافـع أنى اهتدى ... فوز من قراقر إلى سوى
ماء إذا ما رامه الجيش انثنى ... ماجازها قبلك من أنس يرى

وكان المسلمون لما انتهوا إلى سوى وجدوا حرقوصاً وجماعة معه يشربون ويتغنون وحرقوص يقول :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر ... لعل منايانا قريب ولا ندري

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيل في الجفنة التي كان فيها شرابـه ، ويقال إن رأسه سقط فيها أيضاً . وقال بعض الرواة إن المغني بهـذا البيت رجل ممن كان أغار خالد عليه من بني تغلب مع ربيعة بن بجير (٣) .

---

(١) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١٨٣ .
(٢) أي قطع المفازة .
(٣) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١٨٥ — ١٩١ .

وقال الواقدي : خرج خالد من سوى إلى الكواثل (١) ثم أتي قرقيسيا(٢)، فخرج إليه صاحبها في خلق فتركه وانحاز إلى البر ومضى لوجهه وأتى خالد أركة – وهي أرك – فأغار على أهلها وحاصرهم ففتحها صلحاً على شيء أخذه منهم للمسلمين ، وأتى دومة الجندل ففتحها ، ثم أتى قصم فصالحه بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكتب لهم أماناً .

ثم أتى تدمر فامتنع أهلها وتحصنوا ، ثم طلبوا الأمان ، فأمنهم على أن يكونوا ذمة ،وعلى إن قروا المسلمين رضخوا لهم . ثم أتى القريتين فقاتله أهلها فظفر وغنم ، ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي اهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل بعلبك ، وأهل بصرى ، وهي مدينة حوران ، فظفر بهم فسبي وقتل ، ثم أتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم وهم نصارى فسبى وقتل (٣) .

ووجه خالد بسر بن أبي أرطاة العامري من قريش وحبيب بن مسلمة الفهري إلى غوطة دمشق فأغارا على قرى من قراها. وصار خالد إلى الثنية التي تعرف بثنية العقاب بدمشق فوقف عليها ساعة ناشراً رايته ، وهي راية كانت لرسول الله ﷺ سوداء فسميت ثنية العقاب يومئذ ، والعرب تسمى الراية عقاباً (٤) ، وقوم يقولون : انها سميت بعقاب من الطير كانت ساقطة عليها ،

---

(١) موضع بأطراف الشام . معجم البلدان .

(٢) هي البصيرة حالياً في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات . ويلاحظ هنا وجود تداخل بين خبر عبور خالد إلى الشام وأخبار حملة الفراض السالفة الذكر .

(٣) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١٩١ – ١٩٤ .

(٤) راية الحرب فقط .

والخبر الأول أصح ، وسمعت من يقول : كان هناك مثال عقاب من حجارة وليس ذلك بشيء .

قالوا : ونزل خالد بالباب الشرقي من دمشق، ويقال : بل نزل بباب الجابية، فأخرج إليه أسقف دمشق نزلا وخدمة، فقال : احفظ لي هذا العهد فوعده بذلك ، ثم سار خالد حتى انتهى إلى المسلمين وهم بقناة بصرى ويقال: إنه أتى الجابية [١] وبها أبو عبيدة في جماعة من المسلمين فالتقيا ومضيا جميعاً إلى بصرى .

فتح بُصرى

قالوا : لما قدم خالد بن الوليد على المسلمين ببصرى اجتمعوا عليها وأمروا خالداً في حربها، ثم ألصقوا بها وحاربوا بطريقها حتى ألجأوه وكماة أصحابه إليها، ويقال: بل كان يزيد بن أبي سفيان المتقلد لأمر الحرب لأن ولايتها وإمرتها كانت إليه لأنها من دمشق ، ثم إن أهلها صالحوا على أن يؤمنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم على أن يؤدوا الجزية .

وذكر بعض الرواة أن أهل بصرى صالحوا على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة ، وافتتح المسلمون جميع أرض كورة حوران وغلبوا عليها .

قال : وتوجه أبو عبيدة بن الجراح في جماعة من المسلمين كثيفة من أصحاب الأمراء ضموا إليه فأتى مآب من أرض البلقاء وبها جمع العدو فافتتحها صلحاً على مثل صلح بصرى ، وقال بعضهم : إن فتح مآب قبل فتح بصرى ، وقال بعضهم : إن أبا عبيدة فتح مآب وهو أمير على جميع الشام أيام عمر [٢] .

(١) على مقربة من بلدة نوي في حوران–سورية . وانظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ١٩٥ .

(٢) انظر ما سلف من روايات في مغازي ابن حبيش : ١٦١ .

يوم أجنادِين ويقال أجنادَين

ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مائة ألف سرب [١] هرقل أكثرهم وتجمـــع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاء حسناً ، ثم إن الله هزم أعداءه ومزقهم كل ممزق وقتل منهم خلق كثير ، واستشهد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعمرو بن سعيد بن العاصي بن أميـــة ، وأخوه أبان بن سعيد وذلك الثبت [٢] ، ويقال : بل توفي أبان في سنة تسع وعشرين . وطليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، بارزه علج فضربـــه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه ، ثم غشيه الروم فقتلوه ، وأمـــه أروى بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله ﷺ ، وكان يكنى أبا عـــدي . وسلمة بن هشام ابن المغيرة ويقال : انه قتل بمرج الصفر [٣] ، وعكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي ، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، ويقـــال : بل قتل يوم مؤتة ، ونعيم بن عبد الله النحام العدوي ، ويقال : قتل يوم اليرموك ، وهشام ابن العاصي بن وائــــل السهمي ، ويقــــال : قتـــــل يوم اليرموك . وعمرو

---

(١) أي أرسلهم ، ذلك أنه كان مقيماً في بلاد الشام عندما بدأت الفتوحات العربية ، هذا وينبغي النظر إلى مسألة الأرقام بشيء كبير من الريبة وأنــــه بولغ فيها كثيراً .

(٢) من المفيد مراجعة ترجمته في الاصابة لابن حجر حيث روايات أخرى .

(٣) في جنوبي دمشق على مقربة من الكسوة ومن قرية شقحب ، ما تزال النباتات ذات اللون الأصفر تشاهد به حتى الآن . انظر مغـــازي ابن حبيش : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

ابن الطفيل بن عمرو الدوسي ، ويقال : قتل يوم اليرموك . وجندب بن عمرو الدوسي . وسعيد بن الحارث . والحارث بن الحارث . والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي .

وقال هشام بن محمد الكلبي: قتل النحام يوم مؤتة ، وقتل سعيد بن الحارث ابن قيس يوم اليرموك ، وقتل تميم بن الحارث يوم أجنادين ، وقتل عبيد الله ابن عبد الأسد أخوه يوم اليرموك ، قال : وقتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين .

قالوا : ولما انتهى خبر هذه الوقعة إلى هرقل نخب [١] قلبه وسقط في يده وملىء رعباً فهرب من حمص إلى انطاكية ، وقد ذكر بعضهم أن هربه من حمص إلى أنطاكية كان عند قدوم المسلمين الشام ، وكانت وقعة اجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، ويقال : لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال : لليلتين بقيتا منه [٢] .

قالوا : ثم جمعت الروم جمعاً بالياقوصة —والياقوصة واد فمه الفوارة [٣]— فلقيهم المسلمون هناك فكشفوهم وهزموهم وقتلوا كثيراً منهم ، ولحق فلهم بمدن الشام ، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فأتى المسلمين نعيه وهم بالياقوصة .

---

(١) أي ضعف وجبن . القاموس .

(٢) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ١٩٥ — ٢٠٢ .

(٣) في أعلى وادي اليرموك حيث ستحسم معركة اليرموك ، ولقد أراد بالفوارة ينابيع زيزون قرب شلالات تل شهاب .

يوم فحل من الأردن

قالوا وكانت وقعة «فحل»[1] من «الأردن» لليلتين بقيتا من ذي القعدة، بعد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخمسة أشهر، وأمير الناس أبو عبيدة ابن الجراح، وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وإمرة الأمراء مع عامر بن أبي وقاص أخي سعد بن أبي وقاص.

وقوم يقولون: إن ولاية أبي عبيدة الشام أتته والناس محاصرون دمشق فكتمها خالداً أياماً لأن خالداً كان أمير الناس في الحرب، فقال له خالد: ما دعاك - رحمك الله - إلى ما فعلت، قال: كرهت أن أكسرك وأوهن أمرك وأنت بإزاء عدو.

وكان سبب هذه الوقعة أن هرقل لما صار إلى أنطاكية استنفر الروم وأهل الجزيرة، وبعث عليهم رجلاً من خاصته وثقاته في نفسه فلقوا المسلمين بفحل من الأردن، فقاتلوهم أشد قتال، وأبرحه حتى أظهرهم الله عليهم وقتل بطريقهم وزهاء عشرة آلاف معه، وتفرق الباقون في مدن الشام ولحق بعضهم بهرقل،

---

(١) هي مدينة Pella خرائبها شرقي نهر الأردن مقابل بيسان وجنوبي جسر المجامع، وكانت إحدى مدن الأسقفيات العشر - الديكابولس - التي ارتبطت بكرسي صور. انظر كتاب معجم بلدان فلسطين لمحمد محمد شراب، ط. دمشق ١٩٨٧، وكتاب مدن بلاد الشام تأليف أ. هـ. م. جونز - ترجمة عربية - ط. عمان ١٩٨٧: ٢٠، ٤٠، وكان المسلمون قبل حصارهم لدمشق تولوا عزلها من جميع الاتجاهات حتى يمكن حصارها، وفي سبيل ذلك خاضوا معارك ثنية العقاب، ومرج الصفر، وفحل وغيرها.

وتحصن أهل «فحل» فحصرهم المسلمون حتى سألوا الأمان على أداء الجزية عن رؤوسهم والخراج عن أرضهم ، فأمنوهم على أنفسهم وأموالهم وأن لا تهدم حيطانهم ، وتولى عقد ذلك أبو عبيدة بن الجراح ، ويقال : تولاه شرحبيل بن حسنة .

أمر الأردن[1]

حدثني حفص بن عمر العمري، عن الهيثم بن عدي،قال : افتتح شرحبيل ابن حسنة « الأردن » عنوة ما خلا طبرية فإن اهلها صالحوه على انصاف منازلهم وكنائسهم .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عدة، منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته فيها، فكان عمرو بن العاصي يقصد لفلسطين، وكان شرحبيل يقصد الأردن، وكان يزيد بن أبي سفيان يقصد لأرض دمشق، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه ، وإذا احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه وانجاده سارع الى ذلك ، وكان أميرهم عند الاجتماع في حربهم اول أيام أبي بكر رضي الله عنه عمرو بن العاصي حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان امير المسلمين في كل حرب ، ثم ولى أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله، وإمرة الأمراء في الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله وولى أبا عبيدة .

ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحاً بعد حصار أيام ، على أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم إلا ما جلوا عنه وخلوه

(١) أي وادي نهر الأردن .

واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً ، ثم إنهم نقضوا في خلافة عمر، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم ، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاصي بغزوهم، فسار إليهم في أربعة آلاف ففتحها على مثل صلح شرحبيل ، ويقال : بل فتحها شرحبيل ثانية ، وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها على هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال ، ففتح بيسان ، وفتح سوسية (١) ، وفتح افيق (٢) ، وجرش (٣) ، وبيت رأس (٤) ، وقَدَس (٥) ، والجولان (٦) ، وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها .

فقال ابو حفص : قال أبو محمد سعيد بن عبد العزيز : وبلغني أن الوضين بن عطاء ، قال: فتح شرحبيل عكا ، وصور، وصفورية (٧) ، وقال أبو بشر المؤذن: إن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاصي إلى سواحل الأردن، فكثر به الروم وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية، فكتب إلى أبي عبيدة يستمده فوجه

---

(١) تقع شمال كفر الديك (نابلس) ما زالت آثارها باقية . معجم بلدان فلسطين .

(٢) ما تزال تحمل هذا الاسم وهي واقعة ضمن الأراضي السورية المحتلة من قبل إسرائيل .

(٣) قريه تبعد / ٢٨ / كم عن الجنوب الغربي للقدس وهي إلى الغرب من رام الله . معجم بلدان فلسطين .

(٤) كورة بالأردن. معجم البلدان .

(٥) إلى الشمال من مدينة صفد ، قامت مكان قرية قاش، اشتهرت بصناعة الثياب والحبال ، وكان اسمها يطلق على بحيرة طبرية . معجم بلدان فلسطين .

(٦) اسم أطلق على بلدة من أعمال وادي الأردن وأطلق على الهضبة فوقها اسم « حارث الجولان » . معجم البلدان .

(٧) قرية على بعد / ٧ كم / شمال غرب الناصرة ، شغلت دوراً كبيراً أيام الحروب الصليبية . معجم بلدان فلسطين .

أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان ، فسار يزيد وعلى مقدمته معاوية أخوه ، ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن ، فكتب أبو عبيدة بفتحها لها ، وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن وأثر جميل .

وحدثني أبو اليسع الأنطاكي ، عن أبيه عن مشايخ أهل أنطاكية والأردن، قالوا : نقل معاوية قوماً من فرس بعلبك ، وحمص ، وانطاكيـة إلى سواحل الأردن ، وصور ، وعكا ، وغيرها سنة اثنتين وأربعين ، ونقل من أساورة [١] البصرة والكوفة وفرس بعلبك وحمص إلى أنطاكية في هذه السنة أو قبلهـا أو بعدها بسنة جماعة ، فكان من قواد الفرس مسلم بن عبد الله جـد عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكي . وحدثني محمـد بن سعد عن الواقدي ، وأخبرني هشام بن الليث الصوري،عن مشايخ من أهل الشام ، قالوا : رم معاوية عكا عند ركوبه [٢] منهـا الى قبرس : ورم صور ، ثم ان عبد الملك بن مروان جددهما وقد كانتا خربتا .

وحدثني هشام بن الليث ، قال : حدثني أشياخنا ، قالوا : نزلنـا صور والسواحل وبها جند من العرب ، وخلق من الروم ، ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا ، وكذلك جميع سواحل الشام .

وحدثني محمد بن سهم الأنطاكي عن مشايخ أدركهم قالوا : لمـا كانت سنة تسع وأربعين خرجت الروم الى السواحل وكانت الصناعة [٣] بمصر فقط، فأمر معاوية بن أبي سفيان بجمع الصناع والنجارين فجمعوا ورتبهم في السواحل ، وكانت الصناعة في الأردن بعكا .

قال : فذكر أبو الخطاب الأزدي أنه كانت لرجل من ولد أبي معيط بعكا

---

(١) بقايا الرماة والفرسان الفرس . القاموس .

(٢) سيرد ذكر ذلك بعد قليل .

(٣) صناعة السفن .

أرحاء ومستغلات فأراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إياها فأبى المعيطي ذلك عليه ، فنقل هشام الصناعة إلى صور واتخذ بصور فندقا ومستغلا.

وقال الواقدي : لم تزل المراكب بعكا حتى ولي بنو مروان فنقلوها الى صور فهي بصور الى اليوم ، وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله في سنة سبع وأربعين ومائتين بترتيب المراكب بعكا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة .

يوم مرج الصفر

قالوا: ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيماً، وأمدهم هرقل بمدد، فلقيهم المسلمون بمرج الصفر وهم متوجهون الى دمشق ، وذلك لهلال المحرم سنة أربع عشرة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى جرت الدماء في الماء ، وطحنت بها الطاحونة، وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف ، ثم ولى الكفرة منهزمين مفلولين لا يلوون على شيء حتى أتوا دمشق وبيت المقدس، واستشهد يومئذ خالد بن سعيد بن العاصي ابن أمية ، ويكنى أبا سعيد ، وكان قد أعرس في الليلة التي كانت الوقعة في صبيحتها بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي امرأة عكرمة بن أبي جهل، فلما بلغها مصابه : انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به، فيقال : انها قتلت يومئذ سبعة نفر ، وأن بها لردع الخلوق [١] .

وفي رواية أبي مخنف أن وقعة المرج بعد أجنادين بعشرين ليلة ، وأن فتح مدينة دمشق بعدها ثم بعد فتح مدينة دمشق وقعة فحل ، ورواية الواقدي أثبت ، وفي يوم المرج يقول خالد بن سعيد بن العاصي :

من فارس كره الطعان يُعيرني رمحاً إذا نزلوا بمرج الصفر

---

(١) أي أثر أو لطخ الطيب . القاموس .

وقال عبد الله بن كامل بن حبيب بن عميرة بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم :

شهدت قبائل مالك وتغيبت ... عني عميرة يوم مرج الصفر

يعني مالك بن خفاف .

وقال هشام بن محمد الكلبي : استشهد خالد بن سعيد يوم المرج وفي عنقه الصمصامة سيفه ، وكان النبي ﷺ وجهه إلى اليمن عاملاً فمر برهط عمرو بن معدي كرب الزبيدي من مذحج ، فأغار عليهم فسبي امرأة عمرو وعدة من قومه ، فعرض عليه عمرو أن يمن عليهم ويسلموا ، ففعل وفعلوا فوهب له عمرو سيفه الصمصامة وقال :

خليل لم أهبه من قلاه ... ولكن المواهب للكرام

خليل لم أخنه ولم يخني ... كذلك ما خلالي أو ندامي

حبوت به كريماً من قريش ... فسر به وصين عن اللئام (١)

قال : فأخذ معاوية السيف من عنق خالد يوم المرج حين استشهد فكان عنده ، ثم نازعه فيه سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية فقضى له به عثمان فلم يزل عنده ، فلما كان يوم الدار وضرب مروان على قفاه وضرب سعيد فسقط صريعاً أخذ الصمصامة منه رجل من جهينة فكان عنده، ثم إنه دفعه إلى صيقل ليجلوه فأنكر الصيقل أن يكون للجهني مثله ، فأتى به مروان بن الحكم وهو والي المدينة ، فسأل الجهني عنه فحدثه حديثه، فقال : أما والله لقد سلبت سيفي يوم الدار ، وسلب سعيد بن العاصي سيفه ، فجاء سعيد فعرف السيف فأخذه وختم عليه وبعث به إلى عمرو بن سعيد الأشدق وهو على مكة فهلك سعيد فبقي السيف عند عمرو بن سعيد ، ثم أصيب عمرو بن سعيد بدمشق وانتهب متاعه ، فأخذ السيف محمد بن سعيد أخو عمرو لأبيه، ثم صار إلى يحيى بن سعيد،

---

(١) ديوانه : ١٤٦ — ١٤٨ .

ثم مات فصار الى عنبسة بن سعيد بن العاصي ، ثم الى سعيد بن عمرو بن سعيد، ثم هلك فصار الى محمد بن عبد الله بن سعيد وولده ينزلون ببارق [١] ثم صار الى أبان بن يحيى بن سعيد فحلاه بحلية ذهب فكان عند أم ولد له ، ثم إن أيوب بن أبي أيوب بن سعيد بن عمرو بن سعيد باعه من المهدي أمير المؤمنين بنيف وثمانين ألفاً،فرد المهدي حليته عليه،ولما صار الصمصامة الى موسى الهادي أمير المؤمنين أعجب به وأمر الشاعر – وهو أبو الهول – ان ينعته فقال :

حاز صمصامة الزبيدي عمرو ... خير هذا الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما علمنا ... خير ما أطبقت عليه الجفون
أخضر اللون بين حديه برد ... من زعاف تميس فيه المنون
فإذا ما سللته بهر الشمس ... ضيـــاء فلم تكد تستبين
ما يبالي إذا الضريبة حانت ... أشمال سطت بـــه أم يمين
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيجا ... يمصا به ونعم القرين

ثم إن أمير المؤمنين الواثق بالله دعا له بصيقل وأمره أن يسقنه [٢] فلمـــا فعل ذلك تغير [٣] .

---

(١) ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة،وهو من أعمال الكوفة. معجم البلدان .

(٢) أسقن : تمم جلاء سيفه . القاموس .

(٣) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيس : ٢٠٣ – ٢٠٤ .

فتح مدينة دمشق وأرضها

قالوا : لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج ، أقاموا خمس عشرة ليلة ، ثم رجعوا الى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع عشرة فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوة ، وتحصن أهل المدينة وأغلقوا بابها ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي[١] في زهاء خمسة آلاف ضمهم إليه أبو عبيدة . وقوم يقولون : إن خالداً كان أميراً ، وإنما أتاه عزله وهم محاصرون دمشق ، سمي الدير الذي نزل عنده خالد دير [٢] خالد .

ونزل عمرو بن العاصي على باب توما [٣] ونزل شرحبيل على باب الفراديس ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية [٤] ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير [٥] الى الباب الذي يعرف بكيسان [٦] ، وجعل أبو الدرداء عويمر بن

---

(١) ما يزال يحمل هذا الاسم نفسه . انظر تاريخ ابن عساكر — ط. دمشق ١٩٥٤ : ٢ / ١٨٥ .

(٢) هو أيضاً دير صليبا أو دير السائمة . انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ١٩٥ .

(٣) معروف حتى يومنا هذا بدمشق يحمل الاسم نفسه . انظر تاريخ ابن عساكر : ٢ / ١٨٥ .

(٤) كان يقع في منطقة الشاغور الجواني ، من غربي دمشق ، منطقة ما تزال تحمل الاسم نفسه . انظر تاريخ ابن عساكر : ٢ / ١٨٧ .

(٥) سمي بذلك لأنه كان أصغر أبواب المدينة ، وعرف بالباب القبلي لموقعه — تاريخ ابن عساكر : ٢ / ١٨٥ .

(٦) هو الباب الذي يلي باب الصغير من القبلة . تاريخ ابن عساكر : ٢ / ١٨٥ .

عامر الخزرجي على مسلحة ببرزة [١] ، وكان الأسقف الذي أقام لخالد النزل في بدأته [٢] ربما وقف على السور ، فدعا له خالد ، فإذا أتى سلم عليه وحادثه ، فقال له ذات يوم: يا أبا سليمان إن أمركم مقبل ولي عليك عدة فصالحني عن هذه المدينة فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما أعطى خالد بن الوليد اهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ،لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ﷺ والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية .

ثم ان بعض أصحاب الاسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي ، فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة وأنهم في شغل ، وأن الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وترك وأشار عليه أن يلتمس سلماً ، فأتاه قوم من اهل الدير الذي عند عسكره بسلمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما الى أعلى السور ، ونزلوا الى الباب وليس عليه إلا رجل أو رجلان فتعاونوا عليه وفتحوه وذلك عند طلوع الشمس ، وقد كان أبو عبيدة بن الجراح عانى فتح باب الجابية وأصعد جماعة من المسلمين على حائطه فانصب مقاتلة الروم الى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ،ثم إنهم ولوا مدبرين ، وفتح أبو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عنوة ودخلوا منه ،فالتقى أبو عبيدة وخالد بن الوليد بالمقسلاط [٣] ، وهو موضع النحاسين بدمشق ، وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول :

---

(١) من أحواز دمشق متصلة بها تحمل الاسم نفسه .

(٢) لدى قدومه من العراق . انظر ابن حبيش : ١٩٥ .

(٣) قرب مأذنه الشحم في سوق مدحت باشا بعد البزورية حيث كانت تلتقي – كما هو مرجح – الأسواق المسقوفة . تاريخ دمشق لابن عساكر – ط . دمشق ١٩٥١ : ١ / ٥٠١ .

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل [1]

وقد روي أن الروم أخرجوا ميتاً لهم من باب الجابية ليلاً ، وقد أحاط بجنازته خلق من شجعانهم وكماتهم ، وانصب سائرهم الى الباب ، فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه ودخوله الى رجوع أصحابهم من دفن الميت ، وطمعوا في غفلة المسلمين عنهم ، وأن المسلمين نذروا بهم فقاتلوهم على الباب أشد قتال وأبرحه حتى فتحوه في وقت طلوع الشمس .

فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر الى خالد فصالحه ، وفتح له الباب الشرقي ، فدخل والأسقف معه ناشراً كتابه الذي كتبه له ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه ، فقال أبو عبيدة : إنه يجيز على المسلمين أدناهم ، وأجاز صلحه وأمضاه ، ولم يلتفت الى ما فتح عنوة فصارت دمشق صلحا كلها .

وكتب أبو عبيدة بذلك الى عمر وأنفذه ، وفتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جمعاً .

وفي رواية أبي مخنف وغيره أن خالداً دخل دمشق بقتال ، وأن أبا عبيدة دخلها بصلح فالتقيا بالزياتين والخبر الأول أثبت .

وزعم الهيثم بن عدي ان اهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم .

وقال محمد بن سعد : قال أبو عبد الله الواقدي : قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق ، فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس ، وقد روي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من اهلها بهرقل وهو بأنطاكية ، فكثرت فضول منازلها ، فنزلها المسلمون ،

---

(١) ديوان حسان : ١ / ٧٤ .

وقد روى قوم ان أبا عبيدة كان بالباب الشرقي وأن خالداً كان بباب الجابية، وهذا غلط [١] .

قال الواقدي : وكان فتح مدينة دمشق في رجب سنة أربع عشرة ، وتاريخ كتاب خالد بصلحها في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة ، وذلك أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ ، فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدد له كتاباً ويشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين ففعل ، وأثبت في الكتاب شهادة أبي عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة وغيرهم ، فأرخه بالوقت الذي جدده .

وحدثني القاسم بن سلام ، قال : حدثنا أبو مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال : دخل يزيد دمشق من الباب الشرقي صلحاً ، فالتقيا بالمقلاط فامضيت كلها على الصلح .

وحدثني القاسم ، قال : حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب

---

(١) جاء في حاشية الأصل : يقول محمد بن عساكر : قد اعتمد المؤلف على الرواية في فتح دمشق من باب الجابية عنوة بيد أبي عبيدة رضي الله عنه، وأكد ذلك بقوله هنا : « والخبر الأول أثبت » وهو على الحقيقة أضعف الروايات في فتح دمشق ، والصحيح الثابت بالأخبار والآثار ان خالداً رضي الله عنه دخلها من الباب الشرقي قسراً ، ودخلها أبو عبيدة من باب الجابية ، هذا من حيث صحة الأخبار، وأما من حيث دلالة الآثار فإن جامع دمشق لم يكن بيد المسلمين منه قبل عمارته إلا الجانب الشرقي بحكم السيف ، ودليلنا أن المقصورة التي تنسب إلى الصحابة والسبع القراء به أيضاً ، ولم تزل الكنيسة من غربه إلى أن هدمها الوليد بن عبد الملك لما عزم على بنائه في خلافته ، وفي رواية المؤلف أولاً من أن خالداً أتى بسلمين من الدير المجاور لعسكره فرقى أصحابه فيها إلى سور الباب الشرقي ، دليل على ماذكرناه هاهنا . والله أعلم بالصواب .

الصنعاني ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، أو أبي عثمان الصنعاني ، أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر .

حدثني أبو عبيد ، قال : حدثنا نعيم بن حماد عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء ابن أبي سلمة ، قال : خاصم حسان بن مالك عجم اهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعه إياها ، فقال عمر : إن كانت من الخمس عشرة كنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك عليها ، قال ضمرة عن علي ابن أبي حملة : خاصمنا عجم اهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان فلان قطعها لبني نصر بدمشق ، فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردها الى بني نصر .

حدثني أبو عبيد ، قال : حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، أنه قال كانت الجزية بالشام في بدء الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة ، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير ، وعلى أهل الورق أربعين درهماً ، وجعلهم طبقات الغني الغني ، واقلال المقل ، وتوسط المتوسط .

قال هشام : وسمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصارى يؤدون إليهم الخراج فدخلوا معهم في الصلح .

وقد ذكر بعض الرواة : أن خالد بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية ديناراً وجريب حنطة وخلا وزيتاً لقوت المسلمين [1] .

حدثنا عمرو الناقد قال : حدثنا عبد الله بن وهب المصري ، عن عمر بن محمد عن نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب ، أن عمر كتب الى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى ، وأن يجعلوها على

---

(١) انظر كتاب الأموال : ٢٢٤ – ٢٢٥ ، ٢٥٦–٢٥٧ .

أهل الورق على كل رجل أربعين درهماً ، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير ، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدان حنطة ، وثلاثة اقساط زيتاً ، كل شهر لكل إنسان بالشام والجزيرة ، وجعل عليهم ودكاً عسلاً لا أدري كم هو ، وجعل لكل إنسان بمصر في كل شهر أردباً وكسوة وضيافة ثلاثة أيام .

وحدثنا عمرو بن حماد بن أبي حنيفة قال : حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن أسلم أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير ، وعلى أهل الورق أربعين درهماً ، مع ذلك أرزاق المسلمين ، وضيافة ثلاثة أيام .

وحدثني مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله ، قالوا : ولما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك ، ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلموها إليه ، ثم إن الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إياها فأبوا ، فقال : لئن لم تفعلوا لأهدمنها، فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فأحفظه قوله ، ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده ، وعليه قباء خز أصفر ، ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدموها وأدخلها في المسجد .

فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم ، فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم ، فكره أهل دمشق ذلك وقالوا : نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد بيعة ، وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء ،وأقبلوا على النصارى،فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين ، على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها ، فرضوا بذلك وأعجبهم ، فكتب به إلى عمر فسره وأمضاه .

وبمسجد دمشق في الرواق القبلي مما يلي المئذنة كتاب في رخامة بقرب السقف: مما أمر ببنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ست وثمانين .

وسمعت هشام بن عمار يقول: لم يزل سور مدينة دمشق قائماً حتى هدمه عبدالله ابن علي بن عبد الله بن العباس بعد انقضاء أمر مروان وبني أمية [١] .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز عن مؤذن مسجد دمشق وغيره قالوا: اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بصرى ففتحوها صلحاً وانبثوا في أرض حوران جميعاً فغلبوا عليها ، وأتاهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى على أن جميع أرض البثنية أرض خراج فأجابوهم الى ذلك ومضى يزيد بن أبي سفيان حتى دخلها وعقد لأهلها وكان المسلمون يتصرفون بكورتي حوران والبثنية [٢] .

ثم مضوا إلى فلسطين والأردن ، وغزوا ما لم يكن فتح .

وسار يزيد الى عمان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بُصرى، وغلب على أرض البلقاء .

وولي أبو عبيدة وقد فتح هذا كله، فكان أمير الناس حين فتحت دمشق إلا أن الصلح كان لخالد وأجاز صلحه ، وتوجه يزيد بن أبي سفيان في ولاية أبي عبيدة ففتح عرندل [٣] صلحاً وغلب على أرض الشراة وجبالها .

قال : وقال سعيد بن عبد العزيز: أخبرني الوضين أن يزيد أتى بعد فتح

---

(١) جمع الإمام ابن عساكر أوسع الروايات حول فتح دمشق ، انظرها في تاريخه : ٤٩٣ – ٥٢٦ . وانظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٢٠٨ – ٢١٧ .

(٢) المنطقة الواقعة مابين دمشق وأذرعات . معجم البلدان .

(٣) قرية من أرض الشراة فتحت بعد اليرموك أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . معجم البلدان .

مدينة دمشق صيدا وعرقة [١] وجبيل[٢] وبيروت وهي سواحل، وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً ، وجلا كثيراً من أهلها ، وتولى فتح عرقة معاوية نفسه في ولاية يزيد، ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، أو أول خلافة عثمان بن عفان ، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ، ثم رمها وشحنها بالمقاتلة ، وأعطاهم القطائع .

قالوا : فلما استخلف عثمان ، وولي معاوية الشام ، وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي الى طرابلس، وهي ثلاثة مدن مجتمعة ، فبنى في مرج على أميال منها حصناً سمي حصن سفيان، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة، وكتبوا الى ملك الروم يسألونه أن يمدهم ، أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها الى ما قبله، فوجه إليهم مراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا ، فلما أصبح سفيان وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ، ثم يغدو على العدو ، وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً ، فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية ، فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود ، وهو الذي فيه الميناء اليوم ، ثم أن عبد الملك بناه بعد وحصنه .

قالوا : وكان معاوية يوجه في كل عام الى طرابلس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم ، ويوليها عاملاً ، فإذا انغلق [٣] البحر قفل وبقي العامل في جُمَيْعة منهم يسيرة .

فلم يزل الأمر فيها جارياً على ذلك حتى ولي عبد الملك فقدم في أيامه بطريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير ، فسأل أن يعطى الأمان على أن يقيم

---

(١) على مقربة من مدينة طرابلس كان لها دورها في فترة الحملة الصليبية الأولى .

(٢) على الساحل اللبناني واسعة الشهرة في التاريخ القديم .

(٣) غالباً ما كانت تتوقف عمليات الابحار في المتوسط في فصل الشتاء .

بها ويؤدي الخراج ، فأجيب الى مسألتـــه ، فلم يلبث إلا سنتين أو أكثر منهما بأشهر ، حتى تحين قفول الجند عن المدينة ، ثم أغلق بابها وقتل عاملها ، وأسر من معه من الجند وعدة من اليهود ، ولحق وأصحابه بأرض الروم ، فقدر المسلمون بعد ذلك عليه في البحر وهو متوجه الى ساحل المسلمين في مراكب كثيرة فقتلوه ، ويقال : بل أسروه وبعثوا به الى عبد الملك فقتله وصلبه .

وسمعت من يذكر أن عبد الملك بعث إليه من حصره بطرابلس ، ثم أخذه سلماً وحمله إليه فقتله وصلبه ، وهرب من أصحابه جماعة فلحقوا ببلاد الروم .

وقال علي بن محمد المدائني : قال عتـــاب بن إبراهيم : فتح طرابلس سفيـــان بن مجيـــب ، ثم نقض أهلها أيام عبد الملك ، ففتحها الوليد بن عبد الملك في زمانه .

وحدثني أبو حفص الشامي ، عن سعيد ، عن الوضين ، قال : كان يزيد بن أبي سفيان وجه معاوية الى سواحل دمشق ، سوى طرابلس ، فإنه لم يكن يطمع فيها ، فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة ، فربما قوتل قتالا غـير شديد ، وربما رمى ففتحها .

قال : وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة ، أو عند ساحـل ، رتبوا فيها قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين ، فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا إليها الأمداد .

فلما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنتها ، وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل .

وحدثني أبو حفص عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : أدركت الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب ، بعد موت أخيه يزيد ، يصف له حال السواحل ، فكتب إليه في مرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها ، وإقامة الحرس على مناظرها ، واتخاذ المواقيد لها ، ولم يأذن له في غـزو البحر ، وأن معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له في الغزو بحراً ، وأمره أن يعـد في السواحل

إذا غزا ، وأغزى جيوشاً ، سوى من فيها من الرتب،وأن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ، ويبني المساجد ، ويكبر ما كان ابتنى منهـــا قبل خلافته . قال الوضين : ثم إن الناس بعـــد انتقلوا الى السواحل من كل ناحية .

حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جعفر بن كلاب الكلابي ، أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولى علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب حوران ، وجعل ولايته من قبل معاوية ، فمات بهـا وله يقول الحطيئة العبسي ، وخرج إليه فكان موته قبل وصوله ، وبلغه أنه في الطريق يريده فأوصى له بمثل سهم من سهام ولده :

فما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى الا ليال قلائل [١]

وحدثني عدة من أهل العلم ، منهم جـــار لهشام بن عمار ، أنه كانت لأبي سفيان بن حرب أيام تجارته إلى الشام في الجاهلية ضيعة بالبلقاء تدعى بقنس[٢] فصارت لمعاوية وولده ثم قبضت في أول الدولة ، وصارت لبعض ولد أمـــير المؤمنين المهدي رضي الله عنه ، ثم صارت لقوم من الزياتين يعرفون ببني نعيم من اهل الكوفة .

وحدثنا عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : وفد تميم بن أوس أحد بني الدار بن هانىء بن حبيب من لخم ، ويكنى أبا رقية على النبي ﷺ ، ومعه أخوه نعيم بن أوس فأقطعهما رسول الله ﷺ حبرى [٣] وبيت عينون [٤] ومسجـــد إبراهيم عليه السلام فكتب بذلك كتاباً .

---

(١) ديوان الحطيئة: ٢١٦ .

(٢) ذكرها ياقوت في معجمه ولم يزد في تعريفه لها على ماجاء لدى البلاذري.

(٣) مدينة الخليل الحالية — وقـــد تحدث صاحب الأنس الجليل طويلاً عن هذا الموضوع .

(٤) في منطقة الخليل على بعد / ٥ كم / الى الشمال الشرقي منهـــا . معجم بلدان فلسطين .

فلما افتتح الشأم دفع ذلك إليها ، فكان سليمان بن عبد الملك إذا مر بهذه القطعة لم يعرج ، وقال : أخاف أن تصيبني دعوة النبي ﷺ .

وحدثني هشام بن عمار ، أنه سمع المشايخ يذكرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية [١] من أرض دمشق مر بقوم مجذمين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت .

وقال هشام : سمعت الوليد بن مسلم يذكر أن خالد بن الوليد شرط لأهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطاً في خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه سلماً صعد عليه ، فأنفذه لهم أبو عبيدة .

ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار الى حمص فمر ببعلبك ، فطلب أهلها الأمان والصلح ، فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وكتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب أمان لفلان بن فلان ، وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم، داخل المدينة وخارجها وعلى أرحائهم ، وللروم أن يرعوا سرحهم مابينهم وبين خمسة عشر ميلاً،ولا ينزلوا قرية عامرة، فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ، ساروا الى حيث شاؤوا ، ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا ، ولتجارهم أن يسافروا الى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها ، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج شهد الله وكفى بالله شهيدا .

---

(١) كان ذلك – كما هو مرجح – سنة ١٧ هـ . انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ٣٠٩ – ٣١٢ .

أمر حمص

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف : أن أبا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق ، قدم أمامه خالد بن الوليد وملحان بن زياد الطائي ، ثم اتبعها ، فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ، ثم لجأوا الى المدينة ، وطلبوا الأمان والصلح ، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار .

قال الواقدي وغيره : بينا المسلمون على أبواب مدينة دمشق ، إذ أقبلت خيل العدو كثيفة ، فخرجت إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لهيا [١] والثنية [٢] ، فولوا منهزمين نحو حمص على طريق قارا [٣] ، واتبعوهم حتى وافوا حمص ، فألفوهم قد عدلوا عنها ، ورآهم الحمصيون وكانوا منخوبين لهرب هرقل عنهم ، وما كان يبلغهم من قوة كيد المسلمين وبأسهم وظفرهم فأعطوا بأيديهم وهتفوا بطلب الأمان فأمنهم المسلمون ، وكفوا أيديهم عنهم ، فأخرجوا إليهم العلف والطعام وأقاموا على الأرنط « يريد الأرند » — وهو النهر الذي يأتي انطاكية ثم يصب في البحر بساحلها [٤] — وكان على المسلمين السمط بن الأسود الكندي .

فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق : استخلف عليها يزيد بن أبي سفيان ثم

---

(١) أصبحت الآن داخل مدينة دمشق في القصاع . انظر غوطة دمشق لكرد علي — ط . دمشق ١٩٨٤ : ١٦٤ .

(٢) ثنية العقاب — الثنايا حالياً .

(٣) بلدة معروفة على الطريق الذي يصل دمشق بحمص .

(٤) نهر العاصي .

قدم حمص على طريق بعلبك فنزل بباب الرستن فصالحه اهل حمص على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج على من أقام منهم .

وذكر بعض الرواة أن السمط بن الأسود الكندي كان صالح أهل حمص ، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه ، وأن السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها ، وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة .

وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ، وعمرو بن العاصي على فلسطين ، وشرحبيل على الأردن، وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبك ، ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصاري .

ومضى نحو حماة فتلقاه أهلها مذعنين ، فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج في أرضهم، فمضى نحو شيزر [١] فخرجوا يكفرون ومعهم المقلسون [٢] ورضوا بمثل ما رضي به أهل حماة ، وبلغت خيله الزراعة [٣] والقسطل [٤] .

ومر أبو عبيدة بمعرة [٥] حمص – وهي التي تنسب الى النعمان بن بشير –

---

(١) قلعة لها ربض واسعة الشهرة بقاياها ماتزال قائمة على مقربة من مدينة حماه إلى الغرب منها .

(٢) أي خرجوا بالأهازيج وهم يحنون ظهورهم تحية وخضوعاً .

(٣) في بلاد الشام أكثر من زراعة –مزرعة– انظر مادتها في معجم البلدان.

(٤) القسطل يعرف اهل الشام الموضع الذي تفترق منه المياه ، وفي محافظة حماه قرية اسمها القسطل تابعة لبلدة سلمية – ناحية عقيربات .

(٥) بلدة واسعة الشهرة حتى الآن بين حماه وحلب .

فخرجـوا يقلسون بين يديه ، ثم أتى فامية (١) ففعل أهلهـا مثل ذلك وأذعنوا بالجزية والخراج ، واستتم أمر حمص ، فكانت حمص وقنسرين (٢) شيئاً واحداً .

وقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمى المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كوراً ، وكذلك دمشق ، وكذلك الأردن ، وكـذلك حمص مع قنسرين .

وقال بعضهم: سميت كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جنداً، وذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين ، فجندها عبد الملك بن مروان،أي أفردها،فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها،وأن محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل (٣) ، ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان يزيد ابن معاوية فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج وذواتها جنداً .

فلما استخلف أمـير المؤمنين الرشيد هارون بن المهدي ، أفرد قنسرين بكورها ، فصير ذلك جنداً واحداً ، وأفرد منبج ، ودلوك ، ورعبـان وقورس وأنطاكية وتيزين، وسماها العواصم لأن المسلمين يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم وخرجـوا من الثغر ، وجعل مدينه العواصم منبـج ، فـسكنها عبد الملك بن صالح بن علي في سنة ثلاث وسبعين ومائـة وبنى بها أبنية (٤) .

---

(١) آثارها ماتزال قائمة على مسافة قريبة من شيزر .

(٢) هي الآن مجرد قرية صغيرة تابعة لمحافظة حلب .

(٣) المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعلها مصراً منفرداً .

(٤) سيرد ذكر هذه البلدان كل منها على انفراد ، انظر بغيـة الطلب : ١ / ١٠٨ حيث نقل النص نفسه، ونقول ابن العديم في غاية الدقة أمكن بوساطتها ضبط وتصحيح معظم النصوص المتعلقة ببلاد الشام .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز : وحدثني موسى ابن إبراهيم التنوخي عن أبيه عن مشايخ من اهل حمص ، قال : استخلف أبو عبيدة عبادة بن الصامت الأنصاري على حمص ، فأتى اللاذقية ، فقاتله أهلها فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلا جماعة من الناس ، فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل وفرسه في الواحدة منها ، فاجتهد المسلمون في حفرها حتى فرغوا منها ، ثم إنهم أظهروا القفول إلى حمص ، فلما جن عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية غارون يرون أنهم قد انصرفوا عنهم ، فلما أصبحوا فتحوا بابهم وأخرجوا سرحهم فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم ودخولهم من باب المدينة ففتحت عنوة ، ودخل عبادة الحصن ، ثم علا حائطه فكبر عليه ، وهرب قوم من نصارى اللاذقية الى اليُسَيد (١) ، ثم طلبوا الأمان على أن يتراجعوا الى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا ، وتركت لهم كنيستهم ، وبنى المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً بأمر عبادة ثم أنه وسع بعد .

وكانت الروم أغارت في البحر على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها وسبوا اهلها، وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة، فأمر عمر ببنائها وتحصينها ووجه الى الطاغية في فداء من أسر من المسلمين ، فلم يتم ذلك حتى توفي عمر في سنة أحد ومائة ، فأتم المدينة وشحنها يزيد بن عبد الملك .

وحدثني رجل من أهل اللاذقية قال : لم يمت عمر بن عبد العزيز حتى حرر مدينة اللاذقية وفرغ منها ، والذي أحدث يزيد بن عبد الملك فيها مرمة وزيادة في الشحنة .

---

(١) لم أجده لأعرفه ، وربما هو تصحيف « بسيط » ورأس البسيط قريب من اللاذقية .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ، قال: حدثني سعيد بن عبد العزيز ، وسعيد ابن سليمان الحمصي ، قالا : ورد عبـــادة والمسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة [1] على فرسخين من جبلة [2] عنوة ، ثم إنها خربت وجلا عنهـــا أهلها ، فأنشأ معاوية بن أبي سفيان جبلة ، وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص وشحنها .

وحدثني سفيان بن محمد البهرائي ، عن أشياخه قالوا : بنى معاويـــة لجبلة حصناً خارجاً من الحصن الرومي القديم ، وكان سكان الحصن الرومي رهباناً وقوماً يتعبدون في دينهم .

وحدثني سفيان بن محمـــد ، قال : حدثني أبي وأشياخنا ، قالوا : فتح عبادة والمسلمون معه أنطرطوس [3] ، وكان حصناً ثم جـــلا عنه أهله ، فبنى معاويـــة أنطرطوس ، ومصرها ، وأقطع بها القطائع ، وكذلك فعل بمرقية [4] وبلنياس [5] .

وحدثني أبو حفص الدمشقي ،عن أشياخه قالوا : افتتح أبو عبيدة اللاذقية وجبلة وأنطرطوس على يدي عبادة بن الصامت ،وكان يوكل بها حفظة الى انغلاق البحر ، فلما كانت شحنة معاوية السواحل وتحصينه إياها ، شحنها وحصنهـــا وأمضى أمرها على ما أمضى عليه أمر السواحل .

---

(١) اعتمد ياقوت في تعريفه لها على رواية البلاذري فقط .

(٢) من مدن الساحل السوري المزدهرة.

(٣) هي طرطوس المدينة السورية الساحلية ونالت اسمها هذا لوقوعها أمام جزيرة أرواد .

(٤) قلعة بقاياها ليست بعيدة عن بانياس الساحلية .

(٥) بانياس الساحل مدينة سورية مزدهرة .

وحدثني شيخ من أهل حمص قال : بقرب سلمية (١) مدينة تدعى المؤتفكة، وانقلبت بأهلها فلم يسلم منهم إلا مائة نفس ، فبنوا مائة منزل ، وسكنوها فسميت حوزتهم التي بنوا فيها سلم مائة ، ثم حرف الناس اسمها فقالوا : سلمية ، ثم إن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس اتخذها، وبنى وولده فيها، ومصروها ، ونزلها قوم من ولده .

وقال ابن سهم الأنطاكي : سلمية اسم رومي قديم (١) .

وحدثني محمد بن مصفى الحمصي، قال : هدم مروان محمد سور حمص، وذلك أنهم كانوا خالفوا عليه فلما مر بأهلها هارباً من أهل خراسان اقتطعوا بعض ثقله وماله وخزائن سلاحه .

وكانت مدينة حمص مفروشة بالصخر ، فلما كانت أيام أحمد بن محمد بن أبي إسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري أخي مايزديار (٢) ابن قارن ، فأمر بقلع ذلك الفرش فقطع ثم إنهم أظهروا المعصية وأعادوا ذلك الفرش، وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه، ونهبوا ماله ونساءه، وأخذوه فقتلوه وصلبوه ، فوجه أحمد بن محمد إليهم موسى بن بغا الكبير مولى أمير المؤمنين المعتصم بالله ،فحاربوه وفيهم خلق من نصارى المدينة ويهودها ، فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم،حتى ألحقهم بالمدينة ودخلها عنوة وذلك في سنة خمسين ومائتين، وبحمص هري يرده قمح وزيت من السواحل وغيرها مما قوطع أهله عليه ، وأسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم .

---

(١) بلدة واسعة الشهرة تقع شرقي حماه بينهما قرابة / ١٥ / ميلاً . وهي سلمياس Salamias ولعلها استحدثت في العصر الروماني المتأخر . انظر مدن بلاد الشام : ٨٠ – ٨١ .

(٢) غالباً ما يرسم اسمه في المصادر المطبوعة «مازيار» .

يوم اليرموك

قالوا : جمع هرقل جموعاً كثيرة من الروم ، وأهل الشام ، وأهل الجزيرة ، وأرمينية تكون زهاء مائتي ألف ، وولى عليهم رجلاً من خاصته ، وبعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الغساني في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم ، وعزم على محاربة المسلمين ، فإن ظهروا وإلا دخل بلاد الروم ، فأقام بالقسطنطينية ، واجتمع المسلمون فرجعوا إليهم فاقتتلوا على اليرموك أشد قتال وأبرحه ، واليرموك نهر – وكان المسلمون يومئذ أربعة وعشرين ألفاً وتسلسلت [١] الروم وأتباعهم يومئذ لئلا يطمعوا أنفسهم في الهرب ، فقتل الله منهم زهاء سبعين ألفاً ، وهرب منهم فلحقوا بفلسطين وأنطاكية وحلب والجزيرة وأرمينية .

وقاتل يوم اليرموك نساء من نساء المسلمين قتالاً شديداً ، وجعلت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان تقول : عضدوا الغلفان بسيوفكم [٢] .

وكان زوجها أبو سفيان خرج إلى الشام تطوعاً ، وأحب مع ذلك أن يرى ولده وحملها معه ، ثم إنه قدم المدينة فمات بها سنة إحدى وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ويقال : ويقال انه مات بالشام ، فلما أتى أم حبيبة [٣] بنته نعيه دعت في اليوم الثالث بصفرة فمسحت بها ذراعيها وعارضتها، وقالت: لقد كنت عن هذا غنية لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول : « لا تحد امرأة على

(١) أي ربط الجند أنفسهم بالسلاسل .
(٢) أي اقطعوا القوم غير المختونين بسيوفكم .
(٣) أم المؤمنين ابنة أبي سفيان .

ميت سوى زوجها أكثر من ثلاث »[١] ويقال : انها فعلت هذا الفعل حين أتاها نعي أخيها يزيد والله أعلم .

وكان أبو سفيان بن حرب أحد العوران ذهبت عينه يوم الطائف ، قالوا : وذهبت يوم اليرموك عين الأشعث بن قيس ، وعين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وهو المرقال [٢] ، وعين قيس بن مكشوح .

واستشهد عامر بن أبي وقاص الزهري ، وهو الذي كان قدم الشام بكتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بولايته الشام ، ويقال : بل مات في الطاعون ، وقال بعض الرواة استشهد يوم أجنادين وليس ذلك بثبت .

قال : وعقد أبو عبيدة لحبيب بن مسلمة الفهري على خيل الطلب فجعل يقتل من أدرك ، وانحاز جبلة بن الأيهم إلى الأنصار فقال : أنتم اخوتنا وبنو أبينا وأظهر الاسلام ، فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام سنة سبع عشرة لاحى رجلاً من مزينة فلطم عينه ، فأمره عمر بالاقتصاص منه ، فقال : أو عينه مثل عيني والله لا أقيم ببلد علي به سلطان ، فدخل بلاد الروم مرتداً ، وكان جبلة ملك غسان بعد الحارث بن أبي شمر ، وروى أيضاً أن جبلة أتى عمر بن الخطاب وهو على نصرانيته ، فعرض عمر عليه الاسلام وأداء الصدقة فأبى ذلك، وقال : أقيم على ديني وأؤدي الصدقة ، فقال عمر : إن أقمت على دينك فأد الجزية فأنف منها ، فقال عمر : ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث : إما الاسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب إلى حيث شئت : فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً ، فلما بلغ ذلك عمر ندم ، وعاتبه عبادة بن الصامت فقال : لو قبلت منه الصدقة ، ثم تألفته لأسلم ، وإن عمر رضي الله عنه وجه في سنة احدى وعشرين عمير بن سعد

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ .

(٢) عمه سعد بن أبي وقاص ، كان مع الإمام علي في صفين وفيها قتل .

الأنصاري إلى بلاد الروم في جيش عظيم ، وولاه الصائفة – وهي أول صائفة كانت – وأمره أن يتلطف لجبلة بن الأيهم ويستعطفه بالقرابة بينهما ويدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام على أن يؤدي ما كان بذل من الصدقة ، ويقيم على دينه ، فسار عمير حتى دخل بلاد الروم وعرض على جبلة ما أمره عمر بعرضه عليه فأبى إلا المقام في بلاد الروم ، وانتهى عمير إلى موضع يعرف بالحمار ، وهو واد فأوقع بأهله ، وأخربه فقيل أخرب من جوف حمار [١] .

قالوا : ولما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وايقاع المسلمين بجنده هـرب من أنطاكية الى قسطنطينية ، فلما جاوز الدرب قال : عليك يا سورية السلام ونعم البلد هذا للعدو – يعني أرض الشام – لكثرة مراعيها .

وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة .

قال هشام بن الكلبي : شهد اليرموك حُباش بن قيس القشيري ، فقتل من العلوج خلقاً ، وقطعت رجله وهو لا يشعر ، ثم جعل ينشدها فقال سوار بن أوفى :

ومنا ابن عتاب وناشد رجله   ومنا الذي أدى إلى الحي حاجباً

يعني ذا الرقيبة [٢] .

وحدثني أبو حفص الدمشقي قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، قال : بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ،

---

(١) لردة جبلة بن الأيهم ودخوله بلاد الروم أصداء واسعة في روايات الأدب العربي انظر العقد الفريد . ط – القاهرة (العريان) : ١ / ٢٥٩ – ٢٦٣ .

(٢) هو مالك بن عامر بن سلمة بن قشير وقد أسر حاجب بن زرارة يوم جبلة قبل الإسلام . انظر المرصع لابن الأثير : ١٩٠ .

ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه وإلا فإنا على أمرنا مابقي للمسلمين عدد ، فلما هزم الله الكفرة ، وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسين فلعبوا وأدوا الخراج، وسار أبو عبيدة الى جند قنسرين وأنطاكية ففتحها [١] .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جده ، قال : أبلى السمط ابن الأسود الكندي بالشام وبحمص خاصة ، وفي يوم اليرموك وهو الذي قسم منازل حمص بين أهلها ، وكان ابنه شرحبيل بن السمط بالكوفة مقاوماً للأشعث ابن قيس الكندي في الرئاسة فوفد السمط الى عمر ، فقال له : يا أمير المؤمنين إنك لا تفرق بين السبي، وقد فرقت بيني وبين ولدي، فحوله الى الشام أو حولني الى الكوفة ، فقال : بل أحوله الى الشام ، فنزل حمص مع أبيه .



(١) من أجل معركة اليرموك . انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٢٣٨ – ٣٠٢ .

أمر فلسطين

حدثني أبو حفص الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه ، وعن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم،قالوا : كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أرض فلسطين ، وعلى الناس عمرو بن العاصي ، ثم ان عمرو بن العاصي فتح غزة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ثم فتح بعد ذلك سبسطية [١] ونابلس ، على أن أعطاهم الأمان على انفسهم وأموالهم ومنازلهم ، وعلى أن الجزية على رقابهم،والخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد وأرضها ثم فتح يبنى [٢] وعمواس [٣] وبيت جبرين [٤] واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان [٥] باسم مولى له ، وفتح يافا ويقال : فتحها معاوية ، وفتح عمرو رفح على مثل ذلك .

---

(١) قرية في الشمال الغربي من مدينة نابلس على مسافة / ١٥ كم / . معجم بلدان فلسطين .

(٢) شغلت دوراً كبيراً في فترة الحروب الصليبية، وتبعد عن البحر مسافة / ٤ كم / وهي محطة سكة حديد بين فلسطين ومصر . معجم بلدان فلسطين .

(٣) قرية تقع جنوب شرق الرملة ، وهي ملحقة بلواء رام الله في الضفة الغربية . معجم بلدان فلسطين .

(٤) تقع عند السفوح الغربية لجبال الخليل وتبعد عن الخليل / ٢٦ كم / . معجم بلدان فلسطين .

(٥) اسمها الآن خربة عجلان تبعد عن بلده بدير / ٨ كم / . معجم بلدان فلسطين .

وقدم عليه أبو عبيدة بعد ان فتح قنسرين ونواحيهـا وذلك في سنة ست عشرة وهو محاصر ايلياء ، وايلياء مدينة بيت المقدس ، فيقال : إنه وجهه إلى أنطاكية من إيلياء وقد غدر أهلها ففتحها،ثم عاد فأقام يومين أو ثلاثة ثم طلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الأمان والصلح على مثل ماصولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك فقدم عمر فنزل الجابية [١] من دمشق، ثم صار الى إيلياء فأنفذ صلح أهلها وكتب لهم به، وكان فتح إيلياء في سنة سبع عشرة .

وقد روي في فتح إيلياء وجه آخر .

حدثني القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهمي الى بيت المقدس في جيش، وهو يومئذ بالجابية فقاتلهم فأعطوه على ما أحاط به حصنهم شيئاً يؤدونه ويكون للمسلمين ما كان خارجاً فقدم عمر فأجـاز ذلك ثم رجع الى المدينة [٢] .

وحدثني هشام بن عمار ، عن الوليد عن الأوزاعي : أن أبا عبيدة فتـح قنسرين وكورها سنة ست عشرة ، ثم أتى فلسطين فنزل إيليـاء ، فسألوه

---

(١) سلف ان بينت ان الجابية تقع في احواز بلدة نوى في حوران ـ سورية .

(٢) اختزل البلاذري رواية أبي عبيد حيث جاء بعد كلمة خارجاً «منها» فقال خالد : قد بايعناكم على هذا إن رضي به أمير المؤمنين ، وكتب الى عمر يخبره بالذي صنع الله له ، فكتب إليه : أن قف على حالك حتى أقدم عليك ، فوقف خالد عن قتالهم ، وقدم عمر مكانه ، ففتحوا له بيت المقدس على ما بايعهم عليه خالد بن ثابت،قال : فبيت المقدس يسمى فتح عمر بن الخطاب ». الأموال: ٢٢٤ – ٢٢٥ وانظر أيضاً ماسلف في مغازي ابن حبيش : ٣٠٣ – ٣١٢ .

أن يصالحهم فصالحهم في سنة سبع عشرة على أن يقدم عمر رحمه الله ، فينفذ ذلك ويكتب لهم به .

حدثني هشام بن عمار ، قال : حدثني الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية عن عبد الله بن قيس، قال : كنت فيمن تلقى عمر مع أبي عبيدة مقدمه الشام فبينا عمر يسير إذ لقيه المقلسون من أهل أذرعات بالسيوف والريحان ، فقال عمر: مه امنعوهم ، فقال أبو عبيد : يا امير المؤمنين هذه سنتهم -أو كلمة نحوها- وإنك إن منعتهم منها يروا أن في نفسك نقضاً لعهدهم فقال : دعوهم .

قال: فكان طاعون عمواس سنة ثمان عشرة فتوفي فيه خلق من المسلمين منهم أبو عبيدة بن الجراح مات وله ثمان وخمسين سنة ، وهو أمير ، ومعاذ بن جبل أحد بني سلمة من الخزرج ، ويكنى أبا عبد الرحمن توفي بناحية الأقحوانة [١] من الأردن ، وله ثمان وثلاثين سنة ، وكان أبو عبيدة لما احتضر استخلفه، ويقال استخلف عياض بن غنم الفهري، ويقال: بل استخلف عمرو بن العاصي فاستخلف عمرو ابنه ومضى إلى مصر ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد، وقوم يقولون : إنه استشهد بأجنادين، والثبت أنه توفي في طاعون عمواس ، وشرحبيل بن حسنة ، ويكنى أبا عبد الله مات وهو ابن تسع وستين سنة ، وسهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ، ويكنى أبا يزيد، والحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي ، وقيل : إنه استشهد يوم أجنادين .

قالوا : ولما أتت عمر بن الخطاب وفاة أبي عبيدة ، كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بولاية الشام مكانه وأمره أن يغزو قيسارية .

وقال قوم : إن عمر إنما ولى يزيد الأردن وفلسطين ، وأنه ولى دمشق أبا الدرداء ، وولى حمص عبادة بن الصامت .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني الواقدي ، قال : اختلف علينا في

---

(١) في وادي الأردن على مقربة من عقبة افيق . معجم البلدان .

أمر قيسارية [١] فقال قائلون : فتحها معاوية ، وقال آخرون : بل فتحها عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة وهو خليفته ، وقال قائلون : بل فتحها عمرو بن العاصي ، وقال قائلون : خرج عمرو بن العاصي إلى مصر وخلف ابنه عبد الله فكان الثبت من ذلك ، والذي اجتمع عليه العلماء : أن أول الناس الذي حاصرها عمرو بن العاصي ، نزل عليها في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة فكان يقيم عليها ما أقام ، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم سار إليهم ، فشهد أجنادين وفحل ، والمرج ، ودمشق واليرموك ثم رجع الى فلسطين فحاصرها بعد إيلياء ، ثم خرج إلى مصر من قيسارية ، وولى يزيد ابن أبي سفيان بعد أبي عبيدة فوكل أخاه معاوية بمحاصرتها وتوجه إلى دمشق مطعوناً فمات بها .

وقال غير الواقدي : ولى عمر يزيد بن أبي سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام ، وكتب إليه يأمره بغزو قيسارية،وقد كانت حوصرت قبل ذلك فنهض إليها في سبعة عشر ألفاً فقاتله أهلها . ثم حصرهم ومرض في آخر سنة ثماني عشرة فمضى إلى دمشق واستخلف على قيسارية أخاه معاوية بن سفيان ففتحها ، وكتب إليه بفتحها فكتب به يزيد إلى عمر .

ولما توفي يزيد بن أبي سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليته ما كان يتولاه فشكر أبو سفيان ذلك له ، وقال : وصلتك يا أمير المؤمنين رحم [٢] .

وحدثني هشام بن عمار ، قال : حدثني الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية قال : ولى عمر معاوية بن أبي سفيان الشام بعد يزيد ، وولى معه رجلين من

---

(١) قرية على بعد / ٤٢ كم / جنوب غرب حيفا ، شغلت دوراً كبيراً في التاريخ القديم ، وفي عصر الحروب الصليبية . انظر معجم بلدان فلسطين .

(٢) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣١٣ - ٣٢٨ .

أصحاب رسول الله ﷺ والقضاء : فولى أبا الدرداء قضـــاء دمشق والأردن وصلاتها ، وولى عبادة [١] قضاء حمص وقنسرين وصلاتها .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في اسناده قال : لما ولى عمر بن الخطاب معاوية الشام حاصر قيسارية حتى فتحها ، وقد كانت حوصرت نحواً من سبع سنين ، وكان فتحها في شوال سنة تسع عشرة .

وحدثني محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن عبد الله بن عامر في اسناده قال : حاصر معاوية قيسارية حتى يئس من فتحهـا ، وكان عمرو بن العاصي وابنه حاصراها ففتحها معاوية قسراً فوجد بهـا من المرتزقة سبعمائة ألف ، ومن السامرة ثلاثين ألفاً ، ومن اليهود مائتي ألف،ووجد بها ثلاثمائة سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة ألف .

وكان سبب فتحها أن يهودياً ، يقال له يوسف ، أتى المسلمين ليلاً فدلهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حقو الرجل ، على أن أمنوه وأهله ، وأنفذ معاوية ذلك ، ودخلها المسلمون في الليل و كبروا فيها،فأراد الروم أن يهربوا من السرب فوجدوا المسلمين عليه ، وفتح المسلمون الباب فدخل معاويـــة ومن معه ، وكان بها خلق من العرب ، وكانت فيهم شقراء التي يقول فيها حسان بن ثابت:

تقول شقراء لو صحوت عن الـ خمر لأصبحت مثرى العدد [٢]

ويقال : ان اسمها شعثاء [٣] .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أن سبي قيساريـة بلغوا أربعة آلاف رأس ، فلما بعث به معاوية إلى عمر بن الخطاب أمر بهم فأنزلوا الجرف ، ثم قسمهم على يتامى الأنصار ، وجعل بعضهم في الكتاب والأعمـال للمسلمين ،

(١) ابن الصامت .

(٢) ديوان حسان : ١ / ٢٧٩ .

(٣) انظر حولها ديوان حسان : ٢ / ٢٠٨ .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أخدم بنات أبي أمامة أسعد بن زرارة خادمين من سبي عين التمر ، فماتا ، فأعطاهن عمر مكانهما من سبي قيسارية.

قالوا : ووجه معاوية بالفتح مع رجلين من جذام ، ثم خاف ضعفهما عن المسير فوجه رجلاً من خثعم ، فكان الخثعمي يجهد نفسه في السير والسري وهو يقول :

أرق عيني أخو جذام   أخي جشم وأخو حرام
كيف أنام وهما أمامي   إذ يرحلان والهجير طام

فسبقهما ودخل على عمر فكبر عمر .

وحدثني هشام بن عمار في إسناد له لم أحفظه أن قيسارية فتحت قسراً في سنة تسع عشرة ، فلما بلغ عمر فتحها نادى : إن قيسارية فتحت قسراً ، وكبر وكبر المسلمون ، وكانت حوصرت سبع سنين وفتحها معاوية .

قالوا : وكان موت يزيد بن أبي سفيان في آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال : إن معاوية فتح قيسارية في حياة أخيه قال : إنما فتحت في آخر سنة ثمان عشرة ، ومن قال : إنه فتحها في ولايته الشام قال : فتحت في سنة تسع عشرة وذلك الثبت .

وقال بعض الرواة : إنها فتحت في أول سنة عشرين .

قالوا: وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى معاوية يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين ، ففتح عسقلان صلحاً بعد كيد . ويقال : إن عمرو بن العاصي كان فتحها ، ثم نقض أهلها ، وأمدهم الروم ، ففتحها معاوية ، وأسكنها الروابط ، ووكل بها الحفظة .

وحدثني بكر بن الهيثم قال : سمعت محمد بن يوسف الفريابي يحدث عن مشايخ من أهل عسقلان أن الروم أخربت عسقلان ، وأجلت أهلها عنها في أيام ابن الزبير ، فلما ولي عبد الملك بن مروان بناها وحصنها ، ورم أيضاً قيسارية .

وحدثني محمد بن مصفى ، قال : حدثني أبو سليمان الرملي عن أبيه: أن الروم خرجت في أيام ابن الزبير إلى قيسارية فشعثتها وهدمت مسجدها ، فلما استقام لعبد الملك بن مروان الأمر ، رم قيسارية وأعاد مسجدها وأشحنها بالرجال . وبنى صور وعكا الخارجة ، وكانت سبيلها مثل سبيل قيسارية .

وحدثني جماعة من أهل العلم بأمر الشام ، قالوا : ولى الوليد بن عبد الملك سليمان بن عبد الملك جند فلسطين فنزل لد، ثم أحدث مدينة الرملة [1] ومصرها، وكان أول مابنى منها قصره والدار التي تعرف بدار الصباغين ، وجعل في الدار صهريجاً متوسطاً لها، ثم اختط للمسجد خطة وبناه ، فولي الخلافة قبل استتمامه، ثم بنى فيه بعد في خلافته ، ثم أتمه عمر بن عبد العزيز ونقص من الخطة، وقال : أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت بهم عليه .

ولما بنى سليمان لنفسه أذن للناس في البناء فبنوا، واحتفر لأهل الرملة قناتهم التي تدعى بردة ، واحتفر آباراً وولى النفقة على بنائها بالرملة ومسجد الجماعة كاتباً له نصرانياً من أهل لد يقال له البطريق بن النكا ، ولم تكن مدينة الرملة قبل سليمان ، وكان موضعها رملة .

قالوا : وقد صارت دار الصباغين لورثة صالح بن علي بن عبد الله بن العباس لأنها قبضت مع أموال بني أمية .

قالوا : وكان بنو أمية ينفقون على أبار الرملة وقناتها بعد سليمان بن عبد الملك ، فلما استخلف بنو العباس انفقوا عليها ، وكان الأمر في تلك النفقة يخرج في كل سنة من خليفة بعد خليفة، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم بالله اسجل بتلك النفقة سجلاً فانقطع الاستئمار ، وصارت جارية يحتسب بها العمال فيحسب لهم .

---

(١) هي الجسر الذي يصل ساحل يافا بالقدس وبغور الأردن ، وكانت واسعة الشهرة في العصور الإسلامية احتلها الصهاينة عام ١٩٤٨،وما زال العرب يشكلون شطراً من سكانها . معجم بلدان فلسطين .

قالوا: وبفلسطين فرون بسجلات من الخلفاء مفردة من خراج العامة ، وبها التخفيف والردود ، وذاك أن ضياعاً رفضت في خلافة الرشيد وتركها أهلها ، فوجه أمير المؤمنين الرشيد هرثمة بن أعين لعمارتها ، فدعا قوماً من مزارعيها واكرتها إلى الرجوع إليها على أن يخفف عنهم من خراجهم ولين معاملتهم فرجعوا ، فأولئك أصحاب التخافيف ، وجاء قوم منهم بعد فردت عليهم أرضهم على مثل ما كانوا عليه ، فهم أصحاب الردود.

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : لقيت رجلاً من العرب بعسقلان فأخبرني أن جده ممن أسكنه إياها عبد الملك ، وأقطعه بها قطيعة مع من أقطع من المرابطة ، قال : وأراني أرضاً ، فقال : هذه من قطائع عثمان بن عفان .قال بكر: وسمعت محمد بن يوسف الفريابي يقول بعسقلان : هاهنا قطائع أقطعت بأمر عمر وعثمان ، لو دخل فيها رجل لم أجد بذلك بأساً .



أمر جند قِنّسرِين والمدن التي تدعى العواصم

قالوا : سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من أرض اليرموك إلى حمص فاستقراها ، ثم أتى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله اهل مدينة قنسرين ، ثم لجأوا إلى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حمص، وغلب المسلمون على أرضها وقراها، وكان[1] حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ماتنخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ، ثم ابتنوا به المنازل : فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام فأسلم بعضهم ، وأقام على النصرانية بنو سُلَيح بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

فحدثني بعض ولد يزيد بن حنين الطائي الأنطاكي عن أشياخهم: أن جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة أمير المؤمنين المهدي فكتب على أيديهم بالخضرة قنسرين .

ثم سار أبو عبيدة يريد حلب فبلغه أن أهل قنسرين قد نقضوا وغدروا ، فوجه إليهم السمط بن الأسود الكندي ، فحصرهم ثم فتحها .

---

(١) كانت معظم مدن الشام مسورة يصعب البناء في داخلها ، لذلك كان المهاجرون الى المدينة يضطرون للسكن خارج الأسوار، ولما كان معظم المهاجرين من البادية ، فإن مقرهم الجديد بات « حاضراً » بالنسبة إليهم ، ومع الأيام كان الحاضر يتحول الى بلدة تحاط بالأسوار، ولقد كان لغالبية مدن الشام - في الشمال خاصة - حواضرها ، وزالت هذه الحواضر الآن أو اكتسبت أسماء جديدة كما حدث بالنسبة لحاضر حلب الذي هو « السليمانية » حالياً ، وفقط مدينة حماه ما تزال تحتفظ بهذه التسمية فالقسم الشمالي منها المرتبط بالريف والبادية اسمه الحاضر .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، قال : حدثنا يحيى بن حمزة عن أبي عبد العزيز عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غَنْم ، قال: رابطنا مدينة قنسرين مع السمط – أو قال شرحبيل بن السمط – فلما فتحها أصاب فيها بقراً وغنماً ، فقسم فينا طائفة منها ، وجعل بقيتها في المغنم ، وكان حاضر طيء قديماً نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجبلين [١] من نزل منهم ، وتفرق باقوهم في البلاد ، فلما ورد أبو عبيدة عليهم أسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شذ عن جماعتهم .

وكان بقرب مدينة حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ، ثم أنهم أسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين وأعقابهم به إلى بعيد وفاة أمير المؤمنين الرشيد، ثم إن أهل ذلك الحاضر حاربوا أهل مدينة حلب وأرادوا إخراجهم عنها ، فكتب الهاشميون من أهلها إلى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم ، فكان أسبقهم إلى انجادهم واغاثتهم العباس بن زفر بن عاصم الهلالي بالخؤولة ، لأن أم عبدالله بن العباس لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم هلالية، فلم يكن لأهل ذلك الحاضر به وبمن معه طاقة فأجلوهم عن حاضرهم وأخربوه ، وذلك في أيام فتنة محمد بن الرشيد ، فانتقلوا إلى قنسرين فتلقاهم أهلها بالأطعمة والكسي ، فلما دخلوها أرادوا التغلب عليها ، فأخرجوهم عنها فتفرقوا في البلاد ، فمنهم قوم بتكريت قد رأيتهم ومنهم قوم بأرمينية وفي بلدان كثيرة متباينة .

وأخبرني أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله قال : سمعت شيخاً من مشايخ بني صالح بن علي بن عبد الله بن عباس يحدث أمير المؤمنين المعتصم بالله رحمه الله سنة

---

(١) أجأ وسلمى ، انظرهما في معجم البلدان ، وانظر أيضاً بغية الطلب : ١ / ١٣٧ – ١٣٨ .

غزا عمورية ، قال : لما ورد العباس بن زفر الهلالي حلب لإغاثة الهاشميين ناداه نسوة منهم : يا خال نحن بالله ثم بك ، فقال : لا خوف عليكم إن شاء الله خذلني الله ان خذلتكم .

قال : وكان حيار بني القعقاع بلداً معروفاً قبل الإسلام ، وبه كان مقتل المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة ، فنزله بنو القعقاع بن خليد بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذيمة بن رُواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْعة بن عبس بن بغيض فأوطنوه فنسب إليهم .

وكان عبد الملك بن مروان أقطع القعقاع به قطيعة وأقطع عمه العباس بن جزء بن الحارث قطائع أوغرها له إلى اليمن وأوغرت بعده ، وكانت أو أكثرها مواتاً ، وكانت ولادة بنت العباس بن جزء عند عبد الملك فولدت له الوليد وسليمان .

قالوا : ورحل أبو عبيدة إلى حلب وعلى مقدمته عياض بن غَنْم الفهري — وكان أبوه يسمى عبد غنم ، فلما أسلم عياض كره أن يقال عبد غنم فقال : أنا عياض بن غنم — فوجد أهلها قد تحصنوا ، فنزل عليها ، فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم ومنازلهم، والحصن الذي بها ، فأعطوا ذلك فاستثنى عليهم موضع المسجد ، وكان الذي صالحهم عليه عياض ، فأنفذ أبو عبيدة صلحه .

وزعم بعض الرواة أنهم صالحوا على حقن دمائهم وأن يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم، وقال بعضهم: إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحداً ، وذلك أن أهلها انتقلوا إلى انطاكية وأنهم إنما صالحوه عن مدينتهم وهم بأنطاكية ، راسلوه في ذلك ، فلما تم صلحهم رجعوا إلى حلب .

قالوا : وسار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية وقد تحصن بها خلق من أهل جند قنسرين فلما صار بمهروبة ، وهي على قريب فرسخين من مدينة أنطاكية ،

لقيه جمع للعدو ، ففضهم وألجأهم الى المدينة ، وحاصر أهلها من جميع أبوابها ، وكان معظم الجيش على باب فارس والباب الذي يدعى باب البحر ، ثم أنهم صالحوه على الجزية والجلاء ، فجلا بعضهم ، وأقام بعضهم فأمنهم ، ووضع على كل حالم منهم ديناراً وجريباً ، ثم نقضوا العهد فوجه إليهم أبو عبيدة عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول .

ويقال : بل نقضوا بعد رجوعه الى فلسطين ، فوجه عمرو بن العاصي من إيلياء ففتحها ، ثم رجع فمكث يسيراً حتى طلب أهل إيلياء الأمان والصلح والله أعلم .

وحدثني محمد بن سهم الأنطاكي ، عن أبي صالح الفراء قال : قال مخلد بن الحسين ، سمعت مشايخ الثغر يقولون: كانت أنطاكية عظيمة الذكر والأمر عند عمر وعثمان ، فلما فتحت : كتب عمر إلى أبي عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة ، واجعلهم بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء ، ثم لما ولي معاوية كتب إليه بمثل ذلك ، ثم إن عثمان كتب إليه يأمره أن يلزمها قوماً وأن يقطع قطائع ففعل .

قال ابن سهم : وكنت واقفاً على جسر أنطاكية على الأرنط [1] فسمعت شيخاً مسناً من أهل أنطاكية وأنا يومئذ غلام يقول : هذه الأرض قطيعة من عثمان لقوم كانوا في بعث أبي عبيدة أقطعهم إياها أيام ولاية عثمان معاوية الشام .

قالوا : ونقل معاوية بن أبي سفيان الى أنطاكية في سنة اثنتين وأربعين جماعة من الفرس ، واهل بعلبك وحمص ومن المصرين ، فكان منهم مسلم بن عبد الله جد عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكي ، وكان مسلم قتل على باب

(١) نهر العاصي .

من أبواب انطاكية يعرف اليوم بباب مسلم [١]، وذلك أن الروم خرجت من الساحل فأناخت على أنطاكية، فكان مسلم على السور فرماه علج بحجر فقتله.

وحدثني جماعة من مشايخ أهل أنطاكية منهم ابن برد الفقيه: أن الوليد ابن عبد الملك أقطع جنداً بأنطاكية أرض سلوقية عند الساحل وصير الفلثر وهو الجريب عليهم بدينار ومدي قمح، فعمروها، وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية.

قالوا: وكانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها في سبيل البر، وكانت عين السلاور وبحيرتها [٢] له أيضاً.

وكانت الاسكندرونة [٣] له، ثم صارت لرجاء مولى المهدي اقطاعا يورثه منصور وإبراهيم ابنا المهدي، ثم صارت لإبراهيم بن سعيد الجوهري، ثم لأحمد بن أبي دؤاد الإيادي ابتياعاً، ثم انتقل ملكها الى أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله [٤].

فحدثني ابن برد الأنطاكي وغيره، قالوا: أقطع مسلمة بن عبد الملك قوماً من ربيعة قطائع فقبضت وصارت بعد للمأمون، وجرى أمرها على يد صالح الخازن صاحب الدار بأنطاكية.

قالوا: وبلغ أبا عبيدة ان جمعاً للروم بين معارة مصرين [٥] وحلب فلقيهم

---

(١) عند ابن العديم في بغية الطلب: ١/ ٩٠ «باب مسلمة» نقلا عن البلاذري.

(٢) المعني المياه التي كانت تغطي سهل الغاب قبيل تجفيفه، وقد شهرت بنوع من الأسماك اسمه «السلاور» مازال يحمل هذا الاسم نفسه.

(٣) يعني لمسلمة بن عبد الملك بن مروان.

(٤) انظر بغية الطلب: ١/ ٢٢٠.

(٥) اسمها الآن معرة مصرين، وهي الآن تابعة لمحافظة ادلب وتبعد عن مدينة ادلب/ ١٠ كم/.

وقتل عدة بطارقة وفض ذلك الجيش وسبى وغنم وفتح معارة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومة وسرمين ومَرْتَحوان وتيزين وصالحوا اهل دير طايا ودير الفسيلة [١] على أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ، وأتاه نصارى خناصرة [٢] فصالحهم وفتح أبو عبيدة جميع أرض قنسرين وانطاكية .

حدثني العباس بن هشام عن أبيه،قال : خناصرة نسبت إلى خناصر بن عمرو ابن الحارث الكلبي . ثم الكناني ، وكان صاحبها .

وبطنـان حبيب نسب إلى حبيب بن مسلمة الفهري،وذلك ان أبا عبيدة أو عياض بن غنم وجهه من حلب ففتح حصناً بها فنسب إليه [٣] .

قالوا : وسار أبو عبيدة يريد قورس [٤] وقدم أمامه عياضاً ، فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها ، فبعث به إلى أبي عبيدة وهو بين جبرين [٥] وتل أعزاز [٦] فصالحه ثم أتى قورس فعقد لأهلها عهـداً وأعطاهم مثل الذي أعطى اهل انطاكية وكتب للراهب كتاباً في قرية له تدعى سَرْقينا وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس إلى آخر حد نقابلس .

---

(١) كانت هذه المواقع قرب معرة مصرين ، انظر بغية الطلب : ١ / ١٣٤.

(٢) اسمها الآن خناصر ، ويصلها بحلب طريق طوله / ٧٥ كم / .

(٣) بطنان حبيب مرج قرب بلدة تادف التي تبعد عن حلب مسافة / ٤٠ كم / وكان ينزله عبد الملك بن مروان إذا توجه لقتال مصعب بن الزبير في العراق . بغية الطلب : ١ / ٢٧١ .

(٤) لعلها المعروفة الآن باسم كوبري وتبعد عن حلب مسافة / ٣٣ كم / انظر بغية الطلب : ١ / ٢٦٣ .

(٥) تبعد جبرين عن حلب مسافة / ٥ كم / .

(٦) بلدة واسعة الشهرة تتبع محافظة حلب .

قالوا : وكانت قورس كالمسلحة لأنطاكية يأتيها في كل عام طالعة من جند انطاكية ومقاتلتها ، ثم حول إليها ربع من أرباع انطاكية وقطعت الطوالع عنها .

ويقال : إن سلمان بن ربيعة الباهلي كان في جيش أبي عبيدة مع أبي أمامة الصدي بن عجلان صاحب رسول الله ﷺ ، فنزل حصناً بقورس فنسب إليه وهو يعرف بحصن سلمان ، ثم قفل من الشام فيمن أمد به سعد بن أبي وقاص وهو بالعراق [(١)] .

وقيل : إن سلمان بن ربيعة كان غزا الروم بعد فتح العراق وقبل شخوصه الى أرمينية، فعسكر عند هذا الحصن، وقد خرج من ناحية مرعش فنسب إليه.

وسمعت من يذكر أن سلمان هذا رجل من الصقالبة الذين رتبهم مروان بن محمد بالثغور ، وكان فيهم زياد الصقلبي ، فنسب إليه هذا الحصن ، والله أعلم [(٢)] .

قالوا : وأتى أبو عبيدة حلب الساجور [(٣)] وقدم عياضاً الى منبج ثم لحقه ، وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية فأنفذ أبو عبيدة ذلك [(٤)] .

وبعث عياض بن غنم الى ناحية دلوك [(٥)] ورعبان [(٦)] فصالحه أهلها على

---

(١) المشاركة في معركة القادسية .

(٢) انظر بغية الطلب : ١ / ٢٦٤ .

(٣) الساجور اسم نهر بمنبج . معجم البلدان .

(٤) انظر بغية الطلب : ١ / ١٠٩ .

(٥) مدينة قديمة لها ذكر ، وكان لها قلعة، وكانت من ساحات الصراع مع الامبراطورية البيزنطية أيام سيف الدولة الحمداني . انظر بغية الطلب: ١ / ٢٦١ .

(٦) مدينة صغيرة قديمة وكان لها قلعة حسنة ، بينها وبين الحدث سبعة فراسخ . بغية الطلب : ١ / ٢٥٩ .

مثل صلح منبج واشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين .

وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا ، وضم إليه جماعة من المسلمين وشحن النواحي المخوفة .

قالوا : ثم سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين ، وقدم مقدمته الى بالس (١) وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الى قاصرين، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أقطعا القرى التي بالقرب منها وجعلا حافظين لما بينها من مدن الروم بالشام ، فلما نزل المسلمون بها صالحهم أهلها على الجزيه والجلاء ، فجلا أكثرهم الى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ، ولم يكن الجسر يومئذ إنما اتخذ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه للصوائف ، ويقال : بل كان له رسم قديم (٢) .

قالوا : ورتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة وأسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام فأسلموا بعد قدوم المسلمين الشام، وقوماً لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادي من قيس ، وأسكن قاصرين قوماً ثم رفضوها أو أعقابهم ، وبلغ أبو عبيدة الفرات ، ثم رجع الى فلسطين، وكانت بالس والقرى المنسوبة إليها في حدها الأعلى والأوسط والأسفل اعذاء عشرية .

فلما كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان : توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس ، فأتاه أهلها وأهل توبلس وقاصرين وعابدين وصفين ، وهي قرى منسوبة إليها ، فأتاه أهل الحد الأعلى فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم ، على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم ، بعد عشر

---

(١) هي بلدة مسكنة السورية على الفرات حالياً . انظر بغية الطلب : ١ / ١٢٠ .

(٢) أقيم الجسر على الفرات تحت قلعة نجم . بغية الطلب: ١ / ١٠٦، ١١١.

السلطان الذي كان يأخذه ، ففعـــل فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ووفوا له بالشرط ورم سور المدينة وأحكمه .

ويقال : بل كان ابتداء العرض من مسلمة ،وأنه دعاهم إلى هذه المعاملة، فلما مات مسلمة صارت بالس [١] وقراها لورثته ، فلم تزل في أيديهم الى أن جـاءت الدولة المباركة وقبض عبد الله بن علي أموال بني أمية ، فدخلت فيها،فأقطعها أمير المؤمنين أبو العباس سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، فصارت لابنه محمد بن سليمان،وكان جعفر بن سليمان أخوه يسعى به إلى أمير المؤمنين الرشيد رحمه الله ، ويكتب إليه فيعلمه أنه لا مال له ولا ضيعة إلا وقد اختان أضعاف قيمته ، وأنفقه فيما يرشح له نفسه وعلى من اتخذ من الخول ، وأن أمواله حـل طلق لأمير المؤمنين ، وكان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه ، فلما توفي محمد بن سليمان أخرجت كتبه الى جعفر واحتج عليه بها ، ولم يكن لمحمد أخ لأبيه وأمه غيره فأقر بها ، وصارت أمواله للرشيد ، فأقطع بالس وقراها المأمون رحمه الله فصارت لولده من بعده [٢] .

حدثني هشام بن عمار ، قال: حدثنا يحيى بن حمزة عن تميم بن عطيـة عن عبد الله بن قيس الهمداني ، قال : قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية ، فأراد قسمة الأرض بين المسلمين لأنها فتحت عنوة ، فقال معاذ بن جبل : والله لان قسمتها ليكونن ما نكره،ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم، ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد ، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون الإسلام مسداً فـلا يجدون شيئاً ، فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم، فصار الى قول معاذ .

---

(١) يمكن إدخال هذه المعاملة تحت عنوان ما عرف بالعصر الأموي باسم « الالجاء » حيث أخذ الملاك الصغار يضعون – لأسباب عديدة– أملاكهم تحت حماية رجل من رجال السلطة أو سواهم من الأثرياء .

(٢) انظر بغية الطلب : ١ / ١٢٠ – ١٢١ .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، عن يحيى بن آدم عن مشايخ من الجزريين عن سليمان بن عطاء عن سلمة الجهني عن عمه أن صاحب بصرى ذكر أنه كان صالح المسلمين على طعام وزيت وخل ، فسأل عمر أن يكتب له بذلك وكذبه أبو عبيدة ، وقال : إنما صالحناه على شيء يتبع بـــه المسلمون لمشتاهم ففرض عليهم الجزيه على الطبقات ، والخراج على الأرض .

وحدثني الحسين قال : حدثنا محمد بن عبد الأحدب، قال : أخبرنا عبد الله ابن عمر عن نافع عن أسلم مولى عمر أن عمر كتب الى أمراء الجزية أن لا يضربوها إلا على من جرت عليه الموسى وجعلها على أهل الذهب أربعة دنانير وجعل عليهم لأرزاق المسلمين من الحنطة لكل رجل مدين ، ومن الزيت ثلاثة أقساط بالشام والجزيرة مع إضافة من نزل بهم ثلاثاً .

وحدثني أبو حفص الشامي ، عن محمد بن راشد عن مكحول ، قال : كل عشري بالشام فهو مما جلا عنه أهله فأقطعه المسلمون فأحيوه ، وكان مواتاً لا حق فيه لأحد ، فأحيوه بإذن الولاة .

* * *

أمر قبرس

قال الواقدي وغيره : غزا معاوية بن أبي سفيان في البحر غزوة قبرس الأولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها ، وكان معاوية استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له ، فلما ولي عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه في غزوة قبرس ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها ، فكتب إليه أن قد شهدت ما رد عليك عمر – رحمه الله – حين استأمرته في غزو البحر .

فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهون عليه ركوب البحر الى قبرس ، فكتب إليه عثمان : فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك ، وإلا فلا .

فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة ، وحمل امرأته فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، وذلك في سنة ثمان وعشرين بعد انحسار الشتاء ، ويقال في سنة تسع وعشرين ، فلما صار المسلمون الى قبرس فأرقوا الى ساحلها – وهي جزيرة في البحر تكون فيما يقال ثمانين فرسخاً في مثلها – بعث إليهم أركونها [1] يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به فصالحهم على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها في كل عام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك ، فهم يؤدون خراجين، واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح الى الروم، واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم، وأن يؤذنوا المسلمين

(١) الأركون بالاغريقية الرئيس أو الملك .

بسير عدوهم من الروم ، فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ، ولم ينصرهم أهل قبرس ، ولم ينصروا عليهم .

فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم على الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم إياها ، فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين في خمسمائة مركب ، ففتح قبرس عنوة فقتل وسبى ، ثم أقرهم على صلحهم وبعث إليها باثني عشر ألفاً كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد ، ونقل إليها جماعة من بعلبك ، وبنى بها مدينة ، وأقاموا يعطون الأعطية الى أن توفي معاوية وولي بعده ابنه يزيد فأقفل ذلك البعث ، وأمر بهدم المدينة ، وبعض الرواة يزعم أن غزوة معاوية الثانية قبرس في سنة خمس وثلاثين .

وحدثني محمد بن مصفى الحمصي عن الوليد ، قال : بلغنا أن يزيد بن معاوية رُشي مالاً عظيماً ذا قدر حتى أقفل جند قبرس ، فلما قفلوا هدم أهل قبرس مدينتهم ومساجدهم .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد السلام بن موسى عن أبيه ،قال. لما غُزيت قبرس الغزوة الأولى ركبت أم حرام بنت ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت ، فلما انتهوا إلى قبرس خرجت من المركب وقدمت إليها دابة لتركبها فعثرت بها فقتلتها ، فقبرها بقبرس يدعى قبر المرأة الصالحة .

قالوا : وغزا مع معاوية ، أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري ،وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفاري ، وعبادة بن الصامت ، وفضالة بن عبيد الأنصاري ، وعمير بن سعد بن عبيد الأنصاري ، وواثلة بن الأسقع الكناني ، وعبدالله بن بشر المازني ، وشداد بن أوس بن ثابت ،وهو ابن أخي حسان بن ثابت ،والمقداد [1] ، وكعب الحبر بن ماتع ، وجبير بن نفير الحضرمي .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان

---

(١) ابن الأسود .

ابن عمرو : أن معاوية بن أبي سفيان غزا قبرس بنفسه ومعه امرأته، ففتحها الله فتحاً عظيماً وغنم المسلمين غنماً حسناً ، ثم لم يزل المسلمون يغزونهم حتى صالحهم معاوية في أيامه صلحاً دائماً على سبعة آلاف دينار ، وعلى النصيحة للمسلمين وانذارهم عدوهم من الروم هذا أو نحوه .

قالوا : وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك أجلى منهم خلقاً إلى الشام لأمر اتهمهم به ، فأنكر الناس ذلك فردهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك الى بلدهم .

وكان حميد بن معيوف الهمداني غزاهم في خلافة الرشيد لحدث أحدثوه فأسر منهم بشراً ، ثم إنهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد برد من أسر منهم فردوا .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده، قال: لم يزل أهل قبرس على صلح معاوية حتى ولي عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار ، فجرى ذلك الى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم ، ثم لما ولي هشام بن عبدالملك ردها، فجرى ذلك الى خلافة أبي جعفر المنصور ، فقال : نحن أحق من أنصفهم ولم نتكثر بظلمهم ، فردهم الى صلح معاوية .

وحدثني بعض أهل العلم من الشاميين وأبو عبيد القاسم بن سلام ، قالوا : أحدث أهل قبرس حدثاً في ولاية عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الثغور ، فأراد نقض صلحهم والفقهاء متوافرون : فكتب الى الليث ابن سعد ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وموسى بن أعين ، واسماعيل بن عياش ، ويحيى بن حمزة ، وأبي إسحاق الفزاري ، ومخلد بن الحسين في أمرهم فأجابوه .

وكان فيما كتب به الليث بن سعد : إن أهل قبرس قوم لم نزل نتهمهم بغش أهل الإسلام ومناصحة أعداء الله الروم ، وقد قال الله تعالى ﴿ وإما تخافن من

قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ﴾ (١) ولم يقل لا تنبذ إليهـــم حتى تستيقن خيانتهم ، وإني أرى أن تنبـــذ إليهم وينظروا سنة يأتمرون ، فمن أحب منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمة يؤدي الخراج قبلت ذلـــك منه ، ومن أراد أن يتنحى الى بلاد الروم فعل ، ومن أراد المقام بقبرس على الحرب أقام ، فكانوا عدوا يقاتلون ويغزون ، فإن في إنظار سنة قطعاً لحجتهم ووفاء بعهدهم .

وكان فيا كتب به مالك بن أنس : إن أمان أهل قبرس كان قديماً متظاهراً من الولاة لهم ، وذلك لأنهم رأوا أن إقرارهم على حالهم ذل وصغار لهم ، وقوة للمسلمين عليهم بما يأخذون من جزيتهم ، ويصيبون به من الفرصة في عدوهم ، ولم أجد أحداً من الولاة نقض صلحهم ولا أخرجهم عن بلدهم ، وأنا أرى : أن لا تعجل بنقض عهدهم ومنابذتهم حتى تتجه الحجـــة عليهم ، فإن الله يقول : ﴿ فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ﴾ (٢) فإن هم لم يستقيموا بعـــد ذلك ويدعوا غشهم ، ورأيت أن الغدر ثابت منهم ، أوقعت بهم ، فكان ذلك بعد الاعذار، فرزقت النصر ، وكان بهم الذل والخزي إن شاء الله تعالى .

وكتب سفيان بن عيينة : إنا لا نعلم النبي ﷺ عاهد قوماً فنقضوا العهد إلا استحل قتلهم، غير أهل مكة فإنه منّ عليهم،وكان نقضهم أنهم نصروا حلفاءهم على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة،وكان فيا أخذ على أهل نجران أن لا يأكلوا الربا فحكم فيهم عمر — رحمه الله — حين أكلوه بإجلائهم فإجماع القوم أنـــه من نقض عهداً فلا ذمة له .

وكتب موسى بن أعين : قد كان يكون مثل هذا فيا خلا فيعمل الولاة فيه النظر ، ولم أر أحداً ممن مضى نقض عهد أهل قبرس ولا غيرها ، ولعل عامتهم

---

(١) سورة الأنفال — الآية : ٥٨ .

(٢) سورة التوبة — الآية : ٩ .

وجماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصتهم ، وأنا أرى الوفاء لهم والتمام على شرطهم وإن كان منهم الذي كان ، وقد سمعت الأوزاعي يقول في قوم صالحوا المسلمين ثم أخبروا المشركين بعورتهم ودلوهم عليها : انهم إن كانوا ذمة فقد نقضوا عهدهم وخرجوا من ذمتهم ، فإن شاء الوالي قتل وصلب ، وإن كانوا صلحاً لم يدخلوا في ذمة المسلمين نبذ إليهم الوالي على سواء ﴿ إن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ (١) .

وكتب اسماعيل بن عياش : أهل قبرس أذلاء مقهورون ، يغلبهم الروم على أنفسهم ونسائهم ، فقد يحق علينا أن نمنعهم ونحميهم .

وقد كتب حبيب بن مسلمة لأهل تفليس في عهده أنه إن عرض للمسلمين شغل عنكم وقهركم عدوكم ، فإن ذلك غير ناقض عهدكم بعد أن تفوا للمسلمين ، وأنا أرى أن يقروا على عهدهم وذمتهم ، فإن الوليد بن يزيد قد كان أجلاهم الى الشام فاستفظع ذلك المسلمون واستعظمه الفقهاء ، فلما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك ردهم الى قبرس ، فاستحسن المسلمون ذلك من فعله ورأوه عدلاً .

وكتب يحيى بن حمزة : إن أمر قبرس كأمر عربسوس (٢) فإن فيها قدوة حسنة وسنة متبعة ، وكان من أمرها أن عمير بن سعد قال لعمر بن الخطاب ، وقدم عليه : إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس ، وإنهم يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدونا ، فقال عمر : فإذا قدمت فخيرهم أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ، ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء

---

(١) سورة يوسف - الآية : ٥٢ .

(٢) افسوس - مدينة أهل الكهف - في جنوبي تركيا على الساحل كان لها دورها في التاريخ القديم وفي فترة الحروب الصليبية . انظر بغية الطلب : ١ / ٣٣٠ - ٣٣١ .

شيئين فإذا رضوا بذلك فاعطهم إياه وأجلهم واخربها ، فإن أبوا فانبـذ إليهم وأجلهم سنـــة ثم اخربها ، فانتهى عمير الى ذلك ، فأبوا ، فأجلهم سنـــة ثم أخربها ، وكان لهم عهد كعهد أهـــل قبرس ، وترك أهل قبرس على صلحهم والاستعانة بما يؤدون على أمور المسلين أفضل ، وكل اهل عهد لا يقاتـــل المسلمون من ورائهـــم ويجرون عليهم أحكامهم في دارهم فليسوا بذمة ، ولكنهم أهل فدية يكف عنهم ما كفوا ، ويوفى لهم بعهدهم ما وفوا ورضوا ويقبل عفوهم ما أدوا .

وقد روي عن معاذ بن جبل : أنه كره أن يصالح أحد من العدو على شيء معلوم إلا أن يكون المسلمون مضطرين الى صلحهم ، لأنه لا يدرى لعل صلحهم نفع وعز للمسلمين .

وكتب أبو إسحاق الفزاري ، ومخلد بن الحسين : إنا لم نر شيئاً أشبـه بأمر قبرس من أمر عربسوس ، وما حكم به فيها عمر بن الخطاب فإنه عرض عليهـم ضعف مالهم على أن يخرجوا منها ، أونظرة سنة بعد نبذ عهدهم إليهـــم فأبوا الأولى فأنظروا ثم أخربت،وقد كان الأوزاعي يحدث: أن قبرس فتحت فتركوا على حالهم وصولحوا على أربعة عشر ألف دينار ، سبعة آلاف للمسلمين ، وسبعة آلاف للروم على أن لا يكتموا الروم أمر المسلمين ، وكان يقول : مـا وفى لنا اهل قبرس قط وإنا لنرى أنهم أهل عهد وان صلحهم وقع على شيء فيـه شرط لهم وشرط عليهم ولا يستقيم نقضه إلا بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم [1] .

(١) انظر كتاب الأموال : ٢٤٨-٢٥٤ . ورواية الأموال أوفى من رواية البلاذري وتختلف في كثير من الجوانب الهامة .

أمر السامرة

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو : أن أبا عبيدة ابن الجراح صالح السامرة بالأردن وفلسطين – وكانوا عيوناً وأدلاء للمسلمين – على جزية رؤوسهم وأطعمهم أرضهم ، فلما كان يزيد بن معاوية وضع الخراج على أرضهم .

وأخبرني قوم من أهل المعرفة بأمر جنديّ الأردن وفلسطين : أن يزيد بن معاوية وضع الخراج على أراضي السامرة بالأردن ، وجعل على رأس كل امرىء منهم دينارين ، ووضع الخراج أيضاً على أرضهم بفلسطين ، وجعل على رأس كل امرىء منهم خمسة دنانير ، والسامرة يهود ، وهم صنفان صنف يقال لهم: الدستان وصنف يقال لهم : الكوشان .

قالوا : وكان بفلسطين في أول خلافة أمير المؤمنين الرشيد – رحمه الله – طاعون جارف ، ربما أتى على جميع أهل البيت ، فخربت أرضهم وتعطلت ، فوكل السلطان بها من عمرها وتألف الأكرة والمزارعين إليها ، فصارت ضياعاً للخلافة ، وبها السامرة ، فلما كانت سنة ست وأربعين ومائتين رفع أهل قرية من تلك الضياع تدعى بيت ماما من كورة نابلس وهم سامرة يشكون ضعفهم وعجزهم عن أداء الخراج على خمسة دنانير ، فأمر المتوكل على الله بردهم الى ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير .

حدثني هشام بن عمار ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو وسعيد بن عبد العزيز : أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدي إليهم مالاً وارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببعلبك[1] ، ثم إن الروم غدرت فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم ، وخلوا سبيلهم ، وقالوا : وفاء بغدر خير من غدر بغدر ، قال هشام : وهو قول العلماء : الأوزاعي وغيره .

---

(١) كان هذا أثناء حشد معاوية لقوات بلاد الشام والتوجه على رأسها للقتال في صفين .

أمر الجراجمة

حدثني مشايخ من أهل انطاكية : أن الجراجمة من مدينة على جبل اللكام عند مدن الزاج فيما بين بياس وبوقا ، يقال لها الجرجومة وأن أمرهم كان في أيام استيلاء الروم على الشام وأنطاكية الى بطريق أنطاكية وواليها ، فلما قدم أبو عبيدة أنطاكية وفتحها لزموا مدينتهم ، وهموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم ، فلم ينتبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم ، ثم إن أهل أنطاكية نقضوا وغدروا ، فوجه إليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهري ، فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ، ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين ، وعيوناً ومسالح في جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ،وأن ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم .

ودخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وغيرهم ، وأهل القرى في هذا الصلح فسموا الرواديف لأنهم تلوهم وليسوا منهم ، ويقال : إنهم جاؤوا بهم الى عسكر المسلمين وهم أرداف لهم فسموا رواديف ، فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويرجعون أخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم .

فلما كانت أيام ابن الزبير وموت مروان بن الحكم ، وطلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته إياه عهده ، واستعداده الشخوص الى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير ، خرجت خيل للروم الى جبل اللكام ، وعليها قائد من قوادهم ، ثم صارت الى لبنان ، وقد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين ، فاضطر عبد الملك الى أن صالحهم على ألف دينار في كل

جمعة ، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه لشغله عن محاربته ، وتخوفه أن يخرج الى الشام فيغلب عليه ، واقتدى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فإنه صالحهم على أن يؤدي إليهم مالا ، وارتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك ، ووافق ذلك أيضاً طلب عمرو بن سعيد بن العاصي الخلافة ، واغلاقه أبواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها ، فازداد شغلاً وذلك في سنة سبعين .

ثم إن عبد الملك وجه الى الرومي سحيم بن المهاجر فتلطف حتى دخل عليه متنكراً فأظهر الممالأة له ، وتقرب إليه بذم عبد الملك وشتمه وتوهين أمره ، حتى أمنه ، واغتر به ، ثم إنه انكفأ عليه بقوم من موالي عبد الملك وجنده ، كان أعدهم لمواقعته ، ورتبهم بمكان عرفه فقتله ومن كان معه من الروم ، ونادى في سائر من ضوى إليه بالأمان فتفرق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ، ورجع أكثرهم الى مدينتهم باللكام ، وأتى الأنباط قراهم ، ورجع العبيد الى مواليهم .

وكان ميمون الجرجماني عبداً رومياً لبني أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان ، وهم ثقفيون ، وإنما نسب الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لبنان معهم ، فبلغ عبد الملك عنه بأس وشجاعة ، فسأل مواليه أن يعتقوه ففعلوا وقوده على جماعة من الجند وصيره بأنطاكية ، فغزا مع مسلمة بن عبد الملك الطوانة [(١)] وهو على ألف من أهل أنطاكية ، فاستشهد بعد بلاء حسن ، وموقف مشهود ، فغم عبد الملك مصابه ، وأغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثأره .

قالوا : ولما كانت سنة تسع وثمانين اجتمع الجراجمة الى مدينتهم ، وأتاهم قوم من الروم من قبل الاسكندرونة وروسيس [(٢)] ، فوجه الوليد بن عبد الملك

---

(١) بلد بثغور المصيصة . معجم البلدان .

(٢) كورة من كور العواصم راكبة البحر بين أنطاكية وطرسوس . معجم البلدان .

إليهم مسلمة بن عبد الملك فأناخ عليهم في خلق من الخلق، فافتتحها على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام، ويجرى على كل امرىء منهم ثمانية دنانير ، وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت ، وهو مديان من قمح وقسطار [١] من زيت ، وعلى أن لا يكرهوا ولا أحد من أولادهم ونسائهم على ترك النصرانية ، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا اسلاب من يقتلونه مبارزة ، وعلى أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين فأخرب مدينتهم وانزلهم فأسكنهم جبل الحوار وشيح اللولون ، وعمق تيزين ، وصار بعضهم الى حمص ، ونزل بطريق الجرجومة في جماعة معه أنطاكية ، ثم هرب الى بلاد الروم ، وقد كان بعض العمال ألزم الجراجمة بأنطاكية جزية رؤوسهم فرفعوا ذلك الى الواثق بالله ، رحمه الله ، وهو خليفة فأمر باسقاطها عنهم .

وحدثني بعض من أثق به من الكتاب : أن المتوكل على الله رحمه الله أمر بأخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة ، وأن تجرى عليهم الأرزاق إذا كانوا ممن يستعان به في المسالح وغير ذلك .

وزعم أبو الخطاب الأزدي : أن أهل الجرجومة كانوا يغيرون في أيام عبد الملك على قرى أنطاكية والعمق ، وإذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلف واللاحق ، ومن قدروا عليه ممن في أواخر العسكر ، وغالوا في المسلمين ، فأمر عبد الملك ففرض لقوم من أهل أنطاكية وأنباطها ، وجعلوا مسالح، وأردفت بهم عساكر الصوائف ليذبوا الجراجمة عن أواخرها، فسموا الروادیف، وأجرى على كل امرىء منهم ثمانية دنانير . والخبر الأول أثبت [٢] .

وحدثني أبو حفص الشامي عن محمد بن راشد عن مكحول ، قال : نقل

---

(١) القسطار هو الميزان – المعرب للجواليقي : ٢٦٣ .

(٢) انظر بغية الطلب : ١ / ٢٣١ – ٢٣٤ .

معاوية في سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين الى السواحل قومـــاً من زط[١] البصرة ، والسيابجة وأنزل بعضهم انطاكية .

قال أبو حفص بأنطاكية محلة تعرف بالزط ، وببوقا ، من عمل أنطاكية ، قوم من أولادهم يعرفون بالزط ، وقـــد كان الوليد بن عبد الملك نقل الى أنطاكية قوماً من زط السند ، ممن حمله محمد بن القاسم الى الحجاج ، فبعث بهم الحجاج الى الشام[٢] .

وحدثني محمـــد بن سعد عن الواقدي ، قال : خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك ، فوجـــه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قتل مقاتلتهـــم وأقر من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم وأجلى قومـــاً من أهل لبنان .

فحدثني القاسم بن سلام أن محمـــد بن كثير حدثه ، أن الأوزاعي : كتب الى صالح رسالة طويلة حفظ منها : وقد كان من إجلاء أهل الذمـــة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجـــه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت،فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا مـــن ديارهم وأموالهم ، وحكم الله تعالى ﴿ أن لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[٣] وهو أحق ما وقف عنده واقتدي به ، وأحـــق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال « من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه »[٤] ثم ذكر كلاماً[٥] .

---

(١) هم من زلوج الهند jet .

(٢) انظر بغية الطلب : ١ / ٩٠ — ٩١ .

(٣) سورة النجم — الآية : ٣٨ .

(٤) انظر كنز العمال : ٤ / ١٠٩٤٧ .

(٥) انظر كتاب الأموال : ٢٤٧ — ٢٤٨ .

حدثني محمد بن سهم الأنطاكي ، قال : حدثني معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري ، قال : كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية ، مما يلي ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم للمراكب الغزو ، وترتب الحفظة في السواحل ، ويكون الاغفال والتفريط خلال الحذر والتيقظ ، فلما ولي أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها ، فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج الى البناء منها ، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور .

ثم لما استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها .

قال معاوية بن عمرو : وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو ، ونفاذ بصيرته في الجهاد أمراً عظيماً ، أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الأموال في الثغور والسواحل وأشجى الروم وقمعهم .

وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب في جميع السواحل ، وأن تشحن بالمقاتلة وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين .



الثغور الشامية

حدثني مشايخ من أهل أنطاكية وغيرهم ، قالوا : ثغور المسلمين الشامية أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما وما بعد ذلك : أنطاكية وغيرها من المدن التي سماها الرشيد عواصم ، فكان المسلمون يغزون ما وراءهـــا كغزوهم اليوم ما وراء طرسوس ، وكان فيما بـــين الاسكندرونة وطرسوس حصون ومسالح للروم كالحصون والمسالح التي يمر بها المسلمون اليوم فربما أخلاها أهلها وهربوا الى بلاد الروم خوفاً، وربما نقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به، وقد قيل : إن هرقل أدخل أهل هذه المدن معه عند انتقاله من أنطاكية لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم والله أعلم .

وحدثني ابن طيبون البغراسي عن أشياخهم أنهم قالوا : الأمر المتعالم عندنا أن هرقل نقل أهل هذه الحصون معه وشعثها، فكان المسلمون إذا غزوا لم يجدوا بها أحداً ، وربما كمن عندها القوم من الروم فأصابوا غـرة المتخلفين عن العسكر والمنقطعين عنها ، فكان ولاة الشواتي والصوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلفوا بها جنداً كثيفاً الى خروجهم (١) .

وقد اختلفوا في أول من قطـع الدرب وهو درب بغراس ، فقال بعضهم : قطعه ميسرة بن مسروق العبسي وجهه أبو عبيدة بن الجراح فلقي جمعاً للروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقـــع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم لحق به مالك الأشتر النخعي مـــدداً من قبل أبي عبيدة وهو بأنطاكية .

---

(١) انظر بغية الطلب : ١ / ١٦٠ .

وقال بعضهم : أول من قطع الدرب عمير بن سعد الأنصاري حين توجه في أمر جبلة بن الأيهم .

وقال أبو الخطاب الأزدي : بلغني أن أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمر بالمِصِّيصة [١] وطرسوس [٢] وقد جلا أهلها وأهل الحصون التي تليها فادرب فبلغ في غزاته زندة [٣] ، وقال غيره : انما وجه ميسرة بن مسروق فبلغ زندة .

حدثني أبو صالح الفراء عن رجل من أهل دمشق يقال له عبد الله بن الوليد عن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسي ، فيما يحسب أبو صالح ، قال : لما غزا معاوية غزوة عمورية في سنة خمس وعشرين وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية ، فوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين، حتى انصرف من غزاته ، ثم أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ، وكانت الولاة تفعله .

وقال هذا الرجل : ووجدت في كتاب مغازي معاوية أنه غزا سنة إحدى وثلاثين من ناحية المصيصة فبلغ دَرولية [٤] ، فلما خرج جعل لا يمر بحصن فيما بينه وبين أنطاكية إلا هدمه .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره، قال : لما كانت سنة أربع وثمانين غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فدخل من درب أنطاكية ،

---

(١) مدينة مذكورة من الثغور الشامية ، وتشتمل على مدينتين بينهما نهر جيحان، مدينة المصيصة من الجانب الغربي من النهر ومدينة كفربيا من الجانب الشرقي . بغية الطلب : ١ / ١٥٣ .

(٢) أعظم مدن الثغور الشامية ما زالت قائمة في جنوبي تركيا وهي مدينة كبيرة .

(٣) اقتصر ياقوت في تعريفه لها بقوله : « بلد بالروم من فتوح أبي عبيدة » .

(٤) مدينة في أرض الروم ورد ذكرها في شعر أبي تمام . معجم البلدان .

وأتى المصيصة فبنى حصنها على أساسه القديم،ووضع بها سكاناً من الجند فيهم ثلاثمائة رجـل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجداً فوق تـــل الحصن ، ثم سار في جيشه حتى غزا حصن [١] سنان ففتحه، ووجه يزيد بن حنين الطائي الأنطاكي فأغار ثم انصرف إليه .

وقال أبو الخطاب الأزدي : وكان أول من ابتنى حصن المصيصة في الإسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك في سنة أربع وثمانين على أساسها القديم ، فتم بناؤها وشحنها في سنة خمس وثمـانين ، وكانت في الحصن كنيسة جعلت هريا [٢] ، وكانت الطوالع من أنطاكيـــه تطلع عليها في كل عام ، فتشتو بها ، ثم تنصرف ، وعدة من كان يطلع إليها ألف وخمسمائـــة الى الألفين .

قالوا : وشخص عمر بن عبد العزيز حتى نزل هُري المصيصة وأراد هدمهـا وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها فأعلمه الناس أنها إنما عمرت ليدفع من بها الروم عن أنطاكيه، وأنه إن أخربها لم يكن للعدو ناحية دون أنطاكيه ، فأمسك وبنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحيـــة كفربيا واتخذ فيه صهريجاً ، وكان اسمه عليه مكتوباً ، ثم إن المسجد خرب في خلافة المعتصم بالله وهو يدعى مسجد الحصن .

قالوا : ثم بنى هشام بن عبد الملك الربض، ثم بنى مروان بن محمد الخصوص في شرقي جَيْحان وبنى عليها حائطاً ، وأقام عليه باب خشب، وخندق خندقاً، فلما استخلف أبو العباس فرض بالمصيصة لأربعمائـــة رجل زيادة في شحنتها

---

(١) عرفه ياقوت بقوله : « في بلاد الروم فتحـــه عبد الله بن عبد الملك ابن مروان » .

(٢) مستودعاً .

وأقطعهم ، ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصيصة لأربعمائة رجل،ثم لما دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة أمر بعمران مدينة المصيصه ، وكان حائطها متشعثاً من الزلازل ، وأهلها قليل في داخل المدينة، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة أربعين ومائة وسماها المعمورة وبنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها ، وجعله مثل مسجد عمر مرات ، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب،وفرض المنصور فيها لألف رجل،ثم نقل أهل الخصوص، وهم فرس وصقالبة وأنباط نصارى، كان مروان أسكنهم إياها وأعطاهم خططاً في المدينة عوضاً عن منازلهم على ذرعها ، ونقض منازلهم ، وأعانهم على البناء ، وأقطع الفرض قطائع ومساكن ، ولما استخلف المهدي فرض بالمصيصه لألفي رجل ، ولم يقطعهم ، لأنها قد كانت شحنت من الجند والمطوعة، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكيه في كل عام حتى وليها سالم البُرُنسي وفرض معه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير عشرة دنانير ، فكثر من بهـا وقووا ، وذلك في خلافة المهدي .

وحدثني محمد بن سهم عن مشايخ الثغر،قالوا : ألحت الروم على أهل المصيصة في أول أيام الدولة المباركة حتى جلوا عنها ، فوجه صالـح بن علي جبريل بن يحيى البجلي إليها فعمرها ، وأسكنها الناس في سنة أربعين ومائة وبنى الرشيد كفربيا ، ويقال بل كانت ابتدئت في خلافة المهدي ، ثم غير الرشيد بناءهـا ، وحصنها بخندق ، ثم رفع الى المأمون في أمر غلة كانت على منازلها فأبطلها ، وكانت منازلها كالخانات ، وأمر فجعل لها سور فرفع فلم يستتم حتى توفي ، فأمر المعتصم بالله بإتمامه وتشريفه [١] .

قالوا : وكان الذي حصن المثقب [٢] هشام بن عبد الملك على يـد حسان بن

---

(١) بناء شرفات له .

(٢) حصن على ساحل البحر المتوسط بغية الطلب : ١ / ٢٢٤ .

ماهويه الأنطاكي ، ووجد في خندقـــه حين حفر ساق مفرط الطول، فبعث به الى هشام .

وبنى هشام حصن قطر [١] غاش على يدي عبد العزيز بن حيان الأنطاكي .

وبنى هشام حصن مورة [٢] على يدي رجل من أهل أنطاكيــة ، وكان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له في درب اللكام عند العقبة البيضاء، ورتب فيه أربعين رجلاً ، وجماعة من الجراجمة، وأقام ببغراس مسلحـــة في خمسين رجلاً ، وابتنى لها حصناً .

وبنى هشام حصن [٣] بوقا من عمل أنطاكيه ، ثم جُدد ، وأصبح حديثاً .

وبنى محمد بن يوسف المروزي المعروف بأبي سعيد حصناً بساحل أنطاكية بعد غارة الروم على ساحلها في خلافة المعتصم بالله رحمه الله .

حدثني دؤاد بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه عن جده ان عمر بن عبـد العزيز رضي الله عنه أراد هدم المصيصة ونقل أهلها عنها ، لمـا كانوا يلقون من الروم فتوفي قبل ذلك [٤] .

وحدثني بعض أهل انطاكية وبغراس : ان مسلمة بن عبد الملك لمـــا غزا عمورية ، حمل معه نساءه ، وحمل ناس ممن معه نساءهم ، وكانت بنو أمية تفعل ذلك إرادة الجد في القتال للغيرة على الحرم فلما صار في عقبة بَغْراس عند الطريق المستدقة التي تشرف على الوادي سقط محمل فيه امرأة الى الحضيض ، فأمر مسلمة أن تمشي سائر النساء ، فمشين، فسميت تلك العقبة عقبة النساء .

---

(١) هذا الحصن بين أنطاكية والمثقب . بغية الطلب : ١ / ٢٢٧ .

(٢) حصن في جبل اللكام . بغية الطلب : ١ / ٢٢٨ .

(٣) له كورة تنسب إليه من عمل أنطاكية . بغية الطلب : ١ / ٢٢٩ .

(٤) انظر بغية الطلب : ١ / ١٥٦ — ١٥٨ .

وقد كان المعتصم بالله رحمه الله بنى على حد تلك الطريق حائطاً قصيراً من حجارة .

وقال أبو النعمان الأنطاكي : كان الطريق فيما بين أنطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الأسد، فلما كان الوليد بن عبد الملك شكي ذلك إليه، فوجه أربعة آلاف جاموسة وجاموس فنفع الله بها .

وكان محمد بن القاسم الثقفي عامل الحجاج على السند بعث منها بألوف جواميس، فبعث الحجاج الى الوليد منها بما بعث من الأربعة آلاف ، وألقى باقيها في آجام كسكر (١) .

ولما خلع يزيد بن المهلب ، فقتل (٢) وقبض يزيد بن عبد الملك أموال بني المهلب ، أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر فوجه بها يزيد بن عبد الملك الى المصيصة أيضاً مع زُطها ، فكان أصل الجواميس بالمصيصة ثمانية آلاف جاموسة ، وكان أهل أنطاكية وقنسرين قد غلبوا على كثير منها واختاروه لأنفسهم في أيام فتنة مروان بن محمد بن مروان، فلما استخلف المنصور أمر بردها الى المصيصة، وأما جواميس أنطاكيه فكان أصلها ما قدم به الزُّط معهم ، وكذلك جواميس بوقا .

وقال أبو الخطاب: بني الجسر الذي على طريق أذَنَة (٣) من المصيصة، وهو على تسعة أميال من المصيصة سنة خمس وعشرين ومائة ويدعى جسر الوليد وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول (٤) .

(١) كورة واسعة بالعراق وقصبتها واسط بين الكوفة والبصرة . معجم البلدان .

(٢) انظر حول ثورته كتابي « تاريخ العرب والإسلام » : ٢١٥ – ٢١٧ .

(٣) هي مدينة أضنه الحالية في تركيا. انظر بغية الطلب: ١ / ١٦٩–١٧١.

(٤) قتل بالبخراء قرب تدمر سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م . تاريخ العرب والإسلام : ٢٢٦ .

وقال أبو النعمان الأنطاكي وغيره : بنيت أذَنَة في سنة إحدى وأربعين ومائة ، أو اثنتين وأربعين ومائة ، والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحيى البجلي ، ومن أهل الشام مع مالك بن أدهم الباهلي ووجهها صالح بن علي .

قالوا : ولما كانت سنة خمس وستين ومائة أغزى المهدي ابنه هارون الرشيد بلاد الروم ، فنزل على الخليج ، ثم خرج فَرَمَّ المصيصة ومسجدها ، وزاد في شحنتها وقوى أهلها وبنى القصر الذي عند جسر أذنة على سيحان ، وقد كان المنصور أغزى صالح بن علي بلاد الروم ، فوجه هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والأردن وغيرهم ، فبنى ذلك القصر ، ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه .

ثم لما كانت سنة أربع وتسعين ومائة ، بنى أبو سليم فرج الخادم أذنة ، فأحكم بناءها وحصنها ، وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم، على زيادة في العطاء ، وذلك بأمر محمد بن الرشيد ، فرم قصر سيحان ، وكان الرشيد توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وعامله على أعشار الثغور أبو سليم فأقره محمد، وأبو سليم هذا هو صاحب الدار بانطاكية [1] .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم ، سنة اثنتين وستين ومائة في أهل خراسان، وأهل الموصل والشام، وأمداد اليمن ، ومطوعة العراق والحجاز ، خرج مما يلي طرسوس فأخبر المهدي بما في بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام والكبت للعدو والوقم [2] له فيما يحاول ويكيد، وكان الحسن قد أبلى في تلك الغزاة بلاء حسناً

---

(١) حدثنا ابن العديم عن أبي سليم وأنه كان من أولاد الملوك بخراسان أصابه الخصي في أواخر أيام المنصور . بغية الطلب : ١ / ١٧٠ .

(٢) وقمه : قهره وأذله ، أو ردّه أقبح الرد . القاموس .

ودوخ أرض الروم حتى سموه التنّين، وكان معه في غزاته مندل العنزي المحدث الكوفي ومُعْتَمِر بن سُليمان البصري .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني سعد بن الحسن ، قال : لما خرج الحسن من بلاد الروم نزل مرج طرسوس فركب الى مدينتها ، وهي خراب ، فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها، وحزر عدة من يسكنها فوجدهم مائة ألف ، فلما قدم على المهدي وصف له أمرها وما في بنائها وشحنتها من غيظ العدو وكبته ، وعز الإسلام ، وأهله وأخبره في الحدث [1] أيضاً بخبر رغبه في بناء مدينتها فأمره ببناء طرسوس ، وأن يبدأ بمدينة الحدث فبنيت ، وأوصى المهدي ببناء طرسوس .

فلما كانت سنة إحدى وسبعين ومائة بلغ الرشيد أن الروم ائتمروا بينهم بالخروج الى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتلة فيها فأغزى الصائفة في سنة إحدى وسبعين ومائة هرثمة بن أعين، وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها ففعل ، وأجرى أمرها على يد فرج الخادم أبي سليم بأمر الرشيد ، فوكل فرج ببنائها ، وتوجه أبو سليم الى مدينة السلام فأشخص الندبة الأولى من أهل خراسان ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، فوردوا طرسوس، ثم أشخص الندبة الثانية وهم ألفا رجل : ألف من أهل المصيصة ، وألف من أهل أنطاكية ، على زيادة عشرة دنانير عشرة دنانير لكل رجل في أصل عطائه ، فعسكروا مع الندبة الأولى بالميدان على باب الجهاد في مستهل المحرم سنة اثنتين وسبعين ومائة الى أن استتم بناء طرسوس وتحصينها ، وبناء مسجدها ، ، ومسح فرج ما بين النهر إلى النهر فبلغ ذلك أربعة آلاف خطة ، كل خطة عشرون ذراعاً في مثلها ،

---

(١) تسميها الأرمن كَيْنُوك وتسميها الأكراد الهَتّ . انظر بغية الطلب: ١ / ٢٣٩ .

وأقطع أهل طرسوس الخطط ، وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين ومائة .

قالوا : وكان عبد الملك بن صالح قد استعمل يزيد بن مخلد الفزاري على طرسوس ، فطرده من بها من أهل خراسان ، واستوحشوا منه الهبيرية ، فاستخلف أبا الفوارس فأقره عبد الملك بن صالح وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة [١] .

قال محمد بن سعد: حدثني الواقدي ، قال : جلا أهل سيسية ولحقوا بأعلى الروم في سنة أربع وتسعين ومائة أو ثلاث وتسعين ومائة ، وسيسية مدينة تلي عين زربة ، وقد عمرت في خلافة المتوكل على الله على يدي علي بن يحيى الأرمني ، ثم أخربتها الروم [٢] .

قالوا : فكان الذي أحرق أنطاكية المحترقة ببلاد الروم عباس بن الوليد ابن عبد الملك [٣] .

قالوا : وتل جُبير نسب الى رجل من فرس أنطاكية كانت له عنده وقعة وهو من طرسوس على أقل من عشرة أميال [٤] .

قالوا : والحصن المعروف بذي الكلاع إنما هو الحصن ذو القلاع لأنه على ثلاث قلاع فحرف اسمه وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب [٥] .

وقالوا : سميت كنيسة الصلح لأن الروم لما حملوا صلحهم الى الرشيد نزلوها،

---

(١) انظر بغية الطلب : ١ / ١٨٥ - ١٨٦ .
(٢) مدينة قريبة من عين زربة . بغية الطلب : ١ / ٢٢٥ .
(٣) انظر حولها بغية الطلب : ١ / ٩٧ .
(٤) انظر بغية الطلب : ١ / ٢١٧ .
(٥) انظر حوله بغية الطلب : ١ / ٢٢٦ .

ونسب مرج حسين الى حسين بن مسلم الأنطاكي، وذلك أنه كانت له به وقعة ونكاية في العدو .

قالوا : وأغزى المهدي ابنه هارون الرشيد في سنة ثلاث وستين ومائة ، فحاصر أهل صمالو[1] وهي التي تدعوها العامة سمالو فسألوا الأمان لعشرة أهل أبيات فيهم القومس فأجابهم الى ذلك ، وكان في شرطهم أن لا يفرق بينهم فأنزلوا ببغداد على باب الشماسية فسموا موضعهم سمالو فهو معروف، ويقال بل نزلوا على حكم المهدي ، فاستحياهم وجمعهم بذلك الموضع ، وأمر أن يسمى سمالوا ، وأمر الرشيد فنودي على من بقي في الحصن فبيعوا، وأخذ حبشي كان يشتم الرشيد والمسلمين ، فصلب على برج من أبراجه .

وحدثني أحمد بن الحارث الواسطي عن محمد بن سعد عن الواقدي، قال: لما كانت سنة ثمانين ومائة أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زربة[2] وتحصينها ، وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم ، فأقطعهم بها المنازل ، ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر ببناء الهارونية فبنيت وشحنت أيضاً بالمقاتلة ومن نزح إليها من المطوعة ونسبت إليه ، ويقال انه بناها في خلافة المهدي ثم أتمت في خلافته .

قالوا : وكانت الكنيسة السوداء من حجارة سود ، بناها الروم على وجه الدهر ، ولها حصن قديم أخرب فيما أخرب، فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها ، وندب إليها المقاتلة في زيادة العطاء .

وأخبرني بعض أهل الثغر وعزّان بن سعد: أن الروم أغارت عليها، والقاسم ابن الرشيد مقيم بدابق ، فاستاقوا مواشي أهلها وأسروا عدة منهم، فنفر إليهم

---

(١) قرب المصيصة وطرسوس . معجم البلدان .

(٢) تبعد عين زربة عن المصيصة ثمانية عشر ميلاً . بغية الطلب : ١ / ١٦٧ .

أهل المصيصة ومطوعتها ، فاستنقذوا جميع ما صار إليهم وقتلوا منهم بشراً كثيراً ، ورجع الباقون منكوبين مفلولين ، فوجه القاسم من حصّن المدينة ورمها وزاد في شحنتها [١] .

وقد كان المعتصم بالله نقل الى عين زربة ونواحيها بشراً من الزط الذين قد كانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة ، فانتفع أهلها بهم [٢] .

حدثني أبو صالح الأنطاكي ، قال : كان أبو إسحاق الفزاري يكره شراء أرض بالثغر ، ويقول : غلب عليه قوم في بدء الأمر ، وأجلوا الروم عنه ، فلم يقتسموه ، وصار إلى غيرهم ، وقد دخلت في هذا الأمر شبهة ، العاقل حقيق بتركها .

وكانت بالثغر ايغارات قد تحيفت ما يرتفع من أعشاره ، حتى قصرت عن نفقاته ، فأمر المتوكل في سنة ثلاث وأربعين ومائتين بإبطال تلك الإيغارات فأبطلت .



---

(١) انظر بغية الطلب : ١ / ١٧٣ — ١٧٤ .

(٢) انظر بغية الطلب : ١ / ١٦٨ .

فتوح الجزيرة

حدثني دؤاد بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه عن جده عن ميمون بن مهران ، قال : الجزيرة كلها فتوح عياض بن غَنْم بعد وفاة أبي عبيدة ولاه إياها عمر بن الخطاب ، وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام فولى عمر بن الخطاب يزيد ابن أبي سفيان ، ثم معاوية من بعده الشام ، وأمر عياضاً بغزو الجزيرة .

وحدثني الحسين بن الأسود، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن عدة من الجزريين عن سليمان بن عطاء القرشي ، قال : بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فمات أبو عبيدة وهو بها ، فولاه عمر إياها بعد .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا النفيلي عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا سليمان بن عطاء ، قال: لما فتح عياض بن غَنْم الرُّها [1] وكان أبو عبيدة وجهه وقف على بابها على فرس له كميت فصالحوه، على أن لهم هيكلهم وما حوله، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة إلا ما كان لهم ، وعلى معونة المسلمين على عدوهم ، فان تركوا شيئاً مما شرط عليهم فلا ذمة لهم ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرها .

وقال محمد بن سعد ، قال الواقدي : أثبت ما سمعنا في أمر عياض أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة ، واستخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقنسرين والجزيرة ، فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ثماني عشرة في خمسة آلاف ، وعلى مقدمته ميسرة بن

(١) هي أورفا الحالية في تركيا ، وهي بالأصل من أعرق مدن بلاد الشام حضارة وثقافة ، وقد شغلت دوراً كبيراً في أحداث فترة الحروب الصليبية .

مسروق العبسي ، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي ، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل السلمي، و [قيل] (١) كان خالد بن الوليد على ميسرته.

ويقال : إن خالداً لم يسر تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة ولزم حمص حتى توفي بها سنة إحدى وعشرين ، وأوصى إلى عمر ،وبعضهم يزعم أنه مات بالمدينة وموته بحمص أثبت .

قالوا : فانتهت طليعة عياض إلى الرقة ، فأغاروا على حاضر كان حولها للعرب وعلى قوم من الفلاحين ، فأصابوا مغنما ، وهرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرقة .

وأقبل عياض في عسكره حتى نزل باب الرها وهو أحد أبوابها في تعبئة ، فرمى المسلمون ساعة حتى جرح بعضهم ، ثم إنه تأخر عنهم لئلا تبلغه حجارتهم وسهامهم ، وركب فطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، ثم رجع الى عسكره،وبث السرايا،فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى وبالأطعمة الكثيرة، وكانت الزروع مستحصدة،فلما مضت خمسة أيام أو ستة وهم على ذلك، أرسل بطريق المدينة الى عياض يطلب الأمان، فصالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم ، وقال عياض : الأرض لنا قد وطئناها وأحرزناها فأقرها في أيديهم على الخراج ، ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة فرفضوه الى المسلمين على العشر،ووضع الجزية على رقابهم فألزم كل رجل منهم ديناراً في كل سنة ، وأخرج النساء والصبيان ، ووظف عليهم مع الدينار أقفزة من قمح ، وشيئاً من زيت وخل وعسل ، فلما ولي معاوية جعل ذلك جزية عليهم ، ثم أنهم فتحوا أبواب المدينة وأقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرُّها فكتب لهم عياض:

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامة السياق .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها .

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، لا تخرب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية التي عليهم ، ولم يحدثوا مغيلة وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً شهد الله ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ (١) وختم عياض بخاتمه .

ويقال : ان عياضاً ألزم كل حالم من أهل الرقة أربعة دنانير ، والثبت أن عمر كتب بعد الى عمير بن سعد وهو واليه أن ألزم كل امرىء منهم أربعة دنانير كما ألزم أهل الذهب .

قالوا : ثم سار عياض الى حرّان (٢) فنزل باجدى (٣) وبعث مقدمته فأغلق أهل حرّان أبوابها دونهم ثم اتبعهم ، فلما نزل بها بعث إليه الحرنانية (٤) من أهلها يعلمونه أن في أيديهم طائفة من المدينة ويسألونه أن يصير الى الرُّها فما صالحوه عليه من شيء قنعوا به وخلوا بينه وبين النصارى حتى يصيروا إليه ، وبلغ النصارى ذلك فأرسلوا إليه بالرضى بما عرض الحرنانية وبذلوا، فأتى الرها وقد جمع له أهلها فرموا المسلمين ساعة ، ثم خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتى ألجأوهم الى المدينة ، فلم ينشبوا أن طلبوا الصلح والأمان ، فأجابهم عياض إليه وكتب لهم كتاباً نسخته .

---

(١) سورة النساء – الآية : ٧٩ .

(٢) هي الآن داخل تركية مع أنها من أعرق مدن بلاد الشام وأعظمها دوراً في التاريخ القديم مع عصور الإسلام المبكرة .

(٣) قرية كبيرة بين رأس العين والرقة . معجم البلدان .

(٤) كان معظم سكان حران من الصابئة وهؤلاء هم الذين عناهم البلاذري.

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من عياض بن غَنْم لأسقف الرها .

إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إليّ عن كل رجل ديناراً ومدي قمح ، فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم إرشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين . شهد الله ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ .

وحدثني دؤاد بن عبد الحميد عن أبيه عن جده ، ان كتاب عياض لأهل الرها :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها .

إني أمنتهم على دمائهم وأموالهم ،وذراريهم ونسائهم، ومدينتهم وطواحينهم إذا أدوا الحق الذي عليهم ، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالنا. شهد الله وملائكته والمسلمون [١] .

قال : ثم أتى عياض حران ووجه صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة الفهري الى سميساط [٢] ، فصالح عياض أهل حران على مثل صلح الرها ، وفتحوا له أبوابها وولاها رجلا ، ثم سار الى سميساط فوجد صفوان بن المعطل ، وحبيب بن مسلمة مقيمين عليها ، وقد غلبا على قرى وحصون من قراها وحصونها ، فصالحه أهلها على مثل صلح أهل الرها ، وكان عياض يغزو من الرها ثم يرجع إليها .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري ، قال : لم يبق

---

(١) انظر تاريخ الرقة لمحمد بن سعيد القشيري — ط . حماه ١٩٥٩ : ٣ — ٧ . الأعلاق الخطيرة لابن شداد — قسم الجزيرة — ط . دمشق ١٩٧٨ : ١ / ٨٨ — ٩٠ .

(٢) مدينة صغيرة على الفرات .

بالجزيرة موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم : فتح حران ، والرها ، والرقة ، وقرقيسيا ، ونصيبين [١] ، وسنجار [٢] .

وحدثني محمد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن مسلمة عن فرات بن سلمان عن ثابت بن الحجاج،قال : فتح عياض الرقة وحران والرها ونصيبين وميافارقين[٣] وقرقيسيا ، وقرى الفرات ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة.

وحدثني محمد عن الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد أن عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً ، وأرضها عنوة .

وقد روي : أن عياضاً لما أتى حران من الرقة وجدها خالية قد انتقل أهلها إلى الرها فلما فتحت الرها صالحوه عن مدينتهم وهم بها وكان صلحهم مثل صلح الرها .

وحدثني أبو أيوب الرقي المؤدب،قال : حدثني الحجاج بن أبي منيع الرصافي عن أبيه عن جده ، قال: فتح عياض الرقة ، ثم الرها ، ثم حران ، ثم سميساط على صلح واحد ، ثم أتى سروج [٤] ورأس كيفا [٥] والأرض البيضاء فغلب على أرضها وصالح أهل حصونها على مثل صلح الرها .

---

(١) في تركيا الآن يطلق عليها اسم ديار بكر .

(٢) ما تزال تحمل هذا الاسم نفسه .

(٣) تغير اسمها الآن وهي في تركيا وقد ازدهرت كثيراً في القرن الخامس للهجرة حيث كانت مركزاً للدولة المروانية ، لها تاريخ مطبوع — إلا بعضه — صنفه ابن الأزرق الفارقي .

(٤) تقع إلى الشمال من حران بلدة حصينة حسنة — الأعلاق الخطيرة — قسم الجزيرة : ١ / ١٠١ .

(٥) من ديار مضر بالجزيرة قرب حران . معجم البلدان . الأعلاق الخطيرة — قسم الجزيرة : ١ / ١٠٢ .

ثم إن أهل سميساط كفروا فلما بلغه ذلك رجع إليهم فحاصرهـا حتى فتحها [١] ، وبلغه أن أهل الرها قد نقضوا ، فلما أناخ عليهم فتحوا له أبواب مدينتهم فدخلها ، وخلف بهـا عامله في جماعة ، ثم أتى قرايات الفرات وهي جسر منبج وذواتها ، ففتحها على ذلك،وأتى عين الوردة وهي رأس العين[٢]، فامتنعت عليه ، فتركها وأتى تل موزن [٣] ففتحها على مثل صلح الرها وذلك في سنة تسع عشرة .

ووجه عياض إلى قرقيسيا حبيب بن مسلمة الفهري ففتحها صلحاً على مثل صلح الرقة ، وفتح عياض آمد [٤] بغير قتال على مثل صلح الرهـا ، وفتح ميافارقين على مثل ذلك وفتح حصن كفرتوثا [٥]، وفتح نصيبين بعد قتال على مثل صلح الرها ، وفتح طور عبدين [٦] وحصن ماردين [٧] ودارا[٨] على مثل ذلك ، وفتح باقردي وبازبدي [٩] على مثل صلـح نصيبين وأتاه بطريق

---

(١) انظر بغية الطلب : ١ / ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٢) ما تزال تحمل هذا الاسم نفسه في الجزيرة السورية .

(٣) بلد قديم بين رأس العين وسروج . معجم البلدان .

(٤) من مدن الجزيرة القائمة على دجلة ، لها شهرة واسعة . الأعلاق الخطيرة – قسم الجزيرة : ١ / ٢٥٣ – ٢٥٤ ، ٢٨١ .

(٥) قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بين دارا ورأس العين .

(٦) بليده من أعمال نصيبين . معجم البلدان .

(٧) مدينة واسعة الشهرة ما تزال تحمل هذا الاسم نفسه . معجم البلدان .

(٨) دارا بلدة واقعة بين نصيبين وماردين . معجم البلدان .

(٩) كورتان من ناحية جزيرة ابن عمر بازبدي في شرقي دجلة وباقردي في غربية . معجم البلدان .

الزَّوْزَان (١) فصالحه عن أرضه على أتاوة وكل ذلك في سنة تسع عشرة وأيام من المحرم سنة عشرين، ثم سار الى أرْزَن (٢) ففتحها على مثل صلح نصيبين ودخل الدرب فبلغ بدليس (٣) وجازها إلى خلاط (٤) وصالح بطريقها وانتهى الى العين الحامضة من أرمينية ، فلم يعدها ، ثم عاد فضمن صاحب بدليس خراج خلاط وجماجمها وما على بطريقها ، ثم إنه انصرف الى الرقة ، ومضى الى حمص، وقد كان عمر ولاه إياها ، فمات سنة عشرين .

وولى عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات ، فولى عمر عمير بن سعد الأنصاري ففتح عين الوردة بعد قتال شديد .

وقال الواقدي : حدثني من سمع إسحاق بن أبي فروة يحدث عن أبي وهب الجيشاني ديلم بن الموسع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عياض يأمره أن يوجه عمير بن سعد إلى عين الوردة فوجهه إليها، فقدم الطلائع أمامه فأصابوا قوماً من الفلاحين وغنموا مواشي من مواشي العدو ، ثم إن أهل المدينة غلقوا أبوابها ونصبوا العرادات (٥) عليها ، فقتل من المسلمين بالحجارة والسهام بشر ، واطلع عليهم بطريق من بطارقتها فشتمهم ، وقال : لسنا كمن لقيتم ، ثم إنها فتحت بعد على صلح .

حدثني عمرو بن محمد عن الحجاج بن أبي منيع عن أبيه عن جده ، قال : امتنعت رأس العين على عياض بن غَنْم ، ففتحها عمير بن سعد وهو والي عمر على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها المسلمين قتالاً شديداً فدخلها المسلمون عنوة ،

---

(١) ناحية واسعة في شرقي الدجلة قريبة من جزيرة ابن عمر . معجم البلدان.
(٢) مدينة مشهورة قرب خلاط . معجم البلدان .
(٣) بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط . معجم البلدان .
(٤) في تركيا قرب بحيره وان مازال تحمل هذا الاسم نفسه .
(٥) أصغر من المنجنيق .

ثم صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض إليهم، ووضعت الجزية على رؤوسهم على كل رأس أربعة دنانير ، ولم تسب نساؤهم ولا أولادهم .

وقال الحجاج : وقد سمعت مشايخ من اهل رأس العين يذكرون أن عميراً لما دخلها قال لهم : لا بأس لا بأس إليّ إليّ ، فكان ذلك أماناً لهم، وزعم الهيثم ابن عدي : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث أبا موسى الأشعري إلى عين الوردة ، فغزاها بجند الجزيرة بعد وفاة عياض ، والثبت ان عميراً فتحها عنوه، فلم تسب ، وجعل عليهم الخراج والجزية ، ولم يقل هذا أحد غير الهيثم .

وقال الحجاج بن أبي منيع: جلا خلق من أهل رأس العين ، واعتمل المسلمون أراضيهم وازدرعوها بإقطاع .

وحدثني محمد بن المفضل الموصلي عن مشايخ من اهل سنجار ، قالوا : كانت سنجار في أيدي الروم ، ثم إن كسرى المعروف بأبرويز أراد قتل مائة رجل من الفرس كانوا حملوا إليه بسبب خلاف ومعصية ، فكلم فيهم فأمر ان يوجهوا إلى سنجار ، وهو يومئذ يعاني فتحها فمات منهم رجلان ، ووصل إليها ثمانية وتسعون رجلاً فصاروا مع المقاتلة الذين كانوا بإزائها ففتحوها دونهم ، وأقاموا بها وتناسلوا، فلما انصرف عياض من خلاط وصار إلى الجزيره بعث إلى سنجار ففتحها صلحاً وأسكنها قوماً من العرب .

وقد قال بعض الرواة إن عياضاً فتح حصناً من الموصل وليس ذلك بثبت .

قال ابن الكلبي : عمير بن سعد عامل عمر ، هو عمير بن سعد بن شهيد بن عمرو أحد الأوس .

وقال الواقدي : هو عمير بن سعد بن عبيد ، وقتل أبوه سعد يوم القادسية ، وسعد هـذا هو الذي يروي الكوفيون أنه أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ .

قال الواقدي : وقد روى قوم أن خالد بن الوليد ولي لعمر بعض الجزيرة

فأطلي في حمام بآمد أو غيرها بشيء فيه خمر ، فعزله عمر : وليس ذلك بثبت .

وحدثني عمرو الناقد ، قال : حدثني الحجاج بن أبي منيع عن أبيه عن جده عن ميمون بن مهران ، قال : أخذ الزيت والخل والطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ، ثم خفف عنهم ، واقتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً وأربعة وعشرين واثني عشر ، نظراً من عمر للناس،وكان على كل إنسان مع جزيته مدّا قمح وقسطار من زيت وقسطار من خل.

وحدثني عدة من أهل الرقة ، قالوا : لما مات عياض وولى الجزيرة سعيد بن عامر بن حذيم ، بنى مسجد الرقة ومسجد الرُّها ، ثم توفي فبنى المساجد بديار مضر وديار ربيعة عمير بن سعد .

ثم لما ولي معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان رضي الله عنه أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ، ويأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حق فيها لأحد ، فأنزل بني تميم الرابية وأنزل المازحين والمديبر (١) اخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم ، وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك ، وألزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء ، ثم جعلهم مع عماله .

وحدثني أبو حفص الشامي عن حماد بن عمرو النصيبي قال : كتب عامل نصيبين الى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو إليه أن جماعة من المسلمين ممن معه أصيبوا بالعقارب فكتب إليه يأمره أن يوظف على أهل كل حيز من المدينة عدة من العقارب مسماة في كل ليلة ففعل ، فكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها .

وحدثني أبو أيوب المؤدب الرقي عن أبي عبد الله القرقساني عن أشياخه أن عمير بن سعد لما فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتى أتى قرقيسيا ،

---

(١) اقتصر ياقوت في تعريفه على رواية البلاذري هذه .

وقد نقض أهلهـــا فصالحهم على مثل صلحهم الأول ، ثم أتى حصون الفرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسيا ، ولم يلق في شيء منها كثير قتال ، وكان بعض أهلها ربما رموا بالحجارة ، فلما فرغ من تلبس وعـانات [١] أتى الناووس وألوس وهيت[٢] فوجد عمار بن ياسر وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة وقد بعث جيشاً يستغزي ما فوق الأنبار عليه سعـــد بن عمرو بن حرام الأنصاري ، وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان فأمّنهم ، واستثنى على أهل هيت نصف كنيستهم فانصرف عمير الى الرقة .

وحدثني بعض أهل العلم، قال: كان الذي توجه إلى هيت والحصون التي بعدها من الكوفة مدلاج بن عمرو السلمي ، حليف بني عبد شمس ، وله صحبة ، فتولى فتحها وهو بنى الحديثة [٣] التي على الفرات ، وولده بهيت ، وكان منهم رجـل يكنى أبا هارون باقي الذكر هناك ، ويقال : إن مدلاجاً كان من قبل سعـد بن عمرو بن حرام والله أعلم .

قالوا : وكان موضع نهر سعيد بن عبد الملك بن مروان - وهـــو الذي يقال له سعيـــد الخير ، وكان يظهر نسكاً - غيضة ذات سباع ، فأقطعه إياها الوليد فحفر النهر ، وعمر مـــا هناك ، وقال بعضهم : الذي أقطعه ذلك عمر بن عبد العزيز .

قالوا : ولم يكن للرافقة أثر قديم إنما بناها أمير المؤمنين المنصور رحمـه الله سنة خمس وخمسين ومائة ، على بناء مدينته ببغداد ، ورتب فيهـــا جنداً من

---

(١) جميعاً في منطقة واحدة ، وذهب ياقوت الى القول إن عانات سميت بأسماء ثلاث قرى هي : ألوس ، وسالوس وناووس « فلما نظرت العرب إليهـا قالت : كأنها عانات ، أي قطع من الظباء . معجم البلدان .

(٢) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . معجم البلدان .

(٣) حديثة عانه .

أهل خراسان وجرت على يدي المهـــدي وهو ولي عهد ، ثم إن الرشيد بنى قصورها فكان بين الرقة والرافقة فضاء مزارع ، فلما قدم علي بن سليمان بن علي والياً على الجزيرة نقل أسواق الرقة إلى تلك الأرض ، فكان سوق الرقة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق ، ثم لما قدم الرشيد الرقــة استزاد في تلك الأسواق ، فلم تزل تجتبى مع الصوافي .

وأما رصافة هشام فإن هشام بن عبد الملك أحدثها وكان ينزل قبلها الزيتونة وحفر الهني والمري ، واستخرج الضيعة التي تعرف بالهني والمري ، وأحــدث فيها واسط الرقــة ، ثم إن تلك الضيعة قبضت في أول الدولة ، ثم صارت لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، فابتنت فيها القطيعة التي تنسب إليهـــا وزادت في عمارتها .

ولم يكن للرحبة [١] التي في أسفل قرقيسيا أثر قديم إنما بناه وأحدثها مالك ابن طوق بن عتاب التغلبي في خلافة المأمون وكانت أذرمة [٢] من ديار ربيعــة قرية قديمة ، فأخذها الحسن بن عمرو بن الخطاب التغلبي من صاحبهـــا ، وبنى بها قصراً وحصّنها .

وكانت كفر توثا [٣] حصناً قديماً فاتخذهـــا ولد أبي رمثة منزلاً فمدنوها وحصنوها .

حدثني معافى بن طاوس عن أبيه ، قال : سألت المشايخ عن أعشار بلد [٤]

---

(١) تعرف بقاياها باسم «الرحيبة» قرب البوكمال السورية على الفرات وقد شغلت دوراً تاريخياً متميزاً لا سيما في القرنين الرابع والخامس للهجرة .

(٢) ألحقت في فترة متأخرة بالموصل ضمن كورة اسمهـــا بين النهرين . معجم البلدن .

(٣) قرية كبيرة بين دارا ورأس العين تبعــــد عن دارا خمسة فراسخ . معجم البلدان .

(٤) مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ،بينهما سبعة فراسخ. معجم البلدان.

وديار ربيعة والبرية ، فقال : هي أعشار ما أسلمت عليه العرب أو عمرته من الموات الذي ليس في يد أحد ، أو رفضه النصارى فمات ، وغلب عليهـا الدغل فأقطعه العرب .

حدثني أبو عفان الرقي عن مشايخ من كتاب الرقة وغيرهم ، قالوا : كانت عين الرومية وماؤها للوليد بن عقبة بن أبي معيط فأعطاها أبا زبيد الطائي ، ثم صارت لأبي العباس أمير المؤمنين فأقطعهـــا ميمون بن حمزه مولى علي بن عبد الله بن عباس ، ثم ابتاعها الرشيد من ورثته ، وهي من أرض الرقة،قالوا : وكان ابن هبيرة أقطع غابة ابن هبيرة فقبضت وأقطعها بشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بناحية باب الشام، ثم ابتاعهــاالرشيد وهي من أرض سروج ، وكان هشام أقطع عائشة ابنته قطيعة برأس كيفا ، تعرف بها ، فقبضت،وكانت لعبد الملك وهشام قرية تدعى سلموس ، وتصف قرية تدعى كفر جـــدا من الرها.وكانت بحران للغمر بن يزيـــد تل عفراء [1] وأرض تل نبايا [2] وأرض المصلى وصوافي في ربض حران أو مستغلاتها ، وكان مرج عبد الواحـــد حمى المسلمون قبل أن تبنى الحـدث وزبطرة ، فلما بنيتا استغنى بهما فعمر ، فضمه الحسين الخادم إلى الأحواز في خلافه الرشيد ، ثم توثب الناس عليــه فغلبوا على مزارعه حتى قدم عبد الله بن طاهر الشام فرده إلى الضياع .

وقال أبو أيوب الرقي : سمعت أن عبد الواحد الذي نسب المرج إليه عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي،وهو ابن عم عبد الملك، كان المرج له فجعله حمى للمسلمين ، وهو الذي مدحه القطامي فقال :

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا تخطأ عبد الواحد الأجل

---

(١) لعله اسم عرف به تل أعفر أو تل يعفر . انظره في معجم البلدان .

(٢) هو التل التي دفن قربه الوليد بن طريف الشاري.انظر الأعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة : ١ / ٢٢ .

أمر نصارى بني تغلب بن وائل

حدثنا شيبان بن فروخ ، قال : حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن السفاح الشيباني ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب ، فانطلقوا هاربين ، ولحقت طائفة منهم ببعد من الأرض ، فقال النعمان بن زرعة ، أو زرعة بن النعمان : أنشدك الله في بني تغلب ، فإنهم قوم من العرب يأنفون من الجزية وهم قوم شديدة نكايتهم فلا تعن عدوك عليك بهم ، فأرسل عمر في طلبهم ، فردهم وأضعف عليهم الصدقة .

حدثنا شيبان ، قال : حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، قال : حدثنا ليث عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال : لا تؤكل ذبائح نصارى بني تغلب ولا تنكح نساؤهم : ليسوا منا ولا من أهل الكتاب .

حدثنا عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم وأبي مخنف ، قالا: كتب عمير بن سعد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه أنه أتى شق الفرات الشامي ففتح عانات وسائر حصون الفرات ، وأنه أراد من هناك من بني تغلب على الإسلام فأبوه وهموا باللحاق بأرض الروم ، وقبلهم ما أراد من في الشق الشرقي على ذلك فامتنعوا منه وسألوه أن يأذن لهم في الجلاء واستطلع رأيه فيهم ، فكتب إليه عمر رضي الله عنه يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائمة وأرض ، وإن أبوا ذلك حاربهم حتى يبيدهم أو يسلموا فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا : أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج فإنا نرضى ونحفظ ديننا .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثني أبو معاوية عن الشيباني عن السفاح عن داود بن كردوس،قال : صالح عمر بن الخطاب بني تغلب بعدما قطعوا الفرات

وأرادوا اللحاق بأرض الروم على أن لا يصبغوا صبياً ولا يكرهوه على دينهم ، وعلى أن عليهم الصدقة مضعفة ، قال : وكان داود بن كردوس يقول : ليست لهم ذمة لأنهم قد صبغوا في دينهم ، يعنى المعمودية .

فحدثني الحسين بن الأسود قال : حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري ، قال : ليس في مواشي أهل الكتاب صدقة إلا نصارى بني تغلب ، أو قال : نصارى العرب الذين عامة أموالهم المواشي ، فإن عليهم ضعف ما على المسلمين [1] .

حدثنا سعيد بن سليمان سعدويه عن هشيم عن مغيرة عن السفاح بن المثنى عن زرعة بن النعمان أنه كان كلم عمر في نصارى بني تغلب وقال : قوم عرب يأنفون من الجزية ، وإنما هم أصحاب حروث ومواش وكان عمر قد هم أن يأخذ الجزية منهم ، فتفرقوا في البلاد ، فصالحهم على أن أضعف عليهم ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم في الأرض والماشية ، واشترط عليهم أن لا ينصروا أولادهم .

قال مغيرة : فكان علي عليه السلام يقول : لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي ، لأقتلن مقاتلهم ولأسبين ذريتهم ، فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم .

وحدثني أبو نصر التمار ، قال : حدثنا شريك بن عبد الله عن إبراهيم بن مهاجر عن زياد بن حدير الأسدي ، قال: بعثني عمر إلى نصارى بني تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم ، ونهاني أن أعشر مسلماً أو ذمياً يؤدي الخراج.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عبد الملك بن نوفل عن محمد بن إبراهيم بن الحارث : أن عثمان أمر أن لا يقبل من بني تغلب في

---

(١) انظر كتاب الخراج : ٦٥ .

الجزية إلا الذهب والفضة ، فجاءه الثبت أن عمر أخذ منهم ضعف الصدقة ، فرجع عن ذلك .

قال الواقدي ، وقال سفيان الثوري ، والأوزاعي ، ومالك بن أنس، وابن أبي ليلى ، وابن أبي ذئب ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف : يؤخذ من التغلبي ضعف ما يؤخذ من المسلم في أرضه وماشيته وماله ، فأما الصبي والمعتوه منهم فإن أهل العراق يرون أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ،ولا يأخذون من ماشيته شيئاً، وقال أهل الحجاز : يؤخذ ذلك من ماشيته وأرضه ، وقالوا جميعاً : إن سبيل ما يؤخذ من أموال بني تغلب سبيل مال الخراج ، لأنه بدل من الجزية [1] .



(١) انظر خراج أبي يوسف : ١٢٠ – ١٢١ .

الثغور الجزرية

قالوا : لما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه، كتب إلى معاوية بولايته الشام وولى عمير بن سعد الأنصاري الجزيرة ثم عزله وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما وأمره يغزو شمشاط [١] وهي أرمينية الرابعة أو يغزيها ، فوجه إليها حبيب بن مسلمة الفهري ، وصفوان بن معطل السلمي : ففتحاهـا بعد أيام من نزولهما عليها ، على مثل صلح الرها ، وأقام صفوان بهـا، وبها توفي في آخر خلافة معاوية ، ويقال بل غزاها معاوية نفسه وهذان معه فولاهـا صفوان فأوطنها وتوفي بها .

قالوا : وقد كان قسطنطين [٢] الطاغية أناخ عليهـا بعد نزوله في ملطية في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فلم يمكنه فيها شيء، فأغار على ماحولها ثم انصرف، ولم تزل شمشاط خراجية حتى صيرها المتوكل على الله رحمه الله عشريـة أسوة غيرها من الثغور .

وقالوا : أغزى حبيب بن مسلمة حصن كمخ [٣] بعد فتح شمشاط ، فلم يقدر عليه ، وغزاه صفوان،فلم يمكنه فتحه ثم غزاه في سنة تسع وخمسين وهي السنة التي مات فيها ، ومعه عمير بن الحباب السلمي فعلا عمير سوره ، ولم يزل يجـالد عليه وحده حتى كشف الروم ، وصعد المسلمون ففتحه لعمير بن الحبـاب ، وبذلك كان يفخر ويفخر له .

---

(١) في تركيا الآن وقد أخبرت أنها تعرف باسم شوشط .

(٢) الامبراطور قسطنطين الخامس [٧٤١ – ٧٧٥ م] .

(٣) قال ياقوت : « وسألت واحـداً من تلك النواحي فقـال : هي كاخ بالألف » .

ثم إن الروم غلبوا عليه ففتحه مسلمة بن عبد الملك ، ولم يزل يفتح وتغلب الروم عليه ، فلما كانت سنة تسع وأربعين ومائة شخص المنصور عن بغداد حتى نزل حديثة الموصل ، ثم أغزى منها الحسن بن قحطبة وبعده محمد بن الأشعث ، وجعل عليهـا العباس بن محمد وأمره أن يغزو بهم كمخ ، فمات محمد بن الأشعث بآمد ، وسار العباس والحسن حتى صارا إلى ملطية [١] فحملا منها الميرة ثم أناخ على كمخ ، وأمر العباس بنصب المناجيق عليه فجعلوا على حصنهم خشب العرعر لئلا يضربه حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتي رجل ، فاتخذ المسلمون الدبابات ، وقاتلوا قتالاً شديداً حتى فتحوه ، وكان مع العباس ابن محمد بن علي في غزاته هـذه مطر الوراق ، ثم إن الروم أغلقوا كمخ ، فلما كانت سنة سبع وسبعين ومائة غزا محمـد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري وهو عامـل عبد الملك بن صالح على شمشاط ففتحه ، ودخله لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فلم يزل مفتوحـاً حتى كان هيج محمد بن الرشيد ، فهرب أهله ، وغلبت عليـه الروم ، ويقال إن عبد الله بن الأقطع دفعـه إليهم وتخلص ابنه وكان أسيراً عندهم ، ثم إن عبد الله بن طاهر فتحه في خلافة المأمون ، فكان في أيـدي المسلمين حتى لطف قوم من نصارى شمشاط وقاليقلا وبقراط بن أشوط بطريق خلاط في دفعه إلى الروم والتقرّب إليهم بذلك بسبب ضياع لهم في عمل شمشاط .

---

(١) سيتحدث عنها بالتفصيل بعد قليل .

مَلَطْية

وقالوا : وجه عياض بن غَنْم حبيب بن مسلمة الفهري من شمشاط[1] إلى مَلَطْية ففتحها ثم أغلقت، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجه إليها حبيب بن مسلمة ففتحها عنوة ، ورتّب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها، وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم ، فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف ، ثم إن أهلها انتقلوا عنها في أيام عبد الله بن الزبير ، وخرجت الروم فشعثتها ، ثم تركتها ، فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده ، قال : كان المسلمون نزلوا طُرَنْدة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ثلاث وثمانين وبنوا بها مساكن، وهي من ملطية على ثلاث مراحل واغلة في بلاد الروم ، وملطية يومئذ خراب ليس بها إلا ناس من أهل الذمة من الأرمن وغيرهم ، فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة في الصيف ، فيقيمون بها إلى أن ينزل الشتاء ، وتسقط الثلوج فإذا كان ذلك قفلوا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رحل أهل طُرَنْدة عنها وهم كارهون، وذلك لإشفاقه عليهم من العدو واحتملوا فلم يدعوا لهم شيئاً حتى كسروا خوابي الخل والزيت ، ثم أنزلهم مطلية وأخرب طرندة ، وولى مطلية جَعْوَنة بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة .

قالوا : وخرج عشرون ألفاً من الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائة فنزلوا

---

(١) فيما نقله ابن العديم من نسخة بخط بنوسة كاتب بني مقلة « سُميساط » بغية الطلب : ١ / ٢٥٣ .

على ملطية فأغلق أهلها أبوابها ، وظهر النساء على السور عليهن العمائم فقاتلن ، وخرج رسول لأهل ملطية مستغيثاً ، فركب البريد وسار حتى لحق بهشام بن عبد الملك وهو بالرصافة ، فندب هشام الناس إلى ملطية ، ثم أتاه الخبر بأن الروم قد رحلت عنها، فدعا الرسول فأخبره وبعث معه خيلاً ليرابط بها، وغزا هشام نفسه ، ثم نزل ملطية وعسكر عليها حتى بنيت ، فكان ممره بالرقة دخلها متقلداً سيفاً ، ولم يتقلّده قبل ذلك في أيامه .

قال الواقدي : ولما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة أقبل قسطنطين الطاغية عامداً لملطية،وكمخ يومئذ في أيدي المسلمين وعليها رجل من بني سُليم،فبعث أهل كمخ الصريخ إلى أهل ملطية،فخرج إلى الروم منهم ثمانمائة فارس فواقعتهم خيل الروم فهزمتهم ، ومال الرومي فأناخ على ملطية فحصر من فيها، والجزيرة يومئذ مفتونة وعاملها موسى بن كعب بحران،فوجهوا رسولاً لهم إليه فلم يمكنه إغاثتهم ، وبلغ ذلك قسطنطين ، فقال لهم : يا أهل ملطية إني لم آتكم إلا على علم بأمركم وتشاغل سلطانكم عنكم ، إنزلوا على الأمان واخلوا المدينة ، أخربها وأمضي عنكم فأبوا عليه ، فوضع عليها المجانيق ، فلما جهدهم البلاء واشتد عليهم الحصار سألوه أن يوثق لهم ففعل، ثم استعدوا للرحلة وحملوا ما استدق لهم وألقوا كثيراً مما ثقل عليهم في الآبار والمخابىء ، ثم خرجوا . وأقام لهم الروم صفين من باب المدينة إلى منقطع آخرهم مخترطي السيوف طرف سيف كل واحد منهم مع طرف سيف الذي يقابله حتى كأنها عقد قنطرة ثم شيعوهم حتى بلغوا مأمنهم وتوجهوا نحو الجزيرة فتفرقوا فيها ، وهدم الروم ملطية فلم يبقوا منها إلا هريها فإنهم شعثوا منه شيئاً يسيراً وهدموا حصن قلوذية [١] .

فلما كانت سنة تسع وثلاثين ومائة كتب المنصور إلى صالح بن علي يأمره ببناء ملطية وتحصينها ، ثم رأى أن يوجه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والياً

---

(١) حصن قرب ملطية . معجم البلدان .

على الجزيرة وثغورها ، فتوجه في سنة أربعين ومائة، ومعه الحسن بن قحطبة في جنود أهل خراسان ، فقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة فتوافى معه سبعون ألفاً ، فعسكر على ملطيه وقد جمع الفعلة من كل بلد، فأخذ في بنائها وكان الحسن بن قحطبة ربما حمل الحجر حتى يناوله البناء وجعل يغذي الناس ويعشيهم من ماله مبرزاً مطابخه ، فغاظ ذلك عبد الوهاب ، فكتب إلى أبي جعفر يعلمه أنه يطعم الناس ، وأن الحسن يطعم أضعاف ذلك التماساً لأن يطوله ويفسد ما يصنع ويهجنه بالإسراف والرياء وأن له منادين ينادون الناس إلى طعامه ، فكتب إليه أبو جعفر ياصبي يطعم الحسن من ماله ، وتطعم من مالي فيفضل ما أتيت إلا من صغر خطرك وقلة همتك وسفه رأيك ، وكتب إلى الحسن أن أطعم ولا تتخذ منادياً ، فكان الحسن يقول من سبق إلى شرفة فله كذا، فجد الناس في العمل حتى فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر، وبنى للجند الذين أسكنوها لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما واصطبل، والعرافة عشرة نفر إلى الخمسة عشر رجلاً، وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى قباقب يدفع في الفرات، وأسكن المنصور ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذي تتجاعله القبائل بينها ، ووضع فيها شحنتها من السلاح ، وأقطع الجند المزارع، وبنى حصن قلوذية وأقبل قسطنطين الطاغية في أكثر من مائة ألف فنزل جيحان فبلغه كثرة العرب فأحجم عنها ، وسمعت من يذكر أنه كان مع عبد الوهاب في هذه الغزاة نصر بن مالك الخزاعي، ونصر بن سعد الكاتب مولى الأنصار فقال الشاعر :

تكنفك النصران نصر بن مالك ونصر بن سعد عز نصرك من نصر

وفي سنة إحدى وأربعين ومائة أغزى محمد بن إبراهيم ملطية في جند من أهل خراسان ، وعلى شرطته المسيب بن زهير ، فرابط بها لئلا يطمع فيها العدو ،

فتراجع إليها من كان باقياً من أهلها،وكانت الروم عرضت لملطية فيخلافة الرشيد فلم تقدر عليها ، وغزاهم الرشيد رحمه الله فأشجاهم وقمعهم .

وقالوا : وجه أبو عبيدة بن الجراح وهو بمنبج خالد بن الوليد إلى ناحيـــة مرعش [١] ففتح حصنها على أن جلا أهله ثم أخربه .

وكان سفيان بن عوف الغامدي لما غزا الروم في سنة ثلاثين رحـل من قبل مرعش فساح في بلاد الروم ، وكان معاوية بنى مدينة مرعش وأسكنها جنداً ، فلما كان موت يزيد بن معاوية كثرت غارات الروم عليهم فانتقلوا عنها .

وصالح عبد الملك الروم بعد موت أبيه مروان بن الحكم وطلبه الخلافـة على شيء كان يؤديه إليهم ، فلما كانت سنة أربع وسبعين غزا محمد بن مروان الروم وانتقض الصلح ، ولما كانت سنة خمس وسبعين غزا الصائفة أيضاً محمد بن مروان وخرجت الروم في جمادى الأولى من قبل مرعش الى الأعمــاق [٢] فزحف إليهم المسلمون ، وعليهم أبان بن الوليد بن عقبه بن أبي معيط ، ومعه دينار بن دينار مولى عبد الملك بن مروان ، وكان على قنسرين و كورها فالتقوا بعمق مرعش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمت الروم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، وكان دينار لقي في هذا العام جماعة من الروم بجسر يغرا – وهو من شمشاط على نحو من عشرة أميال – فظفر بهم .

ثم أن العباس بن الوليد بن عبد الملك سار إلى مرعش ، فعمرها وحصنهـا ، ونقل الناس إليها،وبنى لها مسجداً جامعاً ، وكان يقطع في كل عـــام على أهل قنسرين بعثاً إليها ، فلما كانت أيام مروان بن محمد ، وشغل بمحاربة أهل حمص ، خرجت الروم وحصرت مدينة مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء ، فخرجوا نحو الجزيرة وجند قنسرين بعيالاتهم ، ثم أخربوها ، وكان عامل مروان عليها

---

(١) تبعد مرعش عن الحدث ثمانية فراسخ . بغية الطلب : ١ / ٢٣٥ .

(٢) منطقة العمق قرب حلب .

يومئذ الكوثر بن زُفَر بن الحارث الكلابي ، وكان الطاغية يومئذ قسطنطين بن اليون ، ثم لما فرغ مروان من أمر حمص ، وهدم سورها ، بعث جيشاً لبناء مرعش ، فبنيت ومدّنت ، فخرجت الروم في فتنته فأخربتها ، فبناها صالح بن علي في خلافة أبي جعفر المنصور وحصّنها ، وندب الناس إليها على زيادة العطاء واستخلف المهدي فزاد في شحنتها وقوّى أهلها .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : خرج ميخائيل من درب الحدث في ثمانين ألفاً ، فأتى عمق مرعش فقتل وأحرق وسبى من المسلمين خلقاً، وصار إلى باب مدينة مرعش ، وبها عيسى بن علي ، وكان قد غزا في تلك السنة فخرج إليه موالي عيسى وأهل المدينة ومقاتلتهم فرشقوه بالنبل والسهام فاستطرد لهم، حتى إذا نحاهم عن المدينة كرّ عليهم فقتل من موالي عيسى ثمانية نفر،واعتصم الباقون بالمدينة فأغلقوها فحاصرهم بها ثم انصرف حتى نزل جَيْحان ، وبلغ الخبر ثُمامة بن الوليد العبسي وهو بدابق ، وكان قد ولي الصائفة سنة إحدى وستين ومائة فوجّه إليه خيلاً كثيفة فأصيبوا إلا من نجا منهم ، فأحفظ ذلك المهدي واحتفل لاغزاء الحسن بن قَحْطَبَة في العام المقبل وهو سنة اثنتين وستين ومائة (١) .

قالوا : وكان حصن الحدث مما فتح أيام عمر،فتحه حبيب بن مسلمة من قبل عياض بن غَنْم ، وكان معاوية يتعهده بعد ذلك ، وكان بنو أمية يسمون درب الحدث السلامة للطيرة ، لأن المسلمين كانوا أصيبوا به ، فكان ذلك الحدث فيما يقول بعض الناس ، وقال قوم : لقي المسلمين غلام حدث على الدرب فقاتلهم في أصحابه فقيل درب الحدث .

ولما كان زمن فتنة مروان بن محمد خرجت الروم فهدمت مدينة الحدث وأجلت عنها أهلها كما فعلت بملطية ، ثم لما كانت سنة إحدى وستين ومائة خرج

---

(١) انظر بغية الطلب : ١ / ٢٣٥ – ٢٣٧ .

ميخائيل إلى عمق مَرْعَش ، ووجه المهدي الحسن بن قحطبة ساح في بلاد الروم فثقلت وطأته على أهلها حتى صوروه في كنائسهم ، وكان دخوله من درب الحدث ، فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أن ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينة هناك ، فلما انصرف كلم المهدي في بنائها وبناء طَرَسُوس ، فأمر بتقديم بناء مدينة الحدث ، وكان في غزاة الحسن هذه مندل العنزي المحدث الكوفي ومعتمر بن سليمان البصري ، فأنشاها علي بن سليمان بن علي ، وهو على الجزيرة وقنسرين ، وسميت المحمدية ، وتوفي المهدي مع فراغهم من بنائها فهي المهدية والمحمدية، وكان بناؤها باللبن ، وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة ، واستخلف موسى الهادي ابنه فعزل علي بن سليمان، وولى الجزيرة وقنسرين محمد ابن إبراهيم بن محمد بن علي ، وقد كان علي بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحدث وفرض محمد لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين ديناراً من العطاء ، وأقطعهم المساكن، وأعطى كل امرىء درهم، وكان الفراغ منها في سنة تسع وستين ومائة .

وقال أبو الخطاب: فرض علي بن سليمان بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم إياها ونقل إليها من ملطية وشمشاط وسميساط وكيسوم ودلوك ورعبان ألفي رجل .

قال الواقدي: ولما بنيت مدينة الحدث هجم الشتاء والثلوج، وكثرت الأمطار، ولم يكن بناؤها بمستوثق منه ولا محتاط فيه، فتثلمت المدينة ، وتشعثت ، ونزل بها الروم فتفرق عنها من كان فيها من جندها وغيرهم، وبلغ الخبر موسى فقطع بعثا مع المسيب بن زهير ، وبعثاً مع روح بن حاتم ، وبعثا مع حمزة بن مالك فمات قبل أن ينفذوا . ثم ولي الرشيد الخلافة فأمر ببنائها وتحصينها وشحنتها واقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع .

وقال غير الواقدي : أناخ بطريق من عظماء بطارقة الروم في جمع كثيف

على مدينة الحدث حين بنيت ، وكان بناؤها بلبن قــد حمل بعضه على بعض وأضرت به الثلوج وهرب عاملها ومن فيها ، ودخلها العدو فحرق مسجدهـا وأخربها واحتمل امتعة أهلها فبناها الرشيد حين استخلف .

وحدثني بعض أهل منبج ، قال : إن الرشيد كتب إلى محمــد بن إبراهيم بإقراره على عمله فجرى أمر مدينة الحدث وعمارتهـا من قبل الرشيد على يده ثم عزله .

قالوا : وكان مالك بن عبد الله الخثعمي الذي يقال له مالك الصوائف ، وهو من أهل فلسطين غزا بلاد الروم سنة ست وأربعين وغنم غنائم كثيرة ، ثم قفل : فلما كان من درب الحــدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة أقام فيها ثلاثاً فباع الغنائم ، وقسم سهـام الغنيمة فسميت تلك الرهوة رهوة مالك .

قالوا : وكان مرج عبد الواحد حمى لخيل المسلمين فلما بني الحدث وزبطرة استغني عنه فازدرع .

قالوا: وكانت زَبَطْرة حصناً قديماً رومياً ففتح مع حصن الحدث القديم ففتحه حبيب بن مسلمة الفهري ، وكان قائماً إلى أن أخربته الروم في أيام الوليـد بن يزيد فبنى بناء غــير محكم ، فأناخت الروم عليه في أيام فتنة مروان بن محمـد فهدمته ، فبناه المنصور، ثم خرجت إليه فشعثته فبناه الرشيد على يدي محمد بن إبراهيم وشحنه .

فلما كانت خلافة المأمون ، طرقه الروم فشعثوه وأغــاروا على سرح أهله فاستاقوا لهم مواشي فأمر المأمون بمرمته وتحصينه ، وقدم وفد طاغيه الروم في سنة عشر ومائتين يسأل الصلح ، فلم يجبه إليه، وكتب إلى عمال الثغور فساحوا في بلاد الروم ، فأكثروا فيها القتل ودوخوها وظفروا ظفراً حسنـاً ، إلا أن يقظان بن عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السُلمي أصيب .

ثم خرجت الروم إلى زبطرة في خلافة المعتصم بالله أبي إسحاق بن الرشيد ،

فقتلوا الرجال، وسبوا النساء وأخربوها، فاحفظه ذلك وأغضبه، فغزاهم حتى بلغ عمورية، وقد أخرب قبلها حصوناً فأناخ عليها حتى فتحها، فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية، ثم أخربها، وأمر ببناء زبطرة وحصنها وشحنها، فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها [١].

وحدثني أبو عمرو الباهلي وغيره، قالوا: نسب حصن منصور إلى منصور بن جَعْوَنة بن الحارث العامري من قيس، وذلك أنه تولى بناءه ومرمته، وكان مقيماً به أيام مروان ليرد العدو، ومعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة.

وكان منصور هذا على أهل الرُّها حين امتنعوا في أول الدولة، فحصرهم المنصور وهو عامل أبي العباس على الجزيرة وأرمينية، فلما فتحها هرب منصور ثم أومن فظهر، فلما خلع عبد الله بن علي أبا جعفر المنصور ولاه شرطته فلما هرب عبدالله الى البصرة استخفى فدل عليه في سنة إحدى وأربعين ومائة فأتي المنصور به فقتله بالرقة منصرفه من بيت المقدس، وقوم يقولون: إنه أومن بعد هرب ابن علي فظهر، ثم وجدت له كتب إلى الروم بغش الإسلام، فلما قدم المنصور الرقة من بيت المقدس سنة إحدى وأربعين ومائة وجه من أتاه به فضرب عنقه بالرقة، ثم انصرف إلى الهاشمية بالكوفة.

وكان الرشيد بنى حصن منصور وشحنه في خلافة المهدي [٢].

(١) انظر بغية الطلب: ١ / ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) انظر بغية الطلب: ١ / ٢٤٩.

نقل ديوان الرومية

قالوا : ولم يزل ديوان الشام بالرومية [1] حتى ولي عبد الملك بن مروان،فلما كانت سنة إحدى وثمانين أمر بنقله ، وذلك أن رجلاً من كتاب الروم احتاج أن يكتب شيئاً فلم يجد ماء فبال في الدواة ، فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه ، وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان فسأله أن يعينه بخراج الاردن سنة ففعل ذلك ، وولاه الأردن ، فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله وأتى به عبد الملك ، فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه ، وخرج من عنده كئيباً ، فلقيه قوم من كتاب الروم ، فقال : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم ، قال : وكانت وظيفة الأردن التي قطعها معونة مائة ألف وثمانين ألف دينار،ووظيفة فلسطين ثلاثمائة ألف وخمسين ألف دينار،ووظيفة دمشق أربعمائة ألف دينار،ووظيفة حمص مع قنسرين والكور التي تدعى اليوم العواصم ثمانمائة ألف دينار ، ويقال : سبعمائة ألف دينار .

---

(١) الاغريقية البيزنطية وليس اللاتينية .

فتوح أرمينية

حدثني محمد بن إسماعيل من ساكني برذعة (١) وغيره عن أبي براء عنبسة بن بحر الأرمني ، وحدثني محمد بن بشر القالي عن أشياخه ، وبرمك بن عبد الله الدبيلي ، ومحمد بن المخيس الخلاطي ، وغيرهم ، عن قوم من أهل العلم بأمور أرمينية ، سقت حديثهم ورددت من بعضه على بعض ، قالوا : كانت شمشاط وقاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس (٢) تدعى أرمينية الرابعة: وكانت كورة: البسفرجان ، ودَبيل ، وسراج طير وبغروند ، تدعى أرمينية الثالثة ، وكانت جرزان تدعى أرمينية الثانية ،وكانت السيسجان وأران تدعى أرمينية الأولى، ويقال: كانت شمشاط وحدها أرمينية الرابعة ،وكانت قاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس تدعى أرمينية الثالثة ، وسراج طير وبغروند ودبيل والبسفرجان تدعى أرمينية الثانية، وسيسجان وأران وتفليس تدعى أرمينية الأولى،وكانت جرزان وأران في أيدي الخزر، وسائر أرمينية في أيدي الروم يتولاها صاحب أرمنياقس (٣) ، وكانت الخزر تخرج فتغير وربما بلغت الدينور فوجه قباذ بن فيروز الملك قائد من عظماء قواده في إثني عشر ألفاً ، فوطىء بلاد أران وفتح ما بين النهر الذي يعرف بالرس إلى شروان ، ثم إن قباذ لحق به فبنى بأران مدينة البيلقان ، ومدينة برذعة ، وهي مدينة الثغر كله ، ومدينة قَبَلة ، وهي الخزر ثم بنى سد اللبن فيما بين أرض شروان وباب اللان ، وبنى على سد اللبن

(١) بلد في أقصى أذربيجان . معجم البلدان .

(٢) أرجيش وباجنيس بلدان من أعمال خلاط . معجم البلدان .

(٣) في معجم البلدان — مادة أرمينية — « أرميناق » .

ثلاثمائة وستين مدينة خربت بعد بناء الباب والأبواب ، ثم إنه ملك بعد قباذ ابنه أنو شروان كسرى بن قباذ فبنى مدينة الشابران ومدينة مسقط ، ثم بنى مدينة الباب والأبواب ، وإنما سميت أبواباً لأنها بنيت على طريق في الجبل ، وأسكن ما بنى من هذه المواضع قوماً سماهم السياسجين ، وبنى بأرض أران أبواب شكي والقميبران وأبواب الدودانية ، وهم أمة يزعمون انهم من بني دودان ابن أسد بن خزيمة ، وبنى الدرذوقية وهي اثنا عشر باباً كل باب منها قصر من حجارة ، وبنى بأرض مدينة ، يقال لها : صغدبيل ، وأنزلها قوماً من الصغد وأبناء فارس وجعلها مسلحة ، وبنى مما يلي الروم في بلاد جرزان قصراً يقال له : باب فيروز قباذ ، وقصراً يقال له : باب لاذقة ، وقصراً يقال له : باب بارقة وهو على بحر طرابزندة ، وبنى باب اللان ، وباب سمسخي ، وبنى قلعة الجردمان وقلعة سمشلدى ، وفتح أنو شروان جميع ما كان في أيدي الروم من أرمينية ، وعمر مدينة دبيل وحصنها ، وبنى مدينة النشوى وهي مدينة كورة البسفرجان ، وبنى حصن وَيْص ، وقلاعاً بأرض السيسجان ، منها قلعة الكلاب ، وشاهبوش ، وأسكن هذه الحصون والقلاع ذوي البأس والنجدة من سياسجية [١].

ثم أن أنوشروان كتب إلى ملك الترك يسأله الموادعة والصلح أن يكون أمرهما واحداً وخطب إليه ابنته ليؤنسه بذلك ، وأظهر له الرغبة في صهره ، وبعث إليه بأمة كانت تبنتها امرأة من نسائه ، وذكر أنها ابنته ، فهدى التركي ابنته إليه ، ثم قدم عليه فالتقيا بالبرشلية وتنادما أياماً وأنس كل واحد منهما بصاحبه وأظهر بره .

وأمر أنوشروان جماعة من خاصته وثقاته أن يبيتوا طرفاً من عسكر التركي ويحرقوا فيه ففعلوا ، فلما أصبح شكا ذلك إلى أنوشروان ، فأنكر أن يكون

---

(١) من المرجح أن ياقوت اعتمد ما أورده البلاذري هنا حين كتب مادة أرمينية في معجم البلدان .

أمر به أو علم أن أحداً من أصحابه فعله ، ولما مضت لذلك ليالي أمر أولئك القوم بمعاودة مثل الذي كان منهم ففعلوا ، فضج التركي من فعلهم حتى رفق به أنوشروان واعتذر إليه ، فسكن .

ثم إن أنوشروان أمر فالقيت النار في ناحية من عسكره لم يكن بها إلا أكواخ قد اتخذت من حشيش وعيدان ، فلما أصبح ضج أنوشروان إلى التركي ، وقال : كاد أصحابك يذهبون بعسكري وقد كافأتني بالظنة ، فحلف أنه لم يعلم بشيء مما كان سبباً ، فقال أنوشروان : يا أخي جندنا وجندك قد كرهوا صلحنا لانقطاع ما انقطع عنهم من النيل في الغارات والحروب التي كانت تكون بيننا ، ولا آمن أن يحدثوا أحداثاً تفسد قلوبنا بعد تصافينا وتخالصنا ، حتى نعود إلى المداوة بعد الصهر والمودة ، والرأي أن تأذن لي في بناء حائط يكون بيني وبينك ، ونجعل عليه باباً ، فلا يدخل إليك من عندنا وإلينا من عندك إلا من أردت وأردنا ، فأجابه إلى ذلك فانصرف إلى بلاده .

وأقام أنوشروان لبناء الحائط فبناه ، وجعله من قبل البحر بالصخر والرصاص ، وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع ، وألحقه برؤوس الجبال ، وأمر أن تحمل الحجارة في السفن وتغريقها في البحر حتى إذا ظهرت على وجه الماء بنى عليها فقاد الحائط في البحر ثلاثة أميال ، فلما فرغ من بنائه علق على المدخل منه أبواب حديد ووكل به مائة فارس يحرسونه بعد أن كان موضعه يحتاج إلى خمسين ألفاً من الجند ، وجعل عليه دبابة فقيل لخاقان بعد ذلك إنه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك ، فلم يقدر على حيلة .

وملك أنوشروان ملوكاً رتبهم ، وجعل لكل امرىء منهم شاهية[1] ناحية فمنهم خاقان الجبل ، وهو صاحب السرير ويدعى وهرارزانشاة ، ومنهم ملك فيلان ، وهو فيلان شاة ، ومنهم طبرسرانشاه ، وملك اللكز ويدعى جرشانشاه ، وملك مسقط ، وقد بطلت مملكته ، وملك لبران ويدعى لبرانشاه ، وملك شروان ويدعى شروانشاه ، وملك صاحب بخ على بخ

(١) أي رئاسة أو مملكة.

وصاحب زريكران عليهـــا وأقر ملوك جبل القبق على ممالكهم وصالحهم على الأوتاوة .

فلم تزل أرمينيـــة في أيدي الفرس حتى ظهر الإسلام ، فرفض كثير من السياسجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت وغلب الخزر والروم على ما كان في أيديهم بدياً .

قالوا : وقـــد كانت أمور الروم تستب في بعض الأزمنة ، وصاروا كملوك الطوائف فملك أرمنياقس رجل منهم ، ثم مات فملكتها بعده امرأته وكانت تسمى قالي . فبنت مدينة قاليقلا وسمتها قاليقاله ، ومعنى ذلك احسان قالي ، قال : وصورت على باب من أبوابها فأعربت العرب قاليقاله فقالوا قاليقلا .

قالوا : ولما استخلف عثمان بن عفان كتب إلى معاوية ، وهو عامله على الشام والجزيرة وثغورها ، يأمره أن يوجه حبيب بن مسلـــة الفهري إلى أرمينية ، وكان حبيب ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم ، قد علم ذلك منه عمر ثم عثمان رضي الله عنهما ثم من بعده .

ويقال: بل كتب عثمان إلى حبيب يأمره بغزو أرمينية، وذلك أثبت، فنهض إليها في ستة آلاف ، ويقال في ثمانيـــة آلاف من أهل الشام والجزيرة ، فأتى قاليقلا فأناخ عليها ، وخرج إليه أهلها فقاتلهم ثم ألجـــأهم إلى المدينة ، فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية ، فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم ، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهراً .

ثم بلغه أن بطريق أرمنياقس قد جمع للمسلمين جمعاً عظيماً وانضمت إليه أمداد أهل اللان وافخاز [1] وسمندو من الخزر ، فكتب إلى عثمان يسأله المدد، فكتب إلى معاوية يسأله أن يشخص إليه من أهل الشام والجزيرة قوماً ممن يرغب

---

(١) الرائج رسمها بالباء « أبخاز » .

في الجهاد والغنيمة فبعث إليه معاوية ألفي رجل أسكنهم قاليقلا، وأقطعهم بها القطائع ، وجعلهم مرابطة بها .

ولما ورد على عثمان كتاب حبيب كتب إلى سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية ، وهو عامله على الكوفة يأمره بإمداده بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلي وهو سلمان الخيل ، وكان خيراً فاضلاً غزاء ، فسار سلمان الخيل إليه في ستة آلاف رجل من أهل الكوفة ، وقد أقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفرات ، وقد أبطأ على حبيب المدد ، فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم ، وقالت أم عبد الله بنت يزيد الكلبية امرأة حبيب ليلتئذ له : أين موعدك ، قال : سرادق الطاغية أو الجنة ، فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده .

قالوا: ثم إن سلمان ورد وقد فرغ المسلمون من عدوهم، فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم في الغنيمة فلم يفعلوا حتى تغالظ حبيب وسلمان في القول ، وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل قال الشاعر :

إن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وكتب إلى عثمان بذلك ، فكتب : إن الغنيمة باردة لأهل الشام ، وكتب إلى سلمان يأمره بغزو أران .

وقد روى بعضهم : أن سلمان بن ربيعة توجه إلى أرمينية في خلافة عثمان فسبى وغنم وانصرف إلى الوليد بن عقبة وهو بحديثه الموصل سنة خمس وعشرين، فأتاه كتاب عثمان يعلمه أن معاوية كتب يذكر أن الروم قد أجلبوا على المسلمين بجموع عظيمة ويسأل المدد ، ويأمره أن يبعث إليه ثمانية آلاف رجل ، فوجه بهم وعليهم سلمان بن ربيعة الباهلي ، ووجه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري معه في مثل تلك العدة فافتتحا حصوناً ، وأصابا سبياً ، وتنازعا الامارة ، وهمّ أهل الشام بسلمان فقال الشاعر : ان تقتلوا « البيت » .

والخبر الأول أثبت ، حدثني به عدة من مشايخ أهل قاليقلا وكتب إليّ به العطاف بن سفيان أبو الأصبغ قاضيها .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : حاصر حبيب بن مسلمة أهل دبيل فأقام عليها ، فلقيه الموريان الرومي ، فبيته وقتله وغنم ما كان في عسكره ، ثم قدم سلمان عليه ، والثبت عندهم أنه لقيه بقاليقلا .

وحدثني محمد بن بشر ، وابن ورز القالياني عن مشايخ أهل قاليقلا قالوا : لم تزل مدينة قاليقلا مذ فتحت ممتنعة بمن فيها من أهلها ، حتى خرج الطاغية في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فحصر أهل ملطية ، وهدم حائطها ، وأجلى من بها من المسلمين إلى الجزيرة ، ثم نزل مرج الحصى ، فوجه كوسان الأرمني حتى أناخ على قاليقلا ، فحصرها ، وأهلها يومئذ قليل ، وعاملها أبو كريمة ، فنقب أخوان من الأرمن من أهل مدينة قاليقلا ردما كان في سورها ، وخرجا إلى كوسان فأدخلاه المدينة ، فغلب عليها ، فقتل وسبى، وهدمها ، وساق ما حوى إلى الطاغية ، وفرق السبي على أصحابه .

وقال الواقدي : لما كانت سنة تسع وثلاثين ومائة فادى المنصور بمن كان حياً من أسارى أهل قاليقلا ، وبنى قاليقلا وعمرها ، ورد من فادى به إليها ، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم ، وقد كان طاغية الروم خرج إلى قاليقلا في خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتى كاد يسقط ، فأنفق المعتصم عليها خمسمائة ألف درهم حتى حصنت .

قالوا : ولما فتح حبيب مدينة قاليقلا سار حتى نزل مربالا ، فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غَنْم ، وكان عياض قد أمنه على نفسه وماله وبلاده ، وقاطعه على أتاوة ، فأنفذه حبيب له ، ثم نزل منزلاً بين الهرك ودشت الورك ، فأتاه بطريق خلاط بما عليه من المال،وأهدى له هدية لم يقبلها منه ، ونزل ملاط

ثم سار منها إلى الصينانة، فلقيه بها صاحب مُكْس[١]، وهي ناحية من نواحي البسفرجان، فقاطعه على بلاده ووجه معه رجلا، وكتب له كتاب صلح وأمان ووجه إلى قرى أرجيش وباجنيس من غلب عليها وجبى جزية رؤوس أهلها، وأتاه وجوههم فقاطعهم على خراجها، فأما بحيرة الطريخ فلم يعرض لها ولم تزل مباحة حتى ولي محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة وأرمينية فحوى صيدها وباعه فكان يستغلها، ثم صارت لمروان بن محمد فقبضت عنه.

قال: ثم سار حبيب وأتى ازدساط وهي قرية القرمز، وأجاز نهر الأكراد ونزل مرج دبيل فسرب الخيول إليها، ثم زحف حتى نزل على بابها فتحصن أهلها ورموه، فوضع عليها منجنيقاً، ورماهم حتى طلبوا الأمان والصلح فأعطاهم إياه وجالت خيوله فنزلت جُرْنى وبلغت أشوش وذات اللجم وجبل كوتة، ووادي الأحرار وغلبت على جميع قرى دبيل ووجه إلى سراج طير وبغروند فأتاه بطريقه فصالحه عنها على أتاوة يؤديها وعلى مناصحة المسلمين وقراهم ومعاونتهم على أعدائهم وكان كتاب صلح دبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم: اني أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون وعلينا الوفاء لكم بالعهد ماوفيتم وأديتم الجزية والخراج شهد الله ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ وختم حبيب بن مسلمة[٢].

ثم أتى حبيب النشوي ففتحها على مثل صلح دبيل وقدم عليه بطريق البسفرجان

---

(١) اقتصر تعريف ياقوت لها على مادة البلاذري هذه.

(٢) انظر معجم البلدان مادة «دبيل».

فصالحه عن جميع بلاده وأرضي هصابلية،وأفارسته على خرج يؤديه في كل سنة ، ثم أتى السيسجان فحاربهم أهلها فهزمهم وغلب على ويص وصالح أهل القلاع بالسيسجان على خرج يؤدونه ثم سار إلى جرزان .

حدثني مشايخ من أهل دبيل منهم برمك بن عبد الله ، قالوا : سار حبيب ابن مسلمة بمن معه يريد جرزان،فلما انتهوا إلى ذات اللجم سرحوا بعض دوابهم وجمعوا لجمها،فخرج عليهم قوم من العلوج فأعجلوهم عن الالجام فقاتلوهم فكشفوهم العلوج وأخذوا تلك اللجم وما قدروا عليه من الدواب ، ثم إنهم كروا عليهم فقتلوهم وارتجعوا ما أخذوا منهم ، فسمي الموضع ذات اللجم .

قالوا : وأتى حبيباً رسول بطريق جرزان وأهلها وهو يريدها ، فأدى إليه رسالتهم وسأله كتاب صلح وأمان لهم فكتب حبيب إليهم .

« أما بعد » فان نقلي رسولكم قدم علي وعلى الذين معي من المؤمنين فذكر عنكم أنا أمة أكرمنا الله وفضلنا ، وكذلك فعل الله وله الحمد كثيراً ، وصلى الله على محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام ، وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا، وقد قومت هديتكم وحسبتها من جزيتكم ، وكتبت لكم أماناً،واشترطت فيه شرطاً، فان قبلتموه ووفيتم به ، وإلا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، والسلام على من اتبع الهدى .

ثم ورد تفليس وكتب لأهلها صلحاً .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل طفليس من منجليس من جرزان القرمز بالأمان على أنفسهم وبيعهم وصوامعهم وصلواتهم ودينهم، على اقرار بالصغار والجزية ، على كل أهل بيت دينار وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية ، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثاراً منها،ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله ﷺ ما استطعتم ، وقرى المسلم المحتاج ليلة

بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا وان انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يحـــال دونهم، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فأخواننا في الدين ، وإلا فالجزية عليكم، وإن عرض للمسلمين شغل عنكم، فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم ، هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكته ، وكفى بالله شهيدا .

وكتب الجراح بن عبد الله الحكمي لأهل تفليس كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا كتاب من الجراح بن عبد الله لأهل تفليس من رستاق منجليس مـــن كورة جرزان إنه أتوني بكتاب أمان لهم من حبيب بن مسلمة على الإقرار بصغار الجزية ، وأنه صالحهم على أرضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها أواري، وسابينا من رستاق منجليس ، وعن طعام ، وديدونا من رستاق ُقحُويط من كـــورة جرزان على أن يؤدوا عن هذه الأرحاء والكروم في كل سنة مائة درهم بلا ثانية، فأنفذت لهم أمانهم وصلحهم وأمرت ألا يزاد عليهم، فمن قرىء عليه كتابي فلا يتعد ذلك فيهم إن شاء الله وكتب .

قالوا : وفتح حبيب جوارح وكسفى بيس، وكسال، وخنان ، وسَمْسَخي والجردمان وكستسجي وشوشيت وبازليت صلحاً على حقن دماء أهلها واقرار مصلياتهم وحيطانهم ، وعلى أن يؤدوا أتاوة عن أرضهم ورؤوسهم، وصالح أهل قلَرْجيت وأهل تَرْياليت وخاخيط وخوخيط وأرْطـَهال وباب اللال، وصالح الصنارية والدودانية على أتاوة [١] .

قالوا : وسار سلمان بن ربيعة الباهلي حين أمره عثمان بالمسير إلى أران ففتح

---

(١) انظر « مختصر كتاب البلدان » لابن الفقيـــه الهمذاني – ط . ليدن ١٣٠٢ : ٢٩٢ – ٢٩٣ حيث التشابه شديد بالروايات ، وأرجـح أن البلاذري كان مصدر ابن الفقيه .

مدينة البيلقان صلحاً على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم ، واشترط عليهم أداء الجزية والخراج، ثم أتى سلمان برذعة فعسكر على الثرثور وهو نهر منها على أقل من فرسخ ، فأغلق أهلها دونه أبوابهم فعاناها أياماً وشن الغارات في قراها ، وكانت زروعها مستحصدة فصالحوه على مثل صلح البيلقان وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام ووجه خيله ففتحت شقشين والمسقوان وأوذ والمصريان والهرجليان وتبار ، وهي رساتيق ، وفتح غيرها من أران ، ودعا أكراد البلاسجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم ، فأقر بعضهم بالجزية ، وأدى بعض الصدقة ، وهم قليل [1] .

وحدثني جماعة من أهل برذعة ، قالوا : كانت شمكور مدينة قديمة، فوجه سلمان بن ربيعة الباهلي من فتحها فلم تزل مسكونة معمورة حتى أخربها الساوردية، وهم قوم تجمعوا في أيام انصرف يزيد بن أسيد عن أرمينية ، فغلظ أمرهم وكثرت نوائبهم ، ثم أن بغا مولى المعتصم بالله رحمه الله عمرها في سنة أربعين ومائتين وهو والي أرمينية وأذربيجان وشمشاط ، وأسكنها قوماً خرجوا إليه من الخزر مستأمنين لرغبتهم في الإسلام ، ونقل إليها التجار من برذعة وسماها المتوكلية .

قالوا : وسار سلمان إلى مجمع الرس والكر خلف بردج فعبر الكر ففتح قبلة،

---

(١) صعب التأكد من ضبط بعض الأسماء الأرمنية لعدم توفر المراجع الأرمنية الحاوية لمعلومات تاريخية وجغرافية مفصلة ، والمتوفر بالعربية « الأرمن عبر التاريخ » لمروان مدور – ط . بيروت ١٩٨٢ ، و«صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية » لعثمان بن الترك » ط . حلب ١٩٦٠ ، وأفدت بعض الشيء مما ورد في كتاب ابن الفقيه : ٢٩٣ . انظر أيضاً المسالك والممالك لابن خرداذبه – ط. ليدن ١٨٨٩ : ١٢٢ – ١٢٣ . وصورة الأرض لابن حوقل – ط . بيروت – دار الحياة : ٢٧٥ – ٣٠١ .

وصالحه صاحب شكن والقميبران على أتاوة وصالحه أهل حيزان وملك شروان وسائر ملوك الجبال ، وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب ، ثم أغلقت بعده ولقيه خاقان في خيوله خلف نهر البلنجر فقتل رحمه الله في أربعة آلاف من المسلمين ، فكان يسمع في مأزقهم [١] التكبير ، وكان سلمان بن ربيعة أول من استقضى بالكوفة أقام أربعين يوماً لا يأتيه خصم.وقد روى عن عمر بن الخطاب، وفي سلمان وقتيبة بن مسلم يقول ابن جمانة الباهلي :

وان لنا قبرين قبر بلنجر ... وقبر بصين استان يالك من قبر
فذاك الذي بالصين[٢] عمت فتوحه ... وهذا الذي يسقى به سبل القطر

وكان مع سلمان ببلنجر قرظة بن كعب الأنصاري وهو جاء بنعيه إلى عثمان.

قالوا: ولما فتح حبيب مافتح من أرض أرمينية كتب به إلى عثمان بن عفان فوفاه كتابه وقد نعي إليه سلمان فهم أن يوليه جميع أرمينيه ، ثم رأى أن يجعله غازياً بثغور الشام والجزيرة لغنائه فيما كان ينهض له من ذلك ، فولى ثغر أرمينية حذيفة بن اليمان العبسي ، فشخص إلى برذعة ووجه عماله على ما بينها وبين قاليقلا ، إلى حيزان[٣] ، فورد عليه كتاب عثمان يأمره بالانصراف وتخليف صلة بن زفر العبسي ، وكان معه ، فخلفه وسار حبيب راجعاً إلى الشام ، وكان يغزو الروم ونزل حمص ، فنقله معاوية إلى دمشق فتوفي بها سنة اثنتين وأربعين وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وكان معاوية وجه حبيباً في جيش لنصرة عثمان حين حوصر ، فلما انتهى إلى وادي القرى بلغه مقتل عثمان فرجع .

قالوا:وولى عثمان المغيرة بن شعبة أذربيجان وأرمينية ، ثم عزله وولى القاسم

---

(١) المأزق هنا الممر الضيق ، وانظر تفاصيل هذه الحملة في كتاب « تاريخ يهود الخزر » من ترجمتي – ط . بيروت ١٩٨٧ : ٨٦ – ٩٣ .

(٢) المعني هنا قتيبة بن مسلم الباهلي .

(٣) من مدن أرمينية قريبة من شروان . معجم البلدان .

ابن ربيعة بن أمية بن أبي الصلت الثقفي أرمينية، ويقال : ولاها عمرو بن معاوية ابن المنتفق العقيلي،وبعضهم يقول وليها رجل من بني كلاب بعد المغيرة خمس عشرة سنة ، ثم وليها العقيلي ، وولي الأشعث بن قيس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أرمينية وأذربيجان ، ثم وليها عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلي من قبل معاوية فمات بها ، فوليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان أخوه ، فبنى مدينة دبيل وحصنها وكبر مسجدها، وبنى مدينة النشوي ورم مدينة برذعة، ويقال : إنه جدد بناءها وأحكم حفر الفارقين حولها ، وجدد بناء مدينة البيلقان ، وكانت هذه المدن متشعثة مستهدمة ، ويقال إن الذي جدد بناء برذعة محمد بن مروان في أيام عبد الملك بن مروان .

وقال الواقدي : بنى عبد الملك مدينة برذعة على يد حاتم بن النعمان الباهلي أو ابنه، وقد كان عبد الملك ولى عثمان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، أرمينية. قالوا: ولما كانت فتنة ابن الزبير انتقضت أرمينية وخالف أحرارها(١) وأتباعهم ، فلما ولي محمد بن مروان من قبل أخيه عبدالملك أرمينية حاربهم فظفر بهم، فقتل وسبى وغلب على البلاد ، ثم وعد من بقي منهم أن يعرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في كنائس من عمل خلاط ، فأغلقها عليهم ووكل بأبوابها ثم حرقهم .

وفي تلك الغزاة سبيت أم يزيد بن أسيد من السيسجان وكانت بنت بطريقها.

قالوا : وولى سليمان بن عبد الملك أرمينية عدي بن عدي بن عميرة الكندي،

---

(١) روى ياقوت في معجم البلدان — مادة أرمينية : « وسئل بعض علماء الفرس عن الأحرار الذين بأرمينية : لم سموا بذلك ؟ فقال : هم الذين كانوا نبلاء بأرض أرمينيه قبل أن تملكها الفرس، ثم إن الفرس أعتقوهم لما ملكوا وأقروهم على ولايتهم ، وهم بخلاف الأحرار من الفرس الذين كانوا باليمن وبفارس ، فإنهم لم يملكوا قط قبل الإسلام ، فسموا أحراراً لشرفهم » .

وكان عدي بن عميرة ممن نزل الرقة مفارقاً لعلي بن أبي طالب ، ثم ولاه إياها عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب نهر عدي بالبيلقان ، وروى بعضهم أن عامل عمر كان حاتم بن النعمان وليس ذلك بثبت ، ثم ولى يزيد بن عبد الملك معلق ابن صفار البهراني ، ثم عزله وولى الحارث بن عمرو الطائي، فغزا أهل اللكز ففتح رستاق جسمدان، وولى الجراح بن عبدالله الحكمي ـ من مذحج ـ أرمينيه فنزل برذعة فرفع إليه اختلاف مكاييلها وموازينها فأقامها على العدل والوفاء ، واتخذ مكيالاً يدعى الجراحي، فأهلها يتعاملون به إلى اليوم ، ثم إنه عبر الكر وسار حتى قطع النهر المعروف بالسمور وصار إلى الخزر فقتل منهم مقتلة عظيمة وقاتل أهل بلاد حمزين ، ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق حيزان وجعل لهم قريتين منه ، وأوقع بأهل غوميك وسبى منهم ، ثم قفل فنزل شكى ، وشتا جنده ببرذعة والبيلقان وجاشت الخزر وعبرت الرس فحاربهم في صحراء ورثان، ثم انحازوا إلى ناحية أردبيل، فواقعهم على أربعة فراسخ مما يلي أرمينيه، فاقتتلوا ثلاثة أيام فاستشهد ومن معه فسمي ذلك النهر نهر الجراح ، ونسب جسر عليه إلى الجراح أيضاً (١) .

ثم إن هشام بن عبد الملك ولى مسلمة بن عبد الملك أرمينيه ، ووجه على مقدمته سعيد بن عمرو بن أسود الحرشي ومعه إسحاق بن مسلم العقيلي، وأخوته وجَعْوَنة بن الحارث بن خالد، أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة وذفافة وخالد ابنا عمير بن الحباب السلمي ، والفرات بن سلمان الباهلي ، والوليد بن القعقاع العبسي ، فواقع الخزر ، وقد حاصروا ورثان فكشفهم عنها ، وهزمهم فأتوا ميمذ من عمل أذربيجان ، فلما تهيأ لقتالهم أتاه كتاب مسلمة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ويعلمه أنه قد ولى أمر عسكره عبد الملك بن مسلم العقيلي ، فلما سلم العسكر أخذه رسول مسلمة فقيده وحمله إلى برذعة

---

(١) انظر تاريخ يهود الخزر : ١٠٠ – ١١٣ .

فحبس في سجنهـا وانصرف الخزر فأتبعهم مسلمة وكتب بذلك إلى هشام فكتب إليه :

أتتركهم بميمذ قد تراهم   وتطلبهم بمنقطع التراب

وأمر بإخراج الحرشي من السجن (١) .

قالوا : وصالح مسلمة أهل حيزان وأمر بحصنها فهدم ، واتخذ لنفسه بـه ضياعا وهي اليوم تعرف بحوز حيزان، وسالمه ملوك الجبال فصار إليه شروانشاه وليرانشاه وطبرسرانشاه وفيلانشاه وجرشانشاه ، وصار إليه صاحب مسقط ، وصمد لمدينة الباب ففتحها وكان في قلعتها ألف أهل بيت من الخزر ، فحاصرهم ورماهم بالحجارة ثم بحديد اتخذه على هيئة الحجارة فلم ينتفع بذلك ، فعمد إلى العين التي كان أنوشروان أجرى منها الماء إلى صهريجهم فذبح البقر والغنم وألقى فيه الفرث والحلتيت فلم يمكث ماؤهم إلا ليلة حتى دود وأنتن وفسد ، فلما جن عليهم الليل هربوا وأخلوا القلعة (٢) .

وأسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب والأبواب أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، فأهل الباب اليوم لا يدعون عامـلا يدخل مدينتهم إلا ومعه مال يفرقه بينهم ، وبنى هرياً للطعام وهرياً للشعير وخزانة للسلاح وأمر بكنس الصهريج ورم المدينة وشرفها .

وكان مروان بن محمد مع مسلمة وواقع معه الخزر فأبلى وقاتل قتالا شديداً، ثم ولى هشام بعد مسلمـة سعيد الحرشي فأقـام بالثغر سنتين ، ثم ولى الثغر مروان بن محمد ، فنزل كسال وهو بنى مدينتها وهي من برذعـة على أربعين فرسخاً ، ومن تفليس على عشرين فرسخاً ، ثم دخل أرض الخزر ممـا يلي باب

---

(١) انظر تاريخ يهود الخزر : ١١٣ — ١١٦ .

(٢) المرجع نفسه : ١١٧ — ١٢٢ .

اللان ، وأدخلهما أسيد بن زافر السلمي أبا يزيد ومعه ملوك الجبال من ناحية الباب والأبواب فأغار مروان على صقالبة كانوا بأرض الخزر ، فسبى منهم عشرين ألف أهل بيت ، فأسكنهم خاخيط ثم إنهم قتلوا أميرهم وهربوا فلحقهم وقتلهم ، قالوا : ولما بلغ عظيم الخزر كثرة من وطىء به مروان بلاده من الرجال وما هم عليه في عدتهم وقوتهم نخب ذلك قلبه وملأه رعباً ، فلما دنا منه أرسل إليه رسولا يدعوه إلى الإسلام أو الحرب فقال : قد قبلت الإسلام فأرسل إليّ من يعرضه عليّ ففعل فأظهر الإسلام ووادع مروان على أن أقره في مملكته [١] .

وسار مروان معه بخلق من الخزر فأنزلهم ما بين السمور والشابران في سهل أرض اللكز ، ثم إن مروان دخل أرض السرير فأوقع بأهلها، وفتح قلاعاً فيها، ودان له ملك السرير وأطاعه، فصالحه على ألف رأس: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية سود الشعور والحواجب وهدب الاشفار في كل سنة ، وعلى مائة ألف مدي تصب في أهراء الباب ، وأخذ منه الرهن ، وصالح مروان أهل تومان على مائة رأس: خمسين جارية وخمسين غلاماً خماسيين سود الشعور والحواجب وهدب الأشفار ، وعشرين ألف مدي للأهراء في كل سنة ، ثم دخل أرض زريكران فصالحه ملكها على خمسين رأساً وعشرة آلاف مدي للأهراء في كل سنة ،ثم أتى أرض حمزين ،فأبى حمزين أن يصالحه فافتتح حصنهم بعد أن حاصرهم فيه شهراً فأحرق وأخرب ، وكان صلحه إياه على خمسمائة رأس يؤدونها دفعة واحدة ، ثم لا يكون عليه سبيل ، وعلى أن يحمل ثلاثين ألف مدي إلى أهراء الباب في كل سنة . ثم أتى سدان فافتتحها صلحاً على مائة رأس يعطيه إياها صاحبها دفعة ثم لا يكون عليه سبيل فيما يستقبل، وعلى أن يحمل في كل سنه إلى

(١) انظر تاريخ يهود الخزر : ١٢٢ – ١٢٨ .

أهراء الباب خمسة آلاف مدي ، ووظف على أهل طبرسرانشاه عشرة آلاف مدي في كل سنة تحمل إلى اهراء الباب ، ولم يوظف على فيلانشاه شيئاً ، وذلك لحسن غنائه وجميل بلائه واحماده أمره ، ثم نزل مروان على قلعة اللكز وقد امتنع من أداء شيء من الوظيفة ، وخرج يريـــد صاحب الخزر فقتله راع بسهم رماه به وهو لا يعرفه فصالح أهل اللكز على عشرين ألف مدي تحمل إلى الاهراء ، وولى عليهم خشرما السلمي ، وسار مروان إلى قلعة صاحب شروان وهي تدعى خرش ، وهي على البحر فأذعن بالطاعــة والانحدار إلى السهل وألزمهم عشرة آلاف مدي في كل سنة وجعل على صاحب شروان أن يكون في المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخـزر ، وفي الساقة إذا رجعوا ، وعلى فيلانشاة أن يغزو معهم فقط ، وعلى طبرسرانشاه أن يكون في الساقـــة إذا بدأوا ، وفي المقدمة إذا انصرفوا ، وسار مروان إلى الدودنيه فأوقع بهم ، ثم جاءه قتل الوليد بن يزيد وخالف عليه ثابت بن نعيم الجذامي ، وأتى مسافر القصاب ، وهو ممن مكنه بالباب الضحاك الخارجي فوافقه على رأيه وولاه أرمينية وأذربيجــان ، وأتى أردبيل مستخفياً فخرج معه قوم من الشراة منها وأتوا باجروان ، فوجدوا بهـا قوماً يرون رأيهم فانضموا إليهم فأتوا ورثان فصحبهم من أهلها بشر كثير كانوا على مثل رأيهم ، وعبروا إلى البيلقان فصحبتهم منهم جماعة كثيرة كانوا على مثل رأيهم ، ثم نزل يونان ، وولى مروان بن محمد إسحــاق بن مسلم أرمينية فلم يزل يقاتل مسافراً وكان في قلعة الكلاب بالسيسجان [1] .

ثم لما جاءت الدولة المبــاركة وولي أبو جعفر المنصور الجزيرة وأرمينية في خلافة السفاح أبي العباس رحمه الله وجه إلى مسافر وأصحابـــه قائداً من أهل خراسان ، فقاتلهم حتى ظفر بهم ، وقتل مسافراً ،وكان أهل البيلقان متحصنين

(١) انظر تاريخ يهود الخزر : ١٢٨ — ١٣٢ .

في قلعة الكلاب ورئيسهم قدد بن أصفر البيلقاني فاستنزلوا بأمان .

ولما استخلف المنصور رحمه الله ولى يزيد بن أسيد السلمي أرمينية ففتح باب اللان ، ورتب فيه رابطة من أهل الديوان ، ودوخ الصنارية حتى أدوا الخراج ، فكتب إليه المنصور يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل، وولدت له ابنته منه ابناً فمات وماتت في نفاسها ، وبعث يزيد إلى نفاطة أرض شروان وملاحاتها فجباها ، ووكل به وبنى يزيد مدينة أرجيل الصغرى، ومدينة أرجيل الكبرى وأنزلهما أهل فلسطين .

حدثني محمد بن إسماعيل عن جماعة من مشايخ أهل برذعة ، قالوا : الشماخية التي في عمل شروان نسبت إلى الشماخ بن شجاع ، فكان ملك شروان في ولاية سعيد بن سلم الباهلي أرمينية .

وحدثني محمد بن إسماعيل عن المشيخة أن أهل أرمينية انتقضوا في ولاية الحسن بن قَحْطَبة الطائي بعد عزل [يزيد] (١) بن أسيد وبكار بن مسلم العقيلي، وكان رئيسهم موشائيل الأرمني ، فبعث إليه المنصور رحمه الله الأمداد وعليهم عامر بن إسماعيل ، فواقع الحسن موشائيل فقتل ، وفضت جموعه واستقامت له الأمور ، وهو الذي نسب إليه نهر الحسن بالبيلقان والباغ الذي يعرف بباغ الحسن ببرذعة والضياع المعروفة بالحسنية ، وولى بعد الحسن بن قحطبة عثمان بن عمارة بن خريم ، ثم روح بن حاتم المهلبي ، ثم خزيمة بن خازم ، ثم يزيد بن مزيد الشيباني ، ثم عبد الله بن المهدي ، ثم الفضل بن يحيى ، ثم سعيد بن سالم، ثم محمد ابن يزيد بن مزيد ، وكان خزيمة أشدهم ولاية ، وهو الذي سن المساحة بدبيل والنشوى ولم يكن قبل ذلك ، ولم يزل بطارقة أرمينيه مقيمين في بلادهم يحمى كل واحد منهم ناحيته فإذا قدم الثغر عامل من عماله داروه فإن رأوا منه عفة

(١) زيد ما بين الحاصرتين من مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه : ٢٦٤ .

وصرامة وكان في قوة وعدة أدوا إليه الخراج وأذعنوا له بالطاعة وإلا اغتمزوا فيه واستخفوا بأمره ، ووليهم خالد بن يزيد بن مزيد في خلافة المأمون فقبل هداياهم وخلطهم بنفسه ، فأفسدهم ذلك من فعله ، وجرأهم على من بعده من عمال المأمون .

ثم ولي المعتصم بالله الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني الثغر ، فأهمل بطارقته وأحراره، ولان لهم حتى ازدادوا فساداً على السلطان وكلباً على من يليهم من الرعية ، وغلب إسحاق بن اسماعيل بن شعيب مولى بني أمية على جرزان ، ووثب سهل بن سنباط البطريق على عامل حيدر بن كاوس الأفشين على أرمينيه فقتل كاتبه ، وأفلت بحشاشة نفسه ثم ولي أرمينيه عمال كانوا يقبلون من أهلها العفو ويرضون من خراجها بالميسور .

ثم إن أمير المؤمنين المتوكل على الله ولى يوسف بن محمد بن يوسف المروزي أرمينيه لسنتين من خلافته [1] ، فلما صار بخلاط أخذ بطريقها بقراط بن أشوط فحمله إلى سر من رأى، فأوحش البطارقة والأحرار والمتغلبة ذلك منه، ثم انه عمد عامل له يقال له العلاء بن أحمد إلى دير بالسيسجان يعرف بدير الأقداح لم تزل نصارى أرمينيه تعظمه وتهدي إليه فأخذ منه جميع ما كان فيه ، وعسف أهله فأكبرت البطارقة ذلك وأعظمته وتكاتبت فيه وحض بعضها على بعض على الخلاف والنقض ، ودسوا إلى الخويثية وهم علوج يعرفون بالأرطان في الوثوب بيوسف وحرضوهم عليه لما كان من حمله بقراط بطريقهم ، ووجه كل امرىء منهم ومن المتغلبة خيلاً ورجالاً ليؤيدوهم على ذلك، فوثبوا به بطرون، وقد فرق أصحابه في القرى فقتلوه واحتووا على ما كان في عسكره ، فولى أمير المؤمنين المتوكل على الله بغا الكبير أرمينيه فلما صار إلى بدليس أخذ

(١) انظر مختصر كتاب البلدان : ٢٦٤ . حيث الرواية نفسها .

موسى بن زرارة ، وكان ممن هوى قتل يوسف وأعان عليه غضباً لبقراط ، وحارب الخويثية فقتل منهم مقتلة عظيمةوسبى سبياً كثيراً ، ثم حاصر أشوط ابن حمزة بن جاجق بطريق البسفرجان وهو بالبلق ، فاستنزله من قلعته وحمله إلى سر من رأى،وسار إلى جرزان فظفر بإسحاق بن اسماعيل فقتله صبراً وفتح جرزان وحمل من بأران وظاهر أرمينيه من بالسيسجان من أهل الخلاف والمعصية من النصارى وغيرهم حتى صلح ذلك الثغر صلاحاً لم يكن على مثله ، ثم قدم سر من رأى في سنة احدى وأربعين ومائتين .



فتوح مصر والمغرب

قالوا: وكان عمرو بن العاصي حاصر قيسارية بعد انصراف الناس من حرب اليرموك ، ثم استخلف عليها ابنه حين ولي يزيد بن أبي سفيان، ومضى إلى مصر من تلقاء نفسه (١) في ثلاثة آلاف وخمسمائة، فغضب عمر لذلك وكتب إليه يوبخه ويعنفه على افتئاته عليه برأيه، وأمره بالرجوع إلى موضعه إن وافاه كتابه دون مصر ، فورد الكتاب عليه وهو بالعريش .

وقيل أيضاً: إن عمر كتب إلى عمرو بن العاصي يأمره بالشخوص إلى مصر، فوافاه كتابه وهو محاصر قيسارية ، وكان الذي أتاه شريك بن عبدة ، فأعطاه ألف دينار فأبى شريك قبولها ، فسأله أن يستر ذلك ولا يخبر به عمر .

قالوا : وكان مسير عمرو إلى مصر في سنة تسع عشرة فنزل العريش،ثم أتى الفرماء (٢) ، وبها قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم ، وحوى عسكرهم ، ومضى قدماً إلى الفسطاط (٣) فنزل جنان الريحان وقد خندق أهل الفسطاط ، وكان اسم المدينة اليونة (٤) فسماها المسلمون فسطاطاً لأنهم قالوا : هذا فسطاط القوم ومجمعهم ، وقوم يقولون : إن عمراً ضرب بها فسطاطاً فسميت بذلك .

---

(١) هذا غير مسلم به،فقد تحدث خليفة بن خياط عن اتصالات بين المسلمين ومقوقس مصر أيام الخليفة أبي بكر الصديق ، ثم روى « أن عمر كتب إلى عمرو بن العاصي أن سر إلى مصر » . تاريخ خليفة : ١ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) مدينة على الساحل من ناحية مصر . معجم البلدان .

(٣) لم تكن الفسطاط قد أقيمت بعد ، وأراد هنا الموقع .

(٤) المتداول « باب اليون » انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش: ٣٣٤ .

قالوا : ولم يلبث عمرو بن العاصي وهو محاصر أهل الفسطاط أن ورد عليه الزبير بن العوام بن خويلد في عشرة آلاف ، ويقال : في اثني عشر ألفاً فيهم خارجة بن حذافة العدوي ، وعمير بن وهب الجمحي، وكان الزبير قد همّ بالغزو وأراد اتيان أنطاكية ، فقال له عمر : يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر ؟ فقال : لا حاجة لي فيها ولكني أخرج مجاهداً ، وللمسلمين معاوناً ، فإن وجدت عمراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدت إلى بعض السواحل فرابطت به ، وإن وجدته في جهاد كنت معه فسار على ذلك .

قالوا : وكان الزبير يقاتل من وجه وعمرو بن العاصي من وجه، ثم إن الزبير أتي بسلم فصعد عليه حتى أوفى على الحصن ، وهو مجرد سيفه فكبر وكبر المسلمون ، واتبعوه ففتح الحصن عنوة ، واستباح المسلمون ما فيه وأقر عمرو أهله على أنهم ذمة : وضع عليهم الجزية في رقابهم والخراج في أرضهم ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجازه واختط الزبير بمصر وابتنى داراً معروفة ، وإياها نزل عبد الله بن الزبير حين غزا إفريقية مع ابن أبي سرح [١]، وسلم الزبير باق في مصر .

وحدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة أن الزبير ابن العوام بعث إلى مصر ، فقيل له إن بها الطعن والطاعون ! فقال : إنما جئنا للطعن والطاعون ، قال : فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها .

وحدثني عمرو الناقد ، قال : حدثني عبد الله بن وهب المصري عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: أن عمرو بن العاصي دخل مصر ومعه ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وكان عمر بن الخطاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها ، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً ، فشهد الزبير فتح مصر ، واختط بها .

---

(١) في غزوة العبادلة أثناء فتوح إفريقية .

وحدثني عمرو الناقـد ، عن عبد الله بن وهب المصري عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حُبيب عن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة عن سفيـان بن وهب الخولاني ، قال : لما فتحنا مصر بغير عهد ، قام الزبير فقال : اقسمها يا عمرو ، فأبى، فقال الزبير : والله لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر : فكتب عمرو إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة[1] .

قال : وقال عبد الله بن وهب : وحدثني ابن لهيعة عن خالد بن ميمون عن عبد الله بن المغيرة عن سفيان بن وهب بنحوه .

وحدثني القاسم بن سلام ، قال : حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة عن يزيـد ابن أبي حبيب ان عمرو بن العاصي دخل مصر في ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وكان عمر قد أشفق من ذلك فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً فشهد معه فتح مصر ، قال : فاختط الزبير بمصر والاسكندرية خطتين .

وحدثني إبراهيم بن مسلم الخوارزمي ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعـة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي فراس عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، قال: اشتبه على الناس أمر مصر ، فقال قوم : فتحت عنوة ، وقال آخرون : فتحت صلحاً ، والثلج في أمرها أن أبي قدمها فقاتله أهل اليونة ففتحها قهراً وأدخلها المسلمين ، وكان الزبير أول من علا حصنها ، فقال صاحبها لأبي : إنه قـد بلغنا فعلكم بالشام ، ووضعكم الجزية على النصارى واليهود ، واقراركم الأرض في أيدي أهلها يعمرونها ويؤدون خراجها، فإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أرد عليكم من قتلنا وسبينا واجلائنا ، قال : فاستشار أبي المسلمين ، فأشاروا عليـه بأن يفعل ذلك إلا نفر منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم، فوضع على كل حالم دينارين جزية إلا

(١) أي الأبناء .

أن يكون فقيراً وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب [١] حنطة وقسطي [٢] زيت ، وقسطي عسل ، وقسطي خل ، رزقا للمسلمين تجمع في دار الرزق ، وتقسم فيهم ، وأحصى المسلمون ، فألزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف وبرنساً أو عمامة وسراويل ، وخفين في كل عام أو عدل الجبة الصوف ثوباً قبطياً ، وكتب عليهم بذلك كتاباً ، وشرط لهم إذا وفوا بذلك أن لا تباع نساؤهم وأبناؤهم ، ولا يسبوا وأن تقر أموالهم وكنوزهم في أيديهم ، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه ، وصارت الأرض أرض خراج إلا أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بعض الناس أنها فتحت صلحاً .

قال : ولما فرغ ملك اليونة من أمر نفسه ومن معه في مدينته ،صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليونة فرضوا به . وقالوا هؤلاء الممتنعون قد رضوا وقنعوا بهذا فنحن به أقنع لأننا فرش لا منعة [٣] لنا ، ووضع الخراج على أرض مصر ، فجعل على كل جريب ديناراً ، وثلاثة أرادب طعاماً ، وعلى رأس كل حالم دينارين ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وحدثني عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب المصري عن الليث عن يزيد بن

---

(١) الأردب مكيال ضخم بمصر يساوي أربعة وعشرين صاعاً أي ما يساوي / ١٥٠ / كغ من القمح أو / ١٣٠ كغ / من الشعير أو / ١٤٠ كغ / من الذره أو / ١٥٥ كغ / من الفول أو / ١٥٧ كغ / من العدس . المكاييل في صدر الإسلام لسامح فهمي – ط . مكة ١٩٨١ : ٤١ .

(٢) يتسع القسط الصغير لـ ١/٢١٥٨ – لتراً والقسط الكبير ضعفه . المرجع نفسه : ٣٣ .

(٣) ذلك أن أهل مصر كانوا تحت سلطان غيرهم . انظر كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٢٠٦ – ٢٠٧ .

أبي حبيب:أن المقوقس صالح عمرو بن العاصي على أن يسير من الروم من أراد ويقر من أراد الاقامة من الروم على أمر سماه ، وأن يفرض على القبط دينارين ، فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه وبعث الجيوش ، فأغلقوا باب الأسكندرية ، وآذنوا عمراً بالحرب فخرج إليه المقوقس ، فقال : أسألك ثلاثاً : أن لا تبذل للروم مثل الذي بذلت لي فإنهم قد استغشوني، وأن لا تنقض بالقبط فان النقض لم يأت من قبلهم ، وإن مت فمر بدفني في كنيسة بالاسكندرية ذكرها ، فقال عمرو : هذه أهونهن علي ، وكانت قرى من مصر قاتلت فسبي منهم ، والقرى: بَلهيب والخيس وسلطيس [1] فوقع سباؤهم بالمدينة ، فردهم عمر بن الخطاب وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة ، وكان لهم عهد لم ينقضوه ، وكتب عمرو بفتح الأسكندرية إلى عمر :

أما بعد — فان الله قد فتح علينا الاسكندريةعنوة قسراً بغير عهد ولا عقد. وهي كلها صلح ، في قول يزيد بن أبي حبيب .

حدثني أبو أيوب الرقي عن عبد الغفار عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : جبى عمرو خراج مصر وجزيتها ألفي ألف، وجباها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح أربعة آلاف ألف ، فقال عثمان لعمرو : إن اللقاح بمصر بعدك قد درت ألبانها ؟ قال : ذاك لأنكم أعجفتم أولادها .

قال : وكتب عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين إلى عمرو بن العاصي يعلمه ما فيه أهل المدينة من الجهد ويأمره أن يحمل مايقبض من الطعام في الخراج إلى المدينة في البحر ، فكان ذلك يحمل ويحمل معه الزيت فإذا ورد الجار [2]

---

(١) لم يحدد ياقوت مواقع هذه القرى وروى خبرهم كما جاء عند البلاذري.

(٢) مدينة على ساحل بحر القلزم — الأحمر — بينها وبين المدينة يوم وليلة— معجم البلدان .

تولى قبضه سعد الجار [١]، ثم جعل في دار بالمدينة وقسم بين الناس بمكيال فانقطع ذلك في الفتنة الأولى، ثم حمل في أيام معاوية ويزيد، ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان، ثم لم يزل يحمل إلى خلافة أبي جعفر وقبيلها.

وحدثني بكر بن الهيثم، قال: حدثني أبو صالح عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب: أن أهل الجزية بمصر صولحوا في خلافة عمر بعد الصلح الأول مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين دينارين، فألزم كل رجل أربعة دنانير، فرضوا بذلك وأحبوه.

وحدثني أبو أيوب الرقي، قال: حدثني عبد الغفار الحراني عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب عن الجيشاني، قال: سمعت جماعة ممن شهد فتح مصر يخبرون أن عمرو بن العاصي لما فتح الفسطاط وجه عبد الله بن حذافة السهمي إلى عين شمس فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط، ووجه خارجة بن حذافة العدوي إلى الفيوم والأشمونين وأخميم والبَشْرُودات [٢] وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك، ووجه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودمياط وتونة [٣] ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير [٤]، ففعل مثل ذلك ووجه عقبة

(١) سعد بن نوفل مولى عمر بن الخطاب وكان عامله على الجار. معجم البلدان.

(٢) من كور بطن الريف بمصر. معجم البلدان.

(٣) جزيرة قرب تنيس ودمياط يضرب المثل بحسن معمول ثيابها وطرزها. معجم البلدان.

(٤) دميرة قرية كبيرة قرب دمياط. وشط أيضاً من البلدان التابعة لدمياط. وتبعد دقهلة عن دمياط أربعة فراسخ. وبنا مدينة مصرية قديمة لها ارتفاع جليل. وفي مصر أربع قرى باسم بوصير، والمرجح أن المقصود هنا بوصير بنا من كورة السمنودية. معجم البلدان.

ابن عامر الجهني ، ويقال : وردان مولاه صاحب سوق وردان بمصر إلى سائر قرى أسفل الأرض ، ففعل مثل ذلك ، فاستجمع عمرو بن العاصي فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج .

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال: حدثنا عبد الغفار الحراني عن ابن لهيعة عن إبراهيم بن محمد عن أيوب بن أبي العالية عن أبيه ،قال : سمعت عمرو بن العاصي يقول على المنبر : لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد إن شئت قتلت وإن شئت خمست وإن شئت بعت إلا أهل أنطابلس [١] فإن لهم عهداً يوفى لهم به .

وحدثني القاسم بن سلام قال : حدثني به عبد الله بن صالح عن موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه ، قال : المغرب كله عنوة .

حدثنا أبو عبيد عن سعيد بن أبي مريم عن ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم كاتب حيان بن شريح أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان وكان عامله على مصر : إن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد [٢] .

وحدثني أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن أبي جعفر ، قال : كتب معاوية إلى وردان مولى عمرو أن زد على كل امرىء من القبط قيراطاً ، فكتب إليه كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : سمعت عروة بن الزبير يقول : أقمت بمصر سبع سنين ، وتزوجت بها ، فرأيت أهلها مجاهيد قد حمل عليهم فوق طاقتهم ، وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد وشيء مفروض عليهم .

---

(١) في ليبيا منطقة برقة في الجبل الأخضر .

(٢) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد : ٢٠٦ — ٢٠٩ .

وحدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي علاقة عن عقبة بن عامر الجهني، قال : كان لأهل مصر عهد وعقد كتب لهم عمرو : أنهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم ، لا يبـــاع منهم أحداً، وفرض عليهم خراجاً لا يزاد عليهم ، وأن يدفع عنهم خوف عدوهم ، قال عقبة : وأنا شاهد على ذلك.

وحدثني الحسين بن الأسود قال: حدثني يحيى بن آدم عن عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عمن سمع عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة ، قال : سمعت سفيان بن وهب الخولاني يقول : لما افتتحنا مصر بلا عهد ، قام الزبير بن العوام ، فقال : يا عمرو اقسمها بيننا ، فقال عمرو : لا والله لا أقسمها حتى أكتب إلى عمر ، فكتب إلى عمر ، فكتب إليه في جواب كتابه : أن أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة ، أو قال يغدو .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي محمد بن عمر عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده، قال : فتح عمرو بن العاصي مصر سنة عشرين، ومعه الزبير، فلما فتحها صالحه أهل البلد على وظيفة وظفها عليهم وهي ديناران على كل رجل، وأخرج النساء والصبيان من ذلك ، فبلغ خراج مصر في ولايته ألفي ألف دينار فكان بعد ذلك يبلغ أربعة آلاف ألف دينار .

وحدثني أبو عبيدة ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب : أن المقوقس صاحب مصر صالح عمرو بن العاصي على أن فرض على القبط دينارين دينارين، فبلغ ذلك هرقل صاحب الروم ، فسخط أشد السخط ، وبعث الجيوش إلى الاسكندرية وأغلقها ففتحها عمرو بن العاصي عنوة .

وحدثني ابن القتات — وهو — أبو مسعود عن الهيثم عن المجالد عن الشعبي أن علي بن الحسين ، أو الحسين نفسه ، كلم معاوية في جزية أهل قرية أم ابراهيم ابن رسول الله ﷺ بمصر فوضعها عنهم ، وكان النبي ﷺ يوصي بالقبط خيراً .

وحدثني عمرو عن عبدالله بن وهب عن مالك والليث عن الزهري عن ابن لكعب بن مالك أن النبي ﷺ قال : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة [١] ورحما .

وقال الليث : كانت أم اسماعيل منهم .

[وحدثني] [٢] أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن المبارك ، قال : كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله إذا ولاهم ، ثم يقاسمهم مــا زاد على ذلك وربما أخذه منهم ، فكتب إلى عمرو بن العاصي : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر ؟ فكتب إليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا . فكتب إلية : إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إليّ كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظناً ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فأطلعه طلعة ، وأخرج إليه ما يطالبك بها ، واعفه من الغلظة عليك فإنه برح الخفاء ، فقاسمه ماله .

المدائني عن عيسى بن يزيد ، قال : لما قاسم محمــد بن مسلمة عمرو بن العاصي ، قال عمرو : إن زماناً عاملنا فيه ابن حنتمة هذه المعاملة لزمان سوء ، لقد كان العاصي يلبس الخز بكفاف الديباج ، فقال محمد : مه لولا زمــان ابن حنتمة هذا الذي تكرهه ألفيت معتقلاً عنزاً بفناء بيتك يسرك غزرها ويسوءك بكاؤها ، قال : أنشدك الله أن لا تخبر عمر بقولي فإن المجالس بالأمانة ، فقال : لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حي .

وحدثني عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب عن ابن لهيعــة عن عبد الله بن هبيرة أن مصر فتحت عنوة .

---

(١) انظر كنز العمال : ١٢ / ٣٤٠٢٠ .

(٢) زيد مابين الحاصرتين ليستقيم السياق .

وحدثني عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن ابن أنعم عن أبيه عن جده وكان ممن شهد فتح مصر، قال: فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد [١] .

فتح الاسكندرية

قالوا : لما افتتح عمرو بن العاصي مصر أقام بها ، ثم كتب إلى عمر بن الخطاب يستأمره في الزحف إلى الاسكندرية ، فكتب إليه يأمره بذلك، فسار إليها في سنة إحدى وعشرين واستخلف على مصر خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان من دون الاسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له، وقالوا : نغزوه بالفسطاط قبل أن يبلغنا ويروم الاسكندرية ، فلقيهم بالكريون [٢] فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكان فيهم من أهل سخا وبلهيث والخيس وسلطيس [٣] وغيرهم قوم رفدوهم وأعانوهم .

ثم سار عمرو حتى انتهى إلى الاسكندرية فوجد أهلها معدين لقتاله، إلا أن القبط في ذلك يحبون الموادعة ، فأرسل إليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدة ، فأبى عمرو ذلك ، فأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن إلى داخله ، وأقام الرجال في السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك، فأرسل إليه عمرو: إنا قد رأينا ما صنعت، وما بالكثرة غلبنا من غلبنا، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان، فقال المقوقس لأصحابه: قد صدق هؤلاء القوم أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية

---

(١) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١ / ٣٢٩ .

(٢) موضع قرب الأسكندرية . معجم البلدان .

(٣) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١ / ٣٤٣ .

فنحن أولى بالاذعان ، فاغلظوا له القول ، وأبوا إلا المحاربة ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديداً وحصروهم ثلاثة أشهر ، ثم إن عمراً فتحها بالسيف وغنم ما فيها واستبقى أهلها،ولم يقتل ولم يسب وجعلهم ذمة كأهل اليونة ، فكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن حديج الكندي ثم السكوني وبعث إليه معه بالخمس .

ويقال : إن المقوقس صالح عمراً على ثلاثة عشر ألف دينار ، على أن يخرج من الاسكندرية من أراد الخروج ويقيم بها من أحب المقام ، وعلى أن يفرض على كل حالم من القبط دينارين ، فكتب لهم بذلك كتاباً ، ثم إن عمرو بن العاصي استخلف على الاسكندرية عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي في رابطة من المسلمين وانصرف إلى الفسطاط (١) .

وكتب الروم إلى قسطنطين بن هرقل، وهو كان الملك يومئذ يخبرونه بقلة من عندهم من المسلمين وبما هم فيه من الذلة وأداء الجزية ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له منويل في ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة ، فدخل الاسكندرية ، وقتل من بها من روابط المسلمين إلا من لطف للهرب فنجا ، وذلك في سنة خمس وعشرين .

وبلغ عمراً الخبر فسار إليهم في خمسة عشر ألفاً،فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيما يلي الأسكندرية من قرى مصر ، فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنشاب ساعة والمسلمون متترسون ، ثم صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن أولئك الكفرة ولوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهية ولا عرجة دون الإسكندرية فتحصنوا بها ونصبوا العرادات ، فقاتلهم عمرو عليها أشد قتال ، ونصب المجانيق فأخذت جدرها ، وألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وهرب بعض رومها إلى الروم وقتل

---

(١) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١ / ٣٤٢ — ٣٦٣ .

عدو الله منويل وهدم عمرو والمسلمون جدار الاسكندرية ، وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلن ذلك .

وقال بعض الرواة : إن هذه الغزاة كانت في سنة ثلاث وعشرين ، وروى بعضهم أنهم نقضوا في سنة ثلاث وعشرين ، وسنة خمس وعشرين ، والله أعلم .

قالوا : ووضع عمرو على أرض الاسكندرية الخراج ، وعلى أهلها الجزية ، وروي أن المقوقس اعتزل أهل الاسكندرية حين نقضوا،فأقره عمرو ومن معه على أمرهم الأول ، وروي أيضاً أنه قد كان مات قبل هذه الغزاة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن حيان بن شريح عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال : لم نفتتح قرية من المغرب على صلح إلا ثلاثاً : الأسكندرية ، وكفرطيس ، وسلطيس ، فكان عمر يقول من أسلم من أهل هذه المواضع خلي سبيله وسبيل ماله .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا ابن وهب المصري عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال : افتتح عمرو بن العاصي الأسكندرية ، فسكنها المسلمون في رباطهم ، ثم قفلوا ، ثم غزوا وابتدروا إلى المنازل ، فكان الرجل يأتي المنزل الذي كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله وبدر إليه ، فقال عمرو : إني أخاف أن تخرب المنازل إذا كنتم تتعاودونها ، فلما غزا فصاروا عند الكريون قال لهم : سيروا على بركة الله فمن ركز منكم رمحاً في دار فهي له ولبني أبيه ، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في بعض بيوتها ويأتي الآخر فيركز رمحه كذلك أيضاً فكانت الدار بين النفسين والثلاثة ، فكانوا يسكنونها فإذا قفلوا سكنها الروم ، فكان يزيد بن أبي حبيب يقول: لا يحل لأحد شيء من كرائها ولا تباع ولا تورث ، إنما كانت لهم سكنى أيام رباطهم ، فلما كان قتالها الآخر وقدمها منويل الرومي الخصي أغلقها أهلها ففتحها عمرو وأخرب سورها .

قالوا : ولما ولى عمرو وردان مولاه الأسكندرية ورجع إلى الفسطاط فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتاه عزله،فولى عثمان بعده عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن

الحارث أحد بني عامر بن لؤي ، وكان أخا عثمان من الرضاعة ، وكانت ولايته في سنة خمس وعشرين ويقال : إن عبد الله بن سعد كان على خراج مصر من قبل عثمان ، فجرى بينه وبين عمرو كلام ، فكتب عبد الله يشكو عمراً ، فعزله عثمان وجمع العملين لعبد الله بن سعد ، وكتب إليه يعلمه أن الاسكندرية فتحت مرة عنوة وانتقضت مرتين ، ويأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها ، وأن يدر عليهم الأرزاق ، ويعقب بينهم في كل ستة أشهر .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي أن ابن هرمز الأعرج القارىء كان يقول : خير سواحلكم رباطاً الاسكندرية ، فخرج إليها من المدينة مرابطاً فمات بها سنة سبع عشرة ومائة .

وحدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن موسى بن علي عن أبيه ، قال : كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار ، فلما كانت ولاية هشام ابن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار .

حدثني عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : كان عثمان عزل عمرو بن العاصي عن مصر ، وجعل عليها عبد الله بن سعد ، فلما نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمراً حتى يفرغ من قتال الروم لأن له معرفة بالحرب وهيبة في أنفس العدو ففعل حتى هزمهم ، فأراد عثمان أن يجعل عمراً على الحرب وعبد الله على الخراج ، فأبى ذلك عمرو ، وقال : أنا كماسك قرني البقرة والأمير يحلبها ، فولى عثمان ابن سعد مصر ، ثم أقامت الحبش من البيا[1] بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجرون من المياه في الغياض .

قال عبد الله بن وهب : وأخبرني الليث بن سعد عن موسى بن علي عن أبيه أن عمراً فتح الاسكندرية الفتح الآخر عنوة ، في خلافة عثمان بعد وفاة عمر رحمه الله .

---

(١) البيا : صقع من بلاد الكفر متاخم لصعيد مصر ، فتح في دولة بني العباس في أيام المعتضد أو قبيلها . معجم البلدان .

فتح برقة وزويلة

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن عبدالله بن هبيرة ، قال : لما فتح عمرو بن العاصي الاسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة [١] وهي مدينة انطابلس فصالح أهلها على الجزيـة ، وهي ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه .

حدثني بكر بن الهيثم ،قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن سهيل بن عقيل عن عبد الله بن هبيرة ، قال صالح عمرو بن العاصي : أهل انطابلس ومدينتها برقة ، وهي بين مصر وإفريقية [٢] ، بعد أن حاصرهم وقاتلهم على الجزية على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا في جزيتهم وكتب لهم بذلك كتاباً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مسلمة بن سعيد عن إسحـاق بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : كان أهل برقـة يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن يأتيهـا حاث أو مستحث ، فكانوا أخصب قوم بالمغرب ولم تدخلها فتنة .

قال الواقدي : وكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول : لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاويـة بن صالح ، قال : كتب عمرو بن العاصي إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه قد ولى عقبة ابن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة وان من بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنـة

---

(١) يعتقد أن موقعها في منطقةمدينة المرج في الجبل الأخضر أو هي نفسها.

(٢) إفريقية هي تونس الحالية .

طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه ،وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها في الفقراء ، ويأخذوا الجزيـــة من الذمة فتحمل إليه بمصر ، وان يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ومن أهـــل الصلح صلحهم .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر ، فقال: هم يزعمون أنهم ولد بر بن قيس ، وما جعل الله لقيس ولداً يقال له بر ، وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام : وكانت منازلهم على أيادي الدهر فلسطين ، وهم أهل عمود فأتوا المغرب فتناسلوا به .

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاصي ، كتب في شرطه على أهـــل لواتة [1] من البربر من أهل برقة : إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم ونساءكم فيما عليكم من الجزية ، قال الليث : فلو كانوا عبيداً ما حل ذلك منهم .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن عبـــد العزيز كتب في اللواتيات : إن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها ، أو فليرددها إلى أهلها ، قال : ولواتة قرية من البربر كان لهم عهد .

فتح أطرابلس

حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، قال : سار عمرو بن العاصي حتى نزل اطرابلس في سنـــة اثنتين

---

(١) لواته اسم أطلق على مجموعة قبلية كبيرة. انظر كتاب « قبائل المغرب» لعبد الوهاب بن منصور – ط . الرباط ١٩٦٨ : ٣٠٤ – ٣٠٥ .

وعشرين فقوتل ، ثم افتتحها عنوة وأصاب بها أحمال بزيون [١] كثيرة مع تجار من تجارها ، فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين ، وكتب إلى عمر بن الخطاب : إنا قد بلغنا اطرابلس ، وبينها وبين إفريقية تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل .

فكتب إليه ينهاه عنها ويقول : ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها ، وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئاً ، فكانوا يغدرون به كثيراً ، وكان ملك الأندلس صالحهم ، ثم غدر بهم ، وكان خبرهم قد بلغ عمر .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد ، قال : حدثني مشيختنا أن اطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصي [٢] .

فتح إفريقية

قالوا : لما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر والمغرب بعث المسلمين في جرائد خيل فأصابوا من أطراف إفريقية وغنموا ، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه متوقفاً عن غزوها ، ثم إنه عزم على ذلك بعد أن استشار فيه ، وكتب إلى عبد الله في سنة سبع وعشرين ، ويقال : في سنة ثمان وعشرين ، ويقال في سنة تسع وعشرين يأمره بغزوها ، وأمده بجيش عظيم فيه معبد بن العباس بن عبد المطلب ، ومروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، والحارث بن الحكم أخوه ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، والمسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعبد الله

(١) حرير .

(٢) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١ / ٣٦٤ – ٣٦٦ .

ابن عمر بن الخطاب ، وعاصم بن عمر ، وعبيد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، وبسر بن أبي أرطـاة بن عويمر العامري ، وأبو ذؤيب خويلد بن خالد الهـذلي الشاعر وبها توفي ، فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه في لحده ، وخرج في هذه الغزاة ممن حول المدينة مـن العرب خلق كثير .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن نافع مولى آل الزبير عن عبد الله بن الزبير ، قال : أغزانا عثمان بن عفان إفريقية، وكان بها بطريق سلطانه من اطرابلس إلى طنجة ، فسار عبد الله بن سعـد بن أبي سرح حتى حل بعقوبة [١] فقاتله أياماً فقتله الله ، وكنت أنا الذي قتلته، وهرب جيشه فتمزقوا ، وبث ابن أبي سرح السرايا ففرقهـا في البلاد فأصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشي ما قدروا عليـه ، فلما رأى ذلك عظماء إفريقية اجتمعوا فطلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار من ذهب على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيـد الليثي عن ابن كعب ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح صالح بطريق إفريقيـة على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن موسى بن ضمرة المازني عن أبيه، قال: لما صالح عبد الله بن سعد بطريق إفريقية رجع إلى مصر ولم يول على إفريقيـة أحداً ، ولم يكن لها يومئذ قيروان [٢] ولا مصر جامع .

---

(١) كذا بالأصل وهي تصحيف صوابه « قرطاجنه » أي مدينة قرطـاج الحاضرة الفينيقية المشهورة في أحواز مدينة تونس. انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ١ / ٣٦٧ – ٣٧١ .

(٢) أي حاضرة أو معسكر .

قال : فلما قتل عثمان وولى أمر مصر محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة لم يوجه إليها أحداً ، فلما ولي معاوية بن أبي سفيان ولّى معاوية بن حديج السكوني مصر فبعث في سنة خمسين عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهري فغزاها واختطها [١] .

قالوا : ووجه عقبة بسر بن أبي أرطاة إلى قلعة من القيروان فافتتحها وقتل وسبى ، وهي اليوم تعرف بقلعة بسر ، وهي بالقرب من مدينة تدعى مجانة [٢] عند معدن الفضة .

وقد سمعت من يذكر أن موسى بن نصير وجه بسرا - وبسر ابن اثنتين وثمانين سنة - إلى هذه القلعة فافتتحها ، وكان مولد بسر قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ، وغير الواقدي يزعم أنه قد روى عن النبي ﷺ والله أعلم .

وقال الواقدي: ولم يزل عبد الله بن سعد والياً حتى غلب محمد بن أبي حذيفة على مصر ، وهو كان أنغلها على عثمان ، ثم إن علياً رضي الله عنه ولى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري مصر ، ثم عزله واستعمل عليها محمد بن أبي بكر الصديق ثم عزله وولى مالكاً الأشتر فاعتل بالقلزم [٣] ، ثم ولى محمد بن أبي بكر ثانية ورده عليها فقتله معاوية بن حديج وأحرقه في جوف حمار .

وكان الوالي عمرو بن العاصي من قبل معاوية بن أبي سفيان ، فمات عمرو بمصر يوم الفطر سنة اثنتين وأربعين ، ويقال سنة ثلاث وأربعين ، وولى عبد الله ابن عمرو وابنه بعده ، ثم عزله معاوية ، وولى معاوية بن حديج ، فأقام بها أربع سنين ، ثم غزا فغنم ، ثم قدم مصر ، فوجه عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري ، ويقال : بل ولاه معاوية المغرب فغزا إفريقية في عشرة آلاف من

---

(١) أي اختط مدينة القيروان ، وهو اسم يعني المعسكر .

(٢) قال ياقوت بين مجانه والقيروان خمس مراحل .

(٣) السويس .

المسلمين فافتتح إفريقيـــة واختط قيروانها ، وكان موضع غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتالة ، وكان ابن نافع رجـــلا صالحاً مستجاب الدعوة فدعا ربـــه فأذهب ذلك كله حتى أن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها .

وقال الواقدي:قلت لموسى بن علي: رأيت بناء إفريقية المتصل المجتمع الذي نراه اليوم من بناه ؟ فقال : أول من بناها عقبة بن نافع الفهري ، اختطها ثم بنى وبنى الناس معه الدور والمساكن وبنى المسجد الجامع بها [١] .

قال: وبإفريقية استشهد معبد بن العباس رحمه الله في غزاة ابن أبي سرح في خلافة عثمان ، ويقال : بل مات في أيام القتال ، واستشهاده أثبت .

وقال الواقدي وغيره : عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج وولى مصر والمغرب مسلمة بن مخلد الأنصاري ، فولى المغرب أبا المهاجر مولاه ، فلما ولى يزيد بن معاوية رد عقبة بن نافع على عمله فغزا السوس [٢] الأدنى ، وهـــو خلف طنجة ، وجول فيما هناك لا يعرض له أحد ولا يقاتله فانصرف ، ومـــات يزيد بن معاوية وبويع لابنه معاوية بن يزيـــد وهو أبو ليلى فنادى : الصلاة جامعة ، ثم تبرأ من الخلافة وجلس في بيته ومات بعد شهرين ، ثم كانت ولاية مروان بن الحكم وفتنة ابن الزبير .

ثم ولى عبد الملك بن مروان فاستقام له الناس فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر فولى إفريقية زهير بن قيس البلوي ففتح تونس، ثم انصرف إلى برقة فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا فتوجه إليهم في جريدة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه ، فقبره هناك وقبورهم تدعى قبور الشهداء .

---

(١) ما يزال قائماً في القيروان ، شاهدته وهو مسجد واسع عامر جميل .

(٢) ميز العرب بين السوس الأدنى والأقصى ، ومنطقة السوس معروفـــة حتى الآن في المملكة المغربية .

ثم ولي حسان بن النعمان الغساني فغزا ملكة البربر الكاهنة فهزمته ، فأتى قصوراً في حيز برقة فنزلها وهي قصور يضمها قصر سقوفه ازاج فسميت قصور حسان ، ثم إن حسان غزاها ثانية فقتلها وسبى سبياً من البربر ، وبعث به إلى عبد العزيز فكان أبو محجن نصيب الشاعر يقول: لقد حضرت عند عبد العزيز سبياً من البربر ما رأيت قط وجوهاً أحسن من وجوههم .

قال ابن الكلبي : ولي هشام كلثوم بن عياض بن وحوح القشيري إفريقية فانتقض أهلها عليه فقتل بها .

وقال ابن الكلبي : كان افريقيس بن قيس بن صيفي الحميري غلب على إفريقية في الجاهلية فسميت به وهو الذي قتل جرجير ملكها فقال للبرابرة : ما أكثر بربرة هؤلاء فسموا البرابرة .

وحدثني جماعة من أهل إفريقية عن أشياخهم أن عقبة بن نافع الفهري لما أراد تمصير القيروان فكر في موضع المسجد منه فأري في منامه كأن رجلاً أذن في الموضع الذي جعل فيه مئذنته ، فلما أصبح بنى المنبر في موقف الرجل ، ثم بنى المسجد .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي ، قال : ولي محمد بن الأشعث الخزاعي إفريقية من قبل أبي العباس أمير المؤمنين ، فرم مدينة القيروان ومسجدها [١]، ثم عزله المنصور وولي عمر بن حفص هزارمرد مكانه .

(١) تعرضت القيروان في فترة قيام الدولة العباسية لأذى شديد بسبب نشاطات الخوارج الإباضية في افريقية وطرابلس .

فتح طنجة

قال الواقدي: وجه عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير مولى بني أمية— وأصله من عين التمر ، ويقال : بل هو من أراشة من بلي ، ويقال هو من لخم — والياً على إفريقية ، ويقال : بل وليها في زمن الوليد بن عبد الملك سنة تسع وثمانين ففتح طنجة ونزلها ، وهو أول من نزلها واختط فيها للمسلمين وانتهت خيله إلى السوس الأدنى وبينه وبين السوس الأقصى [1] نيف وعشرون يوماً ، فوطئهم وسبى منهم وأدوا إليه الطاعة ، وقبض عامله منهم الصدقة ، ثم ولاها طارق بن زياد مولاه وانصرف إلى قيروان إفريقية .



(١) من المعتقد أن نهاية السوس الأقصى متصلة بحوض نهر السنغال .

فتح الأندلس

قال الواقدي : غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نصير الأندلس ، وهو أول من غزاها وذلك في سنة اثنتين وتسعين فلقيه أليان،وهو وال على مجاز الأندلس، فآمنه طارق على أن حمله وأصحابه الى الأندلس في السفن ، فلما صار إليها حاربه أهلها ففتحها وذلك في سنة اثنتين وتسعين ، وكان ملكها فيما يزعمون من الاشبان ، وأصلهم من اصبهان (٢) .

ثم ان موسى بن نصير كتب إلى طارق كتاباً غليظاً لتغريره بالمسلمين وافتئاته عليه بالرأي في غزوه ، وأمر أن لا يجاوز قرطبة ، وسار موسى إلى قرطبة من الأندلس فترضاه طارق فرضي عنه ، فافتتح طارق مدينة طليطلة وهي مدينة مملكة الأندلس ، وهي مما يلي فرنجة ، وأصاب بها مائدة عظيمة أهداها موسى ابن نصير إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق حين قفل سنة ست وتسعين،والوليد مريض ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك أخذ موسى بن نصير بمائة ألف دينار ، فكلمه فيه يزيد بن المهلب فأمسك عنه .

ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولى المغرب اسماعيل ابن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم ، فسار أحسن سيرة ودعا البربر إلى الإسلام وكتب إليهم عمر بن عبد العزيز كتباً يدعوهم بعد إلى ذلك فقرأها إسماعيل عليهم في النواحي فغلب الإسلام على المغرب .

قالوا : ولما ولي يزيد بن عبد الملك ولى يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج

---

(١) كذا وهو وهم، هذا وهناك خلاف شديد حول شخصية يوليان ودوره في فتح الأندلس . انظر كتابي تاريخ العرب والإسلام ٤٣٠ - ٤٣١ .

ابن يوسف إفريقية والمغرب ، فقدم إفريقية في سنة اثنتين ومائة وكان حرسه البربر ، فوسم كل امرىء منهم على يده حرسي ، فأنكروا ذلك وملوا سيرته فدب بعضهم إلى بعض ، وتضافروا على قتله ، فخرج ذات عشية لصلاة المغرب فقتلوه في مصلاه .

فولى يزيد بشر بن صفوان الكلبي فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نصير بيزيد ، وذلك أنه اتهم بقتله وتأليب الناس عليه ، ثم ولى هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان أيضاً فتوفي بالقيروان سنة تسع ومائة ، فولى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن القيسي ، ثم استعمل بعده عبد الله بن الحبحاب مولى بني سلول فأغزى عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري السوس ، وأرض السودان [١] ، فظفر ظفراً لم ير أحد مثله قط ، وأصاب جاريتين من نساء ما هناك ليس للمرأة منهن إلا ثدي واحد ، وهم يسمون تراجان ، ثم ولى بعد ابن الحبحاب كلثوم بن عياض القشيري فقدم إفريقية في سنة ثلاث وعشرين فقتل .

ثم ولى بعده حنظلة بن صفوان الكلبي أخاه بشر بن صفوان فقاتل الخوارج وتوفي هناك وهو وال ، وقام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فخالف عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهري وكان محبباً في ذلك الثغر لما كان من آثار جده عقبة بن نافع فيه فغلب عليه ، وانصرف عنه حنظلة فبقي عبد الرحمن عليه .

وولي يزيد بن الوليد الخلافة فلم يبعث إلى المغرب عاملاً ، وقام مروان بن محمد فكاتبه عبد الرحمن بن حبيب وأظهر له الطاعة وبعث إليه بالهدايا ، وكان كاتبه خالد بن ربيعة الإفريقي ، وكان بينه وبين عبد الحميد بن يحيى مودة ومكاتبة فأقر مروان عبد الرحمن على الثغر ، ثم ولي بعده الياس بن حبيب ، ثم حبيب بن عبد الرحمن ، ثم غلب البربر والإباضية من الخوارج ، ثم دخل محمد

---

(١) أي أفريقيا السوداء .

ابن الأشعث الخزاعي إفريقية والياً عليها في آخر خلافة أبي للعباس في سبعين ألفاً ، ويقال في أربعين ألفاً ، فوليها أربع سنين فرم مدينة القيروان ، ثم وثب عليه جند البلد وغيرهم .

وسمعت من تحدث أن أهل البلد والجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوماً وهو في قصره ، حتى اجتمع إليه أهل الطاعة ممن كان شخص معه من أهل خراسان وغيرهم ، وظفر بمن حاربه ، وعرضهم على الأسماء ، فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسماً موافقاً لأسماء بني أمية قتله،ومن كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فعزله المنصور ، وولى عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي ، وهو الذي سمي هزارمرد ، وكان المنصور به معجباً فدخل افريقية وغزا منها حتى بلغ أقصى بلاد البربر وابتنى هناك مدينة سماها العباسية .

ثم إن أبا حاتم السدراتي الإباضي من أهل سدراتة ، وهو مولى لكندة قاتله فاستشهد وجماعة من أهل بيته وانتقض الثغر وهدمت تلك المدينة التي ابتناها ، وولي بعد هزارمرد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، فخرج في خمسين ألفاً ، وشيعه أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدس ، وأنفق عليه مالا عظيماً فسار يزيد حتى لقي أبا حاتم باطرابلس فقتله ودخل إفريقية فاستقامت له ، ثم ولي بعد يزيد بن حاتم روح بن حاتم ، ثم الفضل بن روح ، فوثب الجند عليه فذبحوه .

وحدثني أحمد بن ناقد مولى بني الأغلب ، قال : كان الأغلب بن سالم التميمي من أهل مرو الروز فيمن قدم مع المسودة من خراسان ، فولاه موسى الهادي المغرب ، فجمع له حريش ــ وهو رجل كان من جند الثغر من تونس ــ جمعاً ، وسار إليه وهو بقيروان إفريقية فحصره ، ثم إن الأغلب خرج إليه فقاتله فأصابه في المعركة سهم فسقط ميتاً ، وأصحابه لا يعلمون بمصابه ، ولم يعلم به أصحاب حريش ، ثم إن حريشاً ، انهزم وجيشه فاتبعهم أصحاب

الأغلب ثلاثة أيام فقتلوهم وقتلوا حريشاً بموضع يعرف بسوق الأحـــد فسمى الأغلب الشهيد .

قال : وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر فوثب واثنا عشر رجلاً معه ، فأخذوا من بيت المال مقدار أرزاقهم لم يزدادوا على ذلك شيئاً ، وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب ، وهـــو من القيروان على مسيرة أكثر من عشرة أيام،وعامل الثغر يومئذ من قبل الرشيد هارون : هرثمة بن أعين، واعتقد إبراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند وغيرهم الرئاسة، وأقبل يهدى إلى هرثمة ويلاطفه ويكتب إليه يعلمه أنه لم يخرج يداً من طاعة،ولا اشتمل على معصية وأنه إنما دعاه إلى مـــا كان منه الإحواج والضرورة ، فولاه هرثمـــة ناحيته ، واستكفاه أمرها ، فلما صرف هرثمة من الثغر وليه بعده ابن العكي فساء أثره فيه ، حتى انتقض عليه فاستشار الرشيد هرثمـــة في رجل يوليه إياه ويقلده أمره ، فأشار عليه باستصلاح إبراهيم واصطناعه وتوليته الثغر ، فكتب إليه الرشيد يعلمه أنه قد صفح له عن جرمه وأقاله عفوته ورأى توليته بـــلاد المغرب ، اصطناعاً له ليستقبل به الاحسان ويستقبل به النصيحة، فولى إبراهيم ذلك الثغر وقام به وضبطه

ثم إن رجـــلاً من جند البلد يقال له عمران بن مجالد خالف ، ونقض فانضم إليه جند الثغر وطلبوا أرزاقهم وحاصروا إبراهيم بالقيروان ، فلم يلبثوا أن أتاهم العراض والمعطون ومعهم مال من خراج مصر فلما أعطوا تفرقوا ، فابتنى إبراهيم القصر الأبيض الذي في قبلة القيروان على ميلين منها وخط للناس حوله فابتنوا ومصر ما هناك ، وبنى مسجداً جامعاً بالجص والآجر ، وعمـــد الرخام وسقفه بالأرز ، وجعله مائتي ذراع في نحو مائتي ذراع ، وابتاع عبيداً أعتقهم ، فبلغوا خمسة آلاف وأسكنهم حـــوله ، وسمى تلك المدينة العباسية وهي اليوم آهلة عامرة .

وكان محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب أحـــدث في سنة تسع وثلاثين ومائتان مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية أيضاً فأخربها أفلح بن عبد الوهاب الأباضي ، وكتب إلى الأموي صاحب الأندلس يعلمه ذلك تقرباً إليه بـه فبعث إليه الأموي مائة ألف درهم [١] .

وبالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة وبينها وبين برقــة مسيرة خمسة عشر يومـاً أو أقل من ذلك قليلاً أو أكثر قليلاً ، وبها مدينة على شاطىء البحر تدعى باجة [٢] وكان أهلها نصارى وليسوا بروم غزاهـا جبلة مولى الأغلب فلم يقدر عليها، ثم غزاها خلفون البربري، ويقال : إنه مولى لربيعة ففتحها في أول خلافة المتوكل على الله .

وقام بعده رجل يقال له المفرج بن سلام ففتح أربعة وعشرين حصناً واستولى عليها ، وكتب إلى صاحب البريد بمصر يعلمه خبره وأنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويوليه إياها ليخرج من حـد المتغلبين ، وبنى مسجداً جامعاً، ثم إن اصحابه شغبوا عليه فقتلوه ، وقام بعده سوران فوجه رسوله إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله يسأله عقداً وكتاب ولاية، فتوفي قبل أن ينصرف رسوله إليه وتوفي المنتصر بالله .

وكانت خلافته ستة أشهر ، وقام المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم بالله فأمر عامله على المغرب وهو أوتامش مولى أمير المؤمنين بأن يعقد له على ناحيته، فلم يشخص رسوله من سر من رأى حتى قتل أوتامش وولي الناحية وصيف مولى أمير المؤمنين ، فعقد له وأنفذه .

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر « تاريخ افريقية والمغرب » لإبراهيم الرقيق – ط . تونس ١٩٦٧ : ٢١٢ – ٢٢١ .

(٢) من مدن الجزائر المعروفة .

فتح جزائر في البحر

قالوا : غزا معاوية بن حديج الكندي أيام معاوية بن أبي سفيان سقلية ، وكان أول من غزاها ولم تزل تغزى بعد ذلك ، وقد فتح آل الأغلب بن سالم الإفريقي منها نيفاً وعشرين مدينة ، وهي في أيدي المسلمين ، وفتح أحمد ابن محمد بن الأغلب منها في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله قصريانة [١] وحصن قطانة [٢] .

وقال الواقدي : سبى عبد الله بن قيس بن مخلد الحارثي سقلية [٣] فأصاب أصنام ذهب وفضة مكللة بالجوهر فبعث بها الى معاوية ، فوجه بها معاوية الى البصرة لتحمل الى الهند فتباع هناك ليثمن بها .

قالوا : وكان معاوية بن أبي سفيان يغزي براً وبحراً ، فبعث جنادة بن أبي أمية الأزدي الى رودس ، وجنادة أحد من روي عنه الحديث ، ولقي أبا بكر وعمر ، ومعاذ بن جبل ، ومات في سنة ثمانين ففتحها عنوة ، وكانت غيضة في البحر ، وأمره معاوية فأنزلها قوماً من المسلمين ، وكان ذلك في سنة اثنتين وخمسين .

قالوا : ورودس من أخصب الجزائر ، وهي نحو من ستين ميلا ، فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة .

---

(١) مدينة كبيرة في صقلية — معجم البلدان .

(٢) من مدن جزيرة صقلية فيها مقبرة الشهداء قيل حوت نحو ثلاثين رجلا من التابعين قتلوا هناك وبينها وبين قصر يانه قبر أسد بن الفرات فاتح صقلية . معجم البلدان .

(٣) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٧٥ — ٣٧٦ .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره ، قالوا : أقام المسلمون برودس سبع سنين في حصن اتخذ لهم ، فلما مات معاوية كتب يزيد الى جنادة يأمره بهدم الحصن والقفل ، وكان معاوية يعاقب بين الناس فيها ، وكان مجاهد بن جبر مقيماً بها يقرىء الناس القرآن .

وفتح جنادة بن أبي أمية في سنة أربع وخمسين أرواد وأسكنها معاوية المسلمين ، وكان ممن فتحها مجاهد وتبيع ابن امرأة كعب الأحبار ، وبها أقرأ مجاهد تبيعاً القرآن ، ويقال : أنه أقرأه القرآن برودس وأرواد جزيرة بالقرب من القسطنطينية [1] ، وغزا جنادة أقريطش [2] ، فلما كان زمن الوليد فتح بعضها ثم أغلق ، وغزاها حميد بن معيوق الهمداني في خلافة الرشيد ففتح بعضها ، ثم غزاها في خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالأقريطشي ، وافتتح منها حصناً واحداً ونزله ، ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم أحد وأخرب حصونهم [3] .

---

(١) أرواد جزيرة سورية تقع أمام طرطوس .

(٢) أي جزيرة كريت .

(٣) احتلت جماعة من الأندلسيين مدينة الاسكندرية ، وقد أدى هذا الى الحرب ضد المأمون ، وبعد حصار جرى الاتفاق على مغادرة الأندلسيين للاسكندرية بحراً ، فتوجهوا نحو جزيرة كريت وافتتحوها بقيادة عمر بن عيسى ، والحصن المشار إليه هنا -كما هو مرجح- مدينة الخندق التي اختطها المسلمون .

صلح النوبة

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني محمد بن عمر الواقدي عن الوليد بن كثير عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير ، قال : لما فتح المسلمون مصر بعث عمرو ابن العاصي الى القرى التي حولها الخيل ليطأهم ، فبعث عقبة بن نافع الفهري ، وكان نافع أخا العاصي لأمه ، فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائف الروم ، فلقي المسلمون بالنوبة قتالاً شديداً ، لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدق مفقوءة ، فسموا رماة الحدق ، فلم يزالوا على ذلك حتى ولي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألوه الصلح والموادعة ، فأجابهم الى ذلك على غير جزية لكن على هدية ثلاثمائة رأس في كل سنة ، وعلى أن يهدي المسلمون إليهم طعاماً بقدر ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني الواقدي، قال: حدثنا إبراهيم بن جعفر عن عمرو بن الحارث عن أبي قبيل حيي بن هانىء المعافري عن شيخ من حمير ، قال : شهدت النوبة مرتين في ولاية عمر بن الخطاب ، فلم أرَ قوماً أحدّ في حرب منهم ، لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم : أين تحب أن أضع سهمي منك فربما عبث الفتى منا فقال : في مكان كذا ، فلا يخطئه ، كانوا يكثرون الرمي بالنبل فما يكاد يرى من نبلهم في الأرض شيء ، فخرجوا إلينا ذات يوم فصافونا ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف فما قدرنا على معاجلتهم ، رمونا حتى ذهبت الأعين فعدت مائة وخمسين عيناً مفقوءة ، فقلنا : ما لهذا ولاء خير من الصلح إن سلبهم لقليل ، وإن نكايتهم لشديدة ، فلم يصالحهم عمرو ، ولم يزل يكالبهم حتى نزع وولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح فصالحهم .

قال الواقدي : وبالنوبة ذهبت عين معاوية بن حديج الكندي وكان أعور .

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق إنما هي هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ويعطونا رقيقاً فلا بأس بشراء رقيقهم منهم أو من غيرهم .

حدثنا أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ، قال : إنما الصلح بيننا وبين النوبة على أن لا نقاتلهم ولا يقاتلونا وأن يعطونا رقيقاً ونعطيهم بقدر ذلك طعاماً ، فإن باعوا نساءهم وأبناءهم لم أرَ بذلك بأساً أن يُشترى ، ومن رواية أبي البختري وغيره أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح صالح أهل النوبة على أن يهدوا في السنة أربعمائة رأس يخرجوا بها يأخذون بها طعاماً .

وكان المهدي أمير المؤمنين أمر بإلزام النوبة في كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً وزرافة ، على أن يعطوا قمحاً وخل خمر وثياباً وفرشا أو قيمته ، وقد ادعوا حديثاً أنه ليس يجب عليهم البقط[1] لكل سنة وأنهم كانوا طولبوا بذلك في خلافة المهدي فرفعوا إليه أن هذا البقط مما يأخذون من رقيق أعدائهم ، فإذا لم يجدوا منه شيئاً عادوا على أولادهم فأعطوا منهم فيه بهذه العدة ، فأمر أن يحملوا في ذلك على أن يؤخذ منهم لكل ثلاث سنين بقط سنة ، ولم يوجد لهذه الدعوى ثبت في دواوين الحضرة ، ووجد في الديوان بمصر .

وكان المتوكل على الله أمر بتوجيه رجل يقال له محمد بن عبد الله ، ويعرف بالقمي الى المعدن[2] بمصر والياً عليه ، وولاه القلزم ، وطريق الحجاز ،

---

(١) هناك خلاف حول أصل هذه الكلمة ، وهي تعني ضريبة الاتفاق الموادعة أو الهدنة . انظر كتاب « تاريخ دولة الكنوز الإسلامية » لعطية القوصي — ط . القاهرة ١٩٧٦ : ٤٤ .

(٢) مناجم الذهب . المرجع نفسه : ٣٦ .

وبذرقة (١) حاج مصر ، فلما وافى المعدن حمل الميرة من القلزم الى بلاد البجة ، ووافى ساحلاً يعرف بعيذاب (٢) فوافته المراكب هناك فاستمان بتلك الميرة وتقوتها ومن معه حتى وصل الى قلعة ملك البجة فناهضه وكان في عدة يسيرة ، فخرج إليه البجوي في الدهم على إبل مخزمة (٣) فعمد القمي الى الأجراس فقلدها الخيل ، فلما سمعت الإبل أصواتها تقطعت بالبجويين في الأودية والجبال وقتل صاحب البجة ، ثم قام من بعده ابن أخته وكان أبوه أحد ملوك البجويين وطلب الهدنة فأبى المتوكل على الله ذلك إلا أن يطأ بساطه ، فقدم سر من رأى فصولح في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة على أداء الأتاوة والبقط ورد مع القمي(٤) ،

(١) خفارة . القاموس .

(٢) على شاطىء البحر الأحمر ينتقل منها الى جدة وسواها. معجم البلدان .

(٣) خزم البعير : جعل في جانب منخره الخزامة . القاموس .

(٤) محمد بن عبد الله القمي ولاه المتوكل على الله حرب البجة في سنة إحدى وأربعين ومائتين وجعل إليـــه معونة قفط ، والأقصر ، واسنا ، وارمنت ، وأسوان : وكتب الى عنبسة بن إسحق الضبي أمير مصر بإزاحة علته وإعطائه من الجند ما يحتاج إليه ، وذلك ان البجة أغارت على أرض مصر وامتنعت من أداء ما كانوا يؤدونه من معــادن الذهب التي بأرضهم ، فكتب صاحب البريد بمصر بخبرهم ، وأنهم قتلوا عدة من المسلمين ممن يعمـــل في المعادن ، فهرب المسلمون من أرضهم خوفــاً على أنفسهم ، فشاور المتوكل في أمرهم ، فذكر له أنهم أهل بادية أصحاب إبل وماشية وأن الوصول الى بلادهم صعب لأنها مفاوز وبينها وبين بلاد الإسلام مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة وأن من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة أشهر حتى يخرج منها ، فإن جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجة باليد ، وأن أرضهم لا ترد على السلطان شيئاً ، فأمسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم منهم =

فأهل البجة على الهدنة يؤدون ولا يمنعون المسلمين من العمل في معدن الذهب ، وكان ذلك في الشرط على صاحبهم .

= فبعث القمي الى محاربتهم .

فلما قدم على عنبسة قام له بما يحتاج إليه وسار الى أرض البجة وتبعه ممن يعمل في المعادن ، ومن المطوعة عالم كبير بلغت عدتهم نحو العشرين ألفاً ما بين فارس وراجل ، ووجه الى القلزم فحمل له في البحر سبع مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير ، وأمر أصحابه أن يوافوه بها في ساحل البحر مما يلي بلاد البجة ، ومضى حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب وصار الى حصونهم وقلاعهم ، فخرج إليه ملكهم علي بابا في جيش كبير أضعاف من مع القمي وهم على ابل فره تشبه المهاري ، فتحاربوا أياماً ولم يصدقهم علي بابا القتال لتطول الأيام وتفنى أزواد المسلمين وعلوفاتهم فيأخذهم بغير حرب ، فأقبلت المراكب التي فيها الأقوات في البحر ، ففرق القمي ما فيها على أصحابه فاتسعوا ، فلما رأى علي بابا ذلك قصدهم وصدقهم القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت ابلهم ذعرة تنفر من كل شيء ، فلما رأى القمي ذلك جمع كل جرس في عسكره وجعلها في أعناق الخيل، ثم حمل على البجة فنفرت إبلهم من أصوات الأجراس ، ومرت على الجبال والأودية وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى أدركهم الليل ، فرجعوا إلى معسكرهم ولم يقدر القمي على إحصاء القتلى لكثرتهم وكان بينهم كبيرهم علي بابا ، فبعث ابن أخته ، الذي حل محله يطلب الهدنة والصلح على أن يدفع الخراج عن المدة التي فاتته وأن ينتظم في دفع البقط مستقبلا ، وأن يطأ بساط أمير المؤمنين ، فصولح وسار الى سامراء . تاريخ دولة الكنوز الإسلامية : ٢٩ - ٣٠ . وانظر أيضاً في مغازي ابن حبيش : ٣٧٢ - ٣٧٣ .

في أمر القراطيس

قالوا : كانت القراطيس[١] تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير ، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وغيرها من ذكر الله ، فكتب إليه ملك الروم : إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه ، فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه ، قال : فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره أن يدع سنة حسنة سنها ، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له : يا أبا هاشم إحدى بنات طبق[٢] ، وأخبره الخبر ، فقال : أفرخ روعك يا أمير المؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها ، واضرب الناس سككاً ، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير ، فقال عبد الملك : فرجتها عني فرج الله عنك وضرب الدنانير .

قال عوانة بن الحكم : وكانت الأقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه الى الربوبية ، تعالى الله علواً كبيراً ، وتجعل الصليب مكان ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره .

وقال المدائني : قال مسلمة بن محارب : أشار خالد بن يزيد على عبد الملك بتحريم دنانيرهم ، ومنع من التعامل بها وأن يدخل بلاد الروم شيء من القراطيس فمكث حيناً لا يحمل إليهم[٣] .

---

(١) ورق البردي .

(٢) يقال للداهية إحدى بنات طبق . المرصع لابن الأثير .

(٣) هناك أسباب أهم دعت الى تعريب الدنانير ، فمنذ أن عربت الدواوين عربت الشعارات التي كانت توضع على ورق البردي ، ومثلما فرضت الظروف تعريب الادارة فرضت في الوقت نفسه تعريب وسائل النقد وتوحيدها لإنشاء اقتصاد واحد ، فقد توجهت الخطط آنذاك الى إنشاء أمة مسلمة مستعربة .

فتوح السواد

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قالوا : وكان المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم الشيباني يغير على السواد في رجال من قومه ، فبلغ أبا بكر الصديق رضي الله عنه خبره فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني ، ثم إن المثنى قدم على أبي بكر ، فقال له يا خليفة رسول الله استعملني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس ، فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل خفان [1] ودعا قومه الى الإسلام فأسلموا .

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه كتب الى خالد بن الوليد المخزومي يأمره بالمسير الى العراق ، ويقال : بل وجهه من المدينة ، وكتب أبو بكر الى المثنى ابن حارثة يأمره بالسمع والطاعة له وتلقيه . وكان مذعور بن عدي العجلي قد كتب الى أبي بكر يعلمه حاله وحال قومه ويسأله توليته قتال الفرس ، فكتب إليه يأمره بأن ينضم الى خالد فيقيم معه إذا أقام ويشخص إذا شخص ، فلما نزل خالد النباج[2] لقيه المثنى بن حارثة بها [3] ، وأقبل خالد حتى أتى البصرة وبها سويد بن قطبة الذهلي ، وقال غير أبي مخنف : كان بها قطبة بن قتادة الذهلي ، من بكر بن وائل ومعه جماعة من قومه ، وهو يريد أن يفعل بالبصرة

(١) موضع قرب الكوفة . معجم البلدان .
(٢) موقع على طريق البصرة على عشرة مراحل منها . معجم البلدان .
(٣) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٨٢ – ٣٩١ .

مثل فعل المثنى بالكوفة ، ولم تكن الكوفة يومئذ إنما كانت الحيره ، فقال سويد لخالد : ان أهل الأبلة [١] قد جمعوا لي ، ولا أحسبهم امتنعوا مني إلا لمكانك ، قال له خالد : فالرأي أن أخرج من البصرة نهاراً ، ثم أعود ليلاً فادخل عسكرك بأصحابي فإن صبحوك حاربناهم ، ففعل خالد ذلك وتوجه نحو الحيرة ، فلما جن عليه الليل انكفأ راجعاً حتى صار الى عسكر سويد ، فدخله بأصحابه وأصبح الأبليون وقد بلغهم انصراف خالد عن البصرة ، فأقبلوا نحو سويد ، فلما رأوا كثرة من في عسكره سقط في أيديهم وانكسروا ، فقال خالد : احملوا عليهم فإني أرى هيئة قوم قد ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فحملوا عليهم فهزموهم وقتل الله منهم بشراً ، وغرق طائفة في دجلة البصرة ، ثم مر خالد بالخُريبة [٢] ففتحها وسبى من فيها ، واستخلف بها - فيما ذكر الكلبي - شريح بن عامر بن قين من بني سعد بن بكر بن هوازن ، وكانت مسلحة للعجم ، ويقال أيضاً : أنه أتى النهر الذي يعرف بنهر المرأة [٣] فصالح أهله ، وأنه قاتل جمعاً بالمذار [٤] ، ثم سار يريد الحيرة وخلف سويد بن قطبة على ناحيته ، وقال له : قد عركنا هذه الأعاجم بناحيتك عركة أذلتهم لك [٥] .

وقد روي أن خالداً لما كان بناحية اليمامة كتب الى أبي بكر يستمده فأمده بجرير بن عبد الله البجلي ، فلقيه جرير منصرفاً من اليمامة ، فكان معه وواقع صاحب المذار بأمره ، والله أعلم .

وقال الواقدي : والذي عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالداً قدم المدينة

---

(١) قرب البصرة . معجم البلدان .

(٢) موضع بالبصرة . معجم البلدان .

(٣) بالبصرة معجم البلدان .

(٤) بين واسط والبصرة .

(٥) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٩٢ - ٤٠٢ .

من اليمامة ، ثم خرج منها الى العراق على فيد والثعلبية ثم أتى الحيرة [١] .

قالوا : ومر خالد بن الوليد بزندورد [٢] من كسكر فافتتحها وافتتح درنا [٣] وذواتها بأمان بعد أن كانت من أهل زندورد مراماة للمسلمين ساعة ، وأتى هرمزجرد [٤] فآمن أهلها أيضاً وفتحها ، وأتى أليس [٥] فخرج إليه جابان عظيم العجم ، فقدم إليه المثنى بن حارثة الشيباني فلقيه بنهر الدم ، وصالح خالد أهل أليس على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعواناً .

وأقبل خالد الى مجتمع الأنهار [٦] فلقيه اراذبه صاحب مسالح كسرى فيما بينه وبين العرب ، فقاتله المسلمون وهزموه ، ثم نزل خالد خفان [٧] ، ويقال : بل سار قاصداً الى الحيرة فخرج إليه عبد المسيح بن عمر بن قيس بن حيان بن بقيلة ، واسم بقيلة الحارث وهو من الأزد ، وهانىء بن قبيصة بن مسعود الشيباني ، واياس بن قبيصة الطائي ، ويقال فروة بن اياس ، وكان اياس عامل كسرى أبرويز على الحيرة بعد النعمان بن المنذر ، فصالحوه على مائة ألف درهم ،

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٩٣ — ٣٩٤ .

(٢) مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة ، خربت بعمارة واسط ، وينسب إليها طسوج عمل بكسكر . معجم البلدان .

(٣) موضع قرب بغداد وضبطه بعضهم « درنا » . معجم البلدان .

(٤) ناحية كانت بأطراف العراق . معجم البلدان . انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٢٠ .

(٥) قرية من قرى الأنبار . انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٩٣ ، ٤٠٦ — ٤٠٩ .

(٦) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٩٤ .

(٧) موضع قرب الكوفة . انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٨٦ .

ويقال على ثمانين ألف درهم في كل عام ، وعلى أن يكونوا عيوناً للمسلمين على أهل فارس ، وأن لا يهدم لهم بيعة ولا قصراً [١] .

وروى أبو مخنف عن أبي المثنى الوليد بن القطامي وهو الشرقي بن القطامي الكلبي : أن عبد المسيح استقبل خالداً وكان كبير السن ، فقال له خالد : من أين أقصى أثرك يا شيخ ؟ فقال : من ظهر أبي ، قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ، قال : ويحك في أي شيء أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ويحك على أي شيء أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : أتعقل ؟ قال : نعم وأقيد ، قال : ويحك إنما أكلمك بكلام الناس ، قال : وأنا إنما أجيبك جواب الناس ، قال : أسلم أنت أم حرب ؟ قال : بل سلم ، قال : فما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسفيه حتى يجيء الحليم ، ثم تذاكرا الصلح فاصطلحا على مائة ألف يؤدونها في كل سنة فكان الذي أخذ منهم أول مال حمل الى المدينة من العراق، واشترط عليهم أن لا يبغوا المسلمين غائلة ، وأن يكونوا عيوناً على أهل فارس وذلك في سنة اثنتى عشرة [٢] .

وحدثني الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم،قال: سمعت أن أهل الحيرة كانوا ستة آلاف رجل ، فألزم كل رجل منهم أربعة عشر درهماً وزن خمسة ، فبلغ ذلك أربعة وثمانين ألفاً ، وزن خمسة تكون ستين وزن سبعة ، وكتب لهم بذلك كتاباً قد [٣] قرأته .

وروي عن يزيد بن نبيشة العامري أنه قال : قدمنا العراق مع خالد بن الوليد فانتهينا إلى مسلحة العذيب [٤]،ثم أتينا الحيرة وقد تحصن أهلها في القصر

---

(١) كانت القصور أشبه بقلاع منفردة حول الحيرة .

(٢) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤١٢ — ٤١٧ .

(٣) انظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم : ٥٢ — ٥٣ .

(٤) ماء بين القادسية والمغيثه ، بينه وبين القادسية أربعة أميال . معجم البلدان .

الأبيض ، وقصر ابن بقيلة قصر العدسيين فأجلنا الخيل في عرصاتهم ، ثم صالحونا» قال ابن الكلبي : العدسيون من كلب نسبوا إلى أمهم وهي كلبية أيضاً .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن مجالد عن أبيه عن الشعبي أن خريم بن أوس بن حارثة بن لام الطائي قال للنبي ﷺ : إن فتح الله عليك الحيرة فأعطني ابنة بقيلة ، فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة ، قال له خريم: إن النبي ﷺ جعل لي ابنة بقيلة فلا تدخلها في صلحك وشهد له بشير بن سعد ، ومحمد بن مسلمة الأنصاريان فاستثناها في الصلح ودفعها إلى خريم فاشتريت منه بألف درهم ، وكانت عجوزاً قد حالت عن عهده فقيل له ويحك لقد ارخصتها ، كان أهلها يدفعون إليك أضعاف ما سألت بها ، فقال : ما كنت أظن عدداً يكون أكثر من عشر مائة ، وقد جاء في الحديث أن الذي سأل النبي ﷺ بنت بقيلة رجل من ربيعة ، والأول أثبت [١] .

قالوا : وبعث خالد بن الوليد بشير بن سعد أبا النعمان بن بشير الأنصاري إلى بانقيا [٢] فلقيته خيل الأعاجم عليها فرخبنداذ فرشقوا من معه بالسهام ، وحمل عليهم فهزمهم ، وقتل فرخبنداذ ، ثم انصرف وبه جراحة انتقضت به وهو بعين التمر [٣] فمات منها .

ويقال : إن خالداً لقي فرخبنداذ بنفسه وبشير معه ، ثم بعث خالد جرير بن عبد الله البجلي إلى أهل بانقيا فخرج إليه بصبهرى بن صلوبا فاعتذر إليه من القتال ، وعرض الصلح فصالحه جرير على ألف درهم وطيلسان ، ويقال: إن ابن صلوبا أتى خالداً فاعتذر إليه وصالحه هذا الصلح ، فلما قتل مهران ومضى يوم

---

(١) قيل اسمها كرامه بنت عبد المسيح وأنها دفعت إلى شويل . انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤١٨ .

(٢) ناحية من نواحي الكوفة . معجم البلدان . انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤١٩ .

(٣) بلدة قريبة من الأنبار ، غربي الكوفة . معجم البلدان .

النخيلة أتاهم جرير فقبض منهم ومن أهل الحيرة صلحهم، وكتب لهم كتاباً بقبض ذلك ، وقوم ينكرون أن يكون جرير بن عبد الله قدم العراق إلا في خلافة عمر ابن الخطاب ، وكان أبو مخنف والواقدي يقولان : قدمها مرتين .

قالوا : وكتب خالد لبصبهرى بن صلوبا كتاباً ووجه إلى أبي بكر بالطيلسان مع مال الحيرة بالألف درهم ، فوهب الطيلسان للحسين بن علي رضي الله عنهما .

وحدثني أبو نصر التمار ، قال : حدثنا شريك بن عبد الله النخعي عن الحجاج ابن أرطاة عن الحكم عن عبد الله بن مُغفل المزني ، قال : ليس لأهل السواد عهد إلا الحيرة ، وأليس ، وبانقيا .

وحدثني الحسين بن الأسود، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن المفضل بن المهلهل عن منصور عن عبيدالله بن الحسن ــ أو أبي الحسن عن ابن مُغفل، قال: لا يصلح بيع أرض دون الجبل إلا أرض بني صلوبا وأرض الحيرة .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن الأسود بن قيس عن أبيه ، قال : انتهينا إلى الحيرة فصالحناهم على كذا وكذا ورحل ، قال : فقلت وما صنعتم بالرحل ، قال : لم يكن لصاحب منا رحل فأعطيناه إياه [١] .

وحدثنا أبو عبيد، قال : حدثنا ابن أبي مريم عن السري بن يحيى عن حميد ابن هلال أن خالداً لما نزل الحيرة صالح أهلها ولم يقاتلوا ، وقال ضرار بن الأزور الأسدي :

أرقت ببانقيا ومن يلق مثل ما　　　لقيت ببانقيا من الجرح يأرق

وقال الواقدي : المجتمع عليه عند أصحابنا أن ضراراً قتل [٢] باليمامة .

---

(١) انظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم : ٥٢ .

(٢) ويروى أيضاً أن شارك في فتوح الشام لأنه جرح باليمامة ولم يقتل .

قالوا : وأتى خالد الفلاليج (١) منصرفه من بانقيا وبها جمع للعجم ، فتفرقوا ولم يلق كيداً ، فرجع إلى الحيرة فبلغه أن جابان في جمع عظيم بتستر (٢) فوجه إليـه المثنى بن حارثة الشيباني ، وحنظلة بن الربيع بن رباح الأسيدي من بني تميم ، وهو الذي يقال له حنظلة الكاتب ، فلما انتهيا إليه هرب وسار خالد إلى الأنبار فتحصن أهلها ، ثم أتاه من دله على سوق بغداد وهو السوق العتيق الذي كان عند قرن الصراة ، فبعث خالد المثنى بن حارثة فأغار عليـه فملأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء وما خف محمله من (٣) المتاع ، ثم باتوا بالسيلحين (٤) وأتوا الأنبار وخالد بها فحصروا أهلها وحرقوا في نواحيها ، وإنما سميت الأنبار لأن أهراء العجم كانت بها ، وكان أصحاب النعمان وصنائعه يعطون أرزاقهم منها ، فلما رأى أهل الأنبار ما نزل بهم صالحوا خالداً على شيء رضي به فأقرهـم ، ويقال إن خالداً قدم المثنى إلى بغداد ثم سار بعده فتولى الغارة عليها ، ثم رجع إلى الأنبار ، وليس ذلك بثبت .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا الحسن بن صالح عن جابر عن الشعبي أنه قال : لأهل الأنبار عهد وعقد (٥) .

وحدثني مشايخ من أهل الأنبار أنهم صالحوا في خلافة عمر رحمـه الله على طسوجهم (٦) على أربعمائة ألف درهم وألف عباءة قطوانية في كل سنـة وتولى الصلح جرير بن عبد الله البجلي ، ويقال : صالحهم على ثمانين ألفاً والله أعلم .

---

(١) فلاليج السواد : قراه ، احداها فلوجة . معجم البلدان .

(٢) قصبة خوزستان وأعظم مدنها . معجم البلدان .

(٣) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٣٨٦ – ٣٨٨ .

(٤) قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية . معجم البلدان .

(٥) الخراج ليحيى بن آدم : ٥٢، وفيه « لأهل الأنبار عهد، أو قال: عقد».

(٦) الطسوج : الناحية . القاموس .

قالوا : وفتح جرير بوازيج [١] الأنبار وبها قوم من مواليه .

قالوا : وأتى خالد بن الوليد رجل دله على سوق تجتمع فيها كلب وبكر بن وائل وطوائف من قضاعة فوق الأنبار، فوجه إليها المثنى بن حارثة فأغار عليها فأصاب ما فيها وقتل وسبى، ثم أتى خالد عين التمر فألصق بحصنها وكانت فيه مسلحة للأعاجم عظيمة، فخرج أهل الحصن فقاتلوا،ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الأمـــان ، فأبى أن يؤمنهم ، وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى ، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم ، فكان من ذلك السبي : حمران بن أبان بن خالد التمري ، وقوم يقولون : كان اسم أبيه أبان ، وحمران مولى عثمان ، وكان للمسيب بن نجبة الفزاري فاشتراه منه فأعتقه ، ثم إنه وجهه إلى الكوفة للمسألة عن عامله فكذبه فأخرجه من جواره فنزل البصرة ، وسيرين أبو محمد بن سيرين وأخوته ، وهم يحيى بن سيرين ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ابن سيرين ، وهو أكبر اخوته ، وهم موالي أنس بن مالك الأنصاري ، وكان من ذلك السبي أيضاً أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ، ويسار جـد محمد بن إسحاق صاحب السيرة ، وهو مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان منهم مرة أبو عبيد جد محمد بن زيد بن عبيد بن مرة ، ونفيس ابن محمد بن زيد بن عبيد بن مرة صاحب القصر عند الحرة ابن محمد، هذا وبنوه يقولون عبيد بن مـــرة بن المعلى الأنصاري ثم الزرقي ، ونصير أبو موسى بن نصير صاحب المغرب ، وهو مولى لبني أمية وله بالثغور موال من أولاد مـــن أعتق يقولون ذلك [٢] .

وقال ابن الكلبي : كان أبو فروة عبد الرحمن بن الأسود،ونصير أبو موسى

---

(١) قرب تكريت . القاموس ، معجم البلدان .

(٢) عين التمر بلدة قريبـــة من الأنبار انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٢٨ .

ابن نصير عربيين من أراشة من بلي : سبيا أيام أبي بكر رحمه الله من جبل الجليل بالشام ، وكان اسم نصير نصرا فصغر وأعتقه بعض بني أمية ، فرجع إلى الشام وولد له موسى بقرية يقال لها كفرمُثْرَى[1] وكان أعرج . وقال الكلبي : وقد قيل إنهما أخوان من سبي عين التمر، وأن ولاءهما لبني ضبة .

وقال علي بن محمد المدائني يقال : إن أبا فروة ونصيرا كانا من سبي عين التمر ، فابتاع ناعم الأسدي أبا فروة ، ثم ابتاعه منه عثمان وجعله يحفر القبور فلما وثب الناس به كان معهم عليه ، فقال له : رد المظالم فقال له : أنت أولها ابتعتك من مال الصدقة لتحفر القبور فتركت ذلك،وكان ابنه عبد الله بن أبي فروة من سراة الموالي ، والربيع صاحب المنصور الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، وإنما لقب أبا فروة لفروة كانت عليه حين سبي .

وقد قيل : ان خالداً صالح أهل حصن عين التمر وأن هذا السبي وجد في كنيسة ببعض الطسوج ، وقيل : إن سيرين من أهل جرجرايا [2] ، وأنه كان زائراً لقرابة له فأخذ في الكنيسة معهم .

حدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثني يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن أشعث عن الشعبي قال : صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين التمر ، وكتب بذلك إلى أبي بكر فأجازه ، قال يحيى : فقلت للحسن بن صالح : أفأهل عين التمر مثل أهل الحيرة إنما هو شيء عليهم وليس على أراضيهم شيء فقال نعم [3] .

قالوا:وكان هلال بن عقة بن قيس بن البشر النمري على النَّمِر بن قاسط بعين التمر ، فجمع لخالد وقاتله فظفر به فقتله وصلبه .

---

(١) في معجم البلدان الخبر نفسه إنما صحفت الجليل إلى الخليل .

(٢) بلد بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي . معجم البلدان .

(٣) الخراج ليحيى بن آدم : ٥٢ .

وقال ابن الكلبي : كان على النمر يومئذ عقة بن قيس بن البشر بنفسه .

قالوا: وانتقض ببشير بن سعد الأنصاري جرحه فمات فدفن بعين التمر ودفن إلى جنبه عمير بن رئاب بن مهشم بن سعيد بن سهم بن عمرو ، وكان أصابه سهم بعين التمر فاستشهد [١] .

ووجه خالد بن الوليد وهو بعين التمر النسير بن ديسم بن ثور إلى ماء لبني تغلب فطرقهم ليلاً فقتل وأسر ، فسأله رجل من الاسرى أن يطلقه على أن يدله على حي من ربيعة ففعل ، فأتى النسير ذلك الحي فبيتهم فغنم وسبى ومضى إلى ناحية تكريت في البر فغنم المسلمون .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن محمد بن مروان أن النسير أتى عكبراء [٢] فأمن أهلها وأخرجوا لمن معه طعاماً وعلفاً ، ثم مر بالبردان [٣] فأقبل أهلها يعدون من بين أيدي المسلمين ، فقال لهم : لا بأس فكان ذلك أماناً ، قال : ثم أتى المخرم [٤] قال أبو مسعود : ولم يكن يدعى يومئذ مخرما إنما نزله بعض ولد مخرم بن حزن بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي فسمي به فيما ذكر هشام ابن محمد الكلبي .

ثم عبر المسلمون جسراً كان معقوداً عند قصر سابور الذي يعرف اليوم بقصر عيسى بن علي ، فخرج إليه خرزاد بن ماهبنداذ وكان موكلا به ، فقابلوه وهزموه ثم لجوا فأتوا عين التمر .

وقال الواقدي : وجه المثنى بن حارثة النسير وحذيفة بن محصن بعد يوم

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٢٨ — ٤٣٠ .

(٢) بلدة صغيرة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان .

(٣) البردان من قرى بغداد من نواحي دجيل . معجم البلدان .

(٤) صار المخرم من محال بغداد الواسعة الشهرة . معجم البلدان .

الجسر (١) وبعد انحيازه بالمسلمين إلى خفان (٢) وذلك في خلافة عمر بن الخطاب في خيل ، فأوقعا بقوم من بني تغلب وعبر إلى تكريت فأصاب نعما وشاء .

وقال عتاب بن إبراهيم فيما ذكر لي عنه أبو مسعود أن النسير وحذيفة آمنا أهل تكريت ، وكتبا لهم كتاباً أنفذه لهم عتبة بن فرقـــد السلمي حين فتح الطيرهان (٣) ، والموصل .

وذكر أيضاً أن النسير توجه من قبـــل خالد بن الوليد فأغـار على قرى بمسكن (٤)وقُطْرُبُّل (٥) فغنم منها غنيمة حسنة .

قالوا : ثم سار خالد من عين التمر إلى الشام، وقال للمثنى بن حارثة ارجع رحمك الله إلى سلطانك فغير مقصر ولا وان ، وقال الشاعر :

صبحنا بالكتائب حي بكر ... وحياً من قضاعة غير ميل
أبحنا دارهم والخيل تردى ... بكل سميدع سامي التليل

يعني من كان في السوق الذي فوق الأنبار ، وقال آخر :

وللمثنى بالعال معركة ... شاهدها من قبيلة بشر

---

(١) فيه هزم العرب وكانوا بقيـــادة أبي عبيد الثقفي ، ونالت المثنى جراحات بالغة لكنه تمكن من صيانة المسلمين وانقاذهم من مذبحة جماعيـــة ، وسيأتي خبر ذلك بعد قليل .

(٢) موضع قرب الكوفة .

(٣) من أعمال الموصل ـ انظر مادة الموصل في معجم البلدان ، وفيـــه « طيرهان » .

(٤) موضع على نهر دجيل قريب من أوانا عند دير الجاثليق . معجم البلدان .

(٥) قرية بين بغداد وعكبرا كانت متنزهـــاً للبطالين وحانة للخمارين . معجم البلدان .

يعني بالعال الأنبار وقطربل ومسكن وبادوريا (١) ، فأراد سوق بغداد :

كتيبة أفزعت بوقعتها   كسرى وكاد الايوان ينفطر
وشجع المسلمون إذ حذروا   وفي صروف التجارب العبر
سهل نهج السبيل فاقتفروا   آثاره والأمـــور تقتفر

وقال بعضهم حين لقوا خرزاد :

وآل منا الفارسي الحذره   حين لقيناه دوينا المنظره
بكل قباء لحوق مضمره   بمثلها يهزم جمع الكفره

يعني بالمنظرة تل عقرقوف(٢) ، وكان شخوص خالد إلى الشام في شهر ربيع الآخر ، ويقال : في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ، وقال قوم : ان خالداً أتى دومة من عين التمر ، ففتحها ثم أقبل إلى الحيرة فمنها مضى إلى الشام ، وأصح ذلك مضيه من عين التمر (٣) .

* * *

---

(١) طسوج بالجانب الغربي من بغداد . معجم البلدان .
(٢) قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. معجم البلدان.
(٣) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٣١ — ٤٣٣ .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قالوا : لما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجه أبا عبيد بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف. وهو أبو المختار بن أبي عبيد ، إلى العراق في ألف ، وكتب إلى المثنى بن حارثة يأمره بتلقيه والسمع والطاعة له ، وبعث مع أبي عبيد سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري ، وقال له : لولا عجلة فيك لوليتك ، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها إلا الرجل المكيث .

فأقبل أبو عبيد لا يمر بقوم من العرب إلا رغبهم في الجهاد والغنيمة ، فصحبه خلق ، فلما صار بالعذيب بلغه أن جابان الأعجمي بتستر في جمع كثير فلقيه فهزم جمعه وأسر منهم[١] ، ثم أتى درنا[٢] وبها جمع للعجم فهزمهم إلى كسكر وسار إلى الجالينوس وهو بباروسما[٣] فصالحه ابن الأندرز عن كل رأس على أربعة دراهم على أن ينصرف ، ووجه أبو عبيد المثنى إلى زندورد فوجدهم قد نقضوا، فحاربهم فظفر وسبى، ووجه عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الزوابي[٤] فصالح دهقانها على مثل صلح باروسما .

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٥٠ — ٤٥٣ .

(٢) موضع قرب بغداد . معجم البلدان .

(٣) موضع في سواد بغداد . معجم البلدان. انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٥٣ — ٤٥٤ .

(٤) الزوابي هي الزاب الأعلى نهر بين الموصل وإربل ثم الزاب الأسفل وبينه وبين الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ، وليسا المقصودين هنا بل نهران آخران بين بغداد وواسط حملا الاسم نفسه . معجم البلدان .

يوم قس الناطف وهو يوم الجسر

قالوا : بعث الفرس إلى العرب حين بلغها اجتماعها ذا الحاجب مردانشاه ، وكان أنوشروان لقبه بهمن لتبركه به ، وسمي ذا الحاجب لأنــه كان يعصب حاجبيه ليرفعهما عن عينه كبراً ، ويقال : ان اسمه رستم،فأمر أبو عبيد بالجسر فعقد ، وأعانه على عقده أهل بانقيا ، ويقال : إن ذلك الجسر كان قديماً لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد، وذلك أنه كان ممتلاً مقطوعاً، ثم عبر أبو عبيد والمسلمون من المروحة [١] على الجسر فلقوا ذا الحاجب وهو في أربعة آلاف مدجج ومعه فيل، ويقال: عدة فيلة، واقتتلوا قتالاً شديداً وكثرت الجراحات وفشت في المسلمين، فقال سليط بن قيس : يا أبا عبيد قد كنت نهيتك عن قطع هذا الجسر إليهم،وأشرت عليك بالانحياز إلى بعض النواحي والكتاب إلى أمير المؤمنين بالاستمداد فأبيت ، وقاتل سليط حتى قتل ، وسأل أبو عبيد: أين مقتل هذه الدابة ؟ فقيل خرطومــه ، فحمل فضرب خرطوم الفيل ، وحمل عليه أبو محجن بن حبيب الثقفي فضرب رجله فطلقها ، وحمــل المشركون فقتل أبو عبيد رحمه الله ، ويقال : إن الفيل برك عليه فمات تحته ، فأخذ اللواء أخوه الحكم فقتل ، فأخذ ابنه جبر فقتل،ثم ان المثنى بن حارثة أخذه ساعة وانصرف بالناس وبعضهم على حامية بعض،وقاتل عروة بن زيد الخيل يومئذ قتالا شديداً عدل بقتال جماعة ، وقاتل أبو زيد الطائي الشاعر حمية للمسلمين بالعربية، وكان أتى الحيرة في بعض أموره وكان نصرانياً .

وأتى المثنى أليس ، فنزلها وكتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر مــع عروة بن

(١) تعرف معركة الجسر أيضاً بيوم المروحة .

زيد وكان ممن قتل يوم الجسر فيما ذكر أبو مخنف أبو زيد الأنصاري أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ، قالوا : وكانت وقعة الجسر يوم السبت في آخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وقال أبو محجن بن حبيب :

أنى تسرت نحونا أم يوسف ومن دون مسراها فياف مجاهل
إلى فتية بالطف نيل سراتهم وغودر أفراس لهم ورواحل
مررت على الأنصار وسط رحالهم فقلت لهم هل منكم اليوم قافل

حدثني أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا محمد بن كثير عن زائد عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : عبر أبو عبيد بانقيا في ناس من أصحابه ، فقطع المشركون الجسر فأصيب ناس من أصحابه[1] .

قال إسماعيل ، وقال أبو عمرو الشيباني : كان يوم مهران في أول السنة والقادسية في آخرها .

يوم مهران وهو يوم النخيلة

قال : أبو مخنف وغيره ، مكث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة لا يذكر العراق لمصاب أبي عبيد وسليط ، وكان المثنى بن حارثة مقيماً بناحية أليس يدعو العرب إلى الجهاد ، ثم إن عمر رضي الله عنه ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتثاقلون عنه ، حتى هم أن يغزو بنفسه ، وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق ورغبهم في غنائم آل كسرى فردوا الاختيار إليه فأمرهم بالشخوص ، وقدم جرير بن عبد الله من السراة [2] في بجيلة

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٥٦ — ٤٦٣ .

(٢) السراة الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ، ولها سعة ، وهي باليمن أخص . معجم البلدان .

فسأل أن يأتي العراق على أن يعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه ، فأجابه عمر إلى ذلك فسار نحو العراق .

وقوم يزعمون أنه مر على طريق البصرة وواقع مرزبان المذار فهزمه ، وآخرون يزعمون أنه واقع المرزبان وهو مع خالد بن الوليد ، وقوم يقولون إنه سلك الطريق على فيد والثعلبية إلى العذيب .

حدثني عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا داود بن أبي هند ، قال : أخبرني الشعبي أن عمر وجه جرير بن عبد الله إلى الكوفة بعد قتل أبي عبيد أول من وجه قال : هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس ؟ قال : نعم .

قالوا: واجتمع المسلمون بدير[1] هند في سنة أربع عشرة وقد هلك شيرويه وملكت بوران بنت كسرى إلى أن يبلغ يزدجرد بن شهريار ، فبعث إليهم مهران بن مهربنداذ الهمذاني في اثني عشر ألفاً ، فأمهل المسلمون له حتى عبر الجسر وصار مما يلي دير الأعور [2] .

وروى سيف أن مهران صار عند عبور الجسر إلى موضع يقال له البويب[3] وهذا الموضع الذي قتل به ، ويقال ان جنبتي البويب أفعمت عظاماً حتى استوى وعفا عليها التراب زمان الفتنة وأنه ما يثار هناك شيء إلا وقعوا منها على شيء ، وذلك ما بين السكون وبني سليم فكان مغيضاً للفرات زمن الأكاسرة يصب في الجوف ، وعسكر المسلمين بالنخيلة ، وكان على الناس فيما تزعم بجيلة جرير بن عبد الله ، وفيما تقول ربيعة المثنى بن حارثة ، وقد قيل : إنهم كانوا متسايدين على كل قوم رئيسهم ، فالتقى المسلمون وعدوهم فأبلى

---

(١) بالحيرة . معجم البلدان .

(٢) بظاهر الكوفة . معجم البلدان .

(٣) البويب نهر كان بالعراق موضع الكوفة . معجم البلدان .

شرحبيل بن السمط الكندي يومئذ بلاء حسناً ، وقتل مسعود بن حارثة أخو المثنى بن حارثة ، فقال المثنى : يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا ، فحملوا حملة رجل واحد محققين صابرين حتى قتل الله مهران ، وهزم الكفرة ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فقل من نجا منهم ، وضارب قرط بن جماح العبدي يومئذ حتى انثنى سيفه ، وجاء الليل فتناموا إلى عسكرهم وذلك في سنة أربع عشرة ، فتولى قتل مهران جرير بن عبد الله ، والمنذر بن حسان بن ضرار الضبي ، فقال : هذا أنا قتلته ، وقال هذا أنا قتلته وتنازعا نزاعاً شديداً فأخذ المنذر منطقته وأخذ جرير سائر سلبه ، ويقال : ان الحصن ابن معبد بن زرارة بن عدس التميمي كان ممن قتله [1] .

ثم لم يزل المسلمون يشنون الغارات ويتابعونها فيما بين الحيرة و كسكر وفيما بين كسكر وسورا وبربيسما وصراة جاماسب وما بين الفلوجتين والنهرين وعين التمر ، وأتوا حصن مليقيا وكان منظرة فقتحوه ، وأجلوا العجم عن مناظر كانت بالطف [2] وكانوا منخوبين قد وهن سلطانهم وضعف أمرهم ، وعبر بعض المسلمين نهر سورا فأتوا كوثى ، ونهر الملك ، وبادوريا ، وبلغ بعضهم كلواذى ، وكانوا يعيشون بما ينالون من الغارات ، ويقال : ان ما بين مهران والقادسية ثمانية عشر شهراً [3] .

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٦٣ — ٤٧٦ .

(٢) موضع كربلاء .

(٣) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ٤٧٧ — ٤٨٢ .

يوم القادسية

قالوا : كتب المسلمون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس ، ويسألونه المدد ، فأراد أن يغزو بنفسه وعسكر لذلك ، فأشار عليه العباس بن عبد المطلب ، وجماعة من مشايخ أصحاب رسول الله ﷺ بالمقام وتوجيه الجيوش والبعوث ، ففعل ذلك ، وأشار عليه علي بن أبي طالب بالمسير ، فقال له : إني قد عزمت على المقام وعرض على علي رضي الله عنه الشخوص فأباه ، فأراد عمر توجيه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، ثم بدا له فوجه سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف ابن زُهرة بن كلاب ، وقال : إنه رجل شجاع رام ، ويقال : إن سعيد بن زيد ابن عمرو كان يومئذ بالشام غازياً .

قالوا : وسار إلى العراق فأقام بالثعلبية ثلاثة أشهر حتى تلاحق به الناس ، ثم قدم العذيب في سنة خمس عشرة ، وكان المثنى بن حارثة مريضاً فأشار عليه بأن يحارب العدو بين القادسية والعذيب ، ثم اشتد وجعه فحمل إلى قومه فمات فيهم ، وتزوج سعد امرأته .

قال الواقدي : توفي المثنى قبل نزول رستم القادسية ، قالوا : وأقبل رستم وهو من أهل الري [١] ، ويقال بل هو من أهل همذان فنزل بُرْس[٢] ، ثم سار فأقام بين الحيرة والسيلحين أربعة أشهر لا يقدم على المسلمين ولا يقاتلهم، والمسلمون معسكرون بين العذيب والقادسية ، وقدم رستم ذا الحاجب فكان معسكراً

(١) قرب طهران الحالية .

(٢) بُرْس : موضع بأرض بابل معجم البلدان .

بطيزناباذ ، وكان المشركون زهاء مائة ألف وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثون فيلاً ، ورايتهم العظمى التي تدعى درفشكا بيان ، وكان جميع المسلمون ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف ، فإذا احتاجوا إلى العلف والطعام أخرجوا خيولاً في البر فأغارت على أسفل الفرات ، وكان عمر يبعث إليهم من المدينة الغنم والجزر .

قالوا: وكانت البصرة قد مصرت فيما بين يوم النخيلة ويوم القادسية، مصرها عتبة بن غزوان ، ثم استأذن للحج وخلف المغيرة بن شعبة،فكتب عمر بعهده ، فلم يلبث أن قرف بما قرف به [١] ، فولى أبا موسى البصرة وأشخص المغيرة إلى المدينة ، ثم إن عمر رده ومن شهد عليه إلى البصرة ، فلما حضر يوم القادسية كتب عمر إلى أبي موسى يأمره بإمداد سعد ، فأمده بالمغيرة في ثمانمائة ، ويقال في أربعمائة فشهدها ، ثم شخص إلى المدينة فكتب عمر إلى أبي عبيدة ابن الجراح فأمد سعداً بقيس بن هبيرة بن المكشوح المرادي ، فيقال : إنه شهد القادسية ، ويقال : بل قدم على المسلمين وقد فرغ من حربها وكان قيس في سبعمائة .

وكان يوم القادسية في آخر سنة ست عشرة ، وقد قيل إن الذي أمد سعداً بالمغيرة عتبة بن غزوان ، وأن المغيرة إنما ولي البصرة بعد قدومه من القادسية ، وأن عمر لم يخرجه من المدينة حين أشخصة إليها لما قرف به إلا والياً على الكوفة .

وحدثني العباس بن الوليد النرسي ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد عن مُجالد عن الشعبي ، قال : كتب عمر إلى أبي عبيدة : ابعث قيس بن مكشوح إلى القادسية فيمن انتدب معه ، فانتدب معه خلق ، فقدم متعجلاً في سبعمائة ، وقد فتح على سعد ، فسألوه الغنيمة ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه عمر إن كان قيس قدم قبل دفن القتلى فاقسم له نصيبه .

---

(١) اتهم بالزنا .

قالوا : وأرسل رستم إلى سعد يسأله توجيه بعض أصحابه إليــه فوجه المغيرة بن شعبـــة ، فقصد قصد سريره ليجلس معه وعليه فمنعته الأساورة من ذلك ، وكلمه رستم بكلام كثير ، ثم قال له : قد علمت إنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلا ضيق المعاش وشدة الجهد، ونحن نعطيكم ماتتشبعون به، ونصرفكم ببعض ما تحبون ، فقال المغيرة : إن الله بعث إلينا نبيه ﷺ فسعدنا بإجابته واتباعه ، وأمرنا بجهاد من خالف ديننا ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ [1] ونحن ندعوك إلى عبادة الله وحده ، والايمان بنبيه ﷺ فإن فعلت وإلا فالسيف بيننا وبينكم ، فنخر رستم غضباً ، ثم قال : والشمس والقمر لا يرتفع الضحى غداً حتى نقتلكم أجمعين ، فقال المغيرة : لا حول ولا قــوة إلا بالله وانصرف عنه ، وكان على فرس له مهزول وعليه سيف معلوب [2] ملفوف عليه الخرق .

وكتب عمر إلى سعد يأمره بأن يبعث إلى عظيم الفرس قوماً يدعونــه الى الإسلام ، فوجه عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، والأشعث بن قيس الكندي في جماعة فمروا برستم فأتى بهم، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : صاحبكم فجرى بينهم كلام كثير حتى قالوا : إن نبينا قد وعدنا أن نغلب على أرضكم ، فدعا بزبيل من تراب ، فقال : هذا لكم من أرضنا ، فقام عمرو بن معدي كـرب مبادراً فبسط رداءه وأخذ من ذلك التراب فيه وانصرف ، فقيل له ما دعــاك الى ما صنعت قال تفاءلت بأن أرضهم تصير إلينا ونغلب عليها ، ثم أتوا الملك ودعـــوه الى الإسلام ، فغضب وأمرهم بالانصراف ، وقال : لولا أنكم رسل لقتلتكم ، وكتب الى رستم يعنفه على انفاذهم إليه .

ثم ان علاقة المسلمين وعليهــا زهرة بن حوية بن عبد الله بن قتادة التميمي

---

(١) سورة التوبة الآية : ٢٩ .

(٢) سيف معلوب : سيف معصوب مقبضه بسير من جلد . القـــاموس . النهاية لابن الأثير .

ثم السعدي – ويقال: كان عليها قتادة بن حوية – لقيت خيلا للأعاجم،فكان ذلك سبب الوقعة أغاثت الأعاجم خليها ، وأغاث المسلمون علافتهم فالتحمت الحرب بينهم ، وذلك بعد الظهر،وحمل عمرو بن معدي كرب الزبيدي فاعتنق عظيماً من الفرس فوضعه بين يديه في السرج ، وقال أنا أبو ثور افعلوا كذا ، ثم خطم [1] فيلا من الفيلة ، وقال الزمـوا سيوفكم خراطيمها فان مقتل الفيل خرطومه ، وكان سعد قـد استخلف على العسكر والناس خالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة لعلة وجدها ، وكان مقيماً في قصر العذيب فجعلت امرأته وهي سلمى بنت خصفة من بني تيم الله بن ثعلبـة ، امرأة المثنى بن حارثة تقول : وامثنياه ولا مثنى للخيل فلطمها، فقالت ياسعد : أغيرة وجبناً، وكان أبو محجن الثقفي بباضع [2] غربـه إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشربه الخمر ، فتخلص حتى لحق بسعـد ، ولم يكن فيمن شخص معه فيما ذكر الواقدي ، وشرب الخمر في عسكر سعد فضربه وحبسه في قصر العذيب ، فسأل زبراء أم ولد سعد أن تطلقه ليقاتل ثم يعود الى حديده ، فأحلفته بالله ليفعلن ان أطلقته ، فركب فرس سعد وحمل على الأعاجـم فخرق صفهم وحطم الفيل الأبيض بسيفه وسعد يراه ، فقال : أما الفرس ففرسي : وأما الحملة فحملة أبي محجن ، ثم إنه رجع الى حديده،ويقال : إن سلمى بنت خصفة أعطته الفرس: والأول أصح وأثبت .

فلما انقضى أمر رستم ، قال له سعد : والله لاضربنك في الخمر بعد ما رأيت منك أبدا ، قال : وأنا والله فلا شربتها أبداً ، وأبلى طليحة بن خويلد الأسدي يومئذ ، وضرب الجالينوس ضربة قدت مغفره ولم تعمل في رأسه ، وقال قيس ابن مكشوح: ياقوم إن منايا الكرام القتل فلا يكونن هؤلاء القلف أولى بالصبر

---

(١) خطمه يخطمه : ضرب أنفه . القاموس .

(٢) جزيرة ببحر اليمن . معجم البلدان .

وأسخى نفساً بالموت منكم، ثم قاتل قتالاً شديداً، وقتل الله رستم فوجد بدنه مملوءاً ضرباً وطعناً فلم يعلم من قاتله ، وقد كان مشى إليه عمرو بن معدي كرب، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقرط بن جماح العبدي وضرار بن الأزور الأسدي، وكان الواقدي يقول : قتل ضرار يوم اليمامة ، وقد قيل إن زهير بن عبد شمس البجلي قتله ، وقيل أيضاً إن قاتله عوام بن عبد شمس ، وقيل إن قاتله هلال بن علفة التيمي ، فكان قتال القادسية يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهرير ، وإنما سميت ليلة صفين بها ، ويقال : إن قيس بن مكشوح لم يحضر القتال بالقادسية ، ولكنه قدمها وقد فرغ المسلمون من القتال .

وحدثني أحمد بن سلمان الباهلي عن السهمي عن أشياخه أن سلمان بن ربيعة غزا الشام مع أبي أمامة الصدي بن عجلان الباهلي فشهد مشاهد المسلمين هناك، ثم خرج الى العراق فيمن خرج من المدد الى القادسية متعجلاً فشهد الوقعة وأقام بالكوفة وقتل ببلنجر .

وقال الواقدي في اسناده : خد قوم [1] من الأعاجم لرايتهم وقالوا : لا نبرح موضعنا حتى نموت ، فحمل عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي فقتلهم وأخذ الراية .

قالوا : وبعث سعد خالد بن عرفطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا الى برس ، ونزل خالد على رجل يقال له بسطام فأكرمه وبره وسمي نهر هناك نهر بسطام، واجتاز خالد بالصراة فلحق جالينوس فحمل عليه كثير بن شهاب الحارثي فطعنه ويقال قتله ، وقال ابن الكلبي : قتله زهرة بن حوية السعدي وذلك أثبت ، وهرب الفرس الى المدائن ولحقوا بيزدجرد وكتب سعد الى عمر بالفتح وبمصاب من أصيب .

وحدثني أبو رجاء الفارسي عن أبيه عن جده، قال : حضرت وقعة القادسية

---

(١) أي حفروا أخدوداً .

وأنا مجوسي ، فلما رمتنا العرب بالنبل جعلنا نقول دوك دوك نعني مغازل ، فما زالت بنا تلك المغازل حتى أزالت أمرنا ، لقد كان الرجل منا يرمي عن القوس الناوكية فما يزيد سهماً على أن يتعلق بثوب أحدهم ، ولقد كانت النبلة من نبالهم تهتك الدرع الحصينة والجوشن المضاعف مما علينا .

وقال هشام بن الكلبي : كان أول من قتل أعجمياً يوم القادسية ربيعة بن عثمان بن ربيعة أحد بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ، وقال طليحة في يوم القادسية :

أنا ضربت الجالينوس ضربة　　　حين جياد الخيل وسط الكبه

وقال أبو محجن الثقفي حين رأى الحرب :

كفى حزنا ان تدعس الخيل بالقنا　　　وأترك قد شدوا علي وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت　　　مصاريع من دوني تصم المناديا

وقال زهير بن عبد شمس بن عوف البجلي :

أنا زهير وابن عبد شمس　　　أرديت بالسيف عظيم الفرس
رستم ذا النخوة والدمقس　　　أطعت ربي وشفيت نفسي

وقال الأشعث بن عبد الحجر بن سراقة الكلابي ، وشهد الحيرة والقادسية :

وما عقرت بالسيلحين مطيتي　　　وبالقصر إلا خيفة أن أعيرا
فبئس امرؤ يبأى عليّ برهطه　　　وقد سار أشياخي معدا وحميرا

وقال بعض المسلمين يومئذ :

وقاتلت حتى أنزل الله نصره　　　وسعد بباب القادسية معصم
فرحنا وقد آمت نساء كثيرة　　　ونسوة سعد ليس منهن أيم

وقال قيس بن المكشوح ، ويقال انها لغيره :

جلبت الخيل من صنعاء تردى　　　بكل مدجج كالليث سام
إلى وادي القرى فديار كلب　　　إلى اليرموك فالبلد الشآمي
وجئنا القادسية بعد شهر　　　مسومة دوابرها دوامي

فناهضنا هنالك جمع كسرى ... وأبناء المرازبة الكرام
فلما أن رأيت الخيل جالت ... قصدت لموقف الملك الهمام
فاضرب رأسه فهوى صريعاً ... بسيف لا أفل ولا كهام
وقد أبلى الإله هناك خيراً ... وفعل الخير عند الله نام

وقال عصام بن المقشعري :

فلو شهدتني بالقوادس أبصرت ... جلادامرىءماض إذا القوم احجموا
أضارب بالمخشوب حتى أفله ... وأطعن بالرمح المتل وأقدم

وقال طليحة بن خويلد :

طرقت سليمى أرحل الركب ... أنى اهتديت بسبسب سهب
إني كلفت سلام بعدكم ... بالغارة الشعواء والحرب
لو كنت يوم القادسية إذ ... نازلتهم بمهند عضب
أبصرت شداتي ومنصرفي ... وإقامتي للطعن والضرب

وقال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي :

ألم خيال من أميمة موهنا ... وقد جعلت أولى النجوم تغور
ونحن بصحراء العذيب ودارها ... حجازية إن المحل شطير
ولاغرو إلا جوبها البيد في الدجى ... ومن دوننا وعن أشم وقور
نحن بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علي أمير
وسعد أمير شره دون خيره ... طويل الشذى كابي الزناد قصير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا ... بباب قديس والمكر عسير
عشية ود القوم لو أن بعضهم ... يعار جناحي طائر فيطير

قال : واستشهد يومئذ سعد بن عبيد الأنصاري فاغتم عمر لمصابه وقال : لقد كاد قتله ينغص علي هذا الفتح[١] .

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٤٨٣ – ٦٠٥ .

فتح المدائن

قالوا : مضى المسلمون بعد القادسية فلما جازوا دير كعب لقيهم النخيرجان إليها وبدأ في جمع عظيم من أهل المدائن فاقتتلوا وعانق زهير بن سليم الأزدي النخيرجان فسقط الى الأرض وأخذ زهير خنجراً كان في وسط النخيرجان فشق بطنه فقتله ، وسار سعد والمسلمون فنزلوا ساباط واجتمعوا بمدينة بهرسير وهي المدينة التي في شق الكوفة فأقاموا تسعة أشهر ويقال ثمانية عشر شهراً حتى أكلوا الرطب مرتين ، وكان أهل تلك المدينة يقاتلونهم فإذا تحاجزوا دخلوها ، فلما فتحها المسلمون أجمع يزدجرد بن شهريار ملك فارس على الهرب فدلي من أبيض المدائن في زبيل فسماه النبط برزبيلا ، ومضى الى حلوان معه وجوه أساورته ، وحمل معه بيت ماله وخف متاعه وخزانته والنساء والذراري ، وكانت السنة التي هرب فيها سنة مجاعة وطاعون عم أهل فارس ، ثم عبر المسلمون خوضاً ففتحوا المدينة الشرقية .

حدثني عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، قال : أخبرنا أبو وائل ، قال : لما انهزم الأعاجم من القادسية اتبعناهم فاجتمعوا بكوثى فاتبعناهم ثم انتهينا الى دجلة فقال المسلمون : ما تنتظرون بهذه النطفة ان نخوضها فخضناها فهزمناهم .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن ابن عجلان عن أبان بن صالح ، قال : لما انهزمت الفرس من القادسية قدم فلهم المدائن ، فانتهى المسلمون الى دجلة وهي تطفح بماء لم ير مثله قط ، وإذا الفرسان قد رفعوا السفن والمعابر الى الجيزة الشرقية وحرقوا الجسر ، فاغتم سعد والمسلمون إذ لم

يجدوا الى العبور سبيلا ، فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون ، ثم أمروا أصحـــاب السفن فعبروا الأثقال . فقالت الفرس : والله ما تقاتلون إلا جناً فانهزموا .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانـــة بن الحكم ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : حدثني أبو عمرو بن العلاء ، قالا : وجـه سعد بن أبي وقاص خالد بن عرفطة على مقدمته فلم يرد سعد حتى فتح خالد ساباط ، ثم قـدم فأقام على الرومية حتى صالح أهلهـا على أن يجلو من أحب منهم ويقيم من أقام على الطاعة والمناصحة وأداء الخراج ودلالة المسلمين ، ولا ينطووا لهم على غش ، ولم يجد معابر فدل على مخـاضة عند قرية الصيادين فأخاضوها الخيل فجعل الفرس يرمونهم فسلموا غير رجل من طيء يقال له سليل بن يزيد بن مالك السنبسي لم يصب يومئذ غيره .

حدثنا عبد الله بن صالح، قال : حدثني من أثق به عن المجالد بن سعيد عن الشعبي أنه قال : أخذ المسلمون يوم المـدائن جواري من جواري كسرى جيء بهن من الآفاق فكن تصنعن له فكانت أمي احداهن ، قال : وجعل المسلمون يأخذون الكافور يومئذ فيلقونه في قدورهم ويظنونه ملحاً .

قال الواقدي : كان فراغ سعد من المدائن وجلولاء في سنة ست عشرة [١] .

يوم جلولاء الوقيعة

قالوا : مكث المسلمون بالمدائن أياماً ، ثم بلغهم أن يزدجرد قد جمـع جمعاً عظيماً ووجهه إليهم وأن الجمع بجلولاء[٢]، فسرح سعد بن أبي وقاص هاشم بن

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٦٢٢ - ٦٤٢ .

(٢) طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ . معجم البلدان .

عتبة بن أبي وقاص إليهم في اثني عشر ألفاً ، فوجدوا الأعاجم قد تحصنوا وخندقوا وجعلوا عيالهم وثقلهم بخانقين، وتعاهدوا أن لا يفروا، وجعلت الامداد تقدم عليهم من حلوان والجبال ، فقال المسلمون : ينبغي أن نعاجلهم قبل أن تكثر أمدادهم فلقوهم وحجر بن عدي الكندي على الميمنة ، وعمرو بن معدي كرب على الخيل ، وطليحة بن خويلد على الرجال، وعلى الأعاجم يومئذ خرزاذ أخو رستم فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله رمياً بالنبل وطعناً بالرماح ، حتى تقصفت ، وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت، ثم إن المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم ، وهزموهم فولوا هاربين وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى حال الظلام بينهم ، ثم انصرفوا الى معسكرهم ، وجعل هاشم بن عتبة جرير بن عبد الله بجلولاء في خيل كثيفة ليكون بين المسلمين وبين عدوهم ، فارتحل يزدجرد من حلوان ، وأقبل المسلمون يغيرون في نواحي السواد من جانب دجلة الشرقي فأتوا مهروذ فصالح دهقانها هاشماً على جريب من دراهم على أن لا يقتل أحداً منهم، وقتل دهقان الدسكرة وذلك أنه اتهمه بغش المسلمين ، وأتى البندنيجين فطلب أهله الأمان على أداء الجزية والخراج فأمنهم ، وأتى جرير بن عبد الله خانقين وبها بقية من الأعاجم فقتلهم ولم يبق من سواد دجلة ناحية إلا غلب عليها المسلمون وصارت في أيديهم (١) .

وقال هشام بن الكلبي : كان على الناس يوم جلولاء من قبل سعد عمرو بن عتبة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأمه عاتكة بنت أبي وقاص، قالوا : وانصرف سعد بعد جلولاء إلى المدائن فصير بها جمعاً ، ثم مضى إلى ناحية الحيرة ، وكانت وقعة جلولاء في آخر سنة ست عشرة .

---

(١) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٦٤٩ — ٦٥٣ .

قالوا : فأسلم جميل بن بصبهري دهقان الفلاليـج [١] والنهرين ، وبسطام بن نرسي دهقان بابل وخُطـَرْنية[٢] ، والرفيل دهقان العال[٣] وفيروز دهقان نهر الملك وكـُوثى[٤] وغيرهم من الدهاقين ، فلم يعرض لهم عمر بن الخطاب ولم يخرج الأرض من أيديهم وأزال الجزية عن رقابهم .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة عن أبيه ، قال : وجـه سعد بن أبي وقاص هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ومعه الأشعث بن قيس الكندي فمر بالراذانات، وأتى دَقـُوقاء وخانيجار [٥] فغلب على ما هناك وفتح جميع كورة باجرمى[٦] ونفذ نحو سن بارما [٧] وبوازيج [٨] الملك إلى حد شَهرَزُور [٩] .

حدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص حين فتح السواد : أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك ان تقسم بينهم ما أفاء الله عليهم، فإذا أتاك كتابي فانظر ما أجلب

---

(١) فلاليج السواد قراها احداها فلوجة . معجم البلدان .

(٢) ناحية من نواحي بابل العراق . معجم البلدن .

(٣) يقال للأنبار وبادوريا وقطربل ومسكن الاستان العال، لكونه في علو مدينة السلام . معجم البلدان .

(٤) كوثى بسواد العراق في أرض بابل ، ونهر الملك كورة واسعـة ببغداد بعد نهر عيسي . معجم البلدان .

(٥) مواقع بين اربل وبغداد . معجم البلدان .

(٦) باجرمى قرية من أعمال البليخ قرب الرقـة من أرض الجزيرة . معجم البلدان .

(٧) أي جبل بارما بين تكريت والموصل . معجم البلدان .

(٨) بلد قرب تكريت . معجم البلدان .

(٩) كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان . معجم البلدان .

عليه أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس ، واترك الأرض والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن يبقى بعدهم شيء .

وحدثني الحسين، قال : حدثنا وكيع عن فضيل بن غزوان عن عبد الله بن حازم ، قال : سألت مجاهداً عن أرض السواد ، فقال : لا تشترى ولا تباع، قال : نقول لأنها فتحت عنوة ولم تقسم فهي لجميع المسلمين .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن صالح بن كيسان عن سليمان بن يسار ، قال : أقر عمر بن الخطاب السواد لمن في أصلاب الرجال وأرحام النساء وجعلهم ذمة تؤخذ منهم الجزية ومن أرضهم الخراج وهم ذمة لا رق عليهم. وقال سليمان : وكان الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل أهل السواد فيئاً ، فأخبرته بما كان من عمر في ذلك فوزعه الله عنهم.

حدثني الحسين بن الأسود، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب : أن عمر بن الخطاب أراد قسمة السواد بين المسلمين فأمر أن يحصوا فوجد الرجل منهم نصيبه ثلاثة من الفلاحين فشاور أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك ، فقال علي : دعهم يكونوا مادة للمسلمين ، فبعث عثمان بن حنيف الأنصاري فوضع عليه ثمانية وأربعين ، وأربعة وعشرين واثنى عشر [١] .

حدثنا أبو نصر التمار ، قال : حدثنا شريك عن الأجلح عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد عن علي قال : لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم .

حدثني الحسين بن الأسود ، قال: حدثنا يحيى بن آدم ، قال: حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال : ليس لأهل السواد عهد وإنما نزلوا على الحكم [٢].

(١) أي مقدار الجزية على الرؤوس .

(٢) في خراج يحيى من آدم : حكم .

حدثنا الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثني صلب الزبيدي عن محمد بن قيس الأسدي عن الشعبي أنه سئل عن أهل السواد : ألهم عهد ؟ فقال : لم يكن لهم عهد ، فلما رضي منهم بالخراج صار لهم عهد .

حدثنا الحسين عن يحيى بن آدم عن شريك عن جابر عن عامر أنه قال : ليس لأهل السواد عهد [١] .

حدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا ابن وهب المصري ، قال : حدثنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : كان للمهاجرين مجلس في المسجد فكان عمر يجلس معهم فيه ويحدثهم عما ينتهي إليه من أمر الآفاق ، فقال يوماً : ما أدري كيف أصنع بالمجوس ؟ فوثب عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال : سنوا بهم سنة أهل الكتاب[٢] .

حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، قال : حدثنا هشيم ، قال : حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : كانت بجيلة ربع الناس يوم القادسية ، وكان عمر جعل لهم ربع السواد ، فلما وفد عليه جرير ، قال : لولا أني قاسم مسؤول لكنت على ما جعلت لكم ، وإني أرى الناس قد كثروا فردوا ذلك عليهم ، ففعل وفعلوا ، فأجازه عمر بثمانين ديناراً ، قال : فقالت امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز : إن أبي هلك وسهمه ثابت في السواد وإني لن أسلم ، فقال لها : يا أم كرز إن قومك قد أجابوا ، فقالت له : ما أنا بمسلمة أو تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء ، وتملأ يدي ذهباً ، ففعل عمر ذلك .

وحدثني الحسين ، قال : حدثنا أبو أسامة عن اسماعيل عن قيس عن جرير ، قال : كان عمر أعطى بجيلة ربع السواد ، فأخذوه ثلاث سنين .

قال قيس : ووفد جرير بن عبد الله على عمر مع عمار بن ياسر ، فقال عمر :

---

(١) كتاب الخراج ليحيى بن آدم : ٤٩ .

(٢) انظره في كنز العمال : ٤ / ١١٤٩٠ .

لولا أني قاسم مسؤول لتركتكم على ما كنتم عليه، ولكني أرى أن ترده » ففعلوا فأجازه بثمانين ديناراً .

حدثني الحسن بن عثمان الزيادي، قال : حدثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل عن قيس قال : أعطى عمر جرير بن عبد الله أربعمائة دينار .

حدثني حُميد بن الربيع عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، قال : صالح عمر بجيلة من ربع السواد على أن فرض لهم في ألفين من العطاء .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر عن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن عمر جعل له ولقومه ربع ماغلبوا عليه من السواد ، فلما جمعت غنائم جلولاء طلب ربعه ، فكتب سعد إلى عمر يعلمه ذلك ، فكتب عمر : إن شاء جرير أن يكون إنما قاتل وقومه على جعل كجعل المؤلفة قلوبهم فأعطوهم جعلهم وإن كانوا إنما قاتلوا لله واحتسبوا ما عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، فقال جرير : صدق أمير المؤمنين وبر ، لا حاجة لنا بالربع .

حدثني الحسين ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن عبد السلام بن حرب عن معمر عن علي بن الحكم عن إبراهيم النخعي ، قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ، فقال : إني قد أسلمت فارفع عن أرضي الخراج ، قال : إن أرضك أخذت عنوة [1] .

حدثنا خلف بن هشام البزار، قال : حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي ، قال : لما افتتح عمر السواد قالوا له : اقسمه بيننا فإنا فتحناه عنوة بسيوفنا فأبى ، وقال : فما لمن جاء بعدكم من المسلمين ، وأخاف إن قسمته أن تتفاسدوا بينكم في المياه ، قال : فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على

---

(١) انظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم : ٢٢ .

رؤوسهم الجزية وعلى أرضهم الطَّسق[1] ولم تقسم بينهم .

وحدثني القاسم بن سلام ، قال: حدثنا إسماعيل بن مُجالد عن أبيه عن الشعبي أن عمر بن الخطاب بعث عثمان بن حُنَيف الأنصاري يمسح السواد فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب[2] فوضع على كل جريب درهماً وقفيزا قال القاسم: وبلغني أن ذلك القفيز كان مكوكا لهم يدعى الشابرقان[3] ، قال يحيى بن آدم: هو المختوم الحجاجي[4] .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا أبو معاوية عن الشيباني عن محمد بن عبد الله الثقفي ، قال : وضع عمر على السواد على كل جريب عامر أو غامر يبلغه الماء : درهماً وقفيزاً ، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم وخمسة أقفزة ، وعلى جريب الشجر عشرة دراهم وعشرة أقفزة ، ولم يذكر النخل ، وعلى رؤوس الرجال : ثمانية وأربعين ، وأربعة وعشرين ، واثني عشر .

وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي مجلز لاحق بن حميد أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة وجيوشهم ، وعبد الله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم ، وعثمان بن حُنَيف على مساحة الأرض ، وفرض لهم كل يوم شاة بينهم شطرها ، وسواقطها لعمار ، والشطر الآخر بين هذين ، فمسح عثمان بن حُنَيف الأرض ، فجعل : على جريب النخل عشرة دراهم ، وعلى جريب الكرم عشرة دراهم ، وعلى جريب القصب ستة دراهم ، وعلى

---

(١) هو مكيال أو ما يوضع من الخراج على الجربان أو شبه ضريبة معلومة . القاموس .

(٢) الجريب مكيال قدر أربعة أقفزة . القاموس .

(٣) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ١٠١ .

(٤) الحجاجي هو صاع وهو ثمانية أرطال . الخراج ليحيى بن آدم : ١٤١ .

جريب البر أربعة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمين ، وكتب بذلك إلى عمر رحمه الله فأجازه [١] .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن مندل العنزي عن الأعمش عن ابراهيم عن عمرو بن ميمون ، قال : بعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة ، وبعث عثمان بن حنيف على ما دون دجلة فوضعا على كل جريب قفيزاً ودرهماً [٢] .

حدثنا الحسين، قال : حدثنا يحيى بن آدم عن مندل عن أبي اسحاق الشيباني عن محمد بن عبد الله الثقفي ، قال : كتب المغيرة بن شعبة – وهو على السواد إن قبلنا أصنافاً من الغلة لها مزيد على الحنطة والشعير، فذكر الماش[٣] والكروم والرطبة والسماسم ، قال : فوضع عليها ثمانية ثمانية وألغى النخل.

وحدثنا خلف البزار ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش وحدثني الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم عن أبي بكر ، قال : أخبرني أبو سعيد البقال عن العيزار بن حريث ، قال : وضع عمر بن الخطاب على جريب الحنطة درهمين وجريبين وعلى جريب الشعير درهماً وجريباً ، وعلى كل غامر يطق زرعه على الجريبين درهماً [٤] .

وحدثنا خلف البزار عن أبي بكر بن عياش عن أبي سعيد عن العيزار بن حريث ، قال : وضع عمر : على جريب الكرم عشرة دراهم ، وعلى جريب

---

(١) انظر الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ١١١ .

(٢) الخراج ليحيى بن آدم : ٧٧ .

(٣) حب مدور أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يكون بالشام وبالهند يزرع زرعاً ، ولعله ما يدعى باسم « البازلا » في بلاد الشام أيامنا هذه. انظر معجم أسماء النباتات .

(٤) انظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم : ١٦٥ .

الرطبة عشرة دراهم ، وعلى جريب القطن خمسة دراهم،وعلى النخلة من الفارسي درهماً ، وعلى الدقلتين[1] درهماً .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي مجاز أن عمر وضع على جريب النخل ثمانية دراهم .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن السري بن اسماعيل عن الشعبي، قال : بعث عمر بن الخطاب عثمان بن حنيف ، فوضع على أهل السواد لجريب الرطبة خمسة دراهم،ولجريب الكرم عشرة دراهم ، ولم يحمل على ما عمل تحته شيئاً .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن ابن رفاعة قال عمر بن عبد العزيز: كان خراج السواد على عهد عمر بن الخطاب مائة ألف ألف درهم ، فلما كان الحجاج صار إلى أربعين ألف ألف درهم .

وحدثنا الوليد عن الواقدي عن عبد الله بن عبد العزيز عن أيوب بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه ، قال : ختم عثمان بن حنيف في رقاب خمسمائة ألف وخمسين ألف علج ، وبلغ الخراج في ولايته مائة ألف ألف درهم .

وحدثني الوليد بن صالح ، قال : حدثنا يونس بن أرقم المالكي ، قال : حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي عن مصعب بن يزيد أبي زيد الأنصاري عن أبيه ، قال : بعثني علي بن أبي طالب على ما سقى للفرات،فذكر رساتيق وقرى فسمى نهر الملك ، وكوثى ، وبهرسير ، والرومقان ، ونهر جوبر ، ونهر درقيط والبهقباذات،وأمرني أن أضع على كل جريب زرع غليظ من البر درهماً ونصفاً وصاعاً من طعام ، وعلى كل جريب وسط درهماً ، وعلى كل جريب من البر رقيق الزرع ثلثي درهم وعلى الشعير نصف ذلك ، وأمرني أن أضع على

---

(١) ـ أردأ التمر . القاموس .

البساتين التي تجمع النخل والشجر على كل جريب عشرة دراهم ، وعلى جريب الكرم إذا أتت عليه ثلاث سنين ودخل في الرابعة وأطعم عشرة دراهم ، وأن ألغي كل نخل شاذ عن القرى يأكله من مرّ به ، وأن لا أضع على الخضراوات شيئاً : المقاثي ، والحبوب ، والسماسم ، والقطن، وأمرني أن أضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين ويتختمون بالذهب على الرجل ثمانية وأربعين درهماً ، وعلى أوسطهم من التجار على رأس كل رجل أربعة وعشرين درهماً في السنة ، وأن أضع على الاكرة وسائر من بقي منهم على الرجل اثنى عشر درهماً .

حدثني حميد بن الربيع عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، قال : قلت للحسن : ما هذه الطسوق المختلفة ؟ فقال : كل قد وضع حالاً بعد حال على قدر قرب الأرضين والفرض من الأسواق وبعدها . قال : وقال يحيى بن آدم : وأما مقاسمة السواد فإن الناس سألوها السلطان في آخر خلافة المنصور فقبض قبل أن يقاسموا ، ثم أمر المهدي بها فقوسموا فيها دون عقبة حلوان .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن عبثر أبي زيد عن الثقات ، قال : مسح حذيفة سقي دجلة ومات بالمدائن ، وقناطر حذيفة نسبت إليه ، وذلك أنه نزل عندها ، ويقال: جددها ، وكان ذراعه وذراع ابن حُنَيف ذراع اليد وقبضة وابهاماً ممدودة ، ولما قوسم أهل السواد على النصف بعد المساحة التي كانت تمسح عليهم ، قال بعض الكتاب : العشر الذي يؤخذ من القطائع هو عشر ما يكال خمس النصف الذي يؤخذ من الاستان[1] فينبغي أن يوضع على الجريب مما تجرى عليه المساحة في القطائع أيضاً خمس ما يؤخذ من جريب الاستان ، فمضى الأمر على ذلك .

حدثني أبو عبيدة، قال : حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن ميمون

---

(١) الأرض .

ابن مهران أن عمر رحمه الله بعث حذيفة وابن حنيف إلى خانقين [١] ، وكانت من أول ما افتتحوا ، فختما أعناق الذمة ، ثم قبضا الخراج .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا عبد الله بن الوليد قال : حدثنا رجل كان أبوه أخبر الناس بهذا السواد يقال له عبد الملك ابن أبي حرة عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب أصفى عشر أرضين من السواد ، فحفظت سبعاً وذهب عني ثلاث،أصفى : الآجام ، ومغايض الماء ، وأرض كسرى ، وكل دير يزيد ، وأرض من قتل في المعركة ، وأرض من هرب ، قال : ولم يزل ذلك ثابتاً حتى أحرق الديوان أيام الحجاج بن يوسف فأخذ كل قوم ما يليهم .

وحدثني أبو عبد الرحمن الجعفي ، قال : حدثنا ابن المبارك عن عبد الله بن الوليد عن عبدالملك بن أبي حرة عن أبيه قال: أصفىعمر بن الخطاب من السواد: أرض من قتل في الحرب ، وأرض من هرب ، وكل أرض كسرى ، وكل أرض لأهل بيته ، وكل مغيض ماء ، وكل دير يزيد ، وكل صافية اصطفاها كسرى ، فبلغت صوافيه سبعة آلاف ألف درهم، فلما كانت وقعة الجماجم [٢] أحرق الناس الديوان فأخذ كل قوم ما يليهم .

حدثني الحسين وعمرو الناقد ، قالا : حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش عن إبراهيم بن مهاجر عن موسى بن طلحة قال : أقطع عثمان عبد الله بن مسعود أرضاً بالنهرين ، وأقطع عمار بن ياسر أسبينا [٣] ، وأقطع خباب بن الأرت صعنبا [٤] وأقطع سعداً قرية هرمز .

---

(١) من مدن العراق شهرت منذ القدم بينابيع النفط فيها. معجم البلدان.

(٢) المعركة الفاصلة في القضاء على ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أيام ولاية الحجاج . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ١٦٧ – ١٧٥ .

(٣) من المرجح أنها من قرى سواد العراق ، لم يذكرها ياقوت في معجمه .

(٤) من قرى سواد العراق . معجم البلدان .

وحدثنا عبد الله بن صالح العجلي عن اسماعيل عن اسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي قال : أقطع عثمان بن عفان طلحة بن عبيد الله النشاستج [١] وأقطع أسامة بن زيد أرضاً باعها .

حدثنا شيبان بن فروخ ، قال: حدثنا أبو عوانة عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة أن عثمان بن عفان أقطع خمسة نفر من أصحاب النبي ﷺ منهم : عبد الله بن مسعود، وسعد بن مالك الزهري، والزبير بن العوام، وخباب ابن الأرت ، وأسامة بن زيد ، قال : فرأيت ابن مسعود وسعداً فكان جاري يعطيان أرضهما بالثلث والربع .

وحدثني الوليد بن صالح عن محمد بن عمرو الأسلمي عن اسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة ، قال : أول من أقطع بالعراق عثمان بن عفان ، أقطع قطائع من صوافي كسرى وما كان من أرض الجالية فأقطع طلحة النشاستج وأقطع وائل بن حجر الحضرمي ما والى زرارة [٢] ، وأقطع خباب بن الأرت أسبينا وأقطع عدي بن حاتم الطائي الروحاء [٣] ، وأقطع خالد بن عرفطة أرضاً عند حمام أعين وأقطع الأشعث بن قيس الكندي طيزناباذ [٤]، وأقطع جرير بن عبدالله البجلي أرضه على شاطىء الفرات .

حدثني الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، قال : بلغني أن علياً رحمه الله ألزم أهل أجمة برس [٥] أربعة آلاف درهم ، وكتب لهم بذلك كتاباً في قطعة أديم .

---

(١) قرية عظيمة الدخل من قرى الكوفة . معجم البلدان .

(٢) قرية كانت تابعة للكوفة ودخلت فيها . معجم البلدان .

(٣) قرية من قرى بغداد على نهر عيسى . معجم البلدان .

(٤) موضع بين القادسية والكوفة بينها وبين القادسية ميل واحد . معجم البلدان .

(٥) موضع بأرض بابل . معجم البلدن.

وحدثني أحمد بن حماد الكوفي ، قال : أجمة برس بحضرة صرح نمرود ببابل وفي الاجمة هوة بعيدة القعر يقال إنها بئر ، كان آجر الصرح اتخذ من طينها ، ويقال : انها موضع خسف .

وحدثني أبو مسعود وغيره أن دهاقين الأنبار سألوا سعد بن أبي وقاص أن يحفر لهم نهراً كانوا سألوا عظيم الفرس حفره لهم ، فكتب إلى سعد بن عمرو ابن حرام يأمره بحفره لهم ، فجمع الرجال لذلك فحفروه حتى انتهوا إلى جبل لم يمكنه شقه فتركوه ، فلما ولي الحجاج العراق جمع الفعلة من كل ناحية وقال لقوامه : انظروا إلى قيمة ما يأكل رجل من الحفارين في اليوم فإن كان وزنه مثل وزن ما يقلع فلا تمتنعوا من الحفر فانفقوا عليه حتى استتموه، فنسب ذلك الجبل إلى الحجاج ، ونسب النهر إلى سعد بن عمرو بن حرام .

قال : وأمرت الخيزران أم الخلفاء أن يحفر النهر المعروف بمحدود وسمته الريان ، وكان وكيلها جعله أقساماً . وحد كل قسم ، ووكل بحفره قوماً فسمي محدوداً .

فأما النهر المعروف بشيلى (١) فان بني شيلى بن فرخزادان المروزي يدعون أن سابور حفره لجدهم حين رتبه بنفيا (٢) من طسوج الأنبار ، والذي يقول غيرهم إنه نسب إلى رجل يقال له شيلى كان متقبلاً لحفره ، وكانت له عليه مبقلة في أيام المنصور أمير المؤمنين ، وأن هذا النهر كان قديماً مندفناً فأمر المنصور بحفره فلم يستتم حتى توفى فاستتم في خلافة المهدي ، ويقال : إن المنصور كان أمر باحداث فوهة له فوق فوهته القديمة فلم يتم ذلك حتى أتمها المهدي رحمه الله .

(١) ناحية من نواحي الكوفة . معجم البلدان .

(٢) نفيا قريبة من الأنبار. معجم البلدان .

ذكر تمصير الكوفة

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر وغيره أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانـاً [١] ، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلاً ، فكثر على الناس الذباب ، فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح ، فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل ، وأنزل القبائـل منازلهم وبنى مسجدها وذلك في سنة سبع عشرة .

وحدثني علي بن المغيرة الأثرم ، قـال : حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أشياخه ،قال : وأخبرني هشام بن الكلبي عن أبيه ومشايخ الكوفيين، قالوا: لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة القادسية وجه إلى المدائن ، فصالح أهـل الرومية وبهرسير ، ثم افتتح المدائن وأخذ أسبانبر[٢] وكردبنداذ عنوة فأنزلها جنده فاجتووها ، فكتب إلى سعد أن حولهم فحولهم إلى سوق حَكَمَة [٣] ، وبعضهم يقول : حولهم إلى كويفة دون الكوفة ،وقال الأثرم وقد قيل: التكوف الاجتماع ، وقيل أيضاً إن المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني ، وبعضهم يسمى الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة ،قالوا: فأصابهم البعوض، فكتب سعد إلى عمر يعلمه أن الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك ، فكتب إليه عمر إن العرب بمنزلة الابل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل ، فارتد لهم موضعاً عدناً

(١) معسكراً .

(٢) البلدة التي قام فيها ايوان كسرى . معجم البلدان .

(٣) موضع بنواحي الكوفة . معجم البلدان .

ولا تجعل بيني وبينهم بحراً ، وولى الاختطاط للناس أبا الهياج الأسدي عمرو بن مالك بن جنادة .

ثم ان عبد المسيح بن بقيلة أتى سعداً وقال له : أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المباق ، فدله على موضع الكوفة اليوم ، وكان يقال لها سورستان ، فلما انتهى إلى موضع مسجدها أمر رجلاً فعلا بسهم ، قبل مهب القبلة فأعلم على موقعه ، ثم علا بسهم آخر قبل مهب الشمال وأعلم على موقعه ، ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب وأعلم على موقعه ،ثم علا بسهم قبل مهب الصبافأعلم على موقعه ، ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام العالي وما حوله ، وأسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين على أنه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب الأيسر وهو خيرهما ، فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي ، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات ، وترك ما دونهما فناء للمسجد ودار الامارة .

ثم ان المغيرة بن شعبة وسعه وبناه زياد فأحكمه وبنى دار الامارة ، وكان زياد يقول : أنفقت على كل اسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة ومائة ، وبنى فيها عمرو بن حريث المخزومي بناء ، وكان زياد يستخلفه على الكوفة إذا شخص إلى البصرة ، ثم بنى العمال فيها فضيقوا رحابها وأفنيتها .

قال : وصاحب زقاق عمرو بالكوفة بنو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة .

وحدثني وهب بن بقية الواسطي ، قال : حدثنا يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال : كنا – يعني أهل اليمن – اثنى عشر ألفاً ، وكانت نزار ثمانية آلاف ،ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة ،وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي .

وحدثني علي بن محمد المدائني عن مسلمة بن محارب وغيره ،قالوا : زاد المغيرة في مسجد الكوفة وبناه ثم زاد فيه زياد ،وكان سبب إلقاء الحصى فيه وفي مسجد

البصرة أن الناس كانوا يصلون فإذا رفعوا أيديهم وقد تربت نفضوهـــا ، فقال زياد : ما أخوفني أن يظن الناس على غابر الأيام ان نفض الأيدي سنة في الصلاة فزاد في المسجد ووسعه ، وأمر بالحصى فجمع وألقى في صحن المسجد ، وكان الموكلون بجمعه يتعنتون الناس،ويقولون لمن وظفوه عليه ائتونا به على ما نريكم ، وانتقوا منه ضروباً اختاروها فكانوا يطلبون ما أشبهها فأصابوا مالاً ، فقيل : حبذا الامارة ولو على الحجارة .

وقال الأثرم : قال أبو عبيدة : إنما قيل ذلك لأن الحجاج بن عتيك الثقفي، أو ابنه تولى قطع حجارة أساطين مسجد البصرة من جبل الأهواز،فظهر له مال فقال الناس : حبذا الامارة ولو على الحجارة .

وقال أبو عبيدة : وكان تكويف الكوفـــة في سنة ثمان عشرة ، قال : وكان زياد اتخذ في مسجد الكوفـــة مقصورة ثم جددها خالد بن عبد الله القصري (١) .

وحدثني حفص بن عمر العمري ، قال : حدثني الهيثم بن عـــدي الطائي ، قال : أقام المسلمون بالمدائن واختطوها ، وبنوا المساجد فيهـا ، ثم إن المسلمين استوخموها واستوبؤوها ، فكتب بذلك سعد بن أبي وقـاص إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن ينزلهم منزلاً عربياً فارتاد كويفة ابن عمر ، فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر ، وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامي والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها .

وحدثني شيخ من الكوفيين. أن ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط ، قال : وكانت دار عبـد الملك بن عمير للضيفان ، أمر عمر أن يتخذ لمن يرد من الآفاق داراً فكانوا ينزلونها .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف عن محمد بن إسحاق،

---

(١) الأشهر « القسري » ولي العراق أيام هشام بن عبد الملك لفترة طويلة .

قال : اتخذ سعد بن أبي وقاص باباً مبوباً من خشب وخص على قصره خصاً من قصب ، فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الأنصاري حتى أحرق الباب والخص ، وأقام سعداً في مسجد الكوفة فلم يقل فيه إلا خيراً [١] .

وحدثني العباس بن الوليد النرسي وإبراهيم العلاف البصري ، قالا : حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة سعوا بسعد ابن أبي وقاص إلى عمر ، وقالوا : إنه لا يحسن الصلاة ، فقال سعد : أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ، لا أخرم عنها ، أركد في الأولين وأحذف في الأخريين ، فقال عمر : ذاك الظن بك يا أبا اسحاق ، فأرسل عمر رجالاً يسألون عنه بالكوفة ، فجعلوا لا يأتون مسجداً من مساجدها إلا قالوا : خيراً وأثنوا معروفاً ، حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس ، فقال رجل منهم يقال له أبو سعدة : أما إذا سألتمونا عنه فإنه كان لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية ، قال ، فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره ، وأدم فقره وأعم بصره ، وعرضه للفتن .

قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد يتعرض للاماء في السكك ، فإذا قيل له : كيف أنت يا أبا سعدة ؟ قال : كبير مفتون أصابتني دعوة سعد .

قال العباس النرسي في غير هذا الحديث : ان سعداً قال لأهل الكوفة : اللهم لا ترض عنهم أميراً ، ولا ترضهم بأمير .

وحدثني العباس النرسي ، قال بلغني أن المختار بن أبي عبيد أو غيره، قال: حب أهل الكوفة شرف وبغضهم تلف .

وحدثني الحسن بن عثمان الزيادي ، قال : حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه

---

(١) الذي أورده الطبري في تاريخه : ٤ / ٤٧ هو أن محمد بن مسلمة أحرق الباب وعاد على الفور إلى المدينة رافضاً دعوة سعد بدخول القصر أو قبول النفقة منه .

عن الشعبي،أن عمرو بن معدي كرب الزبيدي وفد على عمر بن الخطاب بعد فتح القادسية ، فسأله عن سعد وعن رضاء الناس عنه فقال : تركته يجمع لهم جمع الذره،ويشفق عليهم شفقة الأم البره،أعرابي في نَمِرته[١] نبطي في جبايته[٢] ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية وينفذ بالسوية، فقال عمر : كأنكما تقارضتما إلينا ، وقد كان سعد كتب يثني على عمرو ؟ قال : كلا يا أمير المؤمنين ولكني أنبأت بما أعلم ، قال : ياعمرو أخبرني عن الحرب ؟ قال : مرة المذاق ، إذا قامت على ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن ضعف عنها تلف . قال : فأخبرني عن السلاح ؟ قال : سل يا أمير المؤمنين عما شئت منه ، قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك ، قال : فالسهام ؟ قال: رسل المنايا تخطيء وتصيب، قال: فالترس ؟ قال : ذاك المجن عليه تدور الدوائر ، قال : فالدرع ؟ قال : مشغلة للفارس متعبة للراجل ، وإنها لحصن حصين ، قال: والسيف ؟ قال : هناك ثكلتك أمك ، فقال عمر : بل ثكلتك أمك ، فقال عمرو : الحمى أضرعتني إليك[٣] .

قال : وعزل عمر سعداً ، وولى عمار بن ياسر ، فشكوه وقالوا : ضعيف لا علم له بالسياسة فعزله ، وكانت ولايته الكوفة سنة وتسعة أشهر، فقال عمر : من عذيري من أهل الكوفة إن استعملت عليهم القوي فجروه ، وإن وليت عليهم الضعيف حقروه ، ثم دعا المغيرة بن شعبة فقال: ان وليتك الكوفة أتعود إلى شيء مما قرفت[٤] به ؟ فقال : لا ، وكان المغيرة حين فتحت القادسية صار إلى المدينة فولاه عمر الكوفة فلم يزل عليها حتى توفى عمر ، ثم إن عثمان بن

---

(١) النمرة : كساء أسود تلبسه الأعراب .
(٢) وصفه هنا بالاستقصاء في جباية الخراج .
(٣) أي الاسلام أذلني لك ، ولو كان في جاهلية لم تجسر أن ترد علي .
(٤) اتهم في ولايته البصرة بالزنا .

عفان ولاها سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية فلما قدم عليه قال له سعد : إما أن تكون كست [١] بعدي ، أو أكون حمقت بعدك ، ثم عزل الوليد وولى سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين قال : سمعت مسعر بن كدام يحدث ، قال : كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون جند شهانشاه [٢] ، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا ، ويحالفوا من أحبوا ، ويفرض لهم في العطاء ، فأعطوا الذي سألوه ، وحالفوا زهرة بن حوية السعدي من بني تميم ، وأنزلهم سعد بحيث اختاروا ، وفرض لهم في ألف ، ألف ،وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم ، فقيل حمراء ديلم ، ثم إن زياد سير بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم بها يدعون الفرس ، وسير منهم قوماً إلى البصرة فدخلوا في الأساورة الذين بها .

قال أبو مسعود : والعرب تسمى العجم الحمراء ، ويقولون : جئت من حمراء ديلم ، كقولهم : جئت من جهينة ، وأشباه ذلك .

قال أبو مسعود : وسمعت من يذكر أن هؤلاء الأساورة كانوا مقيمين بازاء الديلم،فلما غشيهم المسلمون بقزوين أسلموا على مثل ما أسلم عليه أساورة البصرة، وأتوا الكوفة فأقاموا بها .

وحدثني المدائني ، قال : كان أبرويز وجه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف ، وكانوا خدمه وخاصته ، ثم كانوا على تلك المنزلة بعده ، وشهدوا القادسية مع رستم ، فلما قتل وانهزم المجوس اعتزلوا ، وقالوا : مانحن كهؤلاء ولا لنا

---

(١) أي غدوت عاقلاً .

(٢) أي جند ملك الملوك — الامبراطور الساساني .

ملجأ ، وأثرنا عندهم غير جميل ، والرأي لنا أن ندخـــل معهم في دينهم فنعزّ بهم فاعتزلوا .

فقال سعد : ما لهؤلاء ؟ فأتاهم المغيرة بن شعبة (١) ، فسألهم عن أمرهـــم فأخبروه بخبرهم ، وقالوا : ندخل في دينكم ، فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد ، وشهدوا فتح جلولاء ، ثم تحـولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : جبانة السبيع نسبت إلى ولد السبيع ابن سبع بن صعب الهَمْداني ، وصحراء أثير نسبت إلى رجـــل من بني أسد يقال له أثير ، ودكان عبد الحميد نسب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة ، وصحراء بني قرار نسبت إلى بني قرار بن ثعلبة بن مالك بن حرب بن طريف بن النمر بن يقدم بن عنزه بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال : وكانت دار الروميين مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيهـــا القمامات والكساحات حتى استقطعها عنبسة بن سعيد بن العاصي من يزيد بن عبد الملك ، فأقطعه إياها فنقل ترابها بمائة ألف وخمسين ألف درهم .

وقال أبو مسعود : سوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف بن عمر بن محمـد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو عامل هشام على العراق (٢) .

وأخبرني أبو الحسن علي بن محمد وأبو مسعود ، قالا : حمـام أعين نسب إلى

---

(١) كان المغيرة يحسن الفارسية .

(٢) ولي العراق بعد عزل خالد بن عبد الله القسري ، وهو الذي تولى قتل الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثم قتل فيما بعد بالشام أثناء فتنة مروان بن محمد قبيل سقوط الخلافة الاموية .

أعين مولى سعد بن أبي وقاص، وأعين هذا هو الذي أرسله الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الجارود العبدي من رستقاباذ [١] حين خالف وتابعه الناس على إخراج الحجاج من العراق ومسألة عبد الملك تولية غيره، فقال له حين أدى الرسالة : لولا أنك رسول لقتلتك [٢] .

قال أبو مسعود وسمعت أن الحمام قبله كان لرجل من العباد يقال له جابر أخو حيان الذي ذكره الأعشى، وهو صاحب مسناة جابر بالحيرة فابتاعه من ورثته .

وقال ابن الكلبي : وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الأزد من بني عمرو بن مازن من الأزد، وهم من غسان .

قال : وحمام عمر نسب إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص .

قالوا وشهارسوج[٣] بجيلة بالكوفة، إنما نسب إلى بني بجلة، وهم ولد مالك ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور، وبجلة أمهم، وهي غالبة على نسبهم، فغلط الناس فقالوا : بجيلة .

وجبانة عرزم نسبت إلى رجل يقال له عرزم، كان يضرب فيها اللبن، ولبنها رديء فيه قصب وخزف، فربما وقع الحريق بها فاحترقت الحيطان .

وحدثني ابن عرفة، قال : حدثني إسماعيل بن عُلَيَّة عن ابن عون أن إبراهيم النخعي أوصى أن لا يحمل في قبره لبن عرزمي، وقد قال بعض أهل الكوفة : إن عرزما هذا رجل من بني نهد .

---

(١) من بلدان اقليم البصرة . معجم البلدان .

(٢) كان هذا سنة / ٧٥ هـ / السنة التي ولي الحجاج فيها العراق. انظر تفاصيل الخبر في تاريخ الطبري : ٦ / ٢١٠ - ٢١١ .

٣) أوجهارسوج ومعناه بالعربية : أربع جهات، نقل ياقوت أن هذا المكان كان محلة بالبصرة، وأورد رواية ابن الكلبي وأضاف : وبنو بجلة فيه مع أخوالهم الأزد .

وجبانة بشر نسبت إلى بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قمير الخثعمي الذي يقول :

نحن بباب القادسية ناقتي وسعد بن وقاص عليّ أمير

قال أبو مسعود : وكان بالكوفة موضع يعرف بعنترة الحجام،وكان أسود ، فلما دخل أهل خراسان الكوفة كانوا يقولون : حجام عنترة ، فبقي الناس على ذلك ، وكذلك حجام فرج ، وضحاك رواس ، وبطار حيان ، ويقال رستم ، ويقال صليب وهو بالحيرة .

وقال هشام بن الكلبي : نسبت زرارة إلى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكاء بن ربيعة بن عامر بن صعصعة [١] وكانت منزله وأخذها منه معاوية بن أبي سفيان ، ثم أصفيت بعد حتى أقطعها محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي .

قال:ودار حكيم بالكوفة في أصحاب الأنماطه نسبت إلى حكيم بن سعد ابن ثور البكائي .

وقصر مُقاتل [٢] نسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن ابراهيم ابن أيوب بن محروق أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم .

قال : والسوادية بالكوفة نسبت إلى سواد بن زيد بن عدي بن زيد الشاعر العبادي ، وجده حماد بن زيد بن أيوب بن محروق .

وقرية أبي صلابة التي على الفرات نسبت إلى صلابةبن مالك بن طارق بن جبر بن همام العبدي .

---

(١) كان زرارة على شرطة سعيد بن العاص إذ كان والياً بالكوفة قبيل الفتنة الكبرى ، وقد أحرقت قرية زرارة أيام الإمام علي بن أبي طالب . معجم البلدان .

(٢) كان بين عين التمر والشام . معجم البلدان .

وأقساس مالك نسبت إلى مالك بن قيس بن عبد هند بن لجم ، أحـد بني حذافة بن زهر بن إياد بن نزار .

ودير الأعور لرجل من إياد من بني أمية بن حذاقة ، كان يسمى الأعور [١] وفيه يقول أبو داود الإيادي :

ودير يقول لـــه الرائدو ن ويل أم دار الحذاقي دارا

ودير قُرّة أحد بني أمية بن حذاقـــة ، وإليهم ينسب دير السوا ، والسوا العدل ، كانوا يأتونه فيتناصفون فيه ويحلف بعضهم لبعض على الحقوق ، وبعض الرواة يقول السوا امرأة منهم .

قال : ودير الجماجم لإياد وكانت بينهم وبين بني بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وبين بني القين بن جسر بن شيع الله بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف حرب ، فقتل فيها من إياد خلق ، فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدير ، وكان الناس بعد ذلك يحفرون فخرج جماجم فسمي دير الجماجم.

هذه رواية الشرقي بن القطامي ، وقال محمد بن السائب الكلبي : كان مالك الرماح بن محرز الإيادي قتل قوماً من الفرس ونصب جماجمهم عند الدير فسمي دير الجماجم .

ويقال : إن دير كعب لإياد ، ويقال لغيرهم .

ودير هند لأم عمرو بن هند ، وهـو عمرو بن المنذر بن مـاء السماء ، وأمه كندية .

ودار قمام بنت الحارث بن هانىء الكندي ، وهي عند دار الأشعث بن قيس.

قال : وبيعة بني عدي . نسبت إلى بني عدي بن الذميل من لخم .

قالوا : وكانت طيزناباذ تدعى ضيزناباذ [٢] فغيروا اسمها ، وإنما نسبت إلى الضيزن بن معاوية بن العبيد السليحي ، واسم سليح عمر بن طريف بن عمران

(١) كان بظاهر الكوفة . معجم البلدان .

(٢) نسبة إلى الضيزن اللقب الذي عرف به ملوك الحضر .

ابن الحاف بن قضاعة، وربة الخضراء النضيرة بنت الضيزن ، وأم الضيزن جيهلة بنت تزيد بن حيدان بن عمر بن الحاف بن قضاعة .

قال : والذي تسب إليه مسجد سماك بالكوفة سماك بن مخرمة بن حمين الاسدي ، من بني المالك بن عمرو بن أسد ، وهو الذي يقول له الاخطل:

إن سماكاً بنى مجداً لاسرته حتى الممات وفعل الخير يبتدر
قد كنت أحسبه قينا وأخبره فاليوم طير عن أثوابه الشرر[1]

وكان المالك أول من عمل الحديد ، وكان ولده يعيرون بذلك ، فقال سماك للأخطل : ويحك ما أعياك أردت أن تمدحني فهجوتني ، وكان هرب من علي ابن أبي طالب من الكوفة ونزل الرقة .

قال ابن الكلبي بالكوفة محلة بني شيطان، وهو شيطان بن زهير بن شهاب ابن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم.

وقال ابن الكلبي : موضع دار عيسى بن موسى التي يعرف بها اليوم ، كان للعلاء بن عبد الرحمن بن محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان العلاء على ربع الكوفة أيام ابن الزبير ، وسكة ابن محرز تنسب إليه .

وبالكوفة سكة تنسب إلى عميرة بن شهاب بن محرز بن أبي شمر الكندي الذي كانت أخته عند عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فولدت له حفص بن عمر .

وصحراء شبث نسبت إلى شبث بن ربعي الرياحي من بني تميم .

قالوا : ودار حجير بالكوفة نسبت إلى حجير بن الجعد الجمحي .

وقال : بئر المبارك في مقبرة جعفى ، نسبت إلى المبارك بن عكرمة بن حميري الجعفي ، وكان يوسف بن عمر ولاه بعض السواد .

ورحى عمارة نسبت إلى عمارة بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية .

وقال : جبانة سالم نسبت إلى سالم بن عمار بن عبد الحارث أحد بني دارم

---

(١) ديوان الأخطل – ط. بيروت ١٩٨٦ ص ١٨٧ .

ابن نهار بن مرة بن صعصعة بن معاويـــة بن بكر بن هوازن ، وبنو مرة بن صعصعة ينسبون إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان .

قالوا : وصحراء البردخت نسبت إلى البردخت الشاعر الضبي ، واسمـــه علي بن خالد .

قالوا : ومسجد بني عنز نسب إلى بني عنز بن وائل بن قاسط .

ومسجد بني جذيمة نسب إلى بني جذيمـــة بن مالك بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، ويقال إلى بني جذيمة بن رواحة العبسي وفيه حوانيت الصيارفة .

قال : وبالكوفة مسجد نسب إلى بني المقاصف بن ذكوان بن زبينـــة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، ولم يبق منهم أحد .

قال : ومسجد بني بهدلة نسب إلى بني بهدلة بن المثل بن معاوية من كندة.

قال : وبئر الجعد بالكوفة نسب إلى الجعد مولى هَمْدان .

قال : ودار أبي أرطاة نسبت إلى أرطاة بن مالك البجلي .

قال : ودار المقطع نسبت إلى المقطع بن سنين الكلبي بن خالد بن مالك ، وله يقول ابن الرقاع :

على ذي منار تعرف العين شخصه كما يعرف الأضياف دار المقطع

قال : وقصر العدسيين في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيـــح بن قيس ابن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي ، نسبوا إلى جدتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي ، وهي أم الرماح والمشظ ابني عامر المذمم .

وحدثني شيخ من أهل الحيرة ، قال : وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر أن المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور ، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم .

وحدثني أبو مسعود وغيره ، قال : كان خالد بن عبد الله بن أسد بن كرز

القسري من بجيلة ، بنى لأمه بيعة هي اليوم سكة البريد بالكوفة ، وكانت أمه نصرانية .

قال : وبنى خالد حوانيت أنشأها وجعل سقوفها ازاجاً معقودة بالآجر والجص ، وحفر خالد النهر الذي يعرف بالجامع ، واتخذ بالقرية قصراً يعرف بقصر خالد، واتخذ أخوه أسد بن عبدالله القرية التي تعرف بسوق أسد وسوقها، ونقل الناس إليها فقيل سوق أسد ، وكان العبر الآخر ضيعه عتاب بن ورقاء الرياحي ، وكان معسكره حين شخص إلى خراسان والياً عليها عند سوقه هذا .

قال أبو مسعود : وكان عمر بن هبيرة بن معية الفزاري أيام ولايته العراق أحدث قنطرة الكوفة ، ثم أصلحها خالد بن عبد الله القسري واستوثق منها ، وقد أصلحت بعد ذلك مرات .

قال : وقال بعض أشياخنا : كان أول من بناها رجل من العباد من جعفى في الجاهلية ، ثم سقطت فاتخذ في موضعها جسراً ، ثم بناها في الاسلام زياد بن أبي سفيان ، ثم ابن هبيرة ، ثم خالد بن عبد الله ، ثم يزيد بن عمر بن هبيرة ، ثم أصلحت بعد بني أمية مرات .

حدثني أبو مسعود وغيره ، قالوا : كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ، ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم ، فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة ، فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا ، فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة ، واستتم مقاصير فيها وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية ، فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال : ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى بحيالها الهاشمية ، ونزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى بها مدينته المعروفة ، فلما توفي دفن بها .

واستخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة، واستتم شيئاً

كان بقي منها ، وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد ، ثم تحول منهـا إلى بغداد فبنى مدينته ، ومصر بغداد ، وسماها مدينة السلام، وأصلح سورها القديم الذي يبتدىء من دجلة وينتهي إلى الصراط ، وبالهاشمية حبس المنصور عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بسبب ابنيه محمد[1] وإبراهيم وبها قبره، وبنى المنصور بالكوفة الرصافة وأمر أبا الخصيب مرزوقاً مولاه فبنى له القصر المعروف بأبي الخصيب على أساس قديم ، ويقال : إن أبا الخصيب بناه لنفسه ، فكان المنصور يزوره فيه .

وأما الخورنق فكان قديماً فارسياً بناه النعمان بن امرىء القيس ، وهو ابن الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان لبهرام جور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف ، وكان بهرام جور في حجره ، والنعمان هـذا الذي ترك ملكه [2] وساح فذكره عدي بن زيد العبادي في شعره ، فلما ظهرت الدولة المباركة أقطع الخورنق ابراهيم بن سلمة أحد الدعاة بخراسان ، وهو جد عبد الرحمن بن اسحاق القاضي كان بمدينة السلام في خلافـة المأمون والمعتصم بالله رحمهما الله ، وكان مولى للرباب ، وابراهيم أحدث فيه الخورنق في خلافة أبي العباس ولم تكن قبل ذلك .

وحدثني أبو مسعود الكوفي، قال: حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل الحضرمي عن مشايخ من أهل الكوفة أن المسلمين لما فتحوا المدائن أصابوا بها فيلاً ، وقد كانوا قتلوا ما لقيهم قبل ذلك من الفيلة ، فكتبوا فيه إلى عمر . فكتب إليهم أن بيعوه إن وجدتم له مباعاً ، فاشتراه رجل من أهل الحيرة فكان عنده يريه

---

(١) ثار محمد النفس الزكية بالمدينة فقضي عليـه ثم ثار ابراهيم بالبصرة فقضي عليه أيضاً .

(٢) اعتبره بعض الكتاب العرب أنـه ذي القرنين الذي ورد ذكـره بالقرآن الكريم .

الناس ويجلله ويطوف به في القرى ، فمكث عنده حيناً ، ثم إن أم أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط ، امرأة المغيرة بن شعبة ، وهي التي خلف عليها زياد بعده أحبت النظر إليه وهي تنزل دار أبيها ، فأتى به ووقف على باب المسجد الذي يدعى اليوم باب الفيل ، فجعلت تنظر إليه ، ووهبت لصاحبه شيئاً وصرفته ، فلم يخط إلا خطى يسيرة حتى سقط ميتاً ، فسمي الباب باب الفيل ، وقد قيل إن الناظرة إليه امرأة الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وقيل إن ساحراً أرى الناس أنه أخرج من هذا الباب فيلاً على حمار وذلك باطل . وقيل : إن الإجانة [١] التي في المسجد حملت على فيل وأدخلت من هذا الباب، فسمى باب الفيل ، وقال بعضهم : إن فيلاً لبعض الولاة اقتحم هذا الباب فنسب إليه ، والخبر الأول أثبت هذه الأخبار .

وحدثني أبو مسعود ، قال : جبانة ميمون بالكوفة نسبت إلى ميمون مولى محمد بن علي بن عبد الله، وهو أبو بشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بالقرب من باب الشام .

وصحراء أم سلمة نسبت الى أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم امرأة أبي العباس [٢] .

وحدثني أبو مسعود ، قال : أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها ، وألزم كل امرىء منهم للنفقة عليه أربعين درهماً ، وكان ذاماً لهم لميلهم الى الطالبيين وإرجافهم بالسلطان .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر ، قال : كتب عمر إلى أهل الكوفة رأس العرب .

وحدثنا الحسين ، قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن نافع بن جبير بن مطعم ، قال : قال عمر : بالكوفة وجوه الناس .

---

(١) المركن ، وعاء كبير للماء — اللسان .

(٢) السفاح أول خلفاء بني العباس .

وحدثنا الحسين وإبراهيم بن مسلم الخوارزمي ، قالا : حدثنا وكيـع عن يونس بن أبي إسحـاق عن الشعبي ، قال : كتب عمر إلى أهل الكوفة ، إلى رأس الإسلام .

وحدثنا الحسين بن الأسود ، قال حدثنا وكيع عن قيس بن الربيع عن شمر ابن عطية قال : قال عمر وذكر الكوفة ، فقال : هم رمح الله ، وكنز الايمـان وجمجمة العرب يحرزون ثغورهم ويمدون أهل الامصار [١] .

وحدثنا أبو نصر التمار ، قال : حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي شريـك العامري عن جندب عن سلمان قال : الكوفة قبة الاسلام ، يأتي على الناس زمان لا يبقي مؤمن إلا وهويها ، أو يهوى قلبه إليها [٢] .

* * *

(١) انظر كتاب فضل الكوفة وفضل أهلها تأليف محمد بن علي الحسني الكوفي – ط . بيروت ١٩٨١ ص ٨٧ – ٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٠ – ١١٢ .

أمر واسط العراق

حدثني عبد الحميد بن واسع الختلي الحاسب ، قال : حدثني يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح ، قال : أول مسجد جامع بني بالسواد مسجد المدائن بناه سعد وأصحابه ، ثم وسع بعد وأحكم بناؤه، وجرى ذلك على يدي حذيفة بن اليمان ، وبالمدائن مات حذيفة سنة ست وثلاثين .

ثم بني مسجد الكوفة ، ثم مسجد الأنبار .

قال : وأحدث الحجاج مدينة واسط في سنة ثلاث وثمانين ، أو سنة أربع وثمانين وبنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها ، وكانت واسط أرض قصب، فسميت واسط القصب ، وبينها وبين الأهواز والبصرة والكوفة مقدار واحد ، وقال ابن القرية [1] بناه في غير بلده ويتركها لغير ولده .

وحدثني شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم: ان الحجاج لما فرغ من واسط كتب إلى عبد الملك بن مروان : إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين ، وسميتها واسطاً ، فلذلك سمى أهل واسط الكرشيين ، وكان الحجاج قبل اتخاذه واسطاً أراد نزول الصين من كسكر، فحفر نهر الصين، وجمع له الفعلة وأمر بأن يسلسلوا لئلا يشذوا ويتبلطوا ، ثم بدا له فأحدث واسطاً ، فنزلها واحتفر النيل والزابي ، وسماه زابياً لأخذه من الزابي القديم ، وأحيا ما على هذين النهرين من الأرضين ، وأحدث المدينة التي تعرف بالنيل ومصرها ، وعمد إلى ضياع كان عبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان استخرجها له

---

(١) هو أيوب بن زيد أحد بلغاء الدهر ، خطيب يضرب به المثل ، قتله الحجاج سنة ٨٤ بعد دير الجماجم واخفاق ثورة ابن الأشعث . الأعلام للزركلي.

أيام ولايته خراج الكوفة مع المغيرة بن شعبة من موات مرفوض ونقوض مياه ومغايض وآجام ضرب عليها المسنيات [١]، ثم قلع قصبها فحازها لعبد الملك بن مروان وعمرها ونقل الحجاج إلى قصره والمسجد الجامع بواسط أبواباً من زندورد والدوقرة ودار وساط ودير ماسرجسان وشرابيط فضج أهل هذه المدن، وقالوا : قد أومنا على مدننا وأموالنا، فلم يلتفت إلى قولهم .

قال : وحفر خالد بن عبد الله القسري المبارك فقال الفرزدق:

كأنك بالمبارك بعد شهر ... تخوض غموره بقع الكلاب [٢]

ثم قال في شعر له طويل :

أعطى خليفته بقوة خالد ... نهراً يفيض له على الأنهار

ان المبارك كاسمه يسقى به ... حرث السواد وناعم الجبار

وكأن دجلة حين أقبل مدها ... نأب يمد له بحبل قطار [٣]

وحدثني محمد بن خالد بن عبد الله الطحان، قال : حدثني مشايخنا أن خالد ابن عبد الله القسري كتب إلى هشام بن عبد الملك يستأذنه في عمل قنطرة على دجلة، فكتب إليه هشام : لو كان هذا ممكناً لسبق إليه الفرس، فراجعه فكتب إليه : إن كنت متيقناً أنها تتم فاعملها، فعملها وأعظم النفقة عليها، فلم يلبث أن قطعها الماء فأغرمه هشام ما كان أنفق عليها.

قالوا : وكان النهر المعروف بالبزاق قديماً، وكان يدعى بالنبطية البساق أي الذي يقطع الماء عما يليه ويجره إليه، وهو نهر يجتمع إليه فضول مياه آجام السيب، وماء من ماء الفرات فقال الناس : البزاق .

فأما الميمون فأول من حفره وكيل لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور،

---

(١) السدود الصغيرة .

(٢) ليس في ديوانه المطبوع .

(٣) ديوانه: ١ / ٢٦٩ – ٢٧٠ مع فوارق .

يقال له سعيد بن زيد ، وكانت فوهته عند قرية تدعى قريـة ميمون ، فحولت في أيام الواثق بالله على يدي عمر بن فرج الرخجي ، وسمى الميمون لئلا يسقط عنه ذكر اليمن .

وحدثني محمد بن خـالد ، قال : أمر المهدي أمير المؤمنين بحفر نهر الصلة فحفر ، وأحيي ما عليه من الأرضين ، وجعلت غلته لصلات أهل الحرمين والنفقة هناك ، وكان شرط لمن تألف إليه من المزارعين الشرط الذي هم عليـه اليوم خمسين سنة على أن يقاسموا بعد انقضاء الخمسين مقاسمة النصف .

وأما نهر الأمير ، فنسب إلى عيسى بن علي وهو في قطيعته .

وحدثنا محمد بن خالد، قال : كان محمد بن القاسم أهدى إلى الحجاج من السند فيلا فأجيز البطائح في سفينة ، وأخرج في المشرعة التي تدعى مشرعة الفيل ، فسميت تلك المشرعة مشرعة الفيل وفرضة الفيل .



أمر البطائح

حدثني جماعة من أهل العلم : أن الفرس كانت تتحدث بزوال ملكهـا ، وتروي في آية ذلك زلازل وطوفان تحدث، وكانت دجلة تصب إلى دجلة البصرة التي تدعى العوراء في أنهار متشعبة ، ومن عمود مجراها الذي كان باقي مائهـا يجري فيه ، وهو كبعض تلك الأنهار ، فلما كان زمان قباذ بن فيروز انبثق في أسافل كسكر بثق عظيم ، فأغفل حتى غلب ماؤه وغرق كثيراً من أرضين عامرة ، وكان قباذ [1] واهناً قليل التفقد لأمره ، فلما ولي أنوشروان ابنه أمر بذلك الماء فردم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الأرضين إلى عمارة ، ثم لما كانت السنة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافـة السهمي إلى كسرى أبرويز ، وهي سنة سبع من الهجرة ، ويقال سنة ست ، زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها ولا بعدها ، وانبثقت بثوق عظام فجهد أبرويز أن يسكرها فغلبه الماء ومال إلى موضع البطائح فطفا على العمارات والزروع فغرق عدة طساسيج كانت هناك، وركب كسرى بنفسه لسد تلك البثوق ونثر الأموال على الأنطاع ، وقتل الفعلة بالكفايـة ، وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جساراً في يوم ، فلم يقدر للماء على حيلة، ثم دخلت العرب أرض العراق وشغلت الأعاجم بالحروب فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت إليهـا ويعجز الدهاقين عن سد عظمها فاتسعت البطيحة وعرضت .

فلما ولي معاوية بن أبي سفيان ولـّى عبد الله بن دراج مولاه خراج العراق،

---

(١) في الحقيقة شغل قباذ بمشاغل خارجية ، ومشاكل داخلية تواءمت مع قيام الحركة المزدكية .

واستخرج له من الأرضين بالبطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف ، وذلك أنه قطع القصب وغلب الماء بالمسنيات .

ثم كان حسان النبطي مولى بني ضبة وصاحب حوض حسان بالبصرة، والذي تنسب إليه منارة حسان بالبطائح ، فاستخرج للحجاج أيام الوليد ولهشام بن عبد الملك أرضين من أراضي البطيحة .

قالوا: وكان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب، وكان طريق البريد إلى ميسان ودستميسان وإلى الأهواز في شقه القبلي، فلما تبطحت البطائح سمى ما استأجم من شق طريق البريد آجام البريد ، وسمي الشق الآخر آجام أغمر بثى ، وفي ذلك الآجام الكبرى والنهر اليوم يظهر في الأرضين الجامدة التي استخرجت حديثاً .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن أشياخه ، قالوا : حدثت البطائح بعد مهاجرة النبي ﷺ وملك الفرس أبرويز ، وذلك أنه انبثقت بثوق عظام عجز كسرى عن سدها ، وفاضت الأنهار حتى حدثت البطائح ، ثم كان مدّ في أيام محاربة المسلمين الأعاجم وبثوق لم يعن أحد بسدها فاتسعت البطيحة لذلك وعظمت ، وقد كان بنو أمية استخرجوا بعض أرضيها ، فلما كان زمن الحجاج غرق ذلك لأن بثوقاً انفجرت، فلم يعان الحجاج سدها مضارة للدهاقين لأنه كان اتهمهم بممالأة ابن الأشعث حين خرج عليه ، واستخرج حسان النبطي لهشام أرضين من أراضي البطيحة أيضاً .

وكان أبو الأسد الذي نسب إليه نهر أبي الأسد قائداً من قواد المنصور، أمير المؤمنين ، ممن كان وجه إلى البصرة أيام مقام عبد الله بن علي بها ، وهو الذي أدخل عبد الله بن علي [1] الكوفة .

---

(١) عم المنصور ، حاول الوصول الى الخلافة إثر وفاة السفاح ، وكان آنذاك والياً للشام والجزيرة، وقد هزمه المنصور بجيوش قادها أبو مسلم الخراساني، وقد جلب أسيراً الى المنصور ، حيث جرى التخلص منه فيا بعد .

وحدثني عمر بن بكير : أن المنصور رحمه الله وجه أبا الأسد مولى أمير المؤمنين فعسكر بينه وبين عسكر عيسى بن موسى حين كان يحارب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو حفر النهر المعروف بأبي أسد عند البطيحة ، وقال غيره : أقام على فم النهر لأن السفن لم تدخله لضيقه عنها فوسعه ونسب إليه .

قال أبو مسعود: وقد انبثقت في أيام الدولة المباركة بثوق زادت في البطائح سعة ، وحدثت أيضاً من الفرات آجام استخرج بعضها .

وحدثني أبو مسعود : عن عوانة، قال : انبثقت البثوق أيام الحجاج فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه : أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم فاستكثرها الوليد ، فقال له مسلمة بن عبد الملك : أنا أنفق عليها على أن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد انفاق ثلاثة آلاف ألف درهم يتولى انفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج ، فأجابه إلى ذلك فحصلت له أرضون من طساسيج متصلة فحفر السيبين ، وتألف الاكرة والمزارعين وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس إليها ضياعاً كثيرة للتعزز به [1]، فلما جاءت الدولة المباركة وقبضت أموال بني أمية أقطع جميع السيبين داود بن علي بن عبد الله بن العباس ، ثم ابتيع ذلك من ورثته بحقوقه وحدوده فصار من ضياع الخلافة .

---

(١) الالجاء نظام عرف خلال العصر الأموي ، وقد نجم عنه زيادة رقعة أملاك عدد من أمراء الأسرة الأموية ورجالاتها ، والقاعدة هنا اقدام الملاك الصغار على وضع ممتلكاتهم تحت حماية الأمراء وغيرهم للتعزز بهم ، لكن ذلك قاد نحو امتلاك الأمير للأراضي التي التجأ أصحابها إليه .

أمر مدينة السلام

قالوا : وكانت بغداد قديمة فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله وابتنى بها مدينة وابتدأها في سنة خمس وأربعين ومائة ، فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن عاد إلى الكوفة ، ثم حول بيوت الأموال والخزائن والدواوين من الكوفة إلى بغداد سنة ست وأربعين ومائة وسماها مدينة السلام ، واستتم بناء حائط مدينته وجميع أمره وبناء سور بغداد القديم سنة سبع وأربعين ومائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة بمكة ، ودفن عند بئر ميمون [١] الحضرمي حليف بني أمية ،وبنى المنصور للمهدي الرصافة في الجانب الشرقي ببغداد ، وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدي لأنه عسكر فيه حين خرج إلى الري [٢] ، فلما قدم من الري وقد بدا للمنصور في إنفاذه إلى خراسان للإقامة بها نزل الرصافة وذلك في سنة إحدى وخمسين ومائة ،وقد كان المنصور أمر فبني للمهدي قبل إنزاله الجانب الشرقي قصره الذي يعرف بقصر الوضاح ، وبقصر المهدي ، وبالشرقية ، وهو مما يلي باب الكرخ ، والوضاح رجل من أهل الأنبار كان تولى النفقة عليه فنسب إليه ، وبنى المنصور مسجدي مدينة السلام ، وبنى القنطرة الجديدة على الصراة ،وابتاع أرض مدينة السلام من قوم من أرباب القرى: بادوريا وقطربل ونهر بوق ونهر بين [٣] وأقطعها أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه ، وجعل مجمع الأسواق بالكرخ ، وأمر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة .

---

(١) داخل مكة المكرمة .

(٢) على مقربة من طهران الحالية .

(٣) جميع هذه الأماكن من سواد بغداد . معجم البلدان .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، قال : سمي المخرم ببغداد مخرماً لأن مخرم بن شريح بن حزن الحارثي نزله ، قال : وكان ناحية قنطرة البردان للسري بن الحطيم صاحب الحطيمة التي تعرف ببغداد .

وحدثني مشايخ من أهل بغداد : أن الصالحية ببغداد نسبت إلى صالح ابن المنصور .

قالوا: والحربية نسبت الى حرب بن عبد الله البلخي،وكان على شرط جعفر ابن أبي جعفر بالموصل .

والزُهيرية تعرف بباب التين نسبت الى زهير بن محمد من أهل أبيورد .

وعيساباذ نسبت الى عيسى بن المهدي وكان في حجر منازل التركي ، وهو ابن الخيزران .

وقصر عبوديه مما يلي براثا (٢) نسب الى رجل من الأزد يقال له عبدويه وكان من وجوه أهل الدولة .

قالوا : وأقطع المنصور ببغداد سليمان بن مجالد ومجالد سروي مولى لعلي بن عبد الله موضع داره ، وأقطع مهلهل بن صفوان قطيعة بالمدينة وإليه ينسب درب مهلهل ، وكان صفوان مولى علي بن عبد الله ، وكان اسم مهلهل يحيى فاستنشده محمد بن علي شعراً فأنشده :

أليلتنا بذي حُشم أنيري

وهي لمهلهل فسماه مهلهلا،ومحمد أعتقه وأقطع المنصور عمارة بن حمزة الناحية المعروفة به خلف مربعة شبيب بن واج،وأقطع ميمون أبا بشر بن ميمون قطيعة عند بستان القس ناحية باب الشام،وطاقات بشر تنسب الى بشر بن ميمون هذا ، وكان ميمون مولى علي بن عبد الله،وأقطع شبيلا مولاه قطيعة عند دار يقطين ،

---

(١) مدينة بخراسان بين سرخس ونسا . معجم البلدان .

(٢) كانت براثا في طرف بغداد في قبلة الكرخ . معجم البلدان .

وهناك مسجد يعرف بشبيل ، وأقطع أم عبيدة وهي حاضنة لهم ومولاة لمحمد ابن علي قطيمة ، وإليها تنسب طاقات أم عبيدة بقرب الجسر ، وأقطع منيرة مولاة محمد بن علي وإليها ينسب درب منيرة ، وخان منيرة في الجانب الشرقي ، وأقطع ريشانة موضعاً يعرف بمسجد بني رغبان، مولى حبيب بن مسلمة الفهري يدخل في قصر عيسى بن جعفر أو جعفر بن جعفر بن المنصور، ودرب مهرويه في الجانب الشرقي نسب الى مهرويه الرازي ، وكان من سبي سنفاذ فأعتقه المهدي ، ولم يزل المنصور رحمه الله بمدينة السلام الى آخر سني خلافته ، ثم حج منها وتوفي بمكة، ونزلها بعده المهدي أمير المؤمنين،ثم شخص منها الى ما سبذان فتوفي بها (١) ، وكان أكثر نزوله من مدينة السلام بعيساباذ في أبنية بناها هناك، ثم نزلها الهادي موسى بن المهدي فتوفي بها ، ونزلها الرشيد هارون بن المهدي ثم شخص عنها الى الرافقة (٢) فأقام بها وسار منها الى خراسان فتوفي في بطوس (٣) ، ونزلها محمد بن الرشيد فقتل بها ، وقدمها المأمون عبد الله ابن الرشيد من خراسان فأقام بها ، ثم شخص عنها غازياً فمات بالفذندون ودفن بطرسوس .

ونزلها أمير المؤمنين المعتصم بالله ثم شخص عنها الى القاطول فنزل قصر الرشيد كان ابتناه حين حفر قاطوله الذي دعاه أبا الجند لقيام ما يسقى من الأرضين بأرزاق جنده،ثم بنى بالقاطول بناء نزله ودفع ذلك القصر إلى اشناس التركي مولاه وهم بتمصير ما هناك وابتدأ بناء مدينة تركها، ثم رأى تمصير سر من رأى فمصرها ونقل الناس إليها وأقام بها ، وبنى مسجداً جامعاً في طرف

(١) دفن في قرية الرذ من ماسبذان . معجم البلدان .

(٢) إلى جانب مدينة الرقة على الفرات في سورية .

(٣) هي مدينة مشهد الحالية بإيران ، هذا ونقل رفاته الى بغداد في السنوات الأخيرة الماضية .

الأسواق وسماها سر من رأى ، وأنزل اشناس مولاه فيمن ضم إليـه من القواد كرخ فيروز ، وأنزل بعض قواده الدور المعروفة بالعرباني، وتوفي رحمه الله بسر من رأى في سنة سبع وعشرين ومائتين، وأقام هارون الواثق بالله بسر من رأى في بناء بناه وسماه الهاروني حتى توفي به .

ثم استخلف أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله رحمه الله في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فأقام بالهاروني وبنى بناء كثيراً، وأقطع الناس في ظهر سر من رأى بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع، فاتسعوا بها، وبنى مسجداً جامعاً كبيراً ، وأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارتـــه لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر إليها من فراسخ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول، ثم أنه أحدث مدينة سماها المتوكلية وعمرها وأقام بها ، وأقطع الناس فيهـــا القطائع وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى ، فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً وكان من ابتدائه إياها الى أن نزلها أشهر، ونزلها في أول سنة ست وأربعين ومائتين ، ثم توفي بها رحمه الله في شوال سنة سبع وأربعين واستخلف في هـــذه الليلة المنتصر بالله فانتقل عنهـــا الى سر من رأى يوم الثلاثاء لعشر خلون مـــن شوال ومات بها .

قالوا : كانت عيون الطف مثل عين الصيد ، والقطقطانة ، والرهيمة، وعين جمل وذواتها للموكلين بالمسالـح التي وراء السواد ، وهي : عيون خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب الموكلين بمسالح الخندق وغيرهم ، وذلك أن سابور أقطعهم أرضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم لها خراجاً ، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه ﷺ غلبت العرب على طائفة من تلك العيون ، وبقي في أيدي الأعاجم بعضها ، ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد أن طمت عامة ما في أيديهم منها ، وبقي الذي في أيدي العرب فأسلموا عليـــه ، وصار ما عمروه من الأرضين عشرياً .

ولما مضى أمر القادسية والمدائن دفع ما جلا عنه أهله من أراضي تلك العيون الى المسلمين فأقطعوه، فصارت عشرية أيضاً، وكــذلك مجرى عيون الطف وأرضيها مجرى أعراض المدينة وقرى نجد وكل صدقتها الى عمال المدينة، فلما ولي اسحاق بن ابراهيم بن مصعب السواد المتوكل على الله ضمها الى ما في يده، فتولى عمالة عشرها وصيرها سواديه، وهي على ذلك الى اليوم، وقد استخرج عيون اسلامية مجرى ما سقت عيونها من الأرضين هذا المجرى [١].

وحدثني بعض المشايخ: أن جملاً مات عند عين الجمل فنسبت إليه، وقال بعض أهل واسط أن المستخرج لها كان يسمى جملاً، قالوا: وسميت العين عين الصيد لأن السمك يجتمع فيها.

وأخبرني بعض الكريزين: أن عين الصيد [٢] كانت مما طم، فبينا رجل من المسلمين يتجول فيما هناك إذ ساخت قوائم فرسه فيها، فنزل عنه فحفر فظهر له الماء، فجمع قوماً عاونوه على كشف التراب والطين عنها وتنقيتهـا حتى عادت الى ما كانت عليه، ثم إنها صارت بعد الى عيسى بن علي، وكان عيسى ابتاعهـا من ولد حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكانت عنده منهم أم كلثوم بنت حسن بن حسن، وكان معاوية أقطع الحسن بن علي عين صيد هــذه عوضاً من الخلافة مع غيرها.

وكانت عين الرحبة مما طم قديماً فرآها رجل من حجاج أهل كرمان، وهي تبض، فلما انصرف من حجه أتى عيسى بن موسى متنصحاً فدله عليها، فاستقطعها وأرضها واستخرجها له الكرماني فاعتمل ما عليها من الأرضين، وغرس النخل الذي في طريق العذيب.

---

(١) انظر مادة الطف في معجم البلدان، وهي المنطقة التي استشهد فيهـا الحسين بن علي.

(٢) بين واسط العراق وخفان بالسواد وقيل هي في سواد الكوفــة. معجم البلدان.

وعلى فراسخ من هيت عيون تدعى العرق ، تجري هذا المجرى اعشارهـــا الى صاحب هيت .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : لما رأت العرب كثرة القرى والنخل والشجر ، قالوا : ما رأينا سواداً أكثر ، والسواد الشجر ، فلذلك سمي السواد سواداً (١) .

وحدثني القاسم بن سلام ، قال : حدثنا محمد بن عبيد عن محمد بن أبي موسى قال : خرج علي الى السوق فرأى أهله قد حازوا أمكنتهم ، فقال : ليس ذلك لهم ان سوق المسلمين كمصلام من سبق الى موضع فهو له يومه حتى يدعه .

حدثني أبو عبيد ، قال : حدثني مروان بن معاويـــة عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيـــه ، قال : كنا نغدو الى السوق في زمن المغيرة بن شعبة فمن قعد في موضع كان أحق به الى الليل ، فلما كان زياد قال : من قعد في موضع كان أحق به ما دام فيه .

قال مروان : وولي المغيرة الكوفة مرتين : لعمر مرة ، ومرة لمعاوية .

(١) سماه العرب سواد لخضرته بالزروع والأشجار ، وحدّ السواد مـــن مدينة الموصل طولاً الى عبـــادان ومن العذيب بالقادسية الى حلوان عرضاً . معجم البلدان .

نقل ديوان الفارسية

وحدثني المدائني علي بن محمد بن أبي سيف عن أشياخه ، قالوا : لم يزل ديوان خراج السواد وسائر العراق بالفارسية ، فلما ولي الحجاج العراق استكتب زادان فروخ بن بيري ، وكان معه صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم يخط بين يديه بالعربية والفارسية ، وكان أبو صالح من سبي سجستان[1] فوصل زادان فروخ صالحاً بالحجاج وخف على قلبه ، فقال له ذات يوم : إنك سبي الى الأمير وأراه قد استخفني ، ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط ، فقال : لا تظن ذلك هو أحوج إليّ منه إليك لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال : والله لو شئت أن أحول الحساب الى العربية لحولته ، قال: فحول منه شطراً حتى أرى ففعل ، فقال له : تمارض ، فتمارض فبعث إليه الحجاج طبيبه فلم ير به علة ، وبلغ زادان فروخ ذلك فأمره أن يظهر ، ثم إن زادان فروخ قتل أيام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وهو خارج من منزل كان فيه الى منزله أو منزل غيره ، فاستكتب الحجاج صالحاً مكانه فأعلمه الذي كان جرى بينه وبين زادان فروخ في نقل الديوان ، فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية ، وقلد ذلك صالحاً فقال له مردانشاه بن زادان فروخ كيف تصنع بدهوية وششوية ؟ قال: أكتب عشر ونصف عشر ، قال : فكيف تصنع بويد ، قال : اكتبه أيضاً والويد النيف والزيادة تزاد ، فقال: قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية ، وبذلت له مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك فأبى ونقله ، فكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب .

وحدثني عمر بن شبة قال : حدثني أبو عاصم النبيل ، قال: أنبأنا سهل بن أبي الصلت ، قال: أجل الحجاج صالح بن عبد الرحمن أجلاً حتى قلب الديوان .

(١) أي أفغانستان الحالية .

فتوح الجبال ــ حلوان

قالوا : لما فرغ المسلمون من أمر جلولاء الوقيعة ضم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الى جرير بن عبدالله البجلي خيلا كثيفة ورتبه بجلولاء ليكون بين المسلمين وبين عدوهم ، ثم إن سعداً وجه إليهم زهاء ثلاثة آلاف من المسلمين وأمره أن ينهض بهم وبمن معه الى حلوان ، فلما كان بالقرب منها هرب يزدجرد الى ناحية أصبهان ففتح جرير حلوان صلحاً على أن كف عنهم وأمنهم على دمائهم وأموالهم وجعل لمن أحب منهم الهرب أن لا يعرض لهم ، ثم خلف بحلوان جريراً مع عزرة بن قيس بن غزية البجلي ، ومضى نحو الدينور فلم يفتحها وفتح قرماسين على مثل ما فتح عليه حلوان ، وقدم حلوان فأقام بها والياً عليها الى أن قدم عمار ابن ياسر الكوفة فكتب إليه يعلمه أن عمر بن الخطاب أمره أن يمد به أبا موسى الأشعري فخلف جرير عزرة بن قيس على حلوان ، وسار حتى أتى أبا موسى الأشعري في سنة تسع عشرة .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن نجاد عن عائشة بنت سعد ابن أبي وقاص قالت : لما قتل معاوية حجر بن عدي الكندي (١) ، قال أبي : لو رأى معاوية ما كان من حجوم عين قنطرة حلوان لعرف ان له غناء عظيماً عن الاسلام ، قال الواقدي : وقد نزل حلوان قوم من ولد جرير بن عبد الله فأعقابهم بها .

---

(١) أرسله زياد بن أبيه الى الشام فقتله معاوية بمرج عذراء مع عدد من أصحابه ، وقبره قائم حيث قتل عليه قبة معروفة .

فتح نهاوند

قالوا: لما هرب يزدجرد من حلوان في سنة تسع عشرة تكاتبت الفرس وأهل الري وقومس وأصبهان وهمذان والماهين ، وتجمعوا الى يزدجرد وذلك في سنة عشرين فأمر عليهم مردانشاه ذا الحاجب ، وأخرجوا رايتهم الدرفشكابيان ، وكانت عدة المشركين يومئذ ستين ألفاً ويقال مائة ألف .

وقد كان عمار بن ياسر كتب الى عمر بن الخطاب بخبرهم ، فهم أن يغزوهم بنفسه ، ثم خاف أن ينتشر أمر العرب بنجد وغيرها ، وأشير عليه بأن يغزي أهل الشام من شامهم وأهل اليمن من يمنهم فخاف ان فعل ذلك ان تعود الروم الى أوطانها وتغلب الحبشة على ما يليها ، فكتب الى أهل الكوفة يأمرهم أن يسير ثلثاهم ، ويبقى ثلثهم لحفظ بلدهم وديارهم ، وبعث من أهل البصرة بعثاً ، وقال : لاستعملن رجلاً يكون لأول ما يلقاه من الأسنة ، فكتب الى النعمان بن عمرو بن مُقَرّن المزني — وكان مع السائب بن الأقرع الثقفي — بتوليته الجيش ، وقال : إن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان ، فإن أصيب فجرير بن عبد الله البجلي ، فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة ، فإن أصيب فالأشعث بن قيس ، وكان النعمان عاملاً على كسكر وناحيتها ، ويقال بل كان بالمدينة فولاه عمر أمر هذا الجيش مشافهة فشخص منها .

وحدثني شيبان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن علقمة بن عبد الله عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فسأل: ما ترى أنبدأ بأصبهان ، أو باذربيجان ؟ فقال الهرمزان : أصبهان الرأس وأذربيجان الجناحان ، فان قطعت الرأس سقط الجناحان والرأس .

قال : فدخل عمر المسجد فبصر النعمان بن مقرن فقعد الى جنبه ، فلما قضى

صلاته قال : أما أني سأستعملك ؟ فقال النعمان : أما جابياً فلا ، ولكن غازياً، قال : فأنت غاز ، فأرسله ، وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه فأمدوه وفيهم المغيرة بن شعبة ، فبعث النعمان المغيرة الى ذي الحاجبين عظيم العجم بنهاوند فجعل يشق بسطه برمحه حتى قام بين يديه ثم قعد على سريره ، فأمر به فسحب، فقال : إني رسول : ثم التقى المسلمون والمشركون فسلسلوا كل عشرة في سلسلة ، وكل خمسة في سلسلة لئلا يفروا ، قال : فرمونا حتى جرحوا منا جماعة وذلك قبل القتال .

وقال النعمان : شهدت النبي ﷺ ، فكان إذا لم يقاتل في أول النهار انتظر زوال الشمس،وهبوب الرياح ونزول النصر،ثم قال: إني هاز لوائي ثلاث هزات، فأما أول هزة فليتوضأ الرجل بعدها وليقض حاجته ، وأما الهزة الثانية فلينظر الرجل بعدها الى سيفه أو قال : شسعه [١] وليتهيأ وليصلح من شأنه ، وأما الثالثة فإذا كانت إن شاء الله فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد ، فهز لواءه ففعلوا ما أمرهم ، وثقل درعه عليه فقاتل وقاتل الناس ، فكان رحمه الله أول قتيل .

قال : وسقط الفارسي[٢] عن بغلته فانشق بطنه، قال : فأتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه من أداوة ماء كانت معي، فقال : من أنت ؟ قلت: معقل ، قال : ما صنع المسلمون ؟ قلت : أبشر بفتح الله ونصره ، قال : الحمد لله اكتبوا الى عمر .

حدثني شيبان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثني علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النهدي ، قال : أنا ذهبت بالبشارة الى عمر فقال : ما فعل النعمان ؟ قلت : قتل ، قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم بكى فقلت : قتل والله في آخرين لا أعلمهم ، قال : ولكن الله يعلمهم .

---

(١) الشسع : النعل .

(٢) ذو الحاجب .

وحدثني أحمد بن ابراهيم ، قال : حدثنا أبو أسامة وأبو عامر العقدي وسلم ابن قتيبة جميعاً عن شعبة عن علي بن زيـــد عن أبي عثمان النهدي ، قال : رأيت عمر بن الخطاب لما جاءه نعي النعمان بن مقرن وضع يـــده على رأسه وجعل يبكي .

وحدثنا القاسم بن سلام، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن النهاس ابن فهم عن القاسم بن عوف عن أبيــه عن السائب بن الأقرع – أو عن عمر بن السائب عن أبيه ، شك الأنصاري – قال: زحف الى المسلمين زحف لم ير مثله، فذكر حديث عمر فيما هم به من الغزو بنفسه وتوليته النعمان بن مقرن ، وأنــه بعث إليه بكتابه مع السائب وولى السائب الغنائم ، وقال : لا ترفعن باطلا ، ولا تحبسن حقاً ثم ذكر الوقعة .

قال : فكان النعمان أول مقتول يوم نهاوند، ثم أخذ حذيفة الراية ففتح الله عليهم . قال السائب : فجمعت تلك الغنائم ثم قسمتهــا ، ثم أتاني ذو العوينتين فقال : إن كنز النخيرجان في القلعة ، قال: فصعدتها فإذا أنا بسفطين فيهما جوهر لم أر مثله قط، قال : فأقبلت الى عمر،وقد راث عنه الخبر وهو يتطوف المدينة ويسأل ، فلما رآني قال : ويلك مـــا وراءك ؟ فحدثته بحديث الوقعة ، ومقتل النعمان وذكرت له شأن السفطين فقـــال : اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين ، فأقبلت بهما الى الكوفة فأتاني شاب من قريش يقال له عمرو بن حريث فاشتراهما بأعطية الذرية والمقاتلة،ثم انطلق بأحدهما الى الحيرة فباعه بما اشتراهما به مني وفضل الآخر ، فكان ذلك أول لهوة مال اتخذه .

وقال بعض أهل السيرة : اقتتلوا بنهاونـــد يوم الأربعاء ويوم الخميس ثم تحاجزوا ، ثم اقتتلوا يوم الجمعـــة ، وذكر من حديث الوقعة نحـــو حديث حماد بن سلمة .

وقال ابن الكلبي عن أبي مخنف : أن النعمان بن مقرن نزل الاسبيذهار ، وجعـــل على ميمنته الأشعث بن قيس ، وعلى الميسرة المغـيرة بن شعبـــة ،

فاقتتلوا فقتل النعمان ، ثم ظفر المسلمون فسمي ذلك الفتح فتح الفتوح .

قال : وكان فتح نهاوند في سنة تسع عشرة يوم الأربعاء ، ويقال في سنة عشرين .

وحدثنا الرفاعي قال: حدثنا العبقري عن أبي بكر الهذلي عن الحسن ومحمد قالا : كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين .

وحدثني الرفاعي ، قال : حدثنا العبقري عن أبي معشر عن محمد بن كعب مثله، قالوا : ولما هزم جيش الأعاجم وظهر المسلمون وحذيفة يومئذ على الناس حاصر نهاوند فكان أهلها يخرجون فيقاتلون وهزمهم المسلمون ، ثم إن سماك ابن عبيد العبسي اتبع رجلا منهم ذات يوم ومعه ثمانية فوارس فجعل لا يبرز إليه رجل منهم إلا قتله حتى لم يبق غير الرجل وحده ، فاستسلم وألقى سلاحه فأخذه أسيراً ، فتكلم بالفارسية فدعا له سماك برجل يفهم كلامه فترجمه فإذا هو يقول : أذهب الى أميركم حتى أصالحه عن هذه الأرض ، وأؤدي إليه الجزية وأعطيك على أسرك إياي ما شئت ، فإنك قد مننت علي إذ لم تقتلني، فقال له: وما اسمك ؟ قال : دينار فانطلق به الى حذيفة فصالحه على الخراج والجزية وآمن أهل مدينته نهاوند على أموالهم وحيطانهم ومنازلهم فسميت نهاوند ماه دينار ، وكان دينار يأتي بعد ذلك سماكاً ويهدي إليه ويبره [1] .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن المبارك بن سعيد عن أبيه قال : وكانت نهاوند من فتوح أهل الكوفة ، والدينور من فتوح أهل البصرة، فلما كثر المسلمون بالكوفة احتاجوا الى أن يزدادوا في النواحي التي كان خراجها مقسوماً فيهم فصيرت لهم الدينور ، وعوض أهل البصرة نهاوند لأنها من أصبهان فصار فضل مابين خراج الدينور ونهاوند لأهل الكوفة فسميت نهاوند ماه البصرة والدينور ماه الكوفة وذلك في خلافة معاوية [2] .

---

(١) انظر ماسلف في مغازي ابن حبيش : ٧٠٣ — ٧٢٩ .

(٢) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٥٢ — ٧٥٤ .

وحدثني جماعة من أهل العلم أن حذيفة بن اليان وهو حذيفة بن حسيل بن جابر العبسي ، حليف بني عبد الأشهل من الأنصار ، وأمه الرباب بنت كعب ابن عدي من عبد الأشهل ، وكان أبو حذيفة قتل يوم أحد قتله عبد الله بن مسعود الهذلي خطأ وهو يحسبه كافراً ، فأمر رسول الله ﷺ بإخراج ديته ، فوهبه حذيفة للمسلمين ، وكان الواقدي يقول: سمي حسيل اليان ، لأنه كان يتجر الى اليمن فإذا أتى المدينة قالوا : قد جاء اليماني .

وقال الكلبي : هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة ، وجروة هو اليان نسب إليه حذيفة وبينهما آباء ، وكان قد أصاب في الجاهلية دما وهرب الى المدينة وحالف بني عبد الأشهل ، فقال قومه : هو يمان لأنه حالف اليمانية .

الدينور وماسبذان ومهرجان قَذَق

قالوا : انصرف أبو موسى الأشعري من نهاوند وقد كان سار بنفسه إليها على بعث أهل البصرة ممداً للنعمان بن مقرن ، فمر بالدينور فأقام عليها خمسة أيام قوتل منها يوماً واحداً ، ثم إن أهلها أقروا بالجزية والخراج ، وسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم فأجابهم الى ذلك وخلف بها عامله في خيل ، ثم مضى الى ماسبذان فلم يقاتله أهلها وصالحه أهل السيروان على مثل صلح الدينور وعلى أن يؤدوا الجزية والخراج ، وبث السرايا فيهم فغلب على أرضها .

وقوم يقولون : إن أبا موسى فتح ماسبذان قبل وقعة نهاوند ، وبعث أبو موسى عبد الله بن قيس الاشعري السائب بن الاقرع الثقفي ، وهو صهره على ابنته ، وهي أم محمد بن السائب الى الصيمرة مدينة مهرجانقذف ففتحها صلحاً على حقن الدماء وترك السباء والصفح عن الصفراء والبيضاء ، وعلى أداء الجزية وخراج الارض وفتح جميع كور مهرجانقذق .

وأثبت الخبر أنه وجه السائب من الاهواز ففتحها [١] .

حدثني محمد بن عقبة بن مصرم الضبي عن أبيه عن سيف بن عمر التميمي عن أشياخ من أهل الكوفة أن المسلمين لما غزوا الجبال فمروا بالقلة [٢] الشرقية التي تدعى سن سميرة ، وسميرة امرأة من ضبة من بني معاوية بن كعب بن ثعلبة بن ضبة من المهاجرات ، وكانت لها سن فسمي ذلك سن سميرة .

قال ابن هشام الكلبي: وقناطر النعمان نسبت الى النعمان بن عمرو بن مقرن المزني عسكر عندها وهي قديمة [٣] .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة قال : كان كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة الحارثي عثمانياً يقع في علي بن أبي طالب ، ويثبط الناس عن الحسين ومات قبيل خروج المختار بن أبي عبيد ، أو في أول أيامه ، وله يقول المختار بن أبي عبيد في سجعه : أما ورب السحاب ، شديد العقاب ، سريع الحساب ، منزل الكتاب ، لأنبشن قبر كثير بن شهاب ، المفتري الكذاب .

وكان معاوية ولاه الري ودستبي حيناً من قبله ومن قبل زياد والمغيرة بن شعبة عامليه، ثم غلب عليه فحبسه بدمشق وضربه حتى شخص شريح بن هانىء المرادي إليه في أمره فتخلصه .

وكان يزيد بن معاوية قد حمد مشايعته واتباعه لهواه فكتب الى عبيد الله ابن زياد في توليته ماسبذان ومهرجانقذق ، وحلوان والماهين ، وأقطعه ضياعاً بالجبل فبنى قصره المعروف بقصر كثير ، وهو من عمل الدينور، وكان زهرة بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير بن شهاب اتخذ بماسبذان ضياعا .

---

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٥٤ — ٧٥٦ .

(٢) القلة : الذروة .

(٣) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٣٤ — ٧٣٥ .

حدثني بعض ولد خشرم بن مالك بن هبيرة الأسدي أن أول نزول الخشارمة ماسبذان كان في آخر أيام بني أمية نزع إليها جدهم من الكوفة .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : كان زياد في سفر فانقطع سفشق قبائه فأخرج كثير بن شهاب إبرة كانت مغروزة في قلنسوته وخيطاً كان معه فأصلح السفشق ، فقال له زياد : أنت حازم وما مثلك يعطل فولاه بعض الجبل .

فتح همذان

قالوا : وجه المغيرة بن شعبة وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر جرير بن عبد الله البجلي الى همذان ، وذلك في سنة ثلاث وعشرين ، فقاتله أهلها ودفع دونها فأصيبت عينه بسهم ، فقال : احتسبتها عندالله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله ، ثم انه فتح همذان على مثل صلح نهاوند وكان ذلك في آخر سنة ثلاث وعشرين ، فقاتله أهلها ودفع عنها وغلب على أرضها فأخذها قسراً .

وقال الواقدي : فتح جرير نهاوند في سنة أربع وعشرين بعد ستة أشهر من وفاة عمر بن الخطاب رحمه الله ، وقد روى بعضهم أن المغيرة بن شعبة سار الى همذان وعلى مقدمته جرير فافتتحها وأن المغيرة ضم همذان الى كثير بن شهاب الحارثي .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده ، وعوانة بن الحكم ، أن سعد ابن أبي وقاص لما ولي الكوفة لعثمان بن عفان ، ولّى العلاء بن وهب بن عبد بن وهبان أحد بني عامر بن لؤي ماه وهمذان ، فغدر أهل همذان ، ونقضوا فقاتلهم ، ثم إنهم نزلوا على حكمه فصالحهم على أن يؤدوا خراج أرضهم وجزية الرؤوس ويعطوه مائة ألف درهم للمسلمين ، ثم لا يعرض لهم في مال ولا حرمة ولا ولد .

وقال ابن الكلبي : ونسبت القلعة التي تعرف بماذران الى السرى بن نسير ابن ثور العجلي وهو كان أناخ عليها حتى فتحها .

وحدثني زياد بن عبد الرحمن البلخي عن أشياخ من أهل سيسر (١) ، قال سميت سيسر لأنها في الخفاض من الارض بين رؤوس أكام ثلاثين فقيل ثلاثون رأساً ، وكانت سيسر تدعى سيسر صدخانية أي ثلاثون رأساً ومائة عين ، وبها عيون كثيرة تكون مائة عين .

قالوا : ولم تزل سيسر وما والاها مراعي لمواشي الأكراد وغيرهم ، وكانت مروج لدواب المهدي أمير المؤمنين وأغنامه ، وعليها مولى له يقال له سليمان بن قيراط ، صاحب صحراء قيراط بمدينة السلام ، وشريك معه يقال له سلام الطيفوري ، وكان طيفور مولى أبي جعفر المنصور وهبه للمهدي ، فلما كثر الصعاليك والذعار وانتشروا بالجبل في خلافة المهدي أمير المؤمنين جعلوا هذه الناحية ملجأ لهم وحوزا ، فكانوا يقطعون ويأوون إليها ولا يطلبون لأنها حد همذان والدينور وأذربيجان ، فكتب سليمان بن قيراط وشريكه الى المهدي بخبرهم ، وشكيا عرضهم لما في أيديهم من الدواب والأغنام ، فوجه إليهم جيشاً عظيماً ، وكتب الى سليمان وسلام يأمرهما ببناء مدينة يأويان إليها وأعوانهما ورعاتهما ، ويحصنان فيها الدواب والأغنام ممن خافاه عليها ، فبنيا مدينة سيسر وحصناها وأسكناها الناس ، وضم إليها رستاق ماينهرج من الدينور ، ورستاق الجوذمة من أذربيجان من كورة برزة ورسطف وخاينجر فكورت بهذه الرساتيق ، ووليها عامل مفرد وكان خراجها يؤدى إليه ، ثم إن الصعاليك كثروا في خلافة أمير المؤمنين الرشيد وشعثوا سيسر ، فأمر بمرمتها وتحصينها ، ورتب فيها ألف رجل من أصحاب خاقان الخادم السغدي ، ففيها قوم من أولادهم .

ثم لما كان في آخر أيام الرشيد وجه مرة بن أبي مرة الرديني العجلي على سيسر ،

(١) هي بين همذان وأذربيجان . معجم البلدان .

فحاول عثمان الأودي مغالبته عليها فلم يقدر على ذلك وغلبه على ما كان في يده من أذربيجان أو أكثر ، ولم يزل مرة بن الرديني يؤدي الخراج عن سيسر في أيام محمد الرشيد على مقاطعة قاطعه عليها الى أن وقعت الفتنة [١] ثم إنها أخذت من عاصم بن مرة فأخرجت من يده في خلافة المأمون فرجعت الى ضياع الخلافة .

وحدثني مشايخ من أهل المفازة ، وهي متاخمة لسيسر أن الجرشي لما ولي الجبل جلا أهل المفازة عنها فرفضوها ، وكان للجرشي قائد يقال له همام بن هانيء العبدي فالجأ إليه أكثر أهل المفازة ضياعهم وغلب على مافيها ، فكان يؤدي حق بيت المال فيها حتى توفي وضعف ولده عن القيام بها ، فلما أقبل المأمون أمير المؤمنين من خراسان بعد قتل محمد بن زبيدة يريد مدينة السلام اعترضه بعض ولد همام ، ورجل من أهلها يقال له محمد بن العباس وأخبرا بقصتها ورضاء جميع أهلها أن يعطوه رقبتها ، ويكونوا مزارعين له فيها على أن يغزوا ويمنعوا من الصعاليك وغيرهم ، فقبلها وأمر بتقويتهم ومعونتهم على عمارتها ومصلحتها ، فصارت من ضياع الخلافة .

وحدثني المدائني أن ليلى الأخيلية [٢] أتت الحجاج فوصلها ، وسألته أن يكتب لها الى عامله بالري ، فلما صارت بساوة ماتت فدفنت هناك .

قم وقاشان وأصبهان

قالوا : لما انصرف أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من نهاوند سار الى الأهواز فاستقرأها ، ثم أتى « قم » وأقام عليها أياماً ثم افتتحها، ووجه

---

(١) بين الأمين والمأمون – انظر مادة « سيسر » في معجم البلدان حيث التفاصيل نفسها .

(١) شاعرة لها أخبار في كتب الأدب لا سيا مع الحجاج .

الأحنف بن قيس ، واسمه الضحاك بن قيس التميمي الى « قاشان » ففتحهـا عنوة ثم لحق به .

ووجه عمر بن الخطاب عبدالله بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعي الى «أصبهان» سنة ثلاث وعشرين، ويقال : بل كتب عمر الى أبي موسى الأشعري يأمره بتوجيهه في جيش الى أصبهان فوجهه ففتح عبد الله بن بديل « جي »[١] صلحاً بعد قتال، على أن يؤدي أهلها الخراج والجزية وعلى أن يؤمنوا على أنفسهم وأموالهم خلا مافي أيديهم من السلاح ، ووجه عبد الله بن بـديل : الأحنف بن قيس وكان في جيشه الى اليهودية [٢] فصالحه أهلها على مثل ذلك الصلح وغلب ابن بديل على أرض أصبهان وطساسيجها ، وكان العامل عليها الى أن مضت من خلافة عثمان سنة ، ثم ولاها عثمان السائب بن الأقرع .

وحدثني محمد بن سعد مولى بني هاشم ، قال : حدثنا موسى بن اسماعيل عن سليمان بن مسلم عن خاله بشير بن أبي أميـة أن الاشعري نزل بأصبهان فعرض عليهم الاسلام فأبوا ، فعرض عليهم الجزية فصالحوه عليهـا ، فباتوا على صلح ، ثم أصبحوا على غدر فقاتلهم وأظهره الله عليهم ، قال محمـد بن سعد : أحسبه عن أهل قم .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني الهيثم بن جميل عن حماد بن سلمة عن محمد بن اسحاق ، قال: وجه عمر ابن بديل الخزاعي الى أصبهان، وكان مرزبانها مسناً يسمى الفادوسفان ، فحاصره وكاتب أهل المدينة فخذلهم عنه ، فلما رأى الشيخ إلتياث الناس عليه اختار ثلاثين رجلاً من الرماة يثق ببأسهم وطاعتهم، ثم خرج من المدينة هارباً يريد كرمان ليتبع يزدجرد، ويلحق به، فانتهى خبره

---

(١) اسم مدينة ناحية أصبهان ، اسمهـا عند المحدثين « المدينة » وفي أيام ياقوت شهرستان .معجم البلدان .

(٢) هي أصبهان القديمة بينها وبين جي نحو ميلين . معجم البلدان .

الى عبد الله بن بديل فاتبعه في خيل كثيفة فالتفت الاعجمي إليه وقد علا شرفاً فقال : اتق على نفسك فليس يسقط لمن ترى سهم ، فإن حملت رميناك وإن شئت ان تبارزنا بارزناك ، فبارز الاعجمي فضربه ضربة وقعت على قربوص سرجه فكسرته وقطعت اللبب ، ثم قال له : يا هذا ما أحب قتلك فإني أراك عاقلاً شجاعاً فهل لك في أن أرجع معك فأصالحك على أداء الجزية عن أهل بلدي ، فمن أقام كان ذمة ، ومن هرب لم تعرض له ، وأدفع المدينة إليك ، فرجع ابن بديل معه ففتح جي ووفى بما أعطاه، وقال : يا أهل أصبهان رأيتكم لئاماً متخاذلين فكنتم أهلاً لما فعلت بكم .

قالوا : وسار ابن بديل في نواحي أصبهان سهلها وجبلها فغلب عليها ، وعاملهم في الخراج نحو ما عاملهم عليه أهل الاهواز .

قالوا : وكان فتح أصبهان وأرضها في بعض سنة ثلاث وعشرين ، أو أربع وعشرين .

وقد روي أن عمر بن الخطاب وجه عبد الله بن بديل في جيش فوافى أبا موسى وقد فتح «قم»و«قاشان» فغزوا جميعاً «أصبهان» وعلى مقدمة أبي موسى الاشعري الأحنف بن قيس ، ففتحا اليهودية جميعاً على ماوصفنا ، ثم فتح ابن بديل «جي»، وسارا جميعاً في أرض «أصبهان» فغلبا عليها .

وأصح الأخبار أن أبا موسى فتح « قم » و« قاشان » وان عبد الله بن بديل فتح « جي » و « اليهودية » .

وحدثني أبو حسان الزيادي عن رجل من ثقيف قال : كان لعثمان بن أبي العاصي الثقفي مشهد بأصبهان .

وحدثنا محمد بن يحيى التميمي عن أشياخه ، قال : كانت للاشراف من أهل أصبهان معاقل بجفرباد من رستاق التيمرة الكبرى ببهجاورسان ، وبقلعة تعرف بماربين ، فلما فتحت جي دخلوا في الطاعة على أن يؤدوا الخراج وأنفوا من الجزية فأسلموا [١] .

---

(١) من رساتيق أصبهان . معجم البلدان ، وانظر ماتقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٣١ – ٧٣٤ .

وقال الكلبي وأبو اليقظان : ولي الهذيل بن قيس العنبري أصبهان في أيام مروان فمذ ذاك صار العنبريون إليها .

قالوا : وكان جد أبي دلف ، وأبو دلف القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل العجلي يعالج العطر ويجلب الغنم، فقدم الجبل في عدة من أهله فنزلوا قرية من قرى همذان تدعى مس ، ثم انهم أثروا واتخذوا الضياع،ووثب إدريس بن معقل على رجل من التجار كان له عليه مال فخنقه ، ويقال بل خنقه وأخـذ ماله ، فحمل الى الكوفة وحبس بها في ولاية يوسف بن عمر الثقفي العراق زمن هشام بن عبد الملك ، ثم إن عيسى بن إدريس نزل الكرج وغلب عليها وبنى حصنها وكان حصناً رثاً ، وقويت حال أبي دلـف القاسم بن عيسى وعظم شأنه عند السلطان ، فكبر ذلك الحصن ومدّن الكرج فقيل كرج أبي دلف ، والكرج اليوم مصر من الأمصار .

وكان المأمون وجـه علي بن هشام المروزي الى قُم وقد عصى أهلها وخالفوا ومنعوا الخراج وأمره بمحاربتهم وأمده بالجيوش ففعل وقتل رئيسهم، وهو يحيى بن عمران ، وهدم سور مدينتهم وألصقه بالأرض وجباها سبعـة آلاف ألف درهـم وكسرا ، وكان أهلها قبل ذلك يتظلمون من ألفي ألف درهم ، وقد نقضوا في خلافة أبي عبد الله المعتز بالله بن المتوكل على الله ، فوجه إليهم موسى بن بغا عامله على الجبل لمحاربـة الطالبيين الذين ظهروا بطبرستان ، ففتحت عنوة ، وقتل من أهلها خلق كثير ، وكتب المعتز بالله في حمل جماعة من وجوهها [١] .

---

(١) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٥٢ — ٣٥٤ .

مقتل يزدجرد بن شهريار بن كسرى

أبرويز بن هرمز بن أنو شروان

قالوا : هرب يزدجرد من المدائن إلى حلوان ثم إلى أصبهان ، فلما فرغ المسلمون من أمر نهاوند هرب من أصبهان إلى إصطخر ، فتوجه عبد الله بن بديل بن ورقاء بعد فتح أصبهان لاتباعه فلم يقدر عليه ، ووافى أبو موسى الأشعري اصطخر ، فرام فتحها فلم يمكنه ذلك ، وعاناها عثمان بن أبي العاصي الثقفي فلم يقدر عليها ، وقدم عبد الله بن عامر بن كريز البصرة سنة تسع وعشرين وقد افتتحت فارس كلها إلا إصطخر وجور ، فهمّ يزدجرد بأن يأتي طبرستان وذلك أن مرزبانها عرض عليه وهو بأصبهان أن يأتيها وأخبره بحصانتها،ثم بدا له فهرب إلى كرمان،واتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمي، وهَرِم بن حيان العبدي ، فمضى مجاشع فنزل بيمند من كرمان ، فأصاب الناس الدمق [1] وهلك جيشه فلم ينج إلا القليل فسمي القصر قصر مجاشع ، وانصرف مجاشع إلى ابن عامر ، وكان يزدجرد جلس ذات يوم بكرمان ، فدخل عليه مرزبانها فلم يكلمه تيهاً ، فأمر بجر رجله وقال: ما أنت بأهل لولاية قرية فضلاً عن الملك ولو علم الله فيك خيراً ما صيرك إلى هذه الحال ، فمضى إلى سجستان فأكرمه ملكها وأعظمه ، فلما مضت عليه أيام سأله عن الخراج فتنكر له .

فلما رأى يزدجرد ذلك سار إلى خراسان ، فلما صار إلى حد مرو [2] تلقاه

---

(١) أي الريح والثلج . القاموس .

(٢) كانت مرو حاضرة خراسان وآخر مدن الامبراطورية الساسانية فيها حيث تلاها دول هياطلة خراسان ، وكان الهياطلة من أصل تركي .

ماهويه مرزبانها معظماً مبجلاً وقدم عليه نيزك طرخان ، فحمله وخلع عليه وأكرمه فأقام نيزك عنده شهراً ، ثم شخص وكتب إليه يخطب ابنته فأحفظ ذلك يزدجرد وقال : اكتبوا إليه إنما أنت عبد من عبيدي فما جرأك على أن تخطب إلي ، وأمر بمحاسبة ماهويه مرزبان مرو وسأله عن الأموال، فكتب ماهويه إلى نيزك يحرضه عليه ، ويقول : هذا الذي قدم مفلولاً طريداً فمننت عليه لترد عليه ملكه، فكتب إليك بما كتب ثم تضافرا على قتله ، وأقبل نيزك في الأتراك حتى نزل الجنابذ فحاربوه فتكافأ الترك، ثم عادت الدبرة عليه فقتل أصحابه ونهب عسكره ، فأتى مدينة مرو فلم يفتح له فنزل عن دابته ومشى حتى دخل بيت طحان على المرغاب[1] ، ويقال إن ماهويه بعث إليه رسله حين بلغه خبره فقتلوه في بيت الطحان ، ويقال إنه دس إلى الطحان فأمره بقتله فقتله ، ثم قال : ما ينبغي لقاتل ملك أن يعيش فأمر بالطحان فقتل ، ويقال إن الطحان قدم له طعاماً فأكل ، وأتاه بشراب فشرب فسكر ، فلما كان المساء أخرج تاجه فوضعه على رأسه، فبصر به الطحان فطمع فيه فعمد إلى رحا فألقاها عليه ، فلما قتله أخذ تاجه وثيابه وألقاه في الماء ، ثم عرف ماهويه خبره فقتل الطحان وأهل بيته ، وأخذ التاج والثياب .

ويقال : إن يزدجرد نذر برسل ماهويه فهرب ونزل الماء فطلب من الطحان فقال : قد خرج من بيتي فوجدوه في الماء ، فقال : خلوا عني أعطكم منطقتي وخاتمي وتاجي، فتغيبوا عنه وسألهم شيئاً يأكل به خبزاً فأعطاهم بعضهم أربعة دراهم ، فضحك وقال : لقد قيل لي إنك ستحتاج إلى أربعة دراهم .

ثم إنه هجم عليه بعد ذلك قوم وجههم ماهويه لطلبه فقال : لا تقتلوني واحملوني إلى ملك العرب لأصالحه عني وعنكم فتأمنوا، فأبوا ذلك وخنقوه بوتر،

---

(١) نهر مدينة مرو .

ثم أخذوا ثيابه فجعلت في جراب وألقوا جثته في الماء، ووقع فيروز بن يزدجرد فيما يزعمون إلى الترك فزوجوه وأقام عندهم (١) .

فتح الري وقومس

حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف ، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة، بعد شهرين من وقعة نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري ودستبى في ثمانية آلاف ففعل ، وسار عروة إلى ما هناك فجمعت له الديلم وأمدهم أهل الري فقاتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم واجتاحهم ، ثم خلف حنظلة بن زيد أخاه وقدم على عمار ، فسأله أن يوجهه إلى عمر ، وذلك أنه كان القادم عليه بخبر الجسر (٢) ، فأحب أن يأتيه بما يسره ، فلما رآه عمر قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ، فقال عروة : بل أحمد الله فقد نصرنا وأظهرنا ، وحدثه بحديثه ، فقال : هلا أقمت وأرسلت ؟ قال : قد استخلفت أخي وأحببت أن آتيك بنفسي ، فسماه البشير ، وقال عروة :

برزت لأهل القادسية معلما وما كل من يغشى الكريهة يعلم
ويوماً بأكناف النخيلة قبلها شهدت : فلم أبرح أدمي وأكلم
وأيقنت يوم الديلميين أنني متى ينصرف وجهي إلى القوم يهزموا
محافظة إني امرؤ ذو حفيظة إذا لم أجد مستأخراً أتقدم

المنذر بن حسان بن ضرار أحد بني مالك بن زيد ، شرك في دم مهران يوم النخيلة .

---

(١) انظر ما تقدم من تفاصيل في مغازي ابن حبيش : ٧٥٤ — ٧٦١ .
(٢) جسر أبي عبيد وهزيمة المسلمين .

قالوا: فلما انصرف عروة بعث حذيفة على جيشه سلمة بن عمرو بن ضرار ، الضبي ، ويقال البراء بن عازب ، وقد كانت وقعة عروة كسرت الديلم وأهل الري فأناخ على حصن الفرخان بن الزينبدي ، والعرب تسميه الزينبي ، وكان يدعى عارين فصالحه ابن الزينبي بعد قتال على أن يكونوا ذمة يؤدون الجزية والخراج وأعطاه عن أهل الري وقومس خمسمائة ألف على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ، ولا يهدم لهم بيت نار ، وأن يكونوا أسوة أهل نهاوند في خراجهم ، وصالحه أيضاً عن أهل دستبى الرازي ، وكانت دستبى قسمين : قسماً رازياً ، وقسماً همذانياً .

ووجه سليمان بن عمر الضبي ويقال البراء بن عازب إلى قومس خيلاً فلم يمتنعوا وفتحوا أبواب الدامغان ، ثم لما عزل عمر بن الخطاب عماراً وولى المغيرة بن شعبة الكوفة ، ولى المغيرة بن شعبة كثير بن شهاب الحارثي الري ودستبى ، وكان لكثير أثر جميل يوم القادسية ، فلما صاروا إلى الري وجد أهلها قد نقضوا ، فقاتلهم حتى رجعوا إلى الطاعة ، وأذعنوا بالخراج والجزية وغزا الديلم فأوقع بهم وغزا الببر والطيلسان .

فحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمذاني وغيره أن كثير بن شهاب كان على الري ودستبى وقزوين ، وكان جميلاً حازماً مقعداً فكان يقول ما من مقعد إلا وهو عيال على أهله سواي ، وكان إذا ركب ثابت سويقتيه كالحراثين ، وكان إذا غزا أخذ كل امرىء ممن معه : بترس ، ودرع ، وبيضة ، ومسلة ، وخمس إبر ، وخيوط كتان ، وبمخفف ، ومقراض ، ومخلاة وتليسة ، وكان بخيلاً ، وكانت له جفنة توضع بين يديه فإذا جاءه انسان قال : لا أبالك أكانت لك علينا عين ؟ وقال يوماً : ياغلام أطعمنا ، فقال : ما عندي إلا خبز وبقل ، فقال : وهل اقتتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل ، وولي الري ودستبى أيضاً أيام معاوية حيناً .

قال : ولما ولى سعد بن أبي وقاص الكوفة في مرته الثانيـة أتى الري وكانت ملتاثة فأصلحهـا ، وغزا الديلم وذلك في أول سنة خمس وعشرين ثم انصرف .

وحدثني بكر بن الهيثم عن يحيى بن ضريس قاضي الري ، قال : لم تزل الري بعد أن فتحت أيام حذيفة تنتقض وتفتتح حتى كان آخر من فتحها قرظة ابن كعب الأنصاري في ولاية أبي موسى الكوفة لعثمان فاستقامت، وكان عمالها ينزلون حصن الزنبدي ، ويجمعون في مسجد اتخذ بحضرته ، وقد دخل ذلك في فصيل المحدثة ، وكانوا يغزون الديلم من دستبى .

قال : وقد كان قرظة بعد ولي الكوفة لعلي ومات بهـــا ، فصلى عليه علي رضي الله عنه .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده،قال: ولّى علي يزيد بن حجية ابن عامر بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابـة الري ودستبى ، فكسر الخراج فحبسه فخرج فلحق بمعاوية ، وقد كان أبو موسى غزا الري بنفسه وقد نقض أهلهـا ففتحها على أمرها الأول .

وحدثني جعفر بن محمد الرازي ، قال : قدم أمير المؤمنين المهدي في خلافة المنصور فبنى مدينة الري التي الناس بها اليوم ، وجعل حولها خندقاً وبنى فيها مسجداً جامعاً جرى على يدي عمار بن أبي الخصيب ، وكتب اسمه على حائطه فأرخ بناءها سنة ثمان وخمسين ومائة ، وجعل لها فصيلاً [1] يطيف بـه فارقين آجر ، وسماها المحمدية ، فأهل الري يدعون المدينة: الداخلة،ويسمون الفصيل: المدينة الخارجة ، وحصن الزنبدي في داخل : المحمدية ، وكان المهدي قـد أمر بمرمته ونزله ، وهو مطل على المسجد الجامع ودار الأمارة ، وقـــد كان جعل بعد سجناً .

---

(١) الفصيل سور إضافي يلي السور الرئيسي ويكون أقل ارتفاعاً منه.

قال : وبالري أهل بيت يقال لهم بنو الحريش نزلوا بعد بناء المدينة ، قال : وكانت مدينة الري تدعى في الجاهلية أرازي ، فيقال إنه خسف بها وهي على ست فراسخ من المحمدية ، وبها سميت الري ، قال: وكان المهدي في أول مقدمه الري نزل قرية يقال لها السيروان .

قال وفي قلعة الفرخان يقول الشاعر وهو الغطمش بن الأعور بن عمرو الضبي :

على الجوسق الملعون بالري لاينى على رأسه داعي المنية يلمع

قال بكر بن الهيثم : حدثني يحيى بن ضريس القاضي ، قال : كان الشعبي دخل الري مع قتيبة بن مسلم،فقال له : ما أحب الشراب إليك ؟ فقال : أهونه وجوداً وأعزه فقداً ، قال : ودخل سعيد بن جبير الري أيضاً فلقيه الضحاك فكتب عنه التفسير .

قال: وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي غزا الري أول ما غزيت ، فلما انصرف توفي فدفن فوق روذة وبوسنة بموضع يسمى كرمانشاهان ، وبالري دفن الكسائي النحوي ، واسمه علي بن حمزة ، وكان شخص إليها مع الرشيد رحمه الله وهو يريد خراسان ، وبها مات الحجاج بن أرطاة ، وكان شخص إليها مع المهدي ويكنى أبا أرطاة .

وقال الكلبي : نسب قصر جابر [(١)] بدستبى إلى جابر أحد بني زمان بن تيم الله بن ثعلبة .

قالوا: ولم تزل وظيفة الري اثنى عشر ألف ألف درهم حتى مرّ بها المأمون، منصرفاً من خراسان يريد مدينة السلام فأسقط من وظيفتها ألفي ألف درهم ، وأسجل بذلك لأهلها [(٢)] .

---

(١) بين الري وقزوين : معجم البلدان .

(٢) انظر ما سلف في مغازي ابن حبيش : ٧٣٨ – ٧٤٣ .

فتح قزوين(١) وزنجان(٢)

حدثني عدة من أهل قزوين ، وبكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الري قالوا : وكان حصن قزوين يسمى بالفارسية كشوين، ومعناه الحد المنظور إليه، أي المحفوظ ، وبينه وبين الديلم جبل ، ولم يزل فيه لأهل فارس مقاتلة من الأساورة يرابطون فيه فيدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة ، ويحفظون بلدهم من متلصصيهم وغيرهم إذا جرى بينهم صلح ، وكانت دستبى مقسومة بين الري وهمذان ، فقسم يدعى الرازي ، وقسم يدعى الهمذاني ، فلما ولي المغيرة ابن شعبة الكوفة ولّى جرير بن عبدالله همذان، وولى البراء بن عازب قزوين، وأمره أن يسير إليها فإن فتحها الله على يده غزا الديلم منها ، وإنما كان مغزاهم قبل ذلك من دستبى ، فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر، فقام على حصنها وهو حصن بناه بعض الأعاجم على عيون سدها بجلود البقر والصوف واتخذ عليها دكة ، ثم أنشأ الحصن عليها فقاتلوه ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم على مثل ما آمن عليه حذيفة أهل نهاوند ، وصالحهم على ذلك وغلب على أراضي أبهر (٣) .

ثم غزا أهل حصن قزوين ، فلما بلغهم قصد المسلمين لهم وجهوا إلى الديالمة

---

(١) بين قزوين وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً ، وبينها وبين أبهر اثنا عشر فرسخاً . معجم البلدان .

(٢) بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها ، وهي قريبة من أبهر وقزوين . معجم البلدان .

(٣) أبهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل . معجم البلدان .

يسألونهم نصرتهم ، فوعدوهم أن يفعلوا وحل البراء والمسلمون بعقوتهم،فخرجوا لقتالهم والديلميون وقوف على الجبل لا يمدون إلى المسلمين يداً ، فلما رأوا ذلك طلبوا الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر فأنفوا من الجزية وأظهروا الإسلام فقيل إنهم نزلوا على مثل ما نزل عليه أساورة البصرة من الاسلام على أن يكونوا مع من شاؤوا فنزلوا الكوفة وحالفوا زهرة بن حوية ، فسموا حمراء الديلم ، وقيل : إنهم أسلموا وأقاموا بمكانهم وصارت أرضوهم عشرية ، فرتب البراء معهم خمسمائة رجل من المسلمين معهم طليحة بن خويلد الأسدي وأقطعهم أرضين لا حق فيها لأحد .

قال بكر : وأنشدني رجل من أهل قزوين لجد أبيه وكان مع البراء :

قد علم الديلم إذ تحارب حين أتى في جيشه ابن عازب

بأن ظن المشركين كاذب فكم قطعنا في دجى الغياهب

من جبل وعر ومن سباسب

وغزا الديلم حتى أدوا إليه الأتاوة وغزا جيلان والببر والطيلسان وفتح زنجان عنوة ، ولما ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية الكوفة لعثمان بن عفان غزا الديلم مما يلي قزوين ، وغزا أذربيجان ، وغزا جيلان وموقان والببر والطيلسان [١] ، ثم انصرف ، وولي سعيد بن العاصي بن سعيد ابن العاصي بن أمية بعد الوليد فغزا الديلم ومصر قزوين فكانت ثغر أهل الكوفة وفيها بنيانهم .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي، قال : حدثنا خلف بن تميم ، قال : حدثنا زائدة بن قدامة بن اسماعيل عن مرة الهمذاني ، قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من كره منكم أن يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه وليخرج

---

(١) اقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر . معجم البلدان .

إلى الديلم فليقاتلهم ، قال : كنت في النخبة فأخذنا أعطياتنا وخرجنا إلى الديلم ونحن أربعة آلاف ، أو خمسة آلاف .

وحدثنا عبد الله بن صالح العجلي عن ابن يمان عن سفيان ، قال : أغزى علي رضي الله عنه الربيع بن خثيم الثوري الديلم وعقد له على أربعة آلاف من المسلمين .

وحدثني بعض أهل قزوين ، قال : بقزوين مسجد الربيع بن خثيم معروف وكانت فيه شجرة يتمسح بها العامة ، ويقال إنه غرس سواكه في الأرض فأورق حتى كانت الشجرة منه ، فقطعها عامل طاهر بن عبد الله بن طاهر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله خوفاً من أن يفتتن بها الناس .

قالوا : وكان موسى الهادي لما صار إلى الري أتى قزوين فأمر ببناء مدينة بإزائها ، وهي تعرف بمدينة موسى ، وابتاع أرضاً تدعى رستاباذ ، فوقفها على مصالح المدينة ، وكان عمرو الرومي مولاه يتولاها ، ثم تولاها بعده محمد بن عمرو ، وكان المبارك التركي بنى حصناً يسمى مدينة المبارك ، وبها قوم من مواليه .

وحدثني محمد بن هارون الأصبهاني ، قال : مرّ الرشيد بهمذان ، وهو يريد خراسان واعترضه أهل قزوين فأخبروه بمكانهم من بلاد العدو وغنائهم في مجاهدته ، وسألوه النظر لهم ، وتخفيف ما يلزمهم من عشر غلاتهم في القصبة ، فصير عليهم في كل سنة عشرة آلاف درهم مقاطعة ، وكان القاسم بن أمير المؤمنين الرشيد ولي جرجان وطبرستان وقزوين فألجأ إليه أهل زنجان ضياعهم تعززاً به ، ودفعاً لمكروه الصعاليك وظلم العمال عنهم ، وكتبوا له عليها الأشرية وصاروا مزارعين له ، وهي اليوم من الضياع ، وكان القاقزان [1] عشرياً لأن أهله أسلموا عليه وأحيوه بعد الاسلام فألجأوه إلى القاسم أيضاً على

(١) ثغر من نواحي قزوين تهب فيه ريح شديدة . معجم البلدان .

أن جعلوا له عشراً ثانياً سوى عشر بيت المال ، فصار أيضاً في الضياع .

ولم تزل دستبى على قسميها بعضها من الري وبعضها من همذان إلى أن سعى رجل ممن بقزوين من بني تميم يقال له حنظلة بن خالد، يكنى أبا مالك في أمرها حتى صيرت كلها إلى قزوين ، فسمعه رجل من أهل بلده يقول : كورتها وأنا أبو مالك ، فقال : بل أفسدتها وأنت أبو هالك .

وحدثني المدائني وغيره : أن الأكراد عاثوا وأفسدوا في أيام خروج عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث ، فبعث الحجاج عمرو بن هانىء العبسي في أهل دمشق إليهم ، فأوقع بهم ، وقتل منهم خلقاً ، ثم أمره بغزو الديلم فغزاهم في اثنى عشر ألفاً فيهم من بني عجل ومواليهم من أهل الكوفة ثمانون منهم : محمد ابن سنان العجلي .

فحدثني عوف بن أحمد العبدي قال : حدثني أبو حنش العجلي عن أبيه ، قال : أدركت رجلاً من التميميين العجليين الذين وجههم الحجاج لمرابطة الديلم فحدثني قال : رأيت من موالي بني عجل رجلاً يزعم أنه صليبة ، فقلت : إن أباك كان لا يحسب بنسبه في العجم ولاية في العرب بدلاً ، فمن أين زعمت أنك صليبه ؟ فقال : أخبرتني أمي بذلك ، فقلت : هي مصدقة هي أعلم بأبيك .

قالوا : وكان محمد بن سنان العجلي نزل قرية من قرى دستبى ، ثم صار إلى قزوين فبنى داراً في ربضها فعزله أهل الثغر ، وقالوا : عرضت نفسك للتلف وعرضتنا للوهن إن نالك العدو بسوء ، فلم يلتفت إلى قولهم فأمر ولده وأهل بيته فبنوا معه خارج المدينة ، ثم انتقل الناس بعد فبنوا حتى تم ربض المدينة .

قالوا : وكان أبو دلف القاسم بن عيسى غزا الديلم في خلافة المأمون وهو وال في خلافة المعتصم بالله أيام ولاية الأفشين الجبال ففتح حصوناً منها اقليسم صالح أهله على أتاوة ، ومنها بومج فتحه عنوة ، ثم صالح أهله على أتاوة، ومنها

الايلام ، ومنها أنداق في حصون أخر ، وأغزى الأفشين غير أبي دلف ففتح أيضاً من الديلم حصوناً ، ولما كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين وجه أمير المؤمنين المعتز بالله موسى بن بغا الكبير مولاه إلى الطالبيين الذين ظهروا بالديلم وناحية طبرستان ، وكانت الديالمة قد اشتملت على رجل منهم يعرف بالكوكبي ، فغزا الديلم وأوغل في بلادهم وحاربوه فأوقع بهم وثقلت وطأته عليهم واشتدت نكايته .

وأخبرني رجل من أهل قزوين أن قبور هؤلاء الندماء براوند من عمل أصبهان وأن الشاعر إنما قال :

ألم تعلما أني براوند مفردا [1]

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي ، قال : بلغني أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في جيش الحجاج الذي وجهه إلى الديلم ، فكانوا يتنادمون ثلاثتهم ولا يخالطون غيرهم فانهم على ذلك إذ مات أحدهم فدفنه صاحباه ، وكانا يشربان عند قبره فإذا بلغته الكاس هرقاها على قبره وبكيا ، ثم إن الثاني مات فدفنه الباقي إلى جانبه ، وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ، ثم يصب على القبر الذي يليه ثم على الآخر ويبكي ، فأنشأ ذات يوم يقول :

خليلي هبا طال ما قد رقدتما ... أجدكما ما تقضيان كراكما
ألم تعلما أني بقزوين مفرد ... ومالي فيها من خليل سواكما
مقيماً على قبريكما لست بارحا ... طوال الليالي أو يجيب صداكما
سأبكيكما طول الحياة وما الذي ... يرد علي ذي لوعة إن بكاكما

ثم لم يلبث أن مات فدفن عند صاحبيه فقبورهم تعرف بقبور الندماء .

---

(١) ميز ياقوت بين راوند هذه وهي بليدة قرب قاشان وأصبهان وبين راوند أخرى قرب الموصل ، هي التي ورد ذكرها بالشعر ، وقد أورد ياقوت القصيدة وقصة الندماء وتحدث عن الذين نسب الشعر إليهم .

فتح أذربيجان

حدثنا الحسين بن عمرو الأردبيلي عن واقد الأردبيلي عن مشايخ أدركتهم، أن المغيرة بن شعبة قدم الكوفة والياً من قبل عمر بن الخطاب، ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان، فأنفذه إليه وهو بنهاوند أو بقربها، فسار حتى أتى أردبيل وهي مدينة أذربيجان، وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها، وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان وميمذ والنرير وسراة والشيز والميانج وغيرهم، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً، ثم إن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم، وزن ثمانية على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسبلان وساترودان، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن[١] في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه، ثم إنه غزا موقان وجيلان فأوقع بهم وصالحهم على أتاوة.

قالوا: ثم عزل عمر حذيفة وولى أذربيجان عتبة بن فرقد السلمي فأتاها من الموصل ويقال: بل أتاها من شهرزور على السَّلَق[٢] الذي يعرف اليوم بمعاوية الأودي، فلما دخل أردبيل وجد أهلها على العهد وانتقضت عليه نواح فغزاها فظفر وغنم، وكان معه عمرو بن عتبة الزاهد.

وروى الواقدي في إسناده: أن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان من الكوفة في سنة اثنتين وعشرين حتى انتهى إليها، ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج.

---

(١) الزفن: الرقص.

(٢) جبل عال مشرف على الزاب من أعمال الموصل متصل بأعمال شهرزور. معجم البلدان.

وروى ابن الكلبي عن أبي مخنف : أن المغيرة غزا أذربيجان سنة عشرين ففتحها ، ثم إنهم كفروا فغزاها الأشعث بن قيس الكندي ففتح حصن باجروان وصالحهم على صلح المغيرة ، ومضى صلح الأشعث إلى اليوم .

وكان أبو مخنف لوط بن يحيى يقول : إن عمر ولى سعداً ، ثم عماراً ، ثم المغيرة ، ثم رد سعداً ، وكتب إليه وإلى أمراء الأمصار في قدوم المدينة في السنة التي توفي فيها فلذلك حضر سعد الشورى وأوصى القائم بالخلافة أن يرده إلى عمله .

وقال غيره : توفي عمر والمغيرة واليه على الكوفة ، وأوصى بتولية سعد الكوفة ، وتولية أبي موسى البصرة ، فولاهما عثمان ثم عزلهما .

وحدثني المدائني عن علي بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الزهري قال : لما هزم الله المشركين بنهاوند ، رجع الناس إلى أمصارهم وبقي أهل الكوفة مع حذيفة فغزا أذربيجان فصالحوه على مائة ألف .

وحدثني المدائني عن علي بن مجاهد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي قال : عزل عمر حذيفة عن أذربيجان ، واستعمل عليها عتبة بن فرقد السلمي ، فبعث إليه بأخبصة قد أدرجها في كرابيس ، فلما وردت عليه ، قال: أوراقاً؟ قالوا : لا ، قال : فما هي ؟ قال : لطف بعث به ،فلما نظر إليه ، قال: ردوها عليه ، وكتب إليه : يابن أم عتبة إنك لتأكل الخبيص من غير كدك ولا كد أبيك ، وقال عتبة : قدمت من أذربيجان وافداً على عمر فإذا بين يديه عضلة جزور .

وحدثني المدائني عن عبد الله بن القاسم عن فروة بن لقيط قال : لما قام عثمان بن عفان رضي الله عنه استعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فعزل عتبة عن أذربيجان،فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين،وعلى مقدمته عبد الله ابن شبل الأحمسي، فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان فغنم وسبى، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة .

قال ابن الكلبي : ولى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أذربيجان سعيد بن سارية الخزاعي ، ثم الأشعث بن قيس الكندي .

وحدثني عبد الله بن معاذ العبقري عن أبيه عن سعد بن الحكم بن عتبة عن زيد بن وهب ، قال : لما هزم الله المشركين بنهاوند ، رجع أهل الحجاز إلى حجازهم وأهل البصرة إلى بصرتهم ، وأقام حذيفة بنهاوند في أهل الكوفة ، فغزوا أذربيجان ، فصالحوه على ثمانمائة ألف درهم ، فكتب إليهم عمر بن الخطاب إنكم بأرض يخالط طعام أهلها ولباسهم الميتة فلا تأكلوا إلا ذكيا[1] ، ولا تلبسوا إلا زكيا ، يريد الفراء .

وحدثني العباس بن الوليد النرسي ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي ، قال : كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح أذربيجان ، فصنع سفطين من خبيص وألبسهما الجلود واللبود ، ثم بعث بهما إلى عمر مع سحيم مولى عتبة ، فلما قدم عليه ، قال : ما الذي جئت به أذهب أم ورق ، وأمر به فكشف عنه فذاق الخبيص ، فقال : إن هذا لطيب أثر ، أكل المهاجرين أكل منه شبعه ؟ قال : لا إنما هو شيء خصك به فكتب إليه :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عتبة بن فرقد أما بعد فليس من كدك ولا كد أمك ولا كد أبيك ، لا تأكل إلا ما يشبع منه المسلمون في رحالهم .

وحدثني الحسين بن عمرو ، وأحمد بن مصلح الأزدي عن مشايخ من أهل أذربيجان ، قالوا : قدم الوليد بن عقبة أذربيجان ومعه الأشعث بن قيس ، فلما انصرف الوليد ولاه أذربيجان ، فانتقضت فكتب إليه يستمده ، فأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة ، فتتبع الأشعث بن قيس حانا حانا — والحان الحائر في كلام أهل أذربيجان — ففتحها على مثل صلح حذيفة وعتبة بن

(١) أي مذبوحاً ، فالذكاة : الذبح .

فرقد وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس الى الاسلام .

ثم تولى سعيد بن العاصي فغزا أهل أذربيجان فأوقع بأهل موقان وجيلان، وتجمع له بناحية أرم وبلوانكرح خلق من الأرمن وأهل أذربيجان ، فوجه إليهم جرير بن عبد الله البجلي فهزمهم وأخذ رئيسهم فصلبه على قلعة باجروان ، ويقال : إن الشماخ بن ضرار التغلبي كان مع سعيد بن العاصي في هذه الغزاة ، وكان بكير بن شداد بن عامر — فارس اطلال — معهم في هذه الغزاة وفيه يقول الشماخ :

وغنيت عن خيل بموقان أسلمت بكير بني الشداخ فارس أطلال

وهو من بني كنانة ، وهو الذي سمع يهودياً في خلافة عمر ينشد :

وأشعث غره الاسلام مني خلوت بعرسه ليل التمام

فقتله .

ثم ولى علي بن أبي طالب الأشعث أذربيجان ، فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا وقرأوا القرآن ، فأنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب ومصرها ، وبنى مسجدها إلا أنه وسع بعد ذلك .

قال الحسين بن عمرو : وأخبرني واقد أن العرب لما نزلت أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين [١] والشام ، وغلب كل قوم على ما أمكنهم، وابتاع بعضهم من العجم الأرضين ، وألجئت إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزارعين لهم .

وقال الحسين : كانت ورثان قنطرة كقنطرتي وخش وأرشق اللتين اتخذتا حديثاً أيام بابك ، فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وأحيا أرضها وحصنها فصارت ضيعة له، ثم قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية،فصارت

---

(١) البصرة والكوفة .

لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور أمير المؤمنين ، وهدم وكلاؤها سورها، ثم رم وجدد قريباً ، وكان الورثاني من مواليها .

قال : وكانت برزند قرية فعسكر فيها الافشين حيدر بن كاوس عامل أمير المؤمنين المعتصم بالله على أذربيجان وأرمينية والجبل أيام محاربته الكافر بابك الخرمي وحصنها .

قالوا : وكانت المراغة تدعى اقراهروذ، فعسكر مروان بن محمد وهو والي أرمينية وأذربيجان منصرفه من غزوة موقان وجيلان بالقرب منها ، وكان فيها سرجين[1] كثير،فكانت دوابه ودواب أصحابه تمرغ فيها فجعلوا يقولون: ائتوا قرية المراغة ، ثم حذف الناس قرية وقالوا : المراغة،وكان أهلها ألجؤوها الى مروان فابتناها وتألف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها ، ثم إنها قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية وصارت لبعض بنات الرشيد أمير المؤمنين ، فلما عاث الوجناء الأزدي وصدقة بن علي مولى الأزد فأفسدا ،وولى خزيمة بن خازم بن خزيمة أرمينية وأذربيجان في خلافة الرشيد بنى سورها وحصنها ومصرها وأنزلها جنداً كثيفاً .

ثم لما ظهر بابك الخرمي بالبذ[2] لجأ الناس إليها فنزلوها وتحصنوا فيها ورم سورها في أيام المأمون عدة من عماله منهم أحمد بن الجنيد بن فرزندي ، وعلي بن هشام، ثم نزل الناس ربضها وحصنها .

وأما مرند فكانت قرية صغيرة فنزلها حلبس أبو البعيث ، ثم حصنها البعيث ثم ابنه محمد بن البعيث ، وبنى بها محمد قصوراً ، وكان قد خالف في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله فحاربه بغا الصغير مولى أمير المؤمنين حتىظفر به وحمله إلى سر من رأى وهدم حائط مرند وذلك القصر .

---

(١) السرجين : الزبل . القاموس .

(٢) مدينة بابك التي اعتصم بها .

والبعيث من ولد عتيب بن عمرو بن وهب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ويقال إنـــه عتيب بن عوف بن سنان ، والعتبيون يقولون ذلك والله أعلم .

وأما أرمية فمدينة قديمة يزعم المجوس أن زردشت صاحبهم كان منها ،وكان صدقة بن علي بن صدقة بن دينار مولى الأزد حارب أهلها حتى دخلها وغلب عليها وبنى واخوته بها قصوراً .

وأما تبريز فنزلها الرواد الأزدي،ثم الوجناء بن الرواد وبنى بها وأخوته بناء وحصنها بسور فنزلها الناس معه .

وأما الميانج وخلباثا فمنازل الهمدانيين ، وقد مدن عبد الله بن جعفر الهمداني محلته بالميانج وصير السلطان بها منبراً .

وأما كورة برزة فللأود ، وقصبتها لرجل منهم جمع الناس إليها ، وبنى بها حصناً ، وقد اتخذ بها في سنة تسع وثلاثين ومائتين منبر على كره من الأودي .

وأما نريز [١] فكانت قرية لها قصر قديم متشعث ، فنزلهـــا مر بن عمرو الموصلي الطائي فبنى بها وأسكنها ولده ، ثم انهم بنوا بها قصوراً ومدنوهـــا وبنوا سوق جابروان وكبروه ، وأفرده السلطان لهم ، فصاروا يتولونـــه دون عامل أذربيجان .

فأما سراة فإن فيها من كندة جماعة ، أخبرني بعضهم أنه من ولد من كان مع الأشعث بن قيس الكندي [٢] .

---

(١) وقعت نريز على مقربة من أردبيل . معجم البلدان .

(٢) انظر ماتقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٤٤ — ٧٤٦ .

فتح الموصل

قالوا : ولى عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السلمي الموصل سنة عشرين فقاتله أهل نينوى [١] فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والاذن لمن أراد الجلاء في الجلاء ، ووجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية ، ثم فتح المرج وقراه وأرض باهذرى وباعذري وحبتون والحيانة والمعلة ودامير وجميع معاقل الأكراد ، وأتى بالعاثا من حزة ففتحها ، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن صالح بن عبادة الهمداني ، صاحب رابطة الموصل ، ففتح ذلك كله وغلب عليه المسلمون .

وأخبرني معافى بن طاوس عن مشايخ من أهل الموصل قال: كانت أرمية[٢] من فتوح الموصل،فتحها عتبة بن فرقد وكان خراجها حيناً إلى الموصل،وكذلك الحوروخوي وسلماس .

قال معافى : وسمعت أيضاً أن عتبة فتحها حين ولي أذربيجان والله أعلم .

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : أول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصرها هرثمة بن عرفجة البارقي .

حدثني أبو موسى الهروي عن أبي الفضل الأنصاري عن أبي الحارب الضبي أن عمر بن الخطاب عزل عتبة عن الموصل وولاها هرثمة بن عرفجة

---

(١) عاصمة الدولة الآشورية على مقربة من الموصل وهي غير قرية نينوى التي قتل قربها الحسين بن علي .

(٢) مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان . معجم البلدان .

البارقي ، وكان بها الحصن وبيع النصارى ، ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود فمصرها هرثمة ، فأنزل العرب منازلهم ، واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع .

وحدثني المعافى بن طاوس ، قال : الذي فرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة محمد بن مروان بن الحكم ، وكان محمد والي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان .

قال الواقدي : ولى عبد الملك بن مروان ابنه سعيد بن عبد الملك بن مروان – صاحب نهر سعيد – الموصل ، وولى محمداً أخاه الجزيرة وأرمينية ، فبنى سعيد سور الموصل وهو الذي هدمه الرشيد حين مر بها ، وقد كانوا خالفوا قبل ذلك ، وفرشها سعيد بالحجارة .

وحدثت عن بعض أهل بابغيش [1] أن المسلمين كانوا طلبوا غرة أهل ناحية منها مما يلي دامير يقال لها زران ، فأتوهم في يوم عيد لهم وليس معهم سلاح فحالوا بينهم وبين قلعتهم وفتحوها .

قالوا : ولما اختط هرثمة الموصل وأسكنها العرب أتى الحديثة ، وكانت قرية قديمة فيها بيعتان وأبيات النصارى ، فمصرها وأسكنها قوماً من العرب فسميت الحديثة لأنها بعد الموصل ، وبنى نحوه حصناً ، ويقال ان هرثمة نزل الحديثة أولاً فمصرها واختطها قبل الموصل ، وأنها إنما سميت الحديثة حين تحول إليها من تحول من أهل الأنبار لما وليهم ابن الرفيل أيام الحجاج بن يوسف فعسفها ، وكان فيهم قوم من أهل حديثة الأنبار فبنوا بها مسجداً وسموا المدينة الحديثة .

قالوا : وافتتح عتبة بن فرقد الطيرهان وتكريت ، وآمن أهل

---

(١) ناحية بين أذربيجان وأردبيل ، يمر بها الزاب الأعلى . معجم البلدان .

حصن تكريت على أنفسهم وأموالهم ، وسار في كورة باجرمي ، ثم صار إلى شهرزور .

وحدثني شيخ من أهل تكريت أنه كان معهم كتاب أمان وشرط لهم ، فخرقه الجرشي حين أخرب قرى الموصل ترساباذ وهاعلة وذواتها ، وزعم الهيثم بن عدي أن عياض بن غَنْم لما فتح بلداً أتى الموصل ففتح أحد الحصنين والله تعالى أعلم[1] .

★ ★ ★

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٦٦١ — ٦٦٤ .

شهرزور والصامغان ودراباذ

حدثني اسحاق بن سليمان الشهرزوري ، قال : حدثنا أبي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن بعض آل عزرة البجلي ، أن عزرة بن قيس حاول فتح شهرزور وهو وال على حلوان في خلافة عمر فلم يقدر عليها ، فغزاها عتبة ابن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان ، وكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت .

وحدثني إسحاق عن أبيه عن مشايخهم ، قال : صالح أهل الصامغان ودراباذ عتبة على الجزية والخراج ، على أن لا يقتلوا ولا يسبوا ولا يمنعوا طريقاً يسلكونه .

حدثني أبو رجاء الحلواني عن أبيه عن مشايخ شهرزور ، قالوا : شهرزور والصامغان ودراباذ من فتوح عتبة بن فرقد السلمي ، فتحها وقاتل الأكراد فقتل منهم خلقاً ، وكتب إلى عمر : إني قد بلغت بفتوحي أذربيجان ، فولاه إياه وولى هرثمة بن عرفجة الموصل .

قالوا : ولم تزل شهرزور وأعمالها مضمومة الى الموصل حتى فرقت في آخر خلافة الرشيد ، فولى شهرزور والصامغان ودراباذ رجل مفرد ، وكان رزق عامل في كورة الموصل مائتي درهم ، فحط لهذه الكور ستمائة درهم .

جرجان وطبرستان ونواحيها

قالوا : ولى عثمان بن عفان رحمه الله سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي ابن أمية الكوفة في سنة تسع وعشرين ، فكتب مرزبان طوس إليـــه والى عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وهو على البصرة ، يدعوهما الى خراسان على أن يملكه عليهـــا أيهما غلب وظفر ، فخرج ابن عامر يريدها ، وخرج سعيد ، فسبقه ابن عامر ، فغزا سعيد طبرستان ، ومعـه في غزاته فيما يقال الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب عليهـــم السلام ، وقيل أيضاً إن سعيداً غزا طبرستان بغير كتاب أتاه من أحد ، وقصد إليها من الكوفة والله أعلم .

ففتح سعيد طميسة ونامنة ، وهي قرية ، وصالح ملك ُجرجـان على مائتي ألف درهم ، ويقال على ثلاثمائة ألف بغلّية وافته ،فكان يؤديها الى غزاة المسلمين وافتتح سعيد سهل طبرستان والرويان ودنباوند وأعطاه أهل الجبال مـــالاً ، وكان المسلمون يغزون طبرستان ونواحيها فربمـــا أعطوا الأتاوة عفواً وربما أعطوها بعد قتال .

وولى معاوية بن أبي سفيان مصقلة بن هبيرة بن شبل أحد بني ثعلبة بن شيبان ابن ثعلبة بن عكابة طبرستان،وجميع أهلها حرب ، وضم إليـــه عشرة آلاف ، ويقال عشرين ألفاً ، فكاده العدو وأروه الهيبة له حتى توغل بمن معه في البلاد ، فلما جاوزوا المضايق أخذها العدو عليهم ودهدهوا الصخور من الجبال على رؤوسهم فهلك ذلك الجيش أجمع ، وهلك مصقلة ، فضرب الناس به المثل فقالوا : حتى يرجع مصقلة من طبرستان .

ثم ان عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان ولى محمد بن الأشعث بن قيس الكندي

طبرستان ، فصالحهم وعقد لهم عقداً ، ثم أمهلوا له حتى دخل فأخذوا عليه المضايق ، وقتلوا ابنه أبا بكر وفضخوه[1] ، ثم نجا فكان المسلمون يغزون ذلك الثغر وهم حذرون من التوغل في أرض العدو .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف وغيره ، قالوا : لما ولي سليمان بن عبد الملك بن مروان الأمر ، ولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة العراق ، فخرج إلى خراسان لسبب ما كان من التواء قتيبة بن مسلم وخلافه على سليمان ، وقتل وكيع بن أبي سود التميمي إياه ، فعرض له صول التركي في طريقه وهو يريد خراسان ، فكتب الى سليمان يستأذنه في غزوه ، فأذن له فغزا جيلان وسارية ، ثم أتى دهستان وبها صول فحصرها وهو في جند كثيف من أهل المصرين ، وأهل الشام ، وأهل خراسان،فكان أهل دهستان يخرجون فيقاتلونهم ، فألح عليهم يزيد ، وقطع المواد عنهم ، ثم إن صول أرسل الى يزيد يسأله الصلح على أن يؤمنه على نفسه وماله وأهل بيته ويدفع إليه المدينة وأهلها وما فيها ، فقبل يزيد ذلك وصالحه عليه ، ووفى له وقتل يزيد أربعة عشر ألفاً من الترك ، واستخلف عليها .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ان صول قتل . والخبر الأول أثبت .

وقال هشام بن الكلبي : أتى يزيد جرجان فتلقاه أهلها بالأتاوة التي كان سعيد بن العاصي صالحهم عليها فقبلها،ثم أن أهل جرجان نقضوا وغدروا فوجه إليهم جهم بن زحر الجعفي ففتحها .

قال : ويقال : إنه سار إلى مرو فأقام بها شتوته ، ثم غزا جرجان في مائة ألف وعشرين ألفاً من أهل الشام والجزيرة والمصرين وخراسان .

وحدثني علي بن محمد المدائني قال : أقام يزيد بن المهلب بخراسان شتوة ، ثم غزا جرجان ، وكان عليها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترك واحد

---

(١) أي أصابوه برأسه .

طرفيه في البحر ، ثم غلبت الترك عليه وسموا ملكهم صول، فقال يزيد: قبح الله قتيبة ترك هؤلاء وهم في بيضة العرب، وأراد غزو الصين، أو قال : وغزا الصين، وخلف يزيد على خراسان مخلد بن يزيد .

قال : فلما صار الى جرجان وجد صول قد نزل في البحيرة ، فحصره ستة أشهر ، وقاتله مراراً ، فطلب الصلح على أن يؤمنه على نفسه وماله وثلاثمائة من أهل بيته ، ويدفع إليه البحيرة بما فيها فصالحه .

ثم سار الى طبرستان واستعمل على دهستان والبياسان عبد الله بن معمر اليشكري ، وهو في أربعة آلاف ، ووجه ابنه خالد بن يزيد ، وأخاه أبا عيينة بن المهلب الى الأصبهبذ وهزمها حتى ألحقها بعسكر يزيد ، وكتب الاصبهبذ الى المرزبان – ويقال المروزبان – إنا قد قتلنا أصحاب يزيد فاقتل من قبلك من العرب ، فقتل عبد الله بن معمر اليشكري ومن معه وهم غارون في منازلهم .

وبلغ الخبر يزيد فوجه حيان مولى مصقلة وهو من سبي الديلم ، فقال للأصبهبذ : إني رجل منك وإليك وان فرق الدين بيننا، ولست بآمن أن يأتيك من قبل أمير المؤمنين ومن جيوش خراسان مالا قبل لك به ولا قوام لك معه، وقد رزت لك يزيد فوجدته سريعاً الى الصلح فصالحه ، ولم يزل يخدعه حتى صالح يزيد على سبعمائة ألف درهم ، وأربعمائة وقر زعفرانا، فقال له الاصبهبذ: العشرة وزن ستة ؟ فقال : لا ولكن وزن سبعة ، فأبى ، فقال حيان : أنا أتحمل فضل ما بين الوزنين فتحمله وكان حيان من أنبل الموالي ومروءاتهم ، وكان يكنى أبا معمر .

قال المدائني : بلغ يزيد نكث أهل جرجان وغدرهم فسار يريدها ثانية ، فلما بلغ المرزبان مسيره أتى وجاه فتحصن بها ، وحولها غياض وأشب ، فنزل عليها سبعة أشهر لا يقدر منها على شيء، وقاتلوه مراراً ونصب المنجنيق عليها،

ثم إن رجلا دلهم على طريق الى قلعتهم ، وقال : لا بد من سلم جلود فعقد يزيد لجهم بن زحر الجعفي ، وقال : إن غلبت على الحيـاة ، فلا تغلبن على الموت ، وأمر يزيد أن تشعل النار في الحطب ، فهالهم ذلك ، وخرج قـــوم منهم ، ثم رجعوا وانتهى جهم الى القلعة فقاتله قوم ممن كان على بابها ، فكشفهم عنه ولم يشعر العدو بعيد العصر إلا بالتكبير من ورائهم ، ففتحت القلعة وأنزلوا على حكم يزيد فقادهم جهم الى وادي جرجان ، وجعل يقتلهم حتى سالت الدمـــاء في الوادي وجرت ، وهو بنى مدينة جرجان .

وسار يزيد الى خراسان فبلغته الهدايا، ثم ولى ابنه مخلداً خراسان وانصرف الى سليمان ، فكتب إليه إن معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم ، فوقع الكتاب في يدي عمر بن عبد العزيز فأخذ يزيد به وحبسه .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف أو عوانــة بن الحكم قال : سار يزيد الى طبرستان فاستجاش الأصبهبذ الديلم فأنجـــدوه فقاتله يزيد ، ثم إنه صالحه على نقد أربعة آلاف ألف درهم ، وعلى سبعمائـة ألف درهم مثاقيل في كل سنة، ووقر أربعمائة جماز زعفراناً وأن يخرجوا أربعمائة رجل على رأس كل رجل منهم ترس وطيلسان وجام فضة ، ونمرقـــة حرير ، وبعض الرواة يقول : برنس .

وفتح يزيد الرويان ودنباوند على مال وثياب وآنية، ثم مضى إلى جرجان، وقد غدر أهلها ، وقتلوا خليفته ، وقدم أمامه جهم بن زحر بن قيس الجعفي ، فدخل المدينة وأهلها غارون وغافلون، ووافاه ابن المهلب فقتل خلقاً من أهلها، وسبى ذراريهم، وصلب من قتل عن يمين الطريق ويساره واستخلف عليها جهماً، فوضع الجزية والخراج على أهلها وثقلت وطأته عليهم .

قالوا : ولم يزل أهل طبرستان يؤدون الصلح مرة ويمتنعون من ادائـــه أخرى فيحاربون ويسالمون ، فلما كانت أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم غدروا ونقضوا حتى إذا استخلف أبو العباس أمير المؤمنين وجــه إليهم عامله

فصالحوه ، ثم انهم نقضوا وغدروا وقتلوا المسلمين في خلافـــة أمير المؤمنين المنصور ، فوجه إليهم خازم بن خزيمة التميمي ، وروح بن حاتم المهلبي، ومعهما مرزوق أبو الخصيب مولاه الذي نسب إليه قصر أبي الخصيب بالكوفة فسألهما مرزوق -حين طال عليها الأمر وصعب- أن يضرباه ويحلقا رأسه ولحيته ففعلا، فخلص الى الأصبهبذ ، فقال له : إن هذين الرجلين استغشاني وفعلا بي ما ترى وقد هربت إليك فإن قبلت انقطاعي وأنزلتني المنزلة التي استحقها منك دللتك على عورات العرب ، وكنت يداً معك عليهم ، فكساه وأعطاه وأظهر الثقة به والمشاورة له ، فكان يريه أنه له ناصح وعليه مشفق ، فلما اطلع على أموره وعوراته كتب الى خازم وروح بما احتاجـــا الى معرفته من ذلك ، واحتال للبـــاب حتى فتحه فدخل المسلمون المدينة وفتحوهـــا وساروا في البلاد فدوخوها .

وكان عمر بن العلاء جزاراً من أهل الري فجمع جمعاً وقاتل سنفـــاذ حين خرج بها فأبلى ونكى ، فأوفـــده جهور بن مرار العجلي على المنصور ، فقوده وخصه وجعل له مرتبة ، ثم إنه ولي طبرستان فاستشهد بها في خلافـة المهدي أمير المؤمنين .

وافتتح محمد بن موسى بن حفص بن عمر بن العلاء ومازديار بن قارن جبـال شروين من طبرستان، وهي أمنع جبال وأصعبها وأكثرها أشبا وغياضاً في خلافة المأمون رحمه الله، ثم إن المأمون ولى مازديار أعمال طبرستان والرويان ودنباوند، وسماه محمداً ، وجعل له مرتبة الأصبهبذ ، فلم يزل والياً حتى توفي المأمون ، ثم استخلف أبو اسحاق المعتصم بالله أمير المؤمنين فأقره على عمله، ثم إنه كفر وغدر بعد ست سنين وأشهر من خلافته ، فكتب الى عبد الله بن طـاهر بن الحسين بن مصعب عامله على خراسان والري وقومس وجرجان ، يأمره بمحاربته ، فوجه عبد الله إليه الحسن بن الحسين عمه في رجال خراسان ، ووجه المعتصم بالله محمد

ابن ابراهيم بن مصعب فيمن ضم إليه من جند الحضرة فلما توافت الجنود في بلاده كاتب أخ له يقال له قوهيار بن قارن الحسن ومحمداً ، وأعلمهما أنه معهما عليه ، وقد كان يحقد أشياء يناله بها من الاستخفاف ، وكان أهل عمله قد ملوا سيرته لتجبره وعسفه ، فكتب الحسن يشير عليه بأن يكمن في موضع سماه له ، وقال لمايزديار : إن الحسن قد أتاك وهو بموضع كذا ، وذكر غير ذلك الموضع، وهو يدعوك الى الأمان ويريد مشافهتك فيما بلغني ، فسار مايزديار يريد الحسن، فلما صار بقرب الموضع الذي الحسن كامن فيه آذنه قوهيار بمجيئه ، فخرج عليه في أصحابه وكانوا متقطعين في الغياض فجعلوا يتتامون إليه وأراد مايزديار الهرب، فأخذ قوهيار بمنطقته وانطوى عليه أصحاب الحسن فأخذوه سلما بغير عهد ولا عقد ، فحمل الى سر من رأى في سنة خمس وعشرين ومائتين فضرب بالسياط بين يدي المعتصم بالله ضرباً مبرحاً ، فلما رفعت السياط عنه مات ، فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمي على العقبة التي بحضرة مجلس الشرطة، ووثب بقوهيار بعض خاصة أخيه فقتل بطبرستان ، وافتتحت طبرستان سهلها وجبلها، فتولاها عبد الله بن طاهر ، وطاهر بن عبد الله من بعده [1] .

فتوح كور دجلة

قالوا : كان سويد بن قطبة الذهلي — وبعضهم يقول قطبة بن قتادة — يغير في ناحية الخريبة من البصرة على العجم ، كما كان المثنى بن حارثة الشيباني يغير بناحية الحيرة ، فلما قدم خالد بن الوليد البصرة يريد الكوفة [2] سنة اثنتي

---

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٨٤ — ٧٨٥ .

(٢) لم تكون الكوفة والبصرة قد تأسستا ، وأراد بالبصرة هنا منطقة الأبلة ، وأراد بالكوفة منطقة الحيرة .

عشرة أعانه على حرب أهل الأبلة وخلف سويدا ، ويقال إن خالداً لم يسر من البصرة حتى فتح الخريبة وكانت مسلحة للأعاجم فقتل وسبى وخلف بها رجلا من بني سعد بن بكر بن هوازن يقال له شريح بن عامر ، ويقال انه أتى نهر المرأة ، ففتح القصر صلحاً صالحه عنه النوشجان بن جسنسما ، والمرأة صاحبة القصر كامن دار بنت نرسي ، وهي ابنة عم النوشجان ، وإنما سميت المرأة لأن أبا موسى الأشعري كان نزل بها فزودته خبيصا فجعل يقول: أطعمونا من دقيق المرأة .

وكان محمد بن عمر الواقدي ينكر أن يكون خالد بن الوليد أتى البصرة حين فرغ من أمر أهل اليمامة والبحرين، ويقول : قدم المدينة ثم سار منها الى العراق على طريق فيد ، والثعلبية ، والله أعلم .

قالوا: فلما بلغ عمر بن الخطاب خبر سويد بن قطبة وما يصنع بالبصرة رأى أن يوليها رجلا من قبله ، فولاها عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب أحد بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، وهو حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكان من المهاجرين الأولين ، وقال له : ان الحيرة قد فتحت وقتل عظيم من العجم ، يعني مهران ، ووطئت خيل المسلمين أرض بابل ، فصر الى ناحية البصرة ، واشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان عن امداد اخوانهم على اخوانك ، فأتاها عتبة وانضم إليه سويد بن قطبة ومن معه من بكر بن وائل وبني تميم ، وكانت بالبصرة سبع دساكر اثنتان بالخريبة ، واثنتان بالزابوقة وثلاث في موضع دار الأزد اليوم ، ففرق عتبة أصحابه فيها ، ونزل هو بالخريبة ، وكانت مسلحة للأعاجم ، ففتحها خالد بن الوليد فخلت منهم .

وكتب عتبة الى عمر يعلمه نزوله وأصحابه بحيث نزلوا ، فكتب إليه يأمره بأن ينزلهم موضعاً قريباً من الماء والمرعى ، فأقبل الى موضع البصرة .

قال أبو مخنف وكانت ذات حصى وحجارة سود فقيل إنها بصرة ، وقيل: انهم إنما سموها بصرة لرخاوة أرضها .

قالوا : وضربوا بها الخيام والقباب والفساطيط ، ولم يكن لهـم بناء ، وأمد عمر عتبة بهرثمـة بن عرفجة البارقي وكان بالبحرين ، ثم إنه صار بعد الى الموصل .

قالوا : فغزا عتبة بن غزوان الأبلة ففتحها عنوة، وكتب الى عمر يعلمه ذلك ويخبره أن الأبلة فرضة البحرين وعُمان والهند والصين، وأنفذ الكتاب مع نافـع ابن الحارث الثقفي .

وحدثني الوليد بن صالح ، قال : حدثنا مرحوم العطار عـن أبيه عن شويس العدوي ، قال : خرجنا مع أمير الأبلة فظفرنا بهـا ، ثم عبرنا الفرات فخرج إلينا أهل الفرات بمساحيهم فظفرنا بهم وفتحنا الفرات .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن حميري بن كراثة الربعي ، قال : لما دخلوا الأبلة وجدوا خبيز الحواري، فقالوا هذا الذي كان يقال إنه يسمن ، فلما أكلوا منه جعلوا ينظرون الى سواعدهم ، ويقولون : والله ما نرى سمناً، قال: وأصبت قميصاً مجيباً من قبل صدره أخضر فكنت أحضر فيه الجمعة .

وحدثني المدائني عن جهم بن حسان ، قال : فتح عتبة الأبلة ووجه مجاشع ابن مسعود على الفرات ، وأمر المغيرة بالصلاة ، وشخص الى عمر .

وحدثني المدائني عن أشياخه : إن ما بين الفهرج إلى الفرات صلح، وسائر الأبلة عنوة .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء ، قال : حدثني عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق بن يسار ، قال : وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان حليف بني نوفل في ثمانمائة الى البصرة ، وأمده بالرجال ، فنزل بالناس في خيم ، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن : منها بالخريبة اثنتان ، وبالزابوقة واحدة ، وفي الأزد اثنتان، وفي تميم اثنتان ، ثم إنه خرج الى الأبلة فقاتل أهلها

ففتحها عنوة ، وأتى الفرات وعلى مقدمته مجاشع بن مسعود السلمي ففتحه عنوة ، وأتى المذار فخرج إليه مرزبانها فقاتله فهزمه الله وغرق عامة من معه ، وأخذ سلماً فضرب عتبة عنقه ، وسار عتبة الى دستميسان وقد جمع أهلها للمسلمين وأرادوا المسير إليهم ، فرأى أن يعاجلهم بالغزو ليكون ذلك أفت في أعضادهم وأملأ لقلوبهم ، فلقيهم فهزمهم الله وقتل دهاقينهم ، وانصرف عتبة من فوره الى أبرقباذ ففتحها الله عليه .

قالوا : ثم استأذن عتبة عمر بن الخطاب في الوفادة عليه والحج ، فأذن له فاستخلف مجاشع بن مسعود السلمي ، وكان غائباً عن البصرة ، وأمر المغيرة بن شعبة أن يقوم مقامه إلى قدومه ، فقال : أتولي رجلاً من أهل الوبر على رجل من أهل المدر ، واستعفى عتبة من ولاية البصرة ، فلم يعفه وشخص فمات في الطريق ، فولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة ، وقد كان الناس سألوا عتبة عن البصرة فأخبرهم بخصبها ، فسار إليها خلق من الناس .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة ، قال : كانت عند عتبة بن غزوان أزدة بنت الحارث بن كلدة ، فلما استعمل عمر عتبة بن غزوان قدم معه نافع وأبو بكرة وزياد ، ثم إن عتبة قاتل أهل مدينة الفرات ، فجعلت امرأته أزدة تحرض الناس على القتال وهي تقول :

أن يهزموكم تولجوا فينا الغلف

ففتح الله على المسلمين تلك المدينة ، وأصابوا غنائم كثيرة ، ولم يكن فيهم أحد يكتب ويحسب إلا زياد ، فولي قسم ذلك المغنم ، وجعل له كل يوم درهمان وهو غلام في رأسه ذؤابة .

ثم إن عتبة شخص الى عمر ، وكتب الى مجاشع بن مسعود يعلمه أنه قد خلفه وكان غائباً ، وأمر المغيرة بن شعبة أن يصلي بالناس الى قدوم مجاشع ، ثم إن دهقان ميسان كفر ورجع عن الاسلام ، فلقيه المغيرة بالمنعرج ، فقتله ، وكتب

المغيرة الى عمر بالفتح منه، فدعـــا عمر عتبة فقال : ألم تعلمني انك استخلفت مجاشعاً ؟ قال : نعم . قال : فإن المغيرة كتب إلي بكذا ، فقال : إن مجاشعـاً كان غائباً فأمرت المغيرة أن يخلفه ويصلي بالناس الى قدومـــه ، فقال عمر : لعمري لأهل المـــدر كانوا أولى بأن يستعملوا من أهل الوبر ، ثم كتب الى المغيرة بعهده على البصرة ، وبعث به إليـــه ، فأقام المغيرة ما شاء الله ، ثم إنه هوى المرأة .

وحدثني عبد الله بن صالح عن عبدة عن محمـد بن اسحاق قال : غزا المغيرة ميسان ففتحها عنوة بعد قتال شديد وغلب على أرضها ، ثم ان أهل أبرقبـاذ غدروا ففتحها المغيرة عنوة .

وحدثني روح بن عبد المؤمن ، قال : حدثني وهب بن جرير بن حـازم عن أبيه ، قـــال : فتـح عتبة بن غزوان الأبلة والفرات وأبرقباذ ، ودستميسان وفتح المغيرة ميسان وغدر أهل أبرقباذ ففتحها المغيرة .

وقال علي بن محمد المدائني : كان الناس يسمون ميسان ودستميسان والفرات وأبرقباذ ميسان ، قالوا : وكان من سبى ميسان أبو الحسن البصري ، وسعيد بن يسار أخوه ، وكان اسمه يسار فيروز ، فصار أبو الحسن لامرأة من الأنصار يقال لها الربيع بنت النضر عمـة أنس بن مالك ، ويقال كان لامرأة من بني سلمة يقال لها جميلة امرأة أنس بن مالك .

وروى الحسن ، قال : كان أبي وأمي لرجل من بني النجار فتزوج امرأةمن بني سلمة فساقهما إليها في صداقها ، فأعتقتهما تلك المرأة فولاؤنا لها، وكان مولد الحسن بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وخرج منها بعد صفين بسنة،ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن تسع وثمانين .

قالوا : ان المغيرة جعل يختلف الى امرأة من بني هلال يقال لهـا أم جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعيثة بن الهزن ، وقد كان لها زوج من ثقيف يقال له

الحجاج بن عتيك ، فبلغ ذلك أبا بكرة بن مسروح مولى النبي ﷺ من مولدي ثقيف ، وشبل بن معبد بن عبيد البجلي، ونافع بن الحارث بن كلدة الثقفي، وزياد ابن عبيد ، فرصدوه حتى إذا دخل عليها هجموا عليه فإذا هما عريانان ، وهو متبطنها ، فخرجوا حتى أتوا عمر بن الخطاب فشهدوا عنده بما رأوا .

فقال عمر لأبي موسى الأشعري : إني أريد أن أبعثك الى بلد قد عشش فيه الشيطان ، قال : فأعني بعدة من الأنصار فبعث معه البراء بن مالك ، وعمران ابن الحصين أبا نجيد الخزاعي ، وعوف بن وهب الخزاعي، فولاه البصرة وأمره بإشخاص المغيرة ، فأشخصه بعد قدومه بثلاث .

فلما صار الى عمر جمع بينه وبين الشهود، فقال نافع بن الحارث : رأيته على بطن المرأة يحتفر عليها ، ورأيته يدخل ما معه ويخرجه كالميل في المكحلة، ثم شهد شبل بن معبد على شهادته ، ثم أبو بكرة ، ثم أقبل زياد رابعاً فلما نظر إليه عمر قال : أما إني أرى وجه رجل أرجو أن لا يرجم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على يده ، ولا يخزى بشهادته، وكان المغيرة قدم من مصر فأسلم وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، فقال زياد : رأيت منظراً قبيحاً ، وسمعت نفساً عالياً ، وما أدري أخالطها أم لا ، ويقال : لم يشهد بشيء ، فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا ، فقال شبل : أتجلد شهود الحق وتبطل الحد ، فلما جلد أبو بكرة ، قال : أشهد أن المغيرة زان ، فقال عمر: حدوه ، فقال علي إن جعلتها شهادة فارجم صاحبك ، فحلف أبو بكرة أن لا يكلم زياداً أبداً ، وكان أخاه لأمه سمية ، ثم إن عمر ردهم إلى مصرهم .

وقد روى قوم أن أبا موسى كان بالبصرة فكتب إليه عمر : بولايتها وإشخاص المغيرة ، والأول أثبت .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يبعث عتبة بن غزوان الى البصرة ففعل ، وكان نائف من مكاتبته إياه فلذلك استعفى ، وإن عمر رضي الله عنه رده والياً فمات في الطريق .

وكانت ولاية أبي موسى البصرة في سنة ست عشرة ويقال سنة سبع عشرة فاستقرى كور دجلة فوجد أهلها مذعنين بالطاعة ، فأمر بمساحتها ووضع الخراج عليها على قدر احتمالها ، والثبت أن أبا موسى ولي البصرة في سنة ست عشرة .

حدثني شيبان بن فروخ الأبلي ، قال : حدثنا أبو هلال الراسبي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير أن كاتباً لأبي موسى كتب الى عمر بن الخطاب من أبو موسى فكتب إليه عمر إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك سوطاً ، وأعزله عن عملك [١] .

تمصير البصرة

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله إياها ، وأنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا ، ويكنسون [٢] فيه إذا انصرفوا من غزوهم ، فكتب إليه : أجمع أصحابك في موضع واحد، وليكن قريباً من الماء والمرعى، واكتب إلي بصفته .

فكتب إليه : إني وجدت أرضاً كثيرة القصبة في طرف البر الى الريف ، ودونها مناقع ماء فيها قصباء ، فلما قرأ الكتاب ، قال : هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب ، وكتب إليه أن انزلها الناس ، فأنزلهم إياها ، فبنوا مساكن بالقصب ، وبنى عتبة مسجدا من قصب ، وذلك في سنة أربع

---

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٣٩٠ – ٤٢٦ .

(٢) تكنس : دخل الخيمة ، والمرأة دخلت الخيمة ، والكناسة –بالضم– القمامة . القاموس .

عشرة ، فيقال انه تولى اختطاط المسجد بيده ، ويقال اختطه محجن بن الأدرع البهزي من سلم ، ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلدة حين خط داره ، ويقال بل اختطه الأسود بن سريع التميمي ، وهو أول من قضى فيه ، فقال له مجاشع ومجالد ابنا مسعود : رحمك الله شهرت نفسك ، فقال : لا أعود .

وبنى عتبة دار الامارة دون المسجد في الرحبة التي يقال لها اليوم رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان ، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فإذا رجعوا أعادوا بناءه ، فلم تزل الحال كذلك .

ثم إن الناس اختطوا وبنوا المنازل ، وبنى أبو موسى الأشعري المسجد ودار الامارة بلبن وطين ، وسقفها بالعشب وزاد في المسجد ، وكان الإمام إذا جاء للصلاة بالناس تخطاهم الى القبلة على حاجز ، فخرج عبد الله بن عامر ذات يوم من دار الإمارة يريد القبلة وعليه جبة خز دكناء ، فجعل الأعراب يقولون على الأمير جلدب .

وحدثني أبو محمد الثوري عن الأصمعي ، قال : لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة ، ولد بها عبد الرحمن بن أبي بكرة ، وهو أول مولود بالبصرة فنحر أبوه جزوراً أشبع منها أهل البصرة ، ثم لما استعمل معاوية بن أبي سفيان زياداً على البصرة زاد في المسجد زيادة كثيرة ، وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج ، وقال : لا ينبغي للإمام أن يتخطى الناس ، فحول دار الإمارة من الدهناء الى قبلة المسجد فكان الإمام يخرج من الدار في الباب الذي في حائط القبلة ، وجعل زياد حين بنى المسجد ودار الإمارة يطوف فيها وينظر الى البناء ثم يقول لمن معه من وجوه أهل البصرة : أترون خللاً ؟ فيقولون ما نعلم بناء أحكم منه ، فقال : بلى هذه الأساطين التي على كل واحدة منها أربعة عقود لو كانت أغلظ من سائر الأساطين ، وروى عن يونس بن حبيب النحوي ، قال : لم يؤت

من تلك الأساطين قط تصديع ولا عيب ، وقال حارثة بن بدر الغداني ، ويقال بل قال ذلك البعيث المجاشعي :

بنى زياد لذكر الله مصنعة   من الحجارة لم تعمل من الطين
لولا تعاون أيدي الانس ترفعها   إذاً لقلنا من اعمال الشياطين

وقال الوليد بن هشام بن قحذم : لما بنى زياد المسجد جعل صفته المقدمة خمس سواري وبنى منارته بالحجارة ، وهو أول من عمل المقصورة ونقل دار الإمارة الى قبلة المسجد ، وكان بناؤه إياها لبن وطين، حتى بناها صالح بن عبد الرحمن السجستاني ، مولى بني تميم ، في ولايته خراج العراق لسليمان بن عبدالملك بالآجر والجص ، وزاد فيه عبيد الله بن زياد وفي مسجد الكوفة ، وقال: دعوت الله أن يرزقني الجهاد ففعل ، ودعوته أن يرزقني بناء مسجدي الجماعة بالمصرين ففعل ، ودعوته أن يجعلني خلفاً من زياد ففعل .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: لما بنى زياد المسجد أتى بسوارية من جبل الأهواز ، وكان الذي تولى أمرها وقطعها الحجاج بن عتيك الثقفي وابنه فظهر له مال فقيل : حبذا الامارة ولو على الحجارة فذهبت مثلاً .

قال : وبعض الناس يقول : إن زياداً رأى الناس ينفضون أيديهم إذا تربت ، وهم في الصلاة ، فقال : لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض الأيدي في الصلاة سنة ، فأمر بجمع الحصى وإلقائه في المسجد ، فاشتد الموكلون بذلك على الناس وتعنتوهم ، وأروهم حصى انتقوه ، فقالوا : إئتونا بمثله على مقاديره وألوانه وارتشوا على ذلك، فقال القائل : حبذا الامارة ولو على الحجارة .

وقال أبو عبيدة : كان جانب المسجد الشمالي منزوياً لأنه كانت هناك دار لنافع بن الحارث بن كلدة ، فأبى ولده بيعها ، فلما ولى معاوية عبيد الله بن زياد البصرة ، قال عبيد الله لأصحابه : إذا شخص عبد الله بن نافع إلى أقصى ضيعته

فأعلموني ذلك ، فشخص الى قصره الأبيض الذي على البطيحة ، فأخبر عبيد الله بذلك ، فبعث الفعلة فهدموا من تلك الدار ما سوى به تربيع المسجد ، وقدم ابن نافع فضج إليه من ذلك فأرضاه بأن أعطاه بكل ذراع خمسة أذرع ، وفتح له في الحائط خوخة الى المسجد فلم تزل الخوخة في حائطه حتى زاد المهدي أمير المؤمنين في المسجد ، فأدخلت الدار كلها فيه ، وأدخلت فيه أيضاً دار الامارة في خلافة الرشيد رحمه الله .

وقال أبو عبيدة : لمـــا قدم الحجاج بن يوسف العراق أخبر أن زياداًابتنى دار الامارة بالبصرة ، فأراد أن يزيل اسمه عنها فهم ببنائها بجص وآجر ، فقيل له إنما تريد اسمه فيها ثباتاً وتوكداً ، فهدمها وتركها ، فبنيت عامة الدور حولها من طينها ولبنها وأبوابها .

فلم تكن بالبصرة دار امـــارة حتى ولي سليمان بن عبد الملك ، فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق فحدثه صالح حديث الحجاج وما فعل في دار الامارة ، فأمره بإعادتها فأعادها بالآجر والجص على أساسها ورفع سمكها.

فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وولى عدي بن أرطاة الفزاري البصرة أراد عدي أن يبني فوقها غرفا ، فكتب إليه عمر : هبلتك أمك يا ابن أم عدي أيعجز عنك منزل وسع زياداً وآل زياد ! فامسك عدي عن اتمام تلك الغرف وتركها .

فلما ولى سليمان بن علي بن عبد الله بن العبـاس البصرة لأبي العباس أمير المؤمنين ، بنى على ما كان عدي رفعه من حيطان الغرف بناء بطين ، ثم تركـه وتحول الى المربد فنزله ، فلما استخلف الرشيـد أدخلت الدار في قبلة المسجد فليس اليوم للأمراء بالبصرة دار امارة .

وقال الوليد بن هشام بن قحذم : لم يزد أحـد في المسجد بعد ابن زياد حتى كان المهدي فاشترى دار نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، ودار عبيد الله بن أبي

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا أبو معاوية عن الشيباني عن محمد بن عبد الله الثقفي ، قال : كان بالبصرة رجل يكنى أبا عبد الله ، ويقال له نافع ، وكان أول من افتلا الفلا بالبصرة ، فأتى عمر فقال له : إن بالبصرة أرضاً ليست من أرض الخراج ولا تضر بأحد من المسلمين ، فكتب له أبو موسى إلى عمر بذلك ، فكتب له عمر إليه أن يقطعه إياها .

وحدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن العوام عن عوف الأعرابي قال : قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى : إن أبا عبد الله سألني أرضاً على شاطىء دجلة يفتلي فيها خيله فإن كانت في غير أرض الجزية ، ولا يجزأ إليها ماء الجزية فأعطه إياها .

وقال عباد: بلغني أنه نافع بن الحارث بن كلدة طبيب العرب، وقال الوليد ابن هشام بن قحذم : وجدت كتاباً عندنا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى المغيرة بن شعبة ، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد فإن أبا عبد الله ذكر أنه زرع بالبصرة في امارة ابن غزوان، وافتلى أولاد الخيل حين لم يفتلها أحد من أهل البصرة ، وإنه نعم ما رأى ، فأعنه على زرعه وعلى خيله ، فإني قد أذنت له أن يزرع ، وآته أرضه التي زرع إلا أن تكون أرضاً عليها الجزية من أرض الأعاجم ، أو يصرف إليها ماء أرض عليها الجزية ، ولا تعرض له إلا بخير ، والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب معيقيب بن أبي فاطمة في صفر سنة سبع عشرة .

وقال الوليد بن هشام : أخبرني عمي عن ابن شبرمة أنه قال : لو وليت البصرة لقبضت أموالهم لأن عمر بن الخطاب لم يقطع بها أحداً إلا أبا بكرة ،

بكرة ، ودار ربيعة بن كلدة الثقفي ، ودار عمرو بن وهب الثقفي ، ودار أم جميل الهلالية التي كان من أمرها وأمر المغيرة بن شعبة ما كان ، ودوراً غيرها فزادها في المسجد أيام ولي محمد بن سليمان بن علي البصرة ، ثم أمر هارون أمير المؤمنين الرشيد عيسى بن جعفر بن المنصور أيام ولايته البصرة أن يُدخل دار الامارة في المسجد ففعل .

وقال الوليد بن هشام : أخبرني أبي عن أبيه - وكان يوسف بن عمر ولاه ديوان جند العرب - قال : نظرت في جماعة مقاتلة البصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين ألفاً ووجدت عيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل ، ووجدت العرب مقاتلة الكوفة ستين ألفاً وعيالهم ثمانين ألفاً .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في اسناده ، قال : كان عتبة بن غزوان مع سعد بن أبي وقاص ، فكتب إليه عمر أن اضرب قيروانك بالكوفة ووجه عتبة بن غزوان إلى البصرة ، فخرج في ثمانمائة فضرب خيمة من أكسية ، وضرب الناس معه وأمده عمر بالرجال ، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخريبة اثنتان ، وبالزابوقة واحدة ، وفي بني تميم اثنتان وفي الأزد اثنتان ، ثم إن عتبة خرج إلى الفرات بالبصرة فافتتحه ثم رجع إلى البصرة ، وكان سعد يكاتب عتبة فغمه ذلك ، فاستأذن عمر في الشخوص إليه ، فلحق به واستخلف المغيرة بن شعبة ، فلما قدم المدينة شكا إلى عمر تسلط سعد عليه ، فقال له : وما عليك أن تقر بالامارة لرجل من قريش له صحبة وشرف ؟ فأبى الرجوع وأبى عمر إلا رده ، فسقط عن راحلته في الطريق فمات في سنة ست عشرة ، وكان محجن بن الأدرع اختط مسجد البصرة ولم يبنه ، فكان يصلي فيه غير مبني ، فبناه عتبة بقصب ، ثم بناه أبو موسى الأشعري وبني بعده [١] .

---

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٦٦٨ - ٦٧١ .

ونافع بن الحارث ، ولم يقطع عثمان بالبصرة إلا عمران بن حصين ، وابن عامر أقطعه داره ، وحمران مولاه قال : وقد أقطع زياد عمران قطيعة أيضاً فيما يقال .

وقال هشام بن الكلبي : أول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن يسار المزني ، وكان عثمان بن عفان أخذ دار عثمان بن أبي العاصي الثقفي ، وكتب أن يعطى أرضاً بالبصرة ، فأعطي أرضه المعروفة بشط عثمان بحيال الأبلة ، وكانت سبخة فاستخرجها وعمرها ، وإلى عثمان بن أبي العاصي ينسب باب عثمان بالبصرة .

قالوا : كان حمران بن أبان للمسيب بن نجبة الفزاري أصابه بعين التمر ، فابتاعه منه عثمان بن عفان ، وعلمه الكتاب ، واتخذه كاتباً فوجد عليه لأنه كان وجهه للمسألة عن مارفع على الوليد بن عقبة بن أبي معيط فارتشى منه وكذّب ماقيل فيه (١) فتيقن عثمان صحة ذلك بعد فوجد عليه ، وقال : لا يساكنني أبداً وخيره بلداً يسكنه غير المدينة ، فاختار البصرة ، وسأله أن يقطعه بها داراً ، وذكر ذرعاً كثيراً فاستكثره عثمان ، وقال لابن عامر: أعطه داراً مثل بعض دورك فأقطعه داره التي بالبصرة .

قالوا : ودار خالد بن طليق الخزاعي القاضي كانت لأبي الجراح القاضي صاحب سجن ابن الزبير ، اشتراها له سلم بن زياد ، لأنه هرب من سجن ابن الزبير .

قال ابن الكلبي : سكة بني سمرة بالبصرة كان صاحبها عتبة بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .

ومسجد عاصم نسب إلى عاصم أحد بني ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

---

(١) اتهم بشرب الخمرة ، وعزل وأقيم عليه الحد .

ودار أبي نافع بالبصرة نسبت إلى أبي نافع مولى عبدالرحمن بن أبي بكرة.

وقال القحذمي : كانت دار أبي يعقوب الخطابي لسحامة بن عبد الرحمن بن الأصم الغنوي مؤذن الحجاج ، وهو ممن قاتل مع يزيد بن المهلب ، فقتله مسلمة ابن عبد الملك يوم العقر ، وهي إلى جانب دار المغيرة بن شعبة .

قالوا : ودار طارق نسبت إلى طارق بن أبي بكرة وقبالتها خطة الحكم بن أبي العاصي الثقفي .

ودار زياد بن عثمان ، كان عبيد الله بن زياد اشتراها لابن أخيه زياد بن عثمان ، وتليها الخطة التي منها دار بابة بنت أبي العاصي .

وكانت دار سليمان بن علي لسلم بن زياد فغلب عليها بلال بن أبي بردة أيام ولايته البصرة لخالد بن عبد الله ، ثم جاء سليمان بن علي فنزلها .

قالوا : وكانت دار موسى بن أبي المختار مولى ثقيف لرجل من بني دارم ، فأراد فيروز حصين ابتياعها منه بعشرة آلاف ، فقال : ما كنت لأبيع جوارك بمائة ألف ، فأعطاه عشرة آلاف وأقر الدار في يده .

وقال أبو الحسن : أراد الدارمي بيع داره ، فقال أبيعها بعشرة آلاف درهم خمسة آلاف ثمنها وخمسة آلاف لجوار فيروز ، فبلغ فيروز ذلك ، فقال: أمسك عليك دارك ، وأعطاه عشرة آلاف درهم .

ودار ابن تبع نسبت الى عبد الرحمن بن تبع الحميري وكان على قطائع زياد .

وكان دمون من أهل الطائف ، فتزوج أبو موسى ابنته ، فولدت له أبا بردة ولدمون خطة بالبصرة وله يقول أهل البصرة : الرفاء والبنون ، وخبز وكمون ، في بيت الدمون .

وقال القحذمي وغيره : كان أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد الله بن عثمان ابن أبي العاصي الثقفي ، وهو موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة ،

وعند قصر عيسى بن جعفر ، ثم الثاني حمام فيل مولى زياد ، ثم الثالث حمام مسلم ابن أبي بكـــرة في بلالاباذ ، وهو الذي صار لعمرو بن مسلم الباهلي ، فمكثت البصرة دهراً وليس بها إلا هذه الحمامات .

وحدثني المدائني قال : قال أبو بكرة لابنه مسلم : يابني والله ما تلي عملاً ، وما أراك تقصر عن اخوتك في المنفعة ، فقال : إن كتمت علي أخبرتك ، قال: فإني أفعل،قال : فإني أغتل من حمامي هذا في كل يوم ألف درهم وطعاماً كثيراً، ثم ان مسلماً مرض،فأوصى إلى أخيه عبد الرحمن بن أبي بكرة وأخبره بغلة حمامه، فأفشى ذلك ، واستأذن السلطان في بناء حمام،وكانت الحمامات لا تبنى بالبصرة إلا بإذن الولاة ، فأذن له ، فاستأذن عبيد الله بن أبي بكرة فأذن له ، واستأذن الحكم بن أبي العاصي فأذن له ، واستأذن سياه الأسواري فأذن له ، واستأذن الحصين بن أبي الحر العنبري فأذن له ، واستأذنت ريطة بنت زياد فأذن لهـا ، واستأذنت لبابة بنت أوفى الجرشي فأذن لهـا في حمامين : أحدهما في أصحاب القباء ، والآخر في بني سعد، واستأذن المنجاب بن راشد الضبي فأذن له،وأفاق مسلم بن أبي بكرة من مرضه ، وقد فسدت عليه غلة حمامه ، فجعل يلعن عبد الرحمن ويقول : ما له قطع الله رحمه .

قالوا : وكان فيل حاجب زياد ومولاه ركب معه أبو الأسود الدؤلي وأنس ابن زنيم ، وكان على برذون هملاج [١] وهما على فرسي سوء قطوفـين فادركهما الحسد ، فقال أنس : أجزيا أبا الأسود قال : هات ، فقال :

لعمر أبيك ما حمام كسرى　　على الثلثين من حمام فيل

فقال أبو الأسود :

وما أرقاصنا حول الموالي　　بسنتنا على عهد الرسول [٢]

---

(١) مذلل منقاد . القاموس .

(٢) ليس في ديوانه المطبوع .

وقال أبو مفرغ لطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف :

تمنيني طليحة ألف ألف لقد منيتني أمــلا بعيدا
فلست لماجد حر ولكن لسمراء التي تلد العبيدا
ولو أدخلت في حمام فيل وألبست المطارف والبرودا

وقال بعضهم وقد حضرته الوفاة :

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

يعني حمام المنجاب بن راشد الضبي ، وقال عباس مولى بني أسامة :

ذكرت البند في حمام عمرو فلم أبرح إلى بعد العشاء

وحمام بلج نسب إلى بلج بن نشبة السعدي الذي يقول له زياد :

ومحترس على مثله وهو حارس

وقال هشام بن الكلبي: قصر أوس بالبصرة نسب إلى أوس بن ثعلبة بن رقي أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، وهو من وجوه من كان بخراسان وقد تقلد بها أموراً جسيمة ، وهو الذي مر بتدمر فقال في صنميها :

فتأتي أهل تدمر خبراني ألمـــا تسأما طول القيام
فكائن مر من دهر ودهر لأهلكما وعام بعد عام [١]

وقصر أنس نسب إلى أنس بن مالك الانصاري، خـــادم رسول الله ﷺ . قال : والذي بنى منارة بنى أسيد حسان بن سعد منهم. والقصر الأحمر لعمرو ابن عتبة بن أبي سفيان ، وهو اليوم لآل عمر بن حفص بن قبيصة بن أبي صفرة، وقصر المسيرين كان لعبد الرحمن بن زياد ، وكان الحجاج سير عيال من خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي إليه فحبسهم فيه،وهو قصر في جوف قصر ويتلوه قصر عبيد الله بن زياد وإلى جانبه جوسق .

قال القحذمي : وقصر النواهق هو قصر زياد سماه الشطار بذلك ، وقصر

---

(١) انظر مادة تدمر في معجم البلدان حيث المزيد من الأبيات مع فوارق.

النعمان كان للنعمان بن صهبان الراسبي الذي حكم بين مضر وربيعة أيام مات يزيد بن معاوية . قال : وزاد عبيد الله بن زياد للنعمان بن صهبان في قصره هذا ، فقال : بئس المال هذا يا أبا حاتم إن كثر الماء غرقت ، وإن قل عطشت ، فكان كما قال : قل الماء فمات كل من ثم .

وقصر زربى نسب إلى زربى مولى عبد الله بن عامر ، وكان قيماً على خيله فكانت الدار لدوابه .

وقصر عطية نسب إلى عطية الأنصاري .

ومسجد بني عباد نسب إلى بني عباد بن رضاء بن شقرة بن الحارث بن تميم بن مر .

وكانت دار عبد الله بن خازم السلمي لعمته دجاجة ، أم عبد الله بن عامر ، فأقطعته إياها وهو عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت وهي دجاجة بنت أسماء .

وحدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي ، والعباس بن هشام عن أبيه عن عوانة ، قالا : قدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أهل البصرة ، فجعل يسألهم رجلا رجلا ، والأحنف في ناحية البيت في بيت لا يتكلم فقال له عمر : أما لك حاجة ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، وإن اخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وإنا نزلنا سبخة بشاشة لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها ، ناحيتها قبل المشرق البحر الأجاج ، ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة لذلك فتربق ولدها كما يربق العنز تخاف بادرة العدو وأ كل السبع ، فالا ترفع خسيستنا ، وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا ، فألحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء ، وكتب إلى أبي موسى يأمره أن يحتفر لهم نهراً .

فحدثني جماعة من أهل العلم ، قالوا : كان لدجلة العوراء، وهي دجلة البصرة خور ، والخور طريق للماء لم يحفره أحد يجري فيه ماء الأمطار إليها، ويتراجع ماؤها فيه عند المد وينضب في الجزر ، وكان طوله قدر فرسخ ، وكان لحده مما يلي البصرة غورة واسعة تسمى في الجاهلية الأجانة ، وسمته العرب في الاسلام الجزارة ، وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة بالذرع الذي يكون به نهر الأبلة كله أربعة فراسخ ، ومنه يبتدىء النهر الذي يعرف اليوم بنهر الأجانة ، فلما أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري أن يحتفر لأهل البصرة نهراً ابتدأ الحفر من الاجانة وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة ، فصار طول نهر الأبلة أربعة فراسخ ، ثم انه انطم منه ما بين البصرة وبثق الحيري وذلك على قدر فرسخ من البصرة.

وكان زياد بن أبي سفيان والياً على الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبد الله يومئذ على البصرة من قبل عثمان بن عفان ، فأشار على ابن عامر أن ينفذ حفر نهر الأبلة من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة ، وكان يريث ذلك ويدافع به ، فلما شخص ابن عامر إلى خراسان واستخلف زياداً أقر حفر أبي موسى الاشعري على حاله ، وحفر النهر من حيث انطم حتى بلغ به البصرة ، وولى ذلك عبد الرحمن بن أبي بكرة ، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد يسبقه ، وقدم ابن عامر من خراسان فغضب على زياد، وقال : إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دوني فتباعد مابينهما حتى ماتا وتباعد بسببه ما بين أولادهما ، فقال يونس بن حبيب النحوي : انا أدركت ما بين آل زياد وآل ابن عامر متباعداً .

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : قاد أبو موسى الاشعري نهر الأبلة من موضع الاجانة إلى البصرة ، وكان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس ، فوهته في دجلة فوق الأبلة بأربعة فراسخ يجري في

سباخ لا عمارة على حافاته ، وكانت الارواح تدفنه ، قال : ولما حفر زياد فيض البصرة بعد فراغه من إصلاح نهر الأبلة ، قدم ابن عامر من خراسان فلامه ، وقال : أردت أن تذهب بشهرة هذا النهر وذكره،فتباعد مابينهما وبين أهلها بذلك السبب .

وقال أبو عبيدة: كان احتفاره الفيض من لدن دار فيل مولى زياد وحاجبه ، إلى موضع الجسر .

وروى محمد بن سعد عن الواقدي وغيره أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى بحفر النهر الآخر ، وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني، فنسب إليه.

وقال الواقدي : توفي معقل بالبصرة في ولاية عبيد الله بن زياد البصرة لمعاوية .

وقال الوليد بن هشام القحذمي ، وعلي بن محمد بن أبي سيف المدائني : كلم المنذر بن الجارود العبدي معاوية بن أبي سفيان في حفر نهر ثار، فكتب إلى زياد فحفر نهر معقل ، فقال قوم : جرى على يد معقل بن يسار ، فنسب إليه ، وقال آخرون : بل أجراه زياد على يد عبد الرحمن بن أبي بكرة أو غيره، فلما فرغ منه وأرادوا فتحه ، بعث زياد معقل بن يسار ففتحه تبركاً به لانه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال الناس : نهر معقل ، فذكر القحذمي أن زياداً أعطى رجلاً ألف درهم ، وقال له : أبلغ دجلة وسل عن صاحب هذا النهر من هو ، فإن قال لك رجل : إنه نهر زياد فأعطه الألف ، فبلغ دجلة ثم رجع فقال : ما لقيت أحداً إلا يقول : هو نهر معقل ، فقال زياد : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء [1] » .

قالوا : ونهر دبيس نسب إلى رجل، قصار يقال له دبيس ، كان يقصر الثياب عليه .

---

(١) سورة الحديد — الآية : ٢١ .

وبثق الحيري نسب إلى نبطي من أهل الحيرة ، ويقال كان مولى لزياد .

قالوا : وكان زياد لما بلغ بنهر معقل قبته التي يعرض فيها الجند رده إلى مستقبل الجنوب ، حتى أخرجه إلى أصحاب الصدقة بالجبل فسمي ذلك العطف نهر دبيس ، وحفر عبد الله بن عامر نهره الذي عند دار فيل، وهو الذي يعرف بنهر الأساورة، وقال بعضهم : الأساورة حفروه . ونهر عمرو : نسب إلى عمرو ابن عتبة بن أبي سفيان . ونهر أم حبيب نسب إلى أم حبيب بنت زياد ، وكان عليه قصر كثير الأبواب فسمي الهزاردر .

وقال علي بن محمد المدائني : تزوج شيرويه الأسواري مرجانة أم عبيد الله بن زياد ، فبنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فسمي هزاردر .

وقال أبو الحسن : قال قوم : سمي هزاردر لأن شيرويه اتخذ في قصره ألف باب .

وقال بعضهم : نزل ذلك الموضع ألف اسوار في ألف بيت أنزلهم كسرى فقيل هزاردر .

ونسب نهر حرب إلى حرب بن سلم بن زياد، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر ادعى أن الأرض التي كانت عليه كانت لابن عامر ، وخاصم فيها حرباً ، فلما توجه القضاء لعبد الأعلى أتاه حرب فقال له : خاصمتك في هذا النهر ، وقد ندمت على ذلك وأنت شيخ العشيرة وسيدها فهو لك ، فقال عبد الأعلى بن عبد الله : بل هو لك ، فانصرف حرب ، فلما كان العشي جاء موالي عبد الاعلى ونصحاؤه فقالوا : والله ما أتاك حرب حتى توجه لك القضاء عليه ، فقال : والله لا رجعت فيها جملت له أبداً .

والنهر المعروف بيزيدان : نسب إلى يزيد بن عمر الاسيدي صاحب شرطة عدي بن أرطاة ، وكان رجل أهل البصرة في زمانه .

وقالوا: أقطع عبد الله بن عامر بن كريز عبد الله بن عمير بن عمرو بن مالك

الليثي ، وهو أخوه لأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية ثمانيــة آلاف جريب فحفر لها النهر الذي يعرف بنهر ابن عمير ،قالوا : وكان عبد الله بن عامر حفر نهر أم عبدالله دجاجة ،ويتولاه غيلان بن خرشة الضبي وهو النهر الذي قال حارثة بن بدر الغداني لعبد الله بن عامر وقد سايره : لم أر أعظم بركة من هذا النهر يستقى منه الضعفاء من أبواب دورهم ، ويأتيهم منافعهم فيه إلى منازلهم ، وهو مغيض لمياههم ، ثم إنه ساير زياداً بعد ذلك في ولايته فقال : ما رأيت نهراً شراً منه ، تنز منه دورهم ويبعضون له في منازلهم ، ويغرق فيه صبيانهم ،وروى قوم أن غيلان بن خرشة القائل هذا : والاول أثبت .

ونهر سلم ، نسب إلى سلم بن زياد أبي سفيان ، وكان عبد الله بن عامر حفر نهراً تولاه نافذ مولاه فغلب عليه فقيل نهر نافذ ،وهو لآل الفضل بن عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

قال أبو اليقظان : أقطع عثمان بن عفان العباس بن ربيعة بن الحارث داراً بالبصرة ، وأعطاه مائة ألف درهم ، وكان عبد الرحمن بن عباس يلقب رائض البغال لجودة ركوبه لها ، وتابعه الناس بعد هرب ابن الاشعث إلى سجستان ، فهرب من الحجاج .

وطلحتان : نهر طلحة بن أبي نافــع مولى طلحة بن عبيد الله ، ونهر حميدة نسب إلى امرأة من آل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، يقال لها حميدة وهي امرأة عبد العزيز بن عبد الله بن عامر .

وخيرتان : لخيرة بنت ضمرة القشيرية ، امرأة المهلب ، ولها مهلبان كان المهلب وهبه لها ،ويقال : بل كان لها فنسب إلى المهلب ،وهي أم أبي عيينة ابنه. وجبيران لجبير بن حية ،وخلفان : قطيعة عبد الله بن خلف الخزاعي أبي طلحة الطلحات ، وطليقان لآل عمران بن حصين الخزاعي ، من ولد خالد بن طليق بن محمد بن عمران وكان خالد ولي قضاء البصرة .

وقال القحذمي : نهر مرة لابن عـامر ، ولي حفره له مرة مولى أبي بكر الصديق ، فغلب على ذكره .

وقال أبو اليقظان وغيره : نسب نهر مرة إلى مرة بن أبي عثمان مـولى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان سريـاً سأل عائشة أم المؤمنين أن تكتب له إلى زياد ، وتبدأ به في عنوان كتابهـا ، فكتبت له إليه بالوصاية به وعنونته :

إلى زياد بن أبي سفيان من عائشة أم المؤمنين ؛ فلما رأى زياد أنها قـد كاتبته ونسبته إلى أبي سفيان سر بذلك وأكرم مرة وألطفه ، وقال للناس : هذا كتاب أم المؤمنين إلي فيه ، وعرضه عليهم ليقرؤوا عنوانه ، ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبلة ، وأمره فحفر لها نهراً فنسب إليه ، وكان عثمان بن مرة من سراة أهل البصرة ، وقد خرجت القطيعة من أيدي ولده ، وصارت لآل الصفاق بن حجر بن بجير العقوي ، من الازد .

قالوا : ودرجاه جنك من أموال ثقيف ، وإنما قيل له ذلك لمنازعات كانت فيه ، وجنك بالفارسية صخب إنسان ، نسب إلى أنس بن مالك في قطيعة من زياد ، ونهر بشار نسب إلى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخي قتيبة ، وكان أهدى إلى الحجاج فرساً فسبق عليه ، فأقطعه سبعمائة جريب ، ويقال أربعمائة جريب فحفر لها النهر ، ونهر فيروز نسب إلى فيروز حصين، ويقال الى باشكار كان يقال له فيروز .

وقال القحذمي : نسب إلى فيروز مولى ربيعة بن كلدة الثقفي، ونهر العلاء نسب الى العلاء بن شريك الهذلي ، أهدى الى عبد الملك شيئاً أعجبه ، فأقطعه مائة جريب ، ونهر ذراع نسب الى ذراع النمري من ربيعة ، وهو أبو هارون ابن ذراع ، ونهر حبيب نسب إلى حبيب بن شهاب الشامي التاجر في قطيعة من زياد ، ويقال من عثمان ، ونهر أبي بكرة نسب إلى أبي بكرة بن زياد .

وحدثني العقوي الدلال قال : كانت الجزيرة بين النهرين سبخة فأقطعها معاوية بعض بني اخوته،فلما قدم الفتى لينظر إليها،أمر زياد بالماء فأرسل فيها، فقال الفتى : إنما أقطعني أمير المومنين بطيحة لا حاجة لي فيها،فابتاعها منه زياد بمائتي ألف درهم ، وحفر أنهارها ، وأقطع منها روادان لرواد بن أبي بكرة ، ونهر الراء صيدت فيه سمكة تسمى الراء فسمي بها وعليه أرض حمران الذي أقطعه إياها معاوية .

نهر مكحول نسب إلى مكحول بن عبيد الله الأحمسي وهو ابن عم شيبان صاحب مقبرة شيبان بن عبد الله الذي كان على شرطة ابن زياد ، وكان مكحول يقول الشعر في الخيل، فكانت قطيعة من عبد الملك بن مروان .

وقال القحذمي : نهر مكحول نسب إلى مكحول بن عبد الله السعدي .

وقال القحذمي : شط عثمان اشتراه عثمان بن أبي العاصي الثقفي من عثمان ابن عفان بمال له بالطائف ، ويقال إنه اشتراه بدار له بالمدينة ، فزادها عثمان بن عفان في المسجد ، وأقطع عثمان بن أبي العاصي أخاه حفص بن أبي العاصي حفصان ، وأقطع أبا أمية بن أبي العاصي أخاه أميتان ، وأقطع الحكم بن أبي العاصي حكماً ، وأقطع أخاه المغيرة مغيرتان ، قال : فكان نهر الارحاء لأبي عمرو بن أبي العاصي الثقفي .

وقال المدائني : أقطع زياد في الشط الجوم وهي زيادان ، وقال لعبد الله بن عثمان : إني لا أنفذ إلا ما عمرتم ، وكان يقطع الرجل القطيعة ويدعه سنتين فإن عمرها وإلا أخذها منه ، فكانت الجوم لأبي بكرة ، ثم صارت لعبد الرحمن ابن أبي بكرة .

أزرقان نسب إلى الأزرق بن مسلم مولى بن حنيفة ، ونسب محمدان إلى محمد ابن علي بن عثمان الحنفي .

زيادان نسب إلى زياد مولى بني الهيثم ، وهو جد مؤنس بن عمران بن جميع ابن يسار وجد عيسى بن عمر النحوي،وحاجب بن عمر لأمها،ونهر أبي الخصيب

نسب إلى أبي الخصيب مرزوق مولى المنصور،أمير المؤمنين،ونهر الأمير بالبصرة حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر ، فكان يقال نهر أمير المؤمنين ، ثم قيل نهر الأمير ثم ابتاعه الرشيد ، وأقطع منه وباع،ونهر ربا للرشيد نسب إلى سورجي، والقرشي كان عبيد الله بن عبد الأعلى الكريزي وعبيدالله بن عمر بن الحكم الثقفي اختصما فيه ثم اصطلحا على أن أخذ كل واحد منهما نصفه،فقيل القرشي والعربي، والقندل خور من أخوار دجلة ، سده سليمان بن علي ، وعليه قطيعة المنذر بن الزبير بن العوام ، وفيه نهر النعمان بن المنذر صاحب الحيرة أقطعه أيام كسرى، وكان هناك قصر للنعمان ، ونهر مقاتل نسب إلى مقاتل بن جارية بن قدامة السعدي ، وعميران نسب إلى عبد الله بن عمير الليثي ، وسيحان كان للبرامكة وهم سموه سيحان ، والجوبرة صيد فيها الجوبرة ، فسميت بذلك ، حصينان لحصين بن أبي الحر العنبري ، عبيدلان لعبيد الله بن أبي بكرة ، عبيدان لعبيد بن كعب النميري ، منقذان لمنقذ بن علاج السلمي ، عبد الرحمانان كان لأبي بكرة بن زياد فاشتراه أبو عبد الرحمن مولى هشام ، ونافعان لنافع ابن الحارث الثقفي ، وأسلمان لأسلم بن زرعة الكلابي ، وحمرانان لحمران ابن أبان مولى عثمان ، وقتيبتان لقتيبة بن مسلم ، وخشخشان لآل الخشخاش العنبري .

وقال القحذمي: نهر البنات بنات زياد أقطع كل بنت ستين جريبا،وكذلك كان يقطع العامة ، وقال : أمر زياد عبد الرحمن بن تبع الحميري ، وكان على قطائعه أن يقطع نافع بن الحارث الثقفي ما مشى فمشى فانقطع شسعه فجلس ، فقال : حسبك ، فقال : لو علمت لمشيت إلى الأبلة فقال : دعني حتى أرمي بنعلي فرمى بها حتى بلغت الاجانة، سعيدان لآل سعيد بن عبد الرحمن بن عباد ابن أسيد،وكانت سليمانان قطيعة لعبيد بن قسيط صاحب الطوف أيام الحجاج ، فرابط بها رجل من الزهاد يقال له سليمان بن جابر،فنسبت إليه ، وعمران لعمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي ، وفيلان لفيل مولى زياد، وخالدان نسب إلى

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، نهر يزيد الإباضي وهو يزيد بن عبد الله الحميري ، المسمارية قطيعة مسمار مولى زياد ، وله بالكوفة ضيعة .

قال القحذمي : وكان بلال بن أبي بردة الذي فتق نهر معقل في فيض البصرة ، وكان قبل ذلك مكسوراً يفيض إلى القبة التي كان زياد يعرض فيها الجند ، واحتفر بلال نهر بلال وجعل على جنبتيه حوانيت ، ونقل إليها السوق ، وجعل ذلك ليزيد بن خالد القسري .

قالوا : وحفر بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة المرغاب ، وسماه باسم مرغاب مرو ، وكانت القطيعة التي فيها المرغاب لهلال بن أحوز المازني ، أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك ، وهي ثمانية آلاف جريب ، فحفر بشير المرغاب والسواقي والمعترضات بالتغلب ، وقال : هذه قطيعة لي ، وخاصمه حميري بن هلال ، فكتب خالد بن عبد الله القسري إلى مالك بن المنذر بن الجارود ، وهو على أحداث البصرة أن خل بين الحميري وبين المرغاب وأرضه ، وذلك أن بشيراً أشخص إلى خالد فتظلم فقبل قوله ، وكان عمرو بن يزيد الأسيدي يعني بحميري ، ويعينه ، فقال لمالك بن المنذر : أصلحك الله ليس هذا خل ، إنما هو خل بين حميري وبين المرغاب .

قال : وكانت لصعصعة بن معاوية عم الأحنف قطيعة بحيال المرغاب ، وإلى جنبها ، فجاء معاوية بن معاوية معيناً لحميري ، فقال بشير هذا مسرح ابلنا وبقرنا وحميرنا ودوابنا وغنمنا ، فقال معاوية : أمن أجل ثلط بقرة عقفاء وأتان وديق ، تريد أن تغلبنا على حقنا ، وجاء عبد الله بن أبى عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : أرضنا وقطيعتنا ، فقال له معاوية : أسمعت بالذي تخطى النار ، فدخل اللهب في أسته ، فأنت هو .

قالوا : وكانت سويدان لعبيد الله بن أبي بكرة قطيعة ، مبلغها أربعمائة

جريب ، فوهبها لسويد بن منجوف السدوسي ،وذلك أن سويداً مرض، وعاده ابن أبي بكرة ، فقال له : كيف تجدك ؟ قال : صالحاً إن شئت ، قال : قد شئت ،فما ذاك؟ قال: إن أعطيتني مثل الذي أعطيت ابن معمر فليس علي بأس، فأعطاه سويدان فنسبت إليه .

قال المدائني : حفر يزيد بن المهلب نهر يزيد في قطيعة لعبيد الله بن أبي بكرة ، فقال لبشير بن عبيد الله : اكتب لي كتاباً بأن هذا النهر في حقي،قال: لا ، ولئن عزلت لأخاصمنك .

جبران لآل كلثوم بن جبر ، نهر ابن أبي برذعة نسب إلى أبي برذعة بن عبيد الله بن أبي بكرة .

والمسرقانان قطيعة لآل أبي بكرة وأصلها مائة جريب ، فمسحها مساح المنصور ألف جريب ، فأقروا في أيدي آل أبي بكرة منها مائة ، وقبضوا الباقي ، قطيعة هميان لهميان بن عدي السدوسي ، كثيران لكثير بن سيار ، بلالان لبلال بن أبي بردة كانت القطيعة لعباد بن زياد فاشتراها ، شبلان لشبل ابن عميرة بن يثربي الضبي .

نهر سلم نسب الى سلم بن عبيد الله بن أبي بكرة ، النهر الرباحي نسب الى رباح مولى آل جدعان ، سبخة عائشة الى عائشة بنت عبد الله بن خلف الخزاعي .

قالوا : واحتفر كثير بن عبد الله السلمي ، وهو أبو العاج، عامل يوسف بن عمر الثقفي على البصرة، نهراً من نهر ابن عتبة الى الخستل فنسب إليه،نهر أبي شداد نسب الى أبي شداد مولى زياد،بثق سيار لفيل مولى زياد ، ولكن القيم عليه كان سيار مولى بني عقيل ، فغلب عليه أرض الأصبهانيين شراء من بعض العرب ، وكان هؤلاء الاصبهانيون قوماً أسلموا وهاجروا الى البصرة ، ويقال إنهم كانوا مع الأساورة الذين صاروا بالبصرة ، ودار ابن الاصبهاني بالبصرة

نسبت الى عبد الله بن الاصبهاني وكان له أربعمائة مملوك، لقي المختار مع مصعب وهو على ميمنته .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن بعض آل الأهتم ، قال : كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة، إنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خرصة[1]، فسر على القطائع ، فخذ فضولها لأمير المؤمنين ، فجعل عمر يأتي القطيعة فيسأل عنها ، ثم يمسحها حتى وقف على أرض ، فقال : لمن هذه ؟ فقال صاحبها : لي ، فقال : ومن أين هي لك ؟ فقال :

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا

قال : ثم إن الناس ضجوا من ذلك فأمسك .

قالوا : صلتان نسب إلى الصلت بن حريث الحنفي ، وقاسمان قطيعة القاسم ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ورثه إياهـا أخوه عون ، ونهر خالدان الأجمة لآل خالد بن أسيد ، وآل أبي بكرة ، ونهر ماسوران كان فيه رجل شرير يسعى بالناس ، ويبحث عليهم فنسب النهر إليه، والماسور بالفارسية الجرير الشرير، وجبيران أيضاً قطيعة جبير بن أبي زيد من بني عبد الدار، ممقلان قطيعة معقل بن يسار من زياد ، وولده يقولون : من عمر ، ولم يقطع عمر أحداً على النهرين ، جندلان لعبيد الله بن جندل الهلالي ، نهر التوت قطيعة عبد الله بن نافع بن الحارث الثقفي .

وقال القحذمي : كان نهر سليمان بن علي لحسان بن أبي حسان النبطي، والنهر الغوثي كان عليه صاحب مسلحة يقال له غوث فنسب إليه، وقال بعضهم جعل مغيثاً للمرغاب فسمي الغوث ، ذات الحفافين على نهر معقل، ودجلة كانت لعبد الرحمن بن أبي بكرة فاشتراها عربي التار ، مولى أمة الله بنت أبي بكرة نهر أبي سبرة الهذلي ، قطيعة ، حرباذان قطيعة حرب بن عبد الرحمن بن الحكم ابن أبي العاصي، قطيعة الحباب للحباب بن يزيد المجاشعي ، نهر جعفر كان لجعفر مولى

---

(١) أي ملكاً أو أرضاً . القاموس .

سلم بن زياد ، وكان خراجيـــاً ، بثق شيرين نسب إلى شيرين امرأة كسرى ابن هرمز .

وقال القحذمي، والمدائني : كانت مهلبان التي تعرف في الديوان بقطيعة عمر ابن هبيرة لعمر بن هبيرة ، أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك حين قبض مال يزيد ابن المهلب وأخوته وولده ، وكانت للمغيرة بن المهلب ، وفيهـا نهر كان زادان فروخ حفره ، فعرف به، وهي اليوم لآل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، رفع إلى أبي العباس أمير المؤمنين فيها فأقطعه إياهـــا ، فخاصمه آل المهلب في أمرها فقال : كانت للمغيرة ، فقالوا : نحن نجيز ذلك ، مات المغيرة بن المهلب قبل أبيه فورثت ابنته النصف فلك ميراثك من أمك ورجع الباقي إلى أبيه ، فهو بين الورثة ، قال : وللمغيرة ابن ، قالوا: ومالك ولابن المغيرة ، أنت لا ترثه إنما هو خالك ، فلم يعطهم شيئاً وهي ألف وخمسمائة جريب .

كوسجان نسب إلى عبد الله بن عمرو الثقفي الكوسج،وقال المدائني: كانت كوسجان لأبي بكرة ، فخاصمه أخوه نافع ، فخرجا إليها وكل واحـــد منهما يدعيها ، وخرج إليها عبد الله بن عمرو الكوسج فقال لهما : أراكما تختصمان فحكماني فحكماه ، فقال: قد حكمت بها لنفسي ، فسلماها له ، قال : ويقال إنه لم يكن للكوسج شرب،فقال لأبي بكرة ونافع: اجعلا لي شرباً بقدر وثبة، فأجاباه إلى ذلك ، فيقال إنه وثب ثلاثين ذراعاً .

قالوا : وبالفرات أرضون أسلم أهلها عليها حين دخلهـا المسلمون ، وأرضون خرجت من أيدي أهلها إلى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسبـاب الملك ، فصيرت عشرية ، وكانت خراجية فردها الحجاج إلى الخراج ثم ردها عمر بن عبد العزيز إلى الصدقة ثم ردها عمر بن هبيرة إلى الخراج ، فلما ولي هشام بن عبد الملك رد بعضها إلى الصدقة ، ثم إن المهدي أمير المؤمنين جعلها كلهـا من أراضي الصدقة .

وقال : جعفر ان كان لأم جعفر بنت مجزأة بن ثور السدوسي امرأة أسلم صاحب أسلمان .

قال القحذمي : حدثني أرقم بن ابراهيم أنـه نظر إلى حسان النبطي يشير من الجسر ، ومعه عبد الأعلى بن عبد الله يحوز كل شيء من حد نهر الفيض لولد هشام بن عبد الملك ، فلما بلغ دار عبد الأعلى رفـع الذرع ، فلما كانت الدولة المباركة قبض ذلك أجمع ، فوقف أبو جعفر « الجبان » فيما وقف على أهـل المدينة ، وأقطع المهدي العباسة ابنته امرأة محمد بن سليمان الشرقي ، عبـادان قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان من عبد الملك بن مروان، وبعضها فيما يقال من زياد وكان حمران من سبى عين التمر ، يدعي أنـه من النمر بن قاسط ، فقال الحجاج ذات يوم وعنده عباد بن حصين الحبطي : مـا يقول حمران لئن انتمى إلى العرب ، ولم يقل إن أباه أبي وإنه مولى لعثمان لأضربن عنقـه ، فخرج عباد من عند الحجاج مبادراً فأخبر حمران بقوله ، فوهب له غربي النهر وحبس الشرقي فنسب إلى عباد بن الحصين .

وقال هشام بن الكلبي : كان أول من رابط بعبادان عبـاد بن الحصين ، قال : وكان الربيع بن صبح الفقيه ، وهو مولى بني سعد جمع مالاً من أهـل البصرة فحصن به عبادان ورابط فيهـا ، والربيع يروي عن الحسن البصري، وكان خرج غازياً الى الهند في البحر ، فمات ، فدفن في جزيرة من الجزائر في سنة ستين ومائة .

قال القحذمي : خالدان القصر ، وخالدان هبساء ، كانا لخـالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، وخالدان ليزيد بن طلحة الحنفي، ويكنى أبا خالد. قال: ونهر عدي كان خورا من نهر البصرة حتى فتقه عدي بن أرطاة الفزاري،عامل عمر بن عبد العزيز من بثق شيرين . قال : وكان سليمان أقطع يزيد بن المهلب ما اعتمل من البطيحة، فاعتمل الشرقي والجبان،والحست، والريحية ومغيرتان، وغيرها ، فصارت حوزاً فقبضها يزيد بن عبد الملك ، ثم أقطعهـا هشام ولده ثم حيزت بعده .

قال القحذمي : وكان الحجاج أقطع خيرة بنت ضمرة القشيريـة امرأة

المهلب عباسان ، فقبضها يزيد بن عبد الملك ، فأقطعها العباس بن الوليد بن عبد الملك،ثم قبضت فأقطعها أبو العباس أمير المؤمنين سليمان بن علي . قال: وكانت القاسمية مما نضب عنه الماء ، فاقتطع القاسم بن سليمان مولى زياد كتاباً ادعى أنه من يزيد بن معاوية باقطاعه إياها. الخالدية لخالد بن صفوان بن الأهتم كانت القاسم بن سليمان . المالكية لمالك بن المنذر بن الجارود . الحاتمية لحاتم بن قبيصة بن المهلب .

حدثني جماعة من أهل البصرة ، قالوا : كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز ، وأمر أهل البصرة أن يكتبوا ، في حفر نهر لهم فكتب إليه وكيع بن أبي سود التميمي : إنك إن لم تحفر لنا نهراً فما البصرة لنا بدار ، ويقال : ان عدياً التمس في ذلك الإضرار ببهز بن يزيد بن المهلب فنفعه .

قالوا : فكتب عمر يأذن له في حفر نهر ، فحفر نهر عدي وخرج الناس ينظرون إليه فحمل عدي الحسن البصري على حمار كان عليه ، وجعل يمشي .

قالوا : ولما قدم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عاملاً على العراق من قبل يزيد بن الوليد أتاه أهل البصرة فشكوا إليه ملوحة مائهم ، وحملوا إليه قارورتين في احداهما ماء من ماء البصرة ، وفي الأخرى ماء من ماء البطيحة ، فرأى بينهما فصلا ، فقالوا : إنك إن حفرت لنا نهراً شربنا من هذا العذب ، فكتب بذلك الى يزيد، فكتب إليه يزيد إن بلغت نفقةهذا النهر خراج العراق ما كان في أيدينا فأنفقه عليه ، فحفر النهر الذي يعرف بنهر ابن عمر ، وقال رجل ذات يوم في مجلس ابن عمر : والله إني أحسب نفقة هذا النهر تبلغ ثلاثمائة ألف أو أكثر ، فقال ابن عمر : لو بلغت خراج العراق لأنفقته عليه .

قالوا : وكانت الولاة والأشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة،ويحتفرون

الصهاريج ، وكان للحجاج بها صهريج معروف يجتمع فيه ماء المطر ، وكان لابن عامر وزياد وابن زياد صهاريج يبيحونها الناس .

قالوا : وبنى المنصور رحمه الله بالبصرة في دخلته الأولى قصره الذي عند الحبس الأكبر ، وذلك في سنة اثنتين وأربعين ومائة،وبنى في دخلته الثانية المصلى بالبصرة .

وقال القحذمي : الحبس الأكبر إسلامي .

قالوا : ووقف محمد بن سليمان بن علي ضيعة له على أحواض اتخذها بالبصرة ، فغلتها تنفق على دواليبها وابلها ومصلحتها .

وحدثني روح بن عبد المؤمن عن عمه أبي هشام عن أبيه ، قال : وفد أهل البصرة على ابن عمر بن عبد العزيز بواسط فسألوه حفر نهر لهم فحفر لهم نهر ابن عمر ، وكان الماء الذي يأتي نزراً قليلاً ، وكان عظم ماء البطيحة يذهب في نهر الدير ، فكان الناس يستعذبون من الأبلة حتى قدم سليمان بن علي البصرة،واتخذ المغيثة ، وعمل مسنياتها على البطيحة ، فحجز الماء عن نهر الدير وصرفه إلى نهر ابن عمر ، وأنفق على المغيثة ألف ألف درهم ، فقال : شكا أهل البصرة إلى سليمان ملوحة الماء وكثرة ما يأتيهم من ماء البحر فسكر القندل ، فعذب ماؤهم قال : واشترى سليمان بن علي موضع السجن من ماله في دار ابن زياد ، فجعله سجناً ، وحفر الحوض الذي في الدهناء ، وهي رحبة بني هاشم .

وحدثني بعض أهل العلم بضياع البصرة،قال: كان أهل الشعيبية من الفرات جعلوها لعلي ابن أمير المؤمنين الرشيد في خلافة الرشيد،على أن يكونوا مزارعين له فيها ، ويخفف مقاسمتهم ،فتكلم فيها فجعلت عشرية من الصدقة، وقاسم أهلها على ما رضوا به ، وقام له بأمرها شعيب بن زياد الواسطي الذي لبعض ولده دار بواسط على دجلة ، فنسبت إليه .

وحدثني عدة من البصريين منهم روح بن عبد المؤمن ، قالوا : لما اتخذ سليمان بن علي المغيثة أحب المنصور أن يستخرج ضيعة من البطيحة ، فأمر

باتخاذ السبيطيــة ، فكره سليمان بن علي وأهل البصرة ذلك ، واجتمع أهل البصرة الى باب عبدالله بن علي،وهو يومئذ عند أخيه سليمان هارباً من المنصور فصاحوا يا أمير المؤمنين انزل إلينا نبايعك ، فكفهم سليمان وفرقهم وأوفـد إلى المنصور سوار بن عبد الله التميمي،ثم العنزي، وداود بن أبي هند مولى بني بشير ، وسعيد بن أبي عروبة ، واسم أبي عروبة بهران،فقدموا عليه ، ومعهم صورة البطيحة ، فأخبروه أنهم يتخوفون أن يملح مـاءهم ، فقال : ما أراه كما ظننتم وأمر بالامساك .

ثم إنه قدم البصرة فأمر باستخراج السبيطية فاستخرجت له فكانت منها أجمة لرجل من الدهاقين يقال له سبيط،فحبس عنه الوكيل الذي قلد القيام بأمر الضيعة واستخراجها بعض ثمنها وضربه ، فلم يزل على باب المنصور يطالب بمـا بقي له من ثمن أجمته ويختلف في ذلك إلى ديوانه حتى مات،فنسبت الضيعة إليه بسبب أجمته فقيل السبيطية .

وقالوا: قنطرة قرة بالبصرة نسبت الى قرة بن حيان الباهلي،وكان عندها نهر قديم ، ثم اشترته أم عبد الله بن عامر فتصدقت به مغيضاً لأهل البصرة ، وابتاع عبد الله بن عامر السوق فتصدق به ، قالوا : ومر عبيد الله بن زياد يوم نعي يزيد بن معاوية على نهر أم عبد الله،فإذا هو بنخل ، فأمر به فعقر ، وهدم حمام حمران بن أبان ، وموضعه اليوم يعمل فيه الرباب .

قالوا : ومسجد الحامرة نسب الى قوم قدموا اليمامة عجم من عُمان ، ثم صاروا منها الى البصرة على حمير ، فأقاموا بحضرة هذا المسجد، وقال بعضهم: بنوه ثم جدد بعد .

وحدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كان قيس بن مسعود الشيباني على الطف من قبل كسرى ، فهو اتخذ المنجشانية على ستة أميال من البصرة ، وجرت على يد عضروط [1] يقال له منجشان فنسبت

---

(١) أي خادم أو أجير .

إليه ، قال : وفوق ذلك روضة الخيل كانت مهارته ترعى فيها .

وقال ابن الكلبي : نسب الماء الذي يعرف بالحوأب (١) إلى الحوأب بنت كلب ابن وبرة ، وكانت عند مر بن أد بن طابخة ، ونسب حمى ضرية إلى ضرية بنت ربيعة بن نزار ، وهي أم حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، قالوا نسب حلوان إلى حلوان هذا .

أمر الأساورة والزط

حدثني جماعة من أهل العلم، قالوا : كان سياه الأسواري على مقدمة يزدجرد، ثم إنه بعث به إلى الأهواز فنزل الكلبانية وأبو موسى الأشعري محاصر السوس، فلما رأى ظهور الإسلام وعز أهله ، وأن السوس قد فتحت والامداد متتابعة إلى أبي موسى أرسل إليه : إنا قد أحببنا الدخول معكم في دينكم على أن نقاتل عدوكم من العجم معكم ، وعلى أنه إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض ، وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا منهم وأعنتمونا عليهم، وعلى أن ننزل بحيث شئنا من البلدان ونكون فيمن شئنا منكم، وعلى أن نلحق بشرف العطاء، ويعقد لنا بذلك الأمير الذي بعثكم ، فقال أبو موسى : بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، قالوا : لا نرضى ، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر ، أن أعطهم جميع ما سألوا ، فخرجوا حتى لحقوا بالمسلمين وشهدوا مع أبي موسى حصار تستر ، فلم تظهر منهم نكاية ، فقال لسياه : يا عون ما أنت وأصحابك كما كنا نظن ، فقال له : أخبرك إنه ليست بصائرنا كبصائركم ، ولا لنا فيكم حرم نخاف عليها ونقاتل ، وإنما دخلنا في هذا الدين في بدء أمرنا تعوذاً ، وإن كان الله قد رزق خيراً كثيراً ، ثم فرض لهم في شرف العطاء ، فلما صاروا إلى البصرة سألوا أي الأحياء أقرب نسباً إلى رسول الله ﷺ ، فقيل : بنو تميم وكانوا على أن يحالفوا الأزد فتركوهم وحالفوا بني تميم ، ثم خطت لهم

---

(١) هو الذي نبحت كلابه ركب السيدة عائشة أم المؤمنين عند توجهها إلى البصرة ، فأرادت العودة ، لتحذير سابق صدر عن النبي ﷺ .

خطهم فنزلوا وحفروا نهرهم ، وهو يعرف بنهر الأساورة ، ويقال إن عبد الله ابن عامر حفره .

وقال أبو الحسن المدائني : أراد شيرويه الاسواري أن ينزل في بكر بن وائل مع خالد بن المعمر وبني سدوس ، فأبى سياه ذلك فنزلوا في بني تميم ولم يكن يومئذ الأزد بالبصرة ولا عبد شمس .

قال : فانضم إلى الأساورة السيابجة وكانوا قبل الإسلام بالسواحل، وكذلك الزط وكانوا بالطفوف يتتبعون الكلأ ، فلما اجتمعت الأساورة والزط والسيابجة تنازعتهم بنو تميم،فرغبوا فيهم،فصارت الأساورة في بني سعد،والزط والسيابجة في بني حنظلة ، فأقاموا معهم يقاتلون المشركين ، وخرجوا مع ابن عامر إلى خراسان ، ولم يشهدوا معهم الجمل وصفين ، ولا شيئاً من حروبهم حتى كان يوم مسعود ، ثم شهدوا بعد يوم مسعود الربذة ، وشهدوا أمر ابن الأشعث معه فأضر بهم الحجاج ، فهدم دورهم ، وحط أعطياتهم ، وأجلى بعضهم ، وقال : كان في شرطكم أن لا تعينوا بعضنا على بعض .

وقد روي : أن الأساورة لما انحازوا إلى الكلبانية ، وجه أبو موسى إليهم الزبير بن زياد الحارثي فقاتلهم ، ثم إنهم استأمنوا على أن يسلموا ويحاربوا العدو ويحالفوا من شاؤوا وينزلوا بحيث أحبوا .

قالوا : وانحاز إلى هؤلاء الأساورة قوم من مقاتلة الفرس ممن لا أرض له ، فلحقوا بهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها في النواحي ، فصاروا معهم ودخلوا في الاسلام .

وقال المدائني : لما توجه يزدجرد إلى أصبهان دعا سياه فوجهه إلى اصطخر في ثلاثمائة فيهم سبعون رجلاً من عظمائهم ، وأمره أن ينتخب من أحب من أهل كل بلد ومقاتلته ، ثم اتبعه يزدجرد ، فلما صار باصطخر وجهه إلى السوس، وأبو موسى محاصر لها ، ووجه الهرمزان إلى تستر فنزل سياه الكلبانية، وبلغ أهل

السوس أمر يزدجرد وهربه ، فسألوا أبا موسى الصلح فصالحهم ، فلم يزل سياه مقيماً بالكلبانية حتى سار أبو موسى إلى تستر فتحول سياه فنزل بين رامهرمز وتستر ، حتى قدم عمار فجمع سياه الرؤساء الذين خرجوا معه من أصبهان ، فقال : قد علمتم بما كنا نتحدث به من أن هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة ، وتروث دوابهم في ايوان اصطخر ، وأمرهم في الظهور على ما ترون فانظروا لأنفسكم وادخلوا في دينهم ، فأجابوه إلى ذلك ؛ فوجه شيرويه في عشرة إلى أبي موسى ، فأخذوا ميثاقاً على ما وصفنا من الشرط وأسلموا .

وحدثني غير المدائني عن عوانة ، قال : حالفت الأساورة الأزد ثم سألوا عن أقرب الحيين من الأزد وبني تميم نسباً إلى النبي ﷺ والخلفاء ، وأقربهم مدداً ، فقيل بنو تميم ، فحالفوهم وسيد بني تميم يومئذ الأحنف بن قيس ، وقد شهد وقعة الزبذة أيام ابن الزبير جماعة من الأساورة ، فقتلوا خلقاً بعدتهم من النشاب ولم يخطىء لأحد منهم رمية ، وأما السيابجة والزط والاندغار فانهم كانوا في جند الفرس ممن سبوه ، وفرضوا له من أهل السند ، ومن كان سبياً من أولي الغزاة ، فلما سمعوا بما كان من أمر الاساورة أسلموا وأتوا أبا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة .

وحدثني روح بن عبد المؤمن ، قال : حدثني يعقوب بن الحضرمي عن سلام ، قال : أتى الحجاج بخلق من زط السند ، وأصناف ممن بها من الأمم معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم ، فأسكنهم بأسافل كسكر .

قال روح : فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها ، ثم أنه ضوى إليهم قوم من أباق العبيد وموالى باهلة وخولة محمد بن سليمان بن علي وغيرهم ، فشجعوهم على قطع الطريق ومبارزة السلطان بالمعصية ، وإنما كانت غايتهم قبل ذلك أن يسألوا الشيء الطفيف ويصيبوا غرة من أهل السفينة ، فيتناولوا منها ما أمكنهم اختلاسه ، وكان الناس في بعض أيام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم ، وانقطع

عن بغداد جميع ما كان يحمل إليها من البصرة في السفن ، فلما استخلف المعتصم بالله تجرد لهم ، وولى محاربتهم رجلاً من أهل خراسان يقال له عجيف بن عنبثة ، وضم إليه من القواد والجند خلقاً ، ولم يمنعه شيئاً طلبه من الأموال ، فرتب بين البطائح ومدينة السلام خيلاً مضمرة ملهوبة الاذناب ، وكانت أخبار الزط تأتيه بمدينة السلام في ساعاتٍ من النهار ، أو أول الليل ، وأمر عجيفاً فسكر عنهم الماء بالمؤن العظام حتى أخذوا ، فلم يشذ منهم أحد ، وقدم بهم إلى مدينة السلام في الزواريق فجعل بعضهم بخانقين وفرق سائرهم في عين زربة والثغور .

قالوا : وكانت جماعة السيابجة موكلين ببيت مال البصرة ، يقال إنهم أربعون ، ويقال أربعمائة ، فلما قدم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام البصرة ، وعليها من قبل علي بن أبي طالب عثمان بن حنيف الأنصاري أبوا أن يسلموا بيت المال إلى قدوم علي رضي الله عنه ، فأتوهم في السحر فقتلوهم ، وكان عبد الله بن الزبير المتولى لامرهم في جماعة تسرعوا إليهم معه ، وكان على السيابجة يومئذ أبو سالمة الزطي ، وكان رجلاً صالحاً ، وقد كان معاوية نقل من الزط والسيابجة القدماء إلى سواحل الشام وأنطاكية بشراً ، وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل قوماً من الزط إلى أنطاكية وناحيتها .

قالوا : وكان عبيد الله بن زياد سبى خلقاً من أهل بخارى ويقال بل نزلوا على حكمه ، ويقال بل دعاهم إلى الأمان والفريضة ، فنزلوا على ذلك ورغبوا فيه فأسكنهم البصرة ، فلما بنى الحجاج مدينة واسط نقل كثيراً منهم إليها فمن نسلهم اليوم بها قوم منهم خالد الشاطر المعروف بابن مارقلي ، قال : ولاندغار من ناحية كرمان مما يلي سجستان .

كور الاهواز

قالوا : غزا المغيرة بن شعبة سوق الاهواز في ولايته حين شخص عتبة بن غزوان من البصرة في آخر سنة خمس عشرة ، وأول سنة ست عشرة ، فقاتله البيرواز دهقانها ، ثم صالحه على مال، ثم إنه نكث، فغزاها أبو موسى الاشعري حين ولاه عمر بن الخطاب البصرة بعد المغيرة، فافتتح سوق الاهواز عنوة، وفتح نهر تيري عنوة ، وولي ذلك بنفسه في سنة سبع عشرة.

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتها : قدم أبو موسى البصرة فاستكتب زياداً ، واتبعه عمر بن الخطاب بعمران بن الحصين الخزاعي ، وصيره على تعليم الناس الفقه والقرآن ، وخلافة أبي موسى إذا شخص عن البصرة ، فسار أبو موسى إلى الاهواز ، فلم يزل يفتح رستاقاً رستاقاً ونهراً نهراً ، والأعاجم تهرب من بين يديه ، فغلب على جميع أرضها إلا السوس ، وتستر ومناذر ، ورامهرمز .

وحدثني الوليد بن صالح،قال : حدثني مرحوم العطار عن أبيه عن شويس العدوي ، قال : أتينا الأهواز وبها ناس من الزط والاساورة فقاتلناهم قتالاً شديداً ، فظهرنا عليهم وظفرنا بهم فأصبنا سبياً كثيراً اقتسمناهم ، فكتب إلينا عمر : إنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض ، فخلوا ما في أيديكم من السبي واجعلوا عليهم الخراج ، فرددنا السبي ، ولم نملكهم .

قالوا : وسار أبو موسى إلى مناذر ، فحاصر أهلها فاشتد قتالهم فكان المهاجر بن زياد الحارثي ، أخو الربيع بن زياد بن الديان في الجيش ، فأراد أن يشري نفسه وكان صائماً ، فقال الربيع لأبي موسى : إن المهاجر عزم على أن يشري نفسه وهو صائم ، فقال أبو موسى : عزمت على كل صائم أن يفطر أو

لا يخرج إلى القتال ، فشرب المهاجر شربة ماء ، وقال : قد أبررت عزمة أميري ، والله ما شربتها من عطش ، ثم راح في السلاح ، فقاتل حتى استشهد وأخذ أهل مناذر رأسه ونصبوه على قصرهم بين شرفتين ، وله يقول القائل :

وفي مناذر لما جاش جمعهم ... راح المهاجر في حل بأجمال
والبيت بيت بني الديان نعرفه ... في آل مذحج مثل الجوهر الغالي

واستخلف أبو موسى الأشعري الربيع بن زياد على مناذر ، وسار إلى السوس ، ففتح الربيع مناذر عنوة ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية ، وصارت مناذر الكبرى والصغرى في أيدي المسلمين ، فولاهما أبو موسى عاصم بن قيس بن الصلت السلمي ، وولى سوق الأهواز سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار وقال قوم : إن عمر كتب إلى أبي موسى وهو محاصر مناذر يأمره أن يخلف عليها ويسير إلى السوس ، فخلف الربيع بن زياد .

حدثني سعدويه ، قال : حدثنا شريك عن أبي اسحاق عن المهلب بن أبي صفرة ، قال : حاصرنا مناذر فأصبنا سبيا ، فكتب عمر : إن مناذر كقرية من قرى السواد ، فردوا عليهم ما أصبتم .

قالوا : وسار أبو موسى إلى السوس فقاتل أهلها ثم حاصرهم حتى نفد ماعندهم من الطعام ، فضرعوا إلى الأمان ، وسأل مرزبانهم أن يؤمن ثمانون منهم على أن يفتح باب المدينة ويسلمها فسمى الثمانين ، وأخرج نفسه منهم فأمر به أبو موسى فضربت عنقه ، ولم يعرض للثمانين ، وقتل من سواهم من المقاتلة ، وأخذ الأموال وسبى الذرية ، ورأى أبو موسى في قلعتهم بيتاً وعليه ستر ، فسأل عنه فقيل إن فيه جثة دانيال النبي عليه السلام وعلى أنبياء الله ورسله ، فانهم كانوا أقحطوا فسألوا أهل بابل دفعه إليهم ليستسقوا به ففعلوا ، وكان بختنصر سبى دانيال وأتى به بابل فقبض بها ، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أن كفنه وادفنه ، فسكر أبو موسى نهراً حتى إذا انقطع دفنه ثم أجرى الماء عليه .

حدثني أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا مروان بن معاوية عن حميد الطويل عن حبيب عن خالد بن زيد المزني ، وكانت عينه أصيبت بالسوس قال: حاصرنا مدينتها ، وأميرنا أبو موسى فلقينا جهداً ، ثم صالحه دهقانها على أن يفتح له المدينة ويؤمن له مائة من أهله ففعل ، وأخذ عهد أبي موسى ، فقال له: أعزلهم فجعل يعزلهم وأبو موسى يقول لأصحابه : إني لأرجو أن يغلبه الله على نفسه ، فعزل المائة وبقي عدو الله ، فأمر به أبو موسى أن يقتل فنادى: رويدك أعطيك مالاً كثيراً فأبى وضرب عنقه .

قالوا : وهادن أبو موسى أهل رامهرمز ، ثم انقضت هدنتهم فوجه إليهم أبا مريم الحنفي فصالحهم على ثمانمائة ألف درهم .

حدثني روح بن عبد المؤمن ، قال : حدثني يعقوب عن أبي عاصم الرامهرمزي ،وكان قد بلغ المائة أو قاربها،قال : صالح أبو موسى أهل رامهرمز على ثمانمائة ألف أو تسعمائة ألف ، ثم إنهم غدروا ففتحت بعد عنوة ففتحها أبو موسى في آخر أيامه .

قالوا : وفتح أبو موسى سرق على مثل صلح رامهرمز ، ثم إنهم غدروا ، فوجه إليها حارثة بن بدر الغداني في جيش كثيف فلم يفتحها ، فلما قدم عبد الله ابن عامر فتحها عنوة ، وقد كان حارثة ولي سرق بعد ذلك ، وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي :

أحار بن بدر قد وليت امارة ... فكن جرزاً فيها تخون وتسرق
فإن جميع الناس : اما مكذب ... يقول بما تهوى : واما مصدق
يقولون أقوالاً بظن وشبهة ... فإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
ولا تعجزن فالعجز أسوء عادة ... فحظك من مال العراقين سرق [١]

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي – ط . بغداد ١٩٥٤ ص ٢٤٣ .

وجعل الرجل من الأعاجم يقتل أهله وولده ويلقيهم في دجيل خوفاً من أن يظفر بهم العرب ، وطلب الهرمزان الأمان وأبى أبو موسى أن يعطيه ذلك إلا على حكم عمر ، فنزل على ذلك ، وقتل أبو موسى من كان في القلعة ممن لا أمان له ، وحمل الهرمزان إلى عمر فاستحياه وفرض له ، ثم انـــه اتهم بممالأة أبي لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبـــة على قتل عمر رضي الله عنه ، فقال عبيد الله ابن عمر امض بنا ننظر إلى فرس لي فمضى وعبيد الله خلفه ، فضربه بالسيف وهو غافل فقتله .

حدثنا أبو عبيد، قال : حدثنا مروان بن معاوية عن حميد عن أنس، قال: حاصرنا تستر فنزل الهرمزان فكنت الذي أتيت بـــه إلى عمر ، بعث بي أبو موسى ، فقال له عمر : تكلم فقال : أكلام حي أم كلام ميت ، فقـال : تكلم لا بأس ، فقال الهرمزان : كنا معشر العجم مـــا خلى الله بيننا وبينكم نقصيكم ونقتلكم ، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان ، فقال عمر: ما تقول يا أنس؟ قلت: تركت خلفي شوكة شديدة وعدوا كلباً،فإن قتلته يئس القوم من الحياة، فكان أشد لشوكتهم وإن استحييته طمع القوم في الحياة ، فقال عمر : يا أنس سبحان الله ، قاتل البراء بن مالك ، ومجزأة بن ثور السدوسي ؟ قلت : فليس لك إلى قتله سبيل ، قال : ولم أعطاك ، أصبت منه ؟ قلت : ولكنك قلت له : لا بأس فقال : متى،لتجيئن معك بمن شهد وإلا بدأت بعقوبتك،قال :فخرجت من عنده فإذا الزبير بن العوام قد حفظ الذي حفظت ، فشهـد لي فخلى سبيل الهرمزان ، فأسلم وفرض له عمر .

وحدثني اسحاق بن أبي اسرائيل ، قال : حدثنا ابن المبارك عـــن ابن جريج عن عطاء الخراساني ، قال : كفيتك إن تستر كانت صلحاً فكفرت ، فسار إليها المهاجرون فقتلوا المقاتلة وسبول الذراري،فلم يزالوا في أيدي سادتهم حتى كتب عمر خلوا ما في أيديكم .

فلما بلغ الشعر حارثة قال :

جزاك إله الناس خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافيا
أمرت بحزم لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لأمرك عاصياً

قالوا : وسار أبو موسى إلى تستر وبها شوكة العدو وحدهم ، فكتب إلى عمر يستمده، فكتب عمر إلى عمار بن ياسر يأمره بالمسير إليه في أهل الكوفة، فقدم عمار جرير بن عبد الله البجلي ، وسار حتى أتى تستر ، وعلى ميمنته ، يعني ميمنة أبي موسى ، البراء بن مالك أخو أنس بن مالك ، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي ، وعلى الخيل أنس بن مالك ، وعلى ميمنة عمار البراء ابن عازب الأنصاري ، وعلى ميسرته حذيفة بن اليمان العبسي، وعلى خيله قرظة ابن كعب الانصاري ، وعلى رجالته النعمان بن مقرن المزني، فقاتلهم أهل تستر قتالاً شديداً ، وحمل أهل البصرة وأهل الكوفة حتى بلغوا باب تستر فضاربهم البراء بن مالك على الباب حتى استشهد رحمه الله ، ودخل الهرمزان وأصحابه المدينة بشر حال ، وقد قتل منهم في المعركة تسعمائة وأسر ستمائة ، ضربت أعناقهم بعد ، وكان الهرمزان من أهل مهرجان قذف ، وقد حضر وقعة جلولاء مع الأعاجم ، ثم إن رجلاً من الأعاجم استأمن إلى المسلمين على أن يدلهم على عورة المشركين ، فأسلم واشترط أن يفرض لولده ويفرض له، فعاقده أبو موسى على ذلك ، ووجه رجلاً من شيبان، يقال له أشرس بن عوف ، فخاض به دجيل على عرق من حجارة ، ثم علا به المدينة وأراه الهرمزان ، ثم رده إلى العسكر ، فندب أبو موسى أربعين رجلاً مع مجزأة بن ثور وأتبعهم مائتي رجل وذلك في الليل والمستأمن يقدمهم فأدخلهم المدينة ،فقتلوا الحرس وكبروا على سور المدينة، فلما سمع ذلك الهرمزان هرب إلى قلعته وكانت موضع خزانته وأمواله ، وعبر أبو موسى حين أصبح حتى دخل المدينة فاحتوى عليها ، وقال الهرمزان : ما دل العرب على عورتنا إلا بعض من معنا ممن رأى أقبال أمرهم وادبار أمرنا ،

قال : وسار أبو موسى إلى جند يسابور وأهلها منخوبون ، فطلبوا الأمـان فصالحهم على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يعرض لأموالهم سوى السلاح، ثم إن طائفة من أهلها توجهوا إلى الكلبانية ، فوجه إليهم أبو موسى الربيع بن زياد فقتلهم وفتح الكلبانيـة ، واستأمنت الأساورة فأمنهم أبو موسى فأسلموا ، ويقال ، انهم استأمنوا قبل ذلك فلحقوا بأبي موسى وشهـدوا تستر والله أعلم .

وحدثني عمر بن حفص العمري عن أبي حذيفة عن أبي الأشهب عـن أبي رجاء ، قال : فتح الربيع بن زياد الثيبان من قبل أبي موسى عنوة ، ثم غدروا ففتحها منجوف بن ثور السدوسي .

قال : وكان مما فتح عبد الله بن عامر سنبيل والزط، وكان أهلها قد كفروا، فاجتمع إليهم أكراد من هذه الأكراد ، وفتح أيذج بعد قتال شديد ، وفتح أبو موسى السوس وتستر ودورق عنوة .

وقال المدائني : فتح ثابت ابن ذي الحرة الحميري قلعة ذي الرناق .

حدثني المدائني عن أشياخه وعمر بن شبة عن مجالد بن يحيى أن مصعب بن الزبير ولى مطرف بن سيدان الباهلي أحد بني جآوة شرطته في بعض أيام ولايته العراق لأخيه عبد الله بن الزبير ، فأتي مطرف بالنابي بن زياد بن ظبيان أحـد بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، وبرجل من بني نمير قطعـا الطريق فقتل النابي ، وضرب النميري بالسياط وتركه ، فلما عزل مطرف عن الشرطة وولي الأهواز جمع عبيد الله بن زياد بن ظبيان له جمعاً وخرج يريـده ، فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر فعبر مطرف بن سيدان فعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله، فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلبـه ، فسار حتى صار إلى الموضع الذي يعرف اليوم بعسكر مكرم ، فلم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك بن مروان وقاتل معه مصعباً فقتله واحتز رأسه ، ونسب عسكر مكرم إلى مكرم ابن مطرف هذا ، قال البعيث السكري :

سقينا ابن سيدان بكأس روية كفتنا وخير الأمر ما كان كافياً

ويقال أيضاً ان عسكر مكرم إنما نسب إلى مكرم بن الفزر أحد بني جعونة ابن الحارث بن نمير ، وكان الحجاج وجهه لمحاربة خرزاد بن بأس حين عصى ، ولحق بأيذج ، وتحصن في قلعة تعرف به ، فلما طال عليه الحصار نزل مستخفياً متنكراً ليلحق بعبد الملك ، فظفر به مكرم ومعه درتان في قلنسوته فأخذه وبعث به إلى الحجاج فضرب عنقه .

وذكروا : انه كانت عند عسكر مكرم قرية قديمة وصل بها البناء بعد ، ثم لم يزل يزاد فيه حتى كثر ، فسمي ذلك أجمع عسكر مكرم وهو اليوم مصر جامع .

وحدثني أبو مسعود عن عوانة ، قال : ولي عبد الله بن الزبير البصرة حمزة ابن عبد الله بن الزبير ، فخرج إلى الأهواز ، فلما رأى جبلها قال : كأنه قيقعان ، وقال الثوري الأهواز سمي بالفارسية هوزمسير ، وإنما سميت الأحواز فغيرها الناس ، فقالوا : الأهواز ، وأنشد لأعرابي :

لا رجعني إلى الأحواز ثانية وقعقعان الذي في جانب السوق
ونهر بط الذي أمسى يؤرقني فيه البعوض بلسب[1] غير تشفيق
فما الذي وعدته نفسه طمعا من الحصيني أو عمرو بمصدوق

وقال نهر البط نهر كانت عنده مراح للبط فقالت العامة : نهر بط ، كما قالوا : دار بطيخ ، وسمعت من يقول : إن النهر كان لامرأة تسمى البطة ، فنسب إليها ثم حذف .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري ، قال : افتتح عمر السواد والأهواز عنوة فسئل عمر قسمة ذلك ، فقال : فما لمن جاء من المسلمين بعدنا ، فأقرهم على منزلة أهل الذمة .

---

(١) أي لدغ أو ضرب .

وحدثني المدائني عن علي بن حماد وسحيم بن حفص وغيرهما ، قالوا : قال أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق كلمة رفع فيها على عمال الأهواز وغيرهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أبلـغ أمـير المؤمنين رسالة ... فأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمين الله فينا ، ومن يكن ... أميناً لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى ... يسيفون مال الله في الآدم الوفر
فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابه ... وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر
ولا تنسين النافعين كليهما ... ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
وما عاصم منها بصفر عيابـه ... وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وأرسل إلى النعمان وأعرف حسابه ... وصهر بني غزوان إني لذو خبر
وشبلا فسله المال وابن محرش ... فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر
فقاسمهم أهلي فداؤك إنهـم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهـادة : إنني ... أغيب ولكني أرى عجب الدهر
نؤوب إذا آبوا ونغزوا إذا غزوا ... فإنا لهم وفر : ولسنا أولى وفر
إذا التاجر الداري جـاء بفارة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري

فقاسم عمر هؤلاء الذين ذكرهم أبو المختار شطر أموالهم حتى أخذ نعلا وترك نعلا ، وكان فيهم أبو بكرة ،فقال : إني لم آل لك شيئاً، فقال له: أخوك على بيت المال وعشور الأبلة وهو يعطيك المال تتجر به فأخذ منه عشرة آلاف، ويقال : قاسمه شطر ماله ، وقال الحجاج الذي ذكره الحجاج بن عتيك الثقفي وكان على الفرات ، وجزء بن معاوية عم الأحنف كان على سرق ، وبشر بن المحتفز كان على جند يسابور ، والنافعان نفيع أبو بكرة ونافع بن الحارث بن كلدة أخوه ، وابن غلاب خالد بن الحارث من بني دهمان كان على بيت المال بأصبهان وعاصم بن قيس بن الصلت السلمي كان على منـاذر والذي في السوق

سمرة بن جندب على سوق الأهواز ، والنعمان بن عـــدي بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان أحد بني عدي بن كعب بن لؤي كان على كور دجلة ، وهو الذي يقول :

من مبلغ الحسناء أن خليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصناجة تجذو على كل منسم
لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا بالجوسق المتهـــدم

فلم بلغ عمر شعره ، قال : أي والله إنـــه ليسوءني ذلك وعزله ، وصهر بني غزوان مجاشع بن مسعود السلمي كانت عنده بنت عتبة بن غزوان وكان على أرض البصرة وصدقاتها ، وشبل بن معبد البجلي ثم الأحمسي كان على قبض المغانم، وابن محرش أبو مريم الحنفي كان على رام هرمز .

قال عوسجة بن زياد الكاتب اقطع الرشيد أمير المؤمنين عبيد الله بن المهدي مزارعة الأهواز فدخل فيها شبهة ، فرفع في ذلك قوم إلى المأمون، فأمر بالنظر فيها والوقوف عليها ، فما لم تكن فيه شبهة أنفذ وما شك فيه سمى المشكوك فيه وذلك معروف بالأهواز (١) .

كور فارس وكرمان

قالوا : كان العلاء بن الحضرمي وهو عامل عمر بن الخطاب على البحرين وجه هرثمة بن عرفجة البارقي من الأزد ، ففتح جزيرة في البحر ممـــا يلي فارس ، ثم كتب عمر إلى العلاء أن يمد به عتبة بن فرقد السلمي ففعل ، ثم لما ولى عمر عثمان ابن أبي العاصي الثقفي البحرين وعمان فدوخها واتسقت له طاعة أهلها وجـه أخاه الحكم بن أبي العاصي في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٦٨٤ — ٧٠٢ .

والأزد وتميم وبني ناجية وغيرهم ، ففتح جزيرة أبركاوان، ثم صار إلى توج وهي من أرض أردشير خره ، ومعنى أردشير خره بهاء أردشير .

وفي رواية أبي مخنف: أن عثمان بن أبي العاصي نفسه قطع البحر إلى فارس فنزل توج ففتحها ، وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين وأسكنها عبدالقيس وغيرهم فكان يغير منها على أرجان وهي متاخمة لها ، ثم انه شخص عن فارس إلى عمان والبحرين لكتاب عمر إليه في ذلك ، واستخلف أخاه الحكم ، وقال غير أبي مخنف : ان الحكم فتح توج وأنزلها المسلمين من عبد القيس وغيرهم سنة تسع عشرة .

وقالوا : إن شهرك مرزبان فارس وواليها أعظم ما كان من قدوم العرب فارس، واشتد عليه وبلغته نكايتهم وبأسهم وظهورهم على كل من لقوه من عدوهم فجمع جمعاً عظيماً ، وسار بنفسه حتى أتى ريشهر من أرض سابور وهي بقرب توج ، فخرج إليه الحكم بن أبي العاصي وعلى مقدمته سوار بن همام العبدي فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان هناك واد قد وكل به شهرك رجلاً من نقابه في جماعة وأمره أن لا يجتازه هارب من أصحابه إلا قتله، فأقبل رجل من شجعاء الأساورة موليا من المعركة ، فأراد الرجل قتله ، فقال له : لا تقتلني فإنما نقاتل قوماً منصورين : الله معهم ، ووضع حجراً فرماه ففلقه ، ثم قال : أترى هذا السهم الذي فلق الحجر ، والله ما كان ليخدش بعضهم لو رمي به ، قال : لا بد من قتلك : فبينا هو في ذلك إذ أتاه الخبر بقتل شهرك ، وكان الذي قتله سوار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فأرداه عن فرسه وضربه بسيفه حتى فاضت نفسه وحمل ابن شهرك على سوار فقتله ، وهزم الله المشركين وفتحت ريشهر عنوة ، وكان يومها في صعوبته وعظيم النعمة على المسلمين فيه كيوم القادسية وتوجه بالفتح إلى عمر بن الخطاب عمرو بن الاهتم التميمي ، فقال :

جئت الإمام باسراع لأخبره   بالحق من خبر العبدي سوار
أخبار أروع ميمون نقيبته   مستعمل في سبيل الله مغوار

وقال بعض أهل توج : ان توج مصرت بعد مقتل شهرك والله أعلم . قالوا : ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عثمان بن أبي العاصي في إتيان فارس ، فخلف على عمله أخاه المغيرة، ويقال : هو حفص بن أبي العاصي، وكان جزلاً ، وقدم توج فنزلها فكان يغزو منها ثم يعود إليها ، وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة يأمره ان يكانف عثمان بن أبي العاصي ويعاونه ، فكان يغزو فارس من البصرة ثم يعود إليها ، وبعث عثمان بن أبي العاصي هرم بن حيان العبدي إلى قلعة يقال لها شبير ، ففتحها عنوة بعد حصار وقتال، وقال بعضهم : فتح هرم قلعة الستوج عنوة وأتى عثمان خره من سابور ففتحها وأرضها بعد أن قاتله أهلها صلحاً على أداء الجزيـة والخراج ونصح المسلمين، وفتح عثمان بن أبي العاصي كازرون من سابور ، وغلب على أرضها ، وفتح عثمان النوبندجان من سابور أيضاً وغلب عليها .

واجتمع أبو موسى وعثمان بن أبي العاصي في آخر خلافـة عمر رضي الله عنه ففتحا أرجان صلحاً على الجزية والخراج ، وفتحـا شيراز وهي من أرض أردشير خره على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلا من أحب منهم الجـلاء ولا يقتلوا ولا يستعبدوا ، وفتحا سينيز من أرض أردشير خره وتركا أهلهـا عماراً للأرض ، وفتح عثمان حصن جنابـا بأمان ، وأتى عثمان بن أبى العاصى درأبجرد ، وكانت شادر وان علمهم ودينهم ، وعليها الهربذ [١]، فصالحه الهربذ على مال أعطاه إياه وعلى أن أهل درابجرد كلهم أسوة من فتحت بلاده من أهل فارس ، واجتمع له جمـع بناحية جهرم ففضهم ، وفتح أرض جهرم ، وأتى عثمان فسا فصالحه عظيمها على مثل صلح درأبجرد ، ويقال إن الهربـذ صالح عليها أيضاً .

وأتى عثمان بن أبي العاصي مدينة سابور في سنة ثلاث وعشرين ، ويقال في سنة أربع وعشرين قبل أن تأتي أبا موسى ولايته البصرة من قبل عثمان بن عفان

(١) من أعلى المراتب الكهنوتية في الديانة الزرادشتية .

فوجد أهلها هائبين للمسلمين ورأى أخو شهرك في منامـه كأن رجلاً من العرب دخل عليه فسلبه قميصه، فنخب ذلك قلبه فامتنع قليلاً ثم طلب الأمان والصلح، فصالحه عثمان على أن لا يقتل أحداً ولا يسبيه، وعلى أن تكون له ذمة ويعجل مالاً ، ثم إن أهل سابور نقضوا وغدروا ففتحت في سنة ست وعشرين فتحهـا عنوة أبو موسى ، وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاصي .

وقال معمر بن المثنى وغيره : كان عمر بن الخطاب أمر أن يوجـه الجارود العبدي سنة اثنتين وعشرين إلى قلاع فارس ، فلما كان بين خره وشيراز تخلف عن أصحابه في عقبة هناك سحراً لحاجته ومعه اداوة ، فأحاطت به جماعة من الأكراد فقتلوه ، فسميت تلك العقبة عقبة الجارود .

قالوا : ولما ولى عبد الله بن عامر بن كريز البصرة من قبل عثمان بن عفان بعد أبي موسى الأشعري سار إلى اصطخر في سنة ثمان وعشرين فصالحه ماهك عن أهلها ، ثم خرج يريد جور ، فلما فارقها نكثوا وقتلوا عامله عليهم ، ثم لما فتح جور كر عليهم ففتحها .

قالوا : وكان هرم بن حيان مقيماً على جور وهي مدينة أردشير خره، وكان المسلمون يعاونها ثم ينصرفون عنهـا فيعاودون اصطخر ويغزون نواحي كانت تنتقض عليهم ، فلما نزل ابن عامر بها قاتلوه ثم تحصنوا ففتحهـا بالسيف عنوة ، وذلك في سنـة تسع وعشرين وفتح ابن عـامر أيضاً السكاريان وفشجاتن ، وهي الفيشجان من درأبجـرد ولم تكونا دخلتا في صلـح الهربذ وانتقضتا .

وحدثني جماعة من أهل العلم : أن جور غزيت عدة سنين فلم يقدر عليها حتى فتحها ابن عامر ، وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة وإلى جانبه جراب له فيه خبز ولحم ، فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخـل

المدينة من مدخـــل لها خفي فألظ [١] المسلمون بذلك المدخل حتى دخلوا منه وفتحوها .

قالوا : ولما فرغ عبدالله بن عامر من فتح جور كرّ على أهل اصطخر وفتحها عنوة بعد قتال شديد ورمي بالمناجيق، وقتل بها من الأعاجم أربعين ألفاً وأفنى أكثر أهل البيوتات ووجوه الأساورة ، وكانوا قد لجأوا إليها ، وبعض الرواة يقول ان ابن عامر رجع إلى اصطخر حين بلغه نكثهم ففتحها، ثم صار إلى جور وعلى مقدمته هرم بن حيان ففتحها .

وروى الحسن بن عثمان الزيادي أن أهل اصطخر غدروا في ولاية عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما العراق [٢] لعلي رضي الله عنه ، ففتحها .

وحدثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف ، قال : توجه ابن عامر إلى اصطخر ، ووجه على مقدمته عبيد الله بن معمر التيمي فاستقبله أهل اصطخر براجرد فقاتلهم فقتلوه فدفن في بستان براجرد ، وبلـــغ ابن عامر الخبر فأقبل مسرعاً حتى واقعهم ، وعلى ميمنته أبو برزة نضلة بن عبد الله الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار المزني ، وعلى الخيل عمران بن الحصين الخزاعي وعلى الرجال خالد بن المعمر الذهلي ، فقاتلهم فهزمهم حتى أدخلهم اصطخر ،وفتحها الله عنوة ، فقتل فيها نحواً من مائة ألف ، وأتى درابجرد ففتحهـــا ، وكانت منتقضة ثم وجه إلى كرمان .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عاصم الأحول عن فضيل بن زيد الرقاشي ، قال : حاصرنا شهرياج شهراً جراراً وكنا ظننا انا سنفتحها في يومنا، فقاتلنا أهلها ذات يوم، ورجعنا إلى معسكرنا وتخلف عبد مملوك منافراً – ظنوه – فكتب لهم أماناً ورمى به إليهم في سهم ، قال :

---

(١) أي لازموا . القاموس .

(٢) ولي ابن عباس البصرة ، وكان الإمام علي مقيماً بالكوفة.

فرحنا للقتال وقد خرجوا من حصنهم ، فقالوا : هذا أمانكم ، فكتبنا بذلك إلى عمر فكتب إلينا : إن العبد المسلم من المسلمين ، ذمته كذمتهم ؛ فلينفذ أمانه فأنفذناه .

وحدثني القاسم بن سلام ، قال : حدثنا أبو النضر عن شعبة عن عاصم عن الفضيل ، قال : كنا مصافي العدو بسيراف ثم ذكر نحو ذلك .

وحدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد بن العوام عن عاصم الأحول عن الفضيل بن زيد الرقاشي ، قال : حاصر المسلمون حصناً فكتب عبد أماناً ورمى به إليهم في مشقص فقال المسلمون : ليس أمانه بشيء ، فقال القوم: لسنا نعرف الحر من العبد ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب : إن عبد المسلمين منهم، ذمته ذمتهم .

وأخبرني بعض أهل فارس : إن حصن سيراف يدعى سور يانج ، فسمته العرب شهرياج ، وبفسا قلعة تعرف بخرشة بن مسعود من بني تميم ، ثم من بني شقرة كان مع ابن الأشعث فتحصن في هذه القلعة ، ثم أومن فمات بواسط وله عقب بفسا .

وأما كرمان فإن عثمان بن أبي العاصي الثقفي لقي مرزبانها في جزيرة ابركاوان وهو في خف ، فقتله فوهن أمر أهل كرمان ، ونخبت قلوبهم ، فلما صار ابن عامر إلى فارس وجه مجاشع بن مسعود السلمي إلى كرمان في طلب يزدجرد ، فأتى بيمند فهلك جيشه بها .

ثم لما توجه ابن عامر يريد خراسان ولى مجاشعاً كرمان ففتح بيمند عنوة ، واستبقى أهلها وأعطاهم أماناً وبها قصر يعرف بقصر مجاشع ، وفتح مجاشع بروخروة وأتى الشيرجان وهي مدينة كرمان، وأقام عليها أياماً يسيرة وأهلها متحصنون وقد خرجت لهم خيل فقاتلهم ففتحها عنوة وخلف بها رجلاً ، ثم إن كثيراً من أهلها جلوا عنها ، وقد كان أبو موسى الأشعري وجه الربيع بن

زياد ففتح ما حول الشيرجان وصالح أهل بم والاندغار، فكفر أهلها ونكثوا، فافتتحها مجاشع بن مسعود وفتح جيرفت عنوة وسار في كرمان فدوخها، وأتى القفص وتجمع له بهرموز خلق ممن جـلا من الأعاجم فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم، وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وأتى بعضهم سجستان ، فاقطعت العرب منازلهم وأرضيهم فعمروهـا ، وأدوا العشر فيها ، واحتفروا القني في مواضع منها .

وولى الحجاج قطن بن قبيصة بن مخارق الهلالي فارس وكرمان ، وهـو الذي انتهى إلى نهر فلم يقدر أصحابه على اجازته، فقال : من جاز فله ألف درهم، فجازوه فوفى لهم ، فكان ذلك أول يوم سميت الجائزة فيه، قال الشاعر—وهو الجحاف بن حكيم :

فدى للأكرمين بني هلال ... على علاتهم أهلي ومـالي
هم سنوا الجوائز في معد ... فصارت سنة أخرى الليالي
رماحهم تزيد على ثمـان ... وعشر حين تختلف العوالي

وكان قبيصة بن مخارق من أصحاب النبي ﷺ ، وفي قطن يقول الشاعر :

كم من أمير قد أصبت حباءه ... وآخر حظي من أمارته الحزن
فهل قطن إلا كمن كان قبله ... فصبراً على ما جاء يوماً به قطن

قالوا : وكان ابن زياد ولى شريك بن الأعور الحارثي — وهـو شريك بن الحارث — كرمان ، وكتب ليزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميري إليـه ، فأقطعه أرضاً بكرمان فباعها بعد هرب ابن زياد من البصرة .

وولى الحجاج الحكم بن نهيك الهجيمي كرمان بعـد أن كان ولاه فارس ، فبنى مسجد أرجان ودار أمارتها[1] .

---

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٦٥ — ٧٧٢ .

سجستان وكابل

حدثني علي بن محمد وغيره أن عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبدشمس توجه يريد خراسان سنة ثلاثين، فنزل بعسكره شق الشيرجان من كرمان ، ووجه الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي إلى سجستان،فسار حتى نزل الفهرج ، ثم قطع المفازة ، وهي خمسة وسبعون فرسخاً،فأتى رستاق زالق ، وبين زالق وبين سجستان خمسة فراسخ، وزالق حصن ، فأغار على اهله في يوم مهرجان ، فأخذ دهقانه فافتدى نفسه بأن ركز عنزة [1] ثم غمرها ذهباً وفضة ، وصالح الدهقان على حقن دمه .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى:صالحه على أن يكون بلده كبعض ما افتتح من بلاد فارس وكرمان ، ثم أتى قرية يقال لها : كركويه على خمسة أميال من زالق فصالحوه ولم يقاتلوه،ثم نزل رستاقاً يقال له هيسون فأقام له أهله النزل وصالحوه على غير قتال ، ثم أتى زالق وأخذ الادلاء منها الى زرنج وسار حتى نزل الهندمند ، وعبر وادياً يتزع منه يقال له نوق، وأتى ذوشت وهي من زرنج على ثلثي ميل ، فخرج إليه أهلها فقاتلوه قتالاً شديداً ، وأصيب رجال من المسلمين، ثم كر المسلمون وهزموهم حتى اضطروهم إلى المدينة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم أتى الربيع ناشروز ، وهي قرية فقاتل أهلها وظفر بهم ، وأصاب بها عبدالرحمن أبا صالح بن عبدالرحمن الذي كتب للحجاج مكان زاذان، فروخ بن نيري ، وولى خراج العراق لسليمان بن عبد الملك، وأمه فاشترته امرأة من بني تميم ، ثم من بني مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد

---

(١) رميح بين العصا والرمح ، فيه زج . القاموس .

مناة بن تميم ، يقال لها عبلة ، ثم مضى من ناشروذ إلى شراوذ وهي قرية فغلب عليها ، وأصاب بها جد إبراهيم بن بسام ، فصار لابن عمير الليثي ، ثم حاصر مدينة زرنج بعد أن قاتله أهلها ، فبعث إليه أبرويز مرزبانها يستأمنه ليصالحه ، فأمر بجسد من أجساد القتلى فوضع له فجلس عليـــه واتكأ على آخر وأجلس أصحابه على أجساد القتلى،وكان الربيع آدم أفوه طويلاً ، فلما رآه المرزبان هاله فصالحه على ألف وصيف ، مع كل وصيف جام من ذهب ودخل الربيع المدينة، ثم أتى سناروذ ، وهو واد ، فعبره وأتى القريتين ، وهناك مربــط فرس رستم فقاتلوه فظفر ، ثم قدم زرنج فأقام بها سنتين .

ثم أتى ابن عامر واستخلف بها رجلاً من بني الحارث بن كعب فأخرجوه وأغلقوها ، وكانت ولاية الربيع سنتين ونصفاً ، وسبى في ولايته هــذه أربعين ألف رأس ، وكان كاتبه الحسن البصري .

ثم ولى ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس سجستان،فأتى زرنج فحصر مرزبانها في قصره في يوم عيد لهم ، فصالحه على ألفي ألف درهــم وألفي وصيف، وغلب ابن سمرة على ما بين زرنج وكش من ناحية الهند ،وغلب من ناحية طريق الرخج على ما بينه وبين بلاد الدوار، فلما انتهى إلى بلاد الدوار حصرهم في جبل الزور ، ثم صالحهم فكانت عدة من معه من المسلمين ثمانيـــة آلاف فأصاب كل رجل منهم أربعة آلاف ، ودخل على الزور وهو صنم مـــن ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخــذ الياقوتتين ، ثم قال للمرزبان : دونك الذهب والجوهر ، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع ، وفتح : بست وزابل ، بعهد .

حدثني الحسين بن الأسود قال : حدثنا وكيع عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين أنه كره سبي زابل،وقال: إن عثمان ولث [1] لهم ولثا،

(١) الولث : العهد غير الأكيد . القاموس .

قال وكيع : عقد لهم عقداً وهو دون العهد ، قالوا : وأتى عبد الرحمن زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان، ثم استخلف أمير بن أحمر اليشكري وانصرف من سجستان ، ولأمير يقول ، زياد الأعجم :

لولا أمـــير هلكت يشكر ويشكر هلكى على كل حال [١]

ثم ان أهل زرنج أخرجوا أميرا وأغلقوها .

ولما فرغ علي بن أبي طالب عليه السلام من أمر الجمل خرج حسكة بن عتـــاب الحبطي وعمران بن الفصيل البرجمي في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق، وقد نكث أهلها ، فأصابوا منها مالاً ، وأخذوا جد البختري الأصم بن مجاهد مولى شيبان ، ثم أتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها وقال الراجز:

بشر سجستان بجوع وحرب بابن الفضيل وصعاليك العرب
لا فضة يغنيهم ولا ذهب

وبعث علي بن أبي طالب عبـــد الرحمن بن جزء الطائي إلى سجستان فقتله حسكة ، فقال علي : لأقتلن من الحبطات أربعة آلاف، فقيل له : ان الحبطات لا يكونون خمسمائة .

وقال أبو مخنف:وبعث علي رضي الله عنه عون بن جعدة بن هبيرة المخزومي إلى سجستان ، فقتله بهدالى اللص الطائي في طريـــق العراق ، فكتب علي إلى عبد الله بن العباس يأمره أن يولي سجستان رجلا في أربعة آلاف ، فوجه ربعي ابن الكاس العنبري في أربعة آلاف ، وخرج معـه الحصين بن أبي الحر ، واسم أبي الحر مالك بن الخشخاش العنبري ، وثابت بن ذي الحرة الحميري ، وكان على مقدمته ، فلما وردوا سجستان قاتلهم حسكة فقتلوه وضبط ربعي البلاد فقال راجزهم :

نحن الذين اقتحموا سجستـــان على ابن عتاب وجند الشيطان

---

(١) شعر زياد بن الأعجم : ١٦٠ .

يقدمنا الماجد عبــد الرحمن إنا وجدنا في منير الفرقــان
أن لا نوالي شيعة ابن عفان

وكان ثابت يسمى عبد الرحمن، وكان فيروز حصين ينسب إلى حصين بن أبي الحر ، وهذا هو من سبي سجستان .

ثم لما ولي معاوية بن أبي سفيان استعمل ابن عامر على البصرة ، فولى عبــد الرحمن بن سمرة سجستان ، فأتاها وعلى شرطته عباد بن الحصين الحبطي، ومعه من الأشراف عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وعبد الله بن خازم السلمي ، وقطري بن الفجاءة ، والمهلب بن أبي صفرة ، فكان يغزو البلد قد كفر أهلها فيفتحه عنوة ، أو يصالح أهله حتى بلغ كابل ، فلما صار إليها نزل بها فحاصر أهلها أشهراً ، وكان يقاتلهم ويرميهم بالمنجنيق ، حتى ثلمت ثلمة عظيمة، فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها ، وقاتل ابن خازم معه عليها فلما أصبح الكفرة خرجــوا يقاتلون المسلمين فضرب ابن خازم فيلاً كان معهم فسقط على الباب الذي خرجوا منه فلم يقدروا غلقه ، فدخلها المسلمون عنوة .

وقال أبو مخنف : الذي عقر الفيل المهلب ، وكان الحسن البصري يقول : ماظننت أن رجلاً يقوم مقام ألف حتى رأيت حتى رأيت عباد بن الحصين .

قالوا : ووجه عبد الرحمن بن سمرة ببشارة الفتح عمر بن عبيد الله بن معمر ، والمهلب بن أبي صفرة ، ثم خرج عبد الرحمن فقطع وادي نسل ، ثم أتى خواش وقوزان بست ففتحها عنوة ، وسار إلى رزان فهرب أهلها وغلب عليهــا ، ثم سار إلى خشك فصالحه أهلها ، ثم أتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحهــا ، ثم سار إلى ذابلستان فقاتلوه وقد كانوا نكثوا ففتحها وأصاب سبيــاً ، وأتى كابل وقد نكث أهلها ففتحها .

ثم ولى معاوية عبد الرحمن بن سمرة سجستان من قبله ، وبعث إليه بعهده ،

فلم يزل عليها حتى قدم زياد البصرة ، فأقره أشهراً ، ثم ولاها الربيع بن زياد ، ومات ابن سمرة بالبصرة سنة خمسين وصلى عليه زياد ، وهو الذي قال له النبي ﷺ : « لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت خيراً منها فات الذي هو خير ، وكفر عن يمينك[1] » وكان عبد الرحمن قدم بغلمان من سبي كابل فعملوا له مسجداً في قصره بالبصرة على بناء كابل .

قالوا : ثم جمع كابل شاه للمسلمين وأخرج من كان منهم بكابل ، وجاء رتبيل فغلب على ذابلستان والرخج حتى انتهى إلى بست ، فخرج الربيع بن زياد في الناس فقاتل رتبيل ببست ، وهزمه واتبعه حتى أتى الرخج فقاتله بالرخج ومضى ففتح بلاد الداور .

ثم عزل زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي وولى عبيد الله بن أبي بكرة سجستان فغزا ، فلما كان برزان بعث إليه رتبيل يسأله الصلح عن بلاده وبلاد كابل على ألف ألف ومائتي ألف ، فأجابه إلى ذلك وسأله أن يهب له مائتي ألف ففعل ،فتم الصلح على ألف ألف درهم ،ووفد عبيد الله على زياد فأعلمه ذلك فأمضى الصلح ، ثم رجع عبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان فأقام بها إلى أن مات زياد .

وولي سجستان بعد موت زياد عباد بن زياد من قبل معاوية ، ثم لما ولي يزيد بن معاوية ولى سلم بن زياد خراسان وسجستان ، فولى سلم أخاه يزيد بن زياد سجستان ،فلما كان موت يزيد أو قبل ذلك بقليل غدر أهل كابل ونكثوا وأسروا أبا عبيدة بن زياد ، فسار إليهم يزيد بن زياد فقاتلهم وهم بجنزة ، فقتل يزيد بن زياد وكثير ممن كان معه وانهزم سائر الناس ، وكان فيمن استشهد زيد ابن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان القرشي . وصلة بين أشيم أبو

---

(١) انظره في كنز العمال : ٦ / ١٤٧٥٤ .

الصهباء العدوي زوج معاذة العدوية ، فبعث سلم بن زياد طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، الذي يعرف بطلحة الطلحات ، ففدى أبا عبيدة بخمسمائة ألف درهم ، وسار طلحة من كابل إلى سجستان والياً عليها من قبل سلم بن زياد ، فجبى وأعطى زواره ، ومات بسجستان ، واستخلف رجلاً من بني يشكر فأخرجته المضريه ، ووقعت العصبية وغلب كل قوم على مدينتهم فطمع فيهم رتبيل .

ثم قدم عبد العزيز بن عبد الله بن عامر والياً على سجستان من قبل القباع ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي في أيام ابن الزبير فأدخلوه مدينة زرنج وحاربوا رتبيل ، فقتله أبو عفراء عمير المازني وانهزم المشركون ، وأرسل عبد الله بن ناشرة التميمي إلى عبد العزيز أن خذ جميع ما في بيت المال وانصرف ففعل ، وأقبل ابن ناشرة حتى دخل زرنج ومضى وكيع بن أبي سود التميمي فرد عبد العزيز وأدخله المدينة حين فتحت للحطابين ، وأخرج ابن ناشرة فجمع جمعاً فقاتله عبد العزيز بن عبد الله ومعه وكيع ، فعثر بابن ناشرة فرسه فقتل ، فقال أبو حزابة ، ويقال حنظلة بن عرادة :

ألا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ... ولا شيء إلا قد تولى وأدبرا
أكان حصاداً للمنايا ازدرعنه ... فهلا تركن النبت ما كان أخضرا
فتى حنظلي ما تزال يمينه ... تجود بمعروف وتنكر منكرا
لعمري: لقد هدت قريش عروشنا ... بأروع نفاح العشيات أزهرا

واستعمل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص على خراسان ، فوجه ابنه عبد الله بن أمية على سجستان وعقد له عليها وهو بكرمان ، فلما قدمها غزا رتبيل الملك بعد رتبيل الأول المقتول ، وقد كان هاب المسلمين فصالح عبد الله حين نزل بست على ألف ألف ، ففعل وبعث إليه بهدايا ورقيق فأبى قبول ذلك ، وقال : إن ملأ لي هذا الرواق ذهباً ، وإلا فلا

صلح بيني وبينه ، وكان غزاه فخلى له رتبيل البلاد حتى إذا أوغل فيها أخذ عليه الشعاب والمضايق ، وطلب إليهم أن يخلوا عنه ولا يأخذ منهم شيئاً فأبى ذلك ، وقال : بل تأخذ ثلاثمائة ألف درهم صلحاً ، وتكتب لنا بها كتاباً ولا تغزو بلادنا ما كنت والياً ، ولا تحرق ولا تخرب ففعل ، وبلغ عبد الملك بن مروان ذلك فعزله .

ثم لما ولي الحجاج بن يوسف العراق وجه عبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان فحار ووهن، وأتى الرخج وكانت البلاد مجدبة ، فسار حتى نزل بالقرب من كابل وانتهى إلى شعب فأخذه عليه العدو ، ولحقهم رتبيل فصالحهم عبيد الله على ان يعطوه خمسمائة ألف درهم ويبعث إليه بثلاثة من ولده ينهار والحجاج وأبي بكرة رهناء ، ويكتب لهم كتاباً أن لا يغزوهم ما كان والياً ، فقال له شريح بن هانىء الحارثي : اتق الله وقاتل هؤلاء القوم فإنك إن فعلت ما تريد أن تفعله أوهنت الاسلام بهذا الثغر ، وكنت قد فررت من الموت الذي إليه مصيرك ، فاقتتلوا ، وحمل شريح فقتل ، وقاتل الناس فافلتوا وهم مجهودون ، وسلكوا مفازة بست فهلك كثير من الناس عطشاً وجوعاً ، ومات عبيد الله بن أبي بكرة كيداً لما نال الناس وأصابهم ، ويقال أنه اشتكى أذنه فمات ، واستخلف على الناس ابنه أبا برذعة .

ثم ان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث خلع وخرج إلى سجستان مخالفاً لعبد الملك بن مروان والحجاج فهادن رتبيل وصار إليه ، ثم إن رتبيل أسلمه خوفاً من الحجاج ، وذلك أنه كتب إليه يتوعده فألقى نفسه فوق جبل ، ويقال من فوق سطح وسقط معه الذي كان يحفظه ، وكان قد سلسل نفسه معه فمات : فأتي الحجاج برأسه ، فصالح الحجاج رتبيل على أن لا يغزوه سبع سنين ، ويقال تسع سنين ، على أن يؤدي بعد ذلك في كل سنة بتسعمائة ألف درهم عروضاً ، فلما انقضت السنون ولى الحجاج الأشهب بن بشر الكلبي سجستان فعاسر رتبيل في

العرض التي أداها ، فكتب إلى الحجاج يشكوه إليه فعزله الحجاج .

قالوا : ثم لما ولي قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان وسجستان في أيام الوليد بن عبد الملك ولى أخاه عمرو بن مسلم سجستان فطلب الصلح من رتبيل دراهم مدرهمة فذكر أنه لا يمكنه إلا ما كان فارق عليه الحجاج من العروض ، فكتب عمرو بذلك إلى قتيبة ، فسار قتيبة إلى سجستان ، فلما بلغ رتبيل قدومه أرسل إليه إنا لم نخلع يداً من الطاعة ، وإنما فارقتمونا على عروض فلا تظلمونا ، فقال قتيبة للجند : اقبلوا منه العروض فإنه ثغر مشؤوم فرضوا بها، ثم انصرف قتيبة إلى خراسان بعد أن زرع زرعاً في أرض زرنج لييأس العدو من انصرافه فيذعن له،فلما حصد ذلك الزرع منعت منه الأفاعي،فأمر به فأحرق، واستخلف قتيبة على سجستان ابن عبد الله بن عمير الليثي أخي عبد الله بن عامر لأمه .

ثم ولي سليمان بن عبد الملك ، وولى يزيد بن المهلب العراق ، فولى يزيد فرضخ له .

ثم ولي يزيد بن عبد الملك فلم يعط رتبيل عماله شيئاً .

قال: ما فعل قوم كانوا يأتونا خماص البطون سود الوجوه من الصلاة نعالهم خوص ؟ قالوا : انقرضوا ، قال : أولئك أوفى منكم عهدا وأشد بأساً ، وإن كنتم أحسن منهم وجوهاً ، وقيل له : ما بالك كنت تعطي الحجاج الأتاوة ولا تعطيناها ؟ فقال : كان الحجاج رجلاً لا ينظر فيما أنفق إذا ظفر ببغيته ولو لم يرجع إليه درهم ، وأنتم لا تنفقون درهماً إلا إذا طمعتم في أن يرجع إليكم مكانه عشرة ، ثم لم يعط أحداً من عمال بني أمية ولا عمال أبي مسلم على سجستان من تلك الأتاوة شيئاً (١) .

قالوا : ولما استخلف المنصور أمير المؤمنين ولى معن بن زائدة الشيباني سجستان ، فقدمها وبعث عماله عليها ، وكتب إلى رتبيل يأمره بحمل الأتاوة

---

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٧٢ — ٧٧٣ .

التي كان الحجاج صالح عليها ، فبعث بإبل وقباب تركية ورقيق وزاد في قيمة ذلك للواحد ضعفه ، فغضب معن وقصد الرخج وعلى مقدمته يزيد بن مزيد ، فوجد رتبيل قد خرج عنها ومضى إلى ذا بلستان ليصيف بها ، ففتحها وأصاب سبايا كثيرة ، وكان فيهم فرج الرخجي وهو صبي وأبوه زياد ، فكان فرج يحدث أن معنا رأى غباراً ساطعاً أثارته حوافر حمير وحشية ، فظن أن جيشاً قد أقبل نحوه ليحاربه ، ويتخلص السبى والأسرى من يده ، فوضع السيف فيهم فقتل منهم عدة كثيرة ، ثم إنه تبين أمر الغبار ، ورأى الحمير فأمسك ، وقال فرج : لقد رأيت أبي حين أمر معن بوضع السيف فينا وقد حنى علي ، وهو يقول : اقتلوني ولا تقتلوا ابني .

قالوا : وكانت عدة من سبى وأسر زهاء ثلاثين ألفاً فطلب «ماوند» خليفة رتبيل الأمان على أن يحمله إلى أمير المؤمنين ، فآمنه وبعث به إلى بغداد مع خمسة آلاف من مقاتلتهم ، فأكرمه المنصور ، وفرض له وقوده .

قالوا : وخاف معن الشتاء وهجومه ، فانصرف إلى بست .

وأنكر قوم من الخوارج سيرته فاندسوا مع فعلة كانوا يبنون في منزله بناء ، فلما بلغوا التسقيف احتالوا لسيوفهم فجعلوها في حزم القصب ، ثم دخلوا عليه قبته وهو يحتجم ففتكوا به ، وشق بعضهم بطنه بخنجر كان معه ، وقال أحدهم: وضربه على رأسه أبو الغلام الطاقي، والطاق رستاق بقرب زرنج فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج منهم أحد .

ثم إن يزيد قام بأمر سجستان، واشتدت على العرب والعجم من أهلها وطأته فاحتال بعض العرب فكتب على لسانه إلى المنصور كتاباً يخبره فيه أن كتب المهدي إليه قد حيرته وأدهشته ، ويسأله أن يعفيه من معاملته ، فأغضب ذلك المنصور وشتمه ، وأقرأ المهدي كتابه ، فعزله وأمر بحبسه وبيع كل شيء له ، ثم إنه كلم فيه فأشخص إلى مدينة السلام ، فلم يزل بها مجفواً حتى لقيه الخوارج

على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلا ، ثم توجه إلى يوسف البرم بخراسان فلم يزل في ارتفاع .

ولم يزل عمال المهدي والرشيد رحمهما الله يقبضون الأتاوة من رتبيل سجستان على قدر قوتهم وضعفهم ، ويولون عمالهم النواحي التي قد غلب عليها الاسلام ، ولما كان المأمون بخراسان أديت إليه الاتاوة مضعفة، وفتح كابل وأظهر ملكها الاسلام والطاعة، وأدخلها عامله، واتصل إليها البريد فبعث إليه منها باهليلج (١) غض ثم استقامت بعد ذلك حيناً .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي ، قال : كان في صلحات سجستان القديمة أن لا يقتل لهم ابن عرس ، لكثرة الافاعي عندهم .

قال : وكان أول من دعا أهل سجستان إلى رأي الخوارج رجل من بني تميم يقال له عاصم أو ابن عاصم .

خراسان

قالوا : وجه أبو موسى الأشعري عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي غازياً فأتى كرمان ، ومضى حتى بلغ الطبسين ، وهما حصنان يقال لأحدهما طبس وللآخر كرين ، وهما جرم فيهما نخل، وهما بابا خراسان، فأصاب مغنماً وأتى قوم من أهل الطبسين عمر بن الخطاب فصالحوه على ستين ألفـــاً ، ويقال خمسة وسبعين ألفا ، وكتب لهم كتاباً .

ويقال : بل توجه عبد الله بن بديل من أصبهان من تلقاء نفسه، فلما استخلف عثمان بن عفان ولى عبد الله بن عامر بن كريز البصرة في سنة ثمـان وعشرين ،

---

(١) هو معرب هليله ، من أنواع الثمار اسمه بالانكليزية :
معجم أسماء النبات . Blachk Mv Robalan.

ويقال في سنة تسع وعشرين ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فافتتح من أرض فارس ما افتتح ، ثم غزا خراسان في سنة ثلاثين واستخلف على البصرة زياد بن أبي سفيان ، وبعث على مقدمته الأحنف بن قيس ، ويقال عبد الله بن حازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب السلمي ، فأقر صلح الطبسين، وقدم ابن عامر الأحنف ابن قيس إلى قوهستان ، وذلك أنه سأل عن أقرب مدينة إلى الطبسين فدل عليها، فلقيته الهياطلة وهم أتراك [١] ، ويقال بل هم قوم من أهل فارس كانوا يلوطون فتقام فيروز إلى هراة فصاروا مع الأتراك ، فكانوا معاونين لأهل قوهستان ، فهزمهم وفتح قوهستان عنوة، ويقال بل ألجأهم إلى حصنهم ثم قدم عليه ابن عامر فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم .

وقال معمر بن المثنى : كان المتوجه إلى قوهستان أمير بن أحمر اليشكري ، وهي بلاد بكر بن وائل إلى اليوم ، وبعث ابن عامر يزيد الجرشي أبا سالم بن يزيد إلى رستاق زام من نيسابور ففتحه عنوة، وفتح باخرز وهو رستاق من نيسابور، وفتح أيضاً جوين وسبى سبياً ، ووجه ابن عامر الأسود بن كلثوم العدوي عدي الرباب وكان ناسكاً إلى بيهق ، وهو رستاق من نيسابور ، فدخل بعض حيطان أهله من ثلمة كانت فيه، ودخلت معه طائفة من المسلمين ، وأخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الأسود حتى قتل ومن معه ، وقام بأمر الناس بعده أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق ، وكان الأسود يدعو ربه أن يحشره من بطون السباع والطير، فلم يواره أخوه ودفن من استشهد من أصحابه، وفتح ابن عامر بشت من نيسابور، وأشبندورخ ، وزاوة ، وخواف ، واسبرائن ، وأرغيان من نيسابور ، ثم أتى أبر شهر وهي مدينة نيسابور، فحصر أهلها أشهراً وكان على كل ربع منها رجل

---

(١) من الأتراك البيض (أي) ملكوا أجـزاء كبيرة من خراسان ما وراء واحة مرو ، ونهر المرغاب، وحاولوا التوسع في خراسان الساسانية أثناء انشغال العرب بمشاكلهم الداخلية .

موكل به ، وطلب صاحب ربع من تلك الأرباع الأمان على أن يدخل المسلمين المدينة فأعطيه ، وأدخلهم إياها ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها في القهندز ، ومعه جماعة ، فطلب الأمان على أن يصالحه من جميع نيسابور على وظيفة يؤديها ، فصالحه على ألف ألف درهم ، ويقال سبعمائة ألف درهم ، وولى نيسابور حين فتحها قيس بن الهيثم السلمي ، ووجه ابن عامر عبد الله بن خازم السلمي إلى حمراندز من نسا وهو رستاق ففتحه ، وأتاه صاحب نسا فصالحه على ثلاثمائة ألف درهم ، ويقال على احتمال الأرض من الخراج ، على أن لا يقتل أحداً ولا يسبيه .

وقدم بهمنة عظيم أبيورد على ابن عامر فصالحه على أربعمائة ألف ، ويقال وجه إليها ابن عامر عبد الله بن خازم، فصالح أهلها على أربعمائة ألف درهم، ووجه عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم إلى سرخس فقاتلهم ، ثم طلب زاذويه مرزبانها الصلح على ايمان مائة رجل ، وأن يدفع إليه النساء فصارت ابنته في سهم ابن خازم ، واتخذها وسماها ميثاء، وغلب ابن خازم على أرض سرخس، ويقال أنه صالحه على أن يؤمن مائة نفس فسمى له المائة ولم يسم نفسه فقتله ودخل سرخس عنوة ، ووجه ابن خازم من سرخس يزيد بن سالم مولى شريك ابن الأعور إلى كيف وبينة ففتحها ، وأتى كنازتك مرزبان طوس ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة ألف درهم ، ووجه ابن عامر جيشاً إلى هراة عليه أوس بن ثعلبة بن رقي ، ويقال خليد بن عبد الله الحنفي فبلغ عظيم هراة ذلك فشخص إلى ابن عامر ، وصالحه عن هراة وبادغيس وبوشنج غير طاغون وباغون فانهما فتحا عنوة ، وكتب له ابن عامر .

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أمر به عبد الله بن عامر عظيم هراة وبوشنج وبادغيس،أمره بتقوى الله ، ومناصحة المسلمين ، واصلاح ما تحت يديه من الأرضين ، وصالحه عن

هراة سهلها وجبلها على أن يؤدي من الجزية ما صالحه عليه ، وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم ، فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة . وكتب ربيع ابن نهشل وختم ابن عامر .

ويقال أيضاً : أن ابن عامر سار بنفسه في الدهم إلى هراة فقاتل أهلها ، ثم صالحه مرزبانها عن هراة وبوشنج وبادغيس على ألف ألف درهم ، وأرسل مرزبان مرو الشاهجان يسأل الصلح فوجه ابن عامر إلى مرو حاتم بن النعمان الباهلي ، فصالحه على ألفي ألف ومائتي ألف درهم ، وقال بعضهم : ألف ألف درهم ومائتي ألف جريب من بر وشعير ، وقال بعضهم: ألف ألف ومائة ألف أوقية ، وكان في صلحهم أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم ، وأن عليهم قسمة المال وليس على المسلمين إلا قبض ذلك ، وكانت مرو صلحاً كلها إلا قرية منها يقال لها السنج فإنها أخذت عنوة .

وقال أبو عبيدة : صالحه على وصائف ووصفاء ودواب ومتاع ، ولم يكن عند القوم يومئذ عين ، وكان الخراج كله على ذلك حتى ولي يزيد بن معاوية فصيره مالاً .

ووجه عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس نحو طخارستان ، فأتى الموضع الذي يقال له قصر الأحنف ، وهو حصن من مرو الروذ ، وله رستاق عظيم يعرف برستاق الأحنف ، ويدعى بشق الجرذ فحصر أهله فصالحوه على ثلاثمائة ألف ، فقال الأحنف : أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى انصرف فرضوا ، وكان الصلح عن جميع الرستاق ومضى الاحنف إلى مرو الروذ ، فحصر أهلها وقاتلوهم قتالاً شديداً فهزمهم المسلمون فاضطروهم إلى حصنهم ، وكان المرزبان من ولد باذام صاحب اليمن أو ذا قرابة له ، فكتب إلى الأحنف : انه دعاني إلى الصلح اسلام باذام فصالحه على ستين ألفاً .

وقال المدائني : قال قوم : ستمائـة ألف ، وقـد كانت للأحنف خيل سارت وأخذت رستاقاً يقـال له بـغ واستاقت منه مواشي فكان الصلح بعد ذلك .

وقال أبو عبيدة : قاتل الاحنف أهل مرو الروذ مرات ، ثم انه مر برجل يطبخ قدراً لاصحابه أو يعجن عجيناً فسمعه يقول : إنمـا نبتغي للأمير أن يقاتلهم من وجه واحد من داخل الشعب،فقال في نفسه : الرأي ما قاله الرجل فقاتلهم ، وجعل المرغاب عن يمينه ، والجبل عن يساره ، والمرغاب نهر يسيح بمرو الروذ ثم يغيض في رمل ، ثم يخرج بمرو الشاهجان ، فهزمهم ومن معهم من الترك ثم طلبوا الامان فصالحه .

وقال غير أبي عبيدة: جمع أهل طخارستان للمسلمين،فاجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم ، فبلغوا ثلاثين ألفاً، وجاءهم أهل الصغانيان وهم في الجانب الشرقي من النهر ، فرجع الاحنف إلى قصره ، فوفى له أهله ، وخرج ليلاً فسمع أهل خباء يتحدثون ، ورجلاً يقول : الرأي للأمير أن يسير إليهم فيناجزهم حيث لقيهم ، فقال رجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن : ليس هذا برأي ولكن الرأي أن ينزل بين المرغاب والجبل،فيكون المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره فلا يلقى من عدوه وإن كثروا إلا مثل عدة أصحابه ، فرأى ذلك صواباً ففعله ، وهو في خمسة آلاف من المسلمين : أربعة آلاف من العرب، وألف من مسلمي العجم ، فالتقوا وهـز رايته وحمل وحملوا ، فقصد ملك الصغانيان للأحنف ، فأهوى له بالرمح فانتزع الاحنف الرمح من يده ، وقاتل قتالاً شديداً،فقتل ثلاثة ممن معهم الطبول منهم ، كان يقصد قصد صاحب الطبل فيقتله ، ثم إن الله ضرب وجوه الكفار فقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً ، ووضعوا السلاح أنى شاؤوا منهم ، ورجع الأحنف إلى مرو الروذ ، ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجـه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي في خيل ، وقال :

يابني تميم تحابوا وتباذلوا تعتدل أموركم وابدؤوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم ، فسار الاقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت في المسلمين جولة ، ثم كروا فهزموا الكفرة ، وفتحوا الجوزجان عنوة ، وقال ابن الغريزة النهشلي :

سقى صوب الصحاب إذا استهلت مصارع فتية بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق حوف أفادهم هناك الاقرعان

وفتح الأحنف الطالقان صلحاً وفتح الفارياب ، ويقال بل فتحها أمير بن أحمر .

ثم سار الأحنف إلى بلخ وهي مدينة طخارى ، فصالحهم أهلها على أربعمائة ألف ، ويقال سبعمائة ألف ، وذلك أثبت ، فاستعمل على بلخ أسيد بن المتشمس ، ثم سار إلى خوارزم وهي من شقي النهر جميعاً ، ومدينتها شرقية فلم يقدر عليها فانصرف إلى بلخ وقد جبى أسيد صلحها .

وقال أبو عبيدة : فتح ابن عامر ما دون النهر ، فلما بلغ أهل ما وراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل ، فيقال : إنه عبر النهر حتى أتى موضعاً موضعاً ، وقيل بل أتوه فصالحوه ، وبعث من قبض ذلك ، فأتته الدواب والوصفاء والوصائف والحرير والثياب ، ثم أنه أحرم شكراً لله ولم يذكر غيره عبوره النهر ومصالحته أهل الجانب الشرقي ، وقالوا : إنه أهل بعمرة وقدم على عثمان واستخلف قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه في أرض طخارستان ، فلم يأتي بلداً منها إلا صالحه أهله فأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا ، فحصرهم حتى فتحها عنوة ، وقد قيل إن ابن عامر جعل خراسان بين ثلاثة : الأخنف ابن قيس ، وحاتم بن النعمان الباهلي ، وقيس بن الهيثم ، والأول أثبت ، ثم ان ابن خازم افتعل عهداً على لسان ابن عامر وتولى خراسان فاجتمعت بها جموع الترك ففضهم ، ثم قدم البصرة قبل قتل عثمان .

وحدثني الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع بن الجراح عن ابن عون

عن محمد بن سيرين أن عثمان بن عفان عقد لمن وراء النهر ، قالوا : وقدم ماهويه مرزبان مرو على علي بن أبي طالب في خلافته وهو بالكوفة ، فكتب له إلى الدهاقين والأساورة والدهشلارين أن يؤدوا إليه الجزية ، فانتقضت عليهم خراسان فبعث جعدة بن هبيرة المخزومي ، وأمه أم هانىء بنت أبي طالب ، فلم يفتحها ولم تزل خراسان ملتاثة حتى قتل علي عليه السلام .

قال أبو عبيدة : أول عمال علي على خراسان عبد الرحمن بن أبزي مولى خزاعة ، ثم جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم .

قالوا : واستعمل معاوية بن أبي سفيان قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت السلمي على خراسان فلم يعرض لأهل النكث ، وجبى أهل الصلح فكان عليها سنة أو قريباً منها ، ثم عزله وولى خالد بن المعمر فمات بقصر مقاتل أو بعين التمر ، ويقال إن معاوية ندم على توليته فبعث إليه بثوب مسموم ، ويقال بل دخلت في رجله زجاجة فنزف منها حتى مات ، ثم ضم معاوية إلى عبد الله بن عامر مع البصرة خراسان ، فولى ابن عامر قيس بن الهيثم السلمي خراسان وكان أهل بادغيس وهراة وبوشنج وبلخ على نكثهم ، فسار إلى بلخ فاخرب نوبهارها [1] ،

وكان الذي تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بني الليث ، وهو الخشل ، وإنما سمي عطاء الخشل ، واتخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلخ على فرسخ ، فقيل قناطر عطاء ، ثم إن أهل بلخ سألوا الصلح ومراجعة الطاعة ، فصالحهم قيس ، ثم قدم على ابن عامر فضربه مائة وحبسه .

واستعمل عبد الله بن خازم فأرسل إليه أهل هراة وبوشنج وبادغيس ، فطلبوا الامان والصلح فصالحهم ، وحمل إلى ابن عامر مالاً وولي زياد بن أبي سفيان البصرة

---

(١) أي معبدها البوذي الجديد .

في سنة خمس وأربعين ، فولى أمير بن أحمر مرو ، وخليـــد بن عبد الله الحنفي أبرشهر ، وقيس بن الهيثم مرو الروذ ، والطالقان، والفارياب ونافـــع بن خالد الطاحي من الأزدهراة ، وبادغيس ، وبوشنج وقادس من أنواران ، فكان أمـير أول من أسكن العرب مرو ، ثم ولى زياد الحكم بن عمرو الغفاري ، وكان عفيفاً وله صحبة ، وإنما قال لحاجبه فيل ائتني بالحكم، وهو يريد الحكم بن أبي العاصي الثقفي ، وكانت أم عبد الله بنت عثمان بن أبي العـاصي عنده ، فأتاه بالحكم بن عمرو ، فلما رآه تبرك به ، وقال رجل صالح من أصحاب رسول الله ﷺ، فولاه خراسان ، فمات بها في سنة خمسين ، وكان الحكم أول من صلى من وراء النهر .

وحدثني أبو عبد الرحمن الجعفي، قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل من أهل الصغانيان ، كان يطلب معنا الحديث : أتدري من فتح بلادك؟ قال: لا ، قال : فتحها الحـكم بن عمرو الغفاري .

ثم ولى زياد بن أبي سفيان الربيـع بن زياد الحارثي سنة إحـــدى وخمسين خراسان ، وحول معه من أهل المصرين زهـاء وخمسين ألفاً بعيالاتهم ، وكان فيهم بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو عبد الله ، وبمرو توفي في أيام يزيد بن معاوية وكان فيهم أيضاً أبو برزة الأسلمي عبد الله بن نضلة، وبها مات ، وأسكنهم دون النهر ، والربيـع أول من أمر الجند بالتناهد [1] ، ولما بلغه مقتل حجر بن عدي الكندي غمه ذلك، فدعا بالموت فسقط من يومه فمات، وذلك سنة ثلاث وخمسين واستخلف عبد الله ابنه، فقاتل أهل آمل، وهي آمويه وزم ، ثم صالحهم ورجع إلى مرو ، فمكث بها شهرين ثم مات .

ومات زياد فاستعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فقطع النهر في أربعـــة وعشرين ألفـاً ، فأتى بيكند ، وكانت

---

(١) ناهد : صمد لعدوه ، والهدية عظّمها . القاموس .

خاتون بمدينة بخارى ، فأرسلت إلى الترك تستمدهم ، فجاءها منهم دهم[١] ، فلقيهم المسلمون فهزموهم، وحووا عسكرهم، وأقبل المسلمون يخربون ويحرقون، فبعثت إليهم خاتون تطلب الصلح والأمـان ، فصالحها على ألف ألف ، ودخل المدينة ، وفتح رامدين وبيكند وبينهما فرسخان ، ورامدين تنسب إلى بيكند، ويقال إنه فتح الصغانيان ، وقدم معه البصرة بخلق من أهل بخـــارى ، ففرض لهم .

ثم ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع النهر ، وكان أول من قطعه بجنده ، فكان معه رفيـع أبو العالية الرياحي ، وهو مولى لامرأة من بني رياح ، فقال رفيـع : أبو العالية رفعة وعلو .

فلما بلغ خاتون عبوره النهر حملت إليه الصلح ، وأقبل أهل السغد والترك وأهل كش ونسف ، وهي نخشب ، إلى سعيد في مائة ألف وعشرين ألفاً فالتقوا ببخارى وقد ندمت خاتون على أدائها الأتاوة ، ونكثت العهـد ، فحضر عبد لبعض أهل تلك الجموع ، فانصرف بمن معه ، فانكسر الباقون، فلما رأت خاتون ذلك أعطته الرهن وأعادت الصلح ، ودخل سعيد مدينة بخارى .

ثم غزا سعيد بن عثمان سمرقند فأعانته خاتون بأهل بخارى ، فنزل على باب سمرقند وحلف أن لا يبرح أو يفتحها ويرمى قهندرها ، فقاتل أهلها ثلاثة أيام ، وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث ، ففقئت عينه ، وعين المهلب بن أبي صفرة ، ويقال إن عين المهلب فقئت بالطالقان ، ثم لزم العدو المدينة ، وقد فشت فيهم الجراح ، وأتاه رجل فدله على قصر فيه أبناء ملوكهم وعظمائهم ، فسار إليهـم

---

(١) أي خلق كثير . القاموس، ولربما أراد بذلك أن الذين قدموا لم يكونوا من « الآق » أي البيض بل من القرا أي السود ، فقد صنف الأتراك أنفسهم إلى فئتين «سود» و« بيض » وكان البيض أعلى مقاماً ، ومن المعتقد أن هذا التقسيم كانت معاييره اجتماعية ولم تقم على فوارق بلون البشرة .

وحصرهم ، فلما خاف أهل المدينة أن يفتح القصر عنوة ويقتل من فيه ، طلبوا الصلح ، فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، وعلى أن يعطوه رهنـاً من أبناء عظمائهم ، وعلى أن يدخل المدينة ومن شاء، ويخرج من الباب الآخر،فأعطوه خمسة عشر من أبناء ملوكهم ، ويقال أربعين ، ويقال ثمانين ، ورمى القهندر فثبت الحجر في كوته ثم انصرف ، فلما كان بالترمذ حملت إليه خاتون الصلح ، وأقام على الترمذ حتى فتحها صلحاً ، ثم لما قتل عبد الله بن خازم السلمي ، أتى موسى ابنه ملك الترمذ فأجاره ، وألجأه وقوماً كانوا معه، فأخرجه عنها وغلب عليها وهو مخالف ، فلما قتل صارت في أيدي الولاة ، ثم انتقض أهلها ففتحها قتيبة بن مسلم ، وفي سعيد يقول مالك بن الريب :

هبت شمال خريق أسقطت ورقا ... واصفر بالقاع بعد الخضرة الشيح
فارحل هديت ولا تحمل غنيمتنا ... ثلجاً يصفقه بالترمذ الريـح
إن الشتاء عـــدو ما نقاتله ... فاقفل هديت وثوب الدق مطروح

ويقال ان هذه الابيات لنهار بن توسعة في قتيبة وأولها :

كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها ... فكل باب من الخيرات مفتوح
فاستبدلت قتباً جعداً أنامله ... كأنما وجهه بالخل منضوح

وكان قثم بن العباس بن عبد المطلب مع سعيد بن عثمان ، فتوفي بسمرقند ، ويقال استشهد بها ، فقال عبد الله بن العباس حين بلغته وفاته : شتان ما بـــين مولده ومقبره ، فأقبل يصلي ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : أما سمعتم الله يقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾[1] .

وحدثني عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا شريك عن جابر عن الشعبي ،قال: قدم قثم على سعيد بن عثمان بخراسان ، فقال له سعيد : أعطيك من المغنم ألف سهم ، فقال : لا ولكن أعطني سهماً لي وسهماً لفرسي ، قال : ومضى سعيـد

(١) سورة البقرة — الآية : ٤٥ .

بالرهن الذين أخذهم من السند حتى ورد بهم المدينة ، فدفع ثيابهم ومناطقهم إلى مواليه وألبسهم جباب الصوف وألزمهم السقي والسواني والعمل ، فدخلوا عليه مجلسه ففتكوا به ، ثم قتلوا أنفسهم ، وفي سعيد يقول مالك بن الريب :

وما زالت يوم السغد ترعد واقفاً　　من الجبن حتى خفت أن تتنصرا

وقال خالد بن عقبة بن أبي معيط :

ألا إن خير الناس نفساً ووالدا　　سعيد بن عثمان قتيل الأعاجم

فإن تكن الأيام أردت صروفها　　سعيداً فمن هذا من الدهر سالم

وكان سعيد احتال لشريكه في خراج خراسان فأخذ منه مالاً ، فوجه معاوية من لقيه بحلوان فأخذ المال منه ، وكان شريكه أسلم بن زرعة ، ويقال إسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، وكان معاوية قد خاف سعيداً على خلعه ، ولذلك عاجله بالعزل .

ثم ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد خراسان ، وكان شريفاً ومات معاوية وهو عليها،ثم ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد فصالحه أهل خوارزم على أربعمائة ألف وحملوها إليه ، وقطع النهر ومعه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفي ، وكانت أول عربية عبر بها النهر ، وأتى سمرقند فأعطاه أهلها الفدية ، وولد له ابن سماه السغدي،واستعارت امرأته من امرأة صاحب السغد حليها فكسرته عليها وذهبت به ، ووجه سلم بن زياد وهو بالسغد جيشاً إلى خجندة وفيهم أعشى همدان فهزموا فقال الأعشى :

ليت خيلي يوم الخجندة لم يهزم　　وغودرت في المكر سليبا

تحضر الطير مصرعي وتروحت　　إلى الله في الدماء خضيبا

ثم رجع سلم إلى مرو ثم غزا منها فقطع النهر وقتل بندون السغدي ، وقد كان السغد جمعت له فقاتلها ، ولما مات يزيد بن معاوية التاث الناس على سلم ،

وقالوا : بئس ماظن ابن سمية إن ظن أنه يتأمر علينا في الجماعة والفتنة ، كما قيل لأخيه عبيد الله بالبصرة ، فشخص عن خراسان ، وأتى عبد الله بن الزبير فأغرمه أربعة آلاف ألف درهم وحبسه ، وكان سلم يقول : ليتني أتيت الشام ، ولم آنف من خدمة أخي عبيد الله بن زياد ، فكنت أغسل رجله ولم آت ابن الزبير ، فلم يزل بمكة حتى حصر ابن الزبير الحجاج بن يوسف فنقب السجن وصار إلى الحجاج ثم إلى عبد الملك ، فقال له عبد الملك : أما والله لو أقمت بمكة ما كان لها وال غيرك ، ولا كان بها عليك أمير وولاه خراسان، فلما قدم البصرة مات بها .

قالوا : وقد كان عبد الله بن خازم السلمي تلقى سلم بن زياد منصرفه من خراسان بنيسابور ، فكتب له سلم عهداً على خراسان وأعانه بمائة ألف درهم، فاجتمع جمع كثير من بكر بن وائل وغيرهم، فقالوا : على ما يأكل هؤلاء خراسان دوننا فأغاروا على ثقل ابن خازم فقاتلوهم عنه فكفوا (١) .

وأرسل سليمان بن مرثد أحد بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة - من المراثد بن ربيعة - إلى ابن خازم : إن العهد الذي معك لو استطاع صاحبه أن يقيم بخراسان لم يخرج عنها ويوجهك ، وأقبل سليمان فنزل بمشرعة سليمان ، ونزل ابن خازم بمرو ، واتفقا على أن يكتبا إلى ابن الزبير فأيهما أمره فهو الأمير ففعلا ، فولى ابن الزبير عبد الله بن خازم خراسان ، فقدم إليه بعهده عروة بن قطبة بعد ستة أشهر ، فأبى سليمان أن يقبل ذلك ، وقال : ما ابن الزبير بخليفة ، وإنما هو رجل عائذ بالبيت ، فحاربه ابن خازم وهو في ستة آلاف ، وسليمان في خمسة عشر ألفاً ، فقتل سليمان ، قتله قيس بن عاصم السلمي واحتز رأسه ، وأصيب من أصحاب ابن خازم رجال ، وكان شعار ابن خازم « هم لا ينصرون » ، وشعار سليمان « يانصر الله اقترب » ، واجتمع فل

---

(١) انظر ما تقدم في مغازي ابن حبيش : ٧٨٩ - ٧٩١ ، ٧٩٤ - ٨٠١ .

سليمان إلى عمر بن مرثد بالطالقان ، فسار إليه ابن خازم فقاتله فقتله ، واجتمعت ربيعة إلى أوس بن ثعلبة بهراة فاستخلف ابن خازم موسى ابنه وسار إليـــه ، وكانت بين أصحابها وقائع ، واغتنمت الترك ذلك فكانت تغـير حتى بلغت قرب نيسابور ودس ابن خازم إلى أوس من سمه فمرض،واجتمعوا للقتال فحض ابن خازم أصحابه فقال : اجعلوه يومكم واطعنوا الخيل من مناخرها ، فإنه لم يطعن فرس قط في منخره إلا أدبر فاقتتلوا قتالاً شديداً،وأصابت أوساً جراحة وهو عليل فمات منها بعد أيام ، وولى ابن خـــام ابنه محمداً هراة ، وجعل على شرطته بكير بن وشاح وصفت له خراسان .

ثم ان بني تميم هاجوا بهراة وقتلوا محمـــداً ، فظفر أبوه بعثمان بن بشر بن المحتفز فقتله صبرا ، وقتل رجلاً من بني تميم فاجتمع بنو تميم فتناظروا ، وقالوا: مانرى هذا يقلع عنا فيصير جماعة منا إلى طوس فإذا خرج إليهم خلعه من بمرو منا،فمضى بحير بن ورقاءالصريمي من بني تميم إلى طوس في جماعة،فدخلوا الحصن، ثم تحولوا إلى أبرشهر ، وخلعوا ابن خازم فوجه ابن خازم ثقله مع ابنه موسى إلى الترمذ ، ولم يأمن عليه من بمرو من بني تميم .

وورد كتاب عبد الملك بن مروان على ابن خازم بولاية خراسان فأطعـــم رسوله الكتاب ، وقال : ما كنت لألقى الله وقد نكثت بيعـــة ابن حواري رسول الله ﷺ ، وبايعت ابن طريـده ، فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح بولايته خراسان ، فخاف ابن خازم أن يأتيه في أهل مرو ، وقـد كان بكير خلع ابن خازم ، وأخذ السلاح وبيت المال ودعا أهل مرو إلى بيعة عبد الملك فبايعوه ، فمضى ابن خازم يريد ابنه موسى وهو بالترمذ في عياله وثقله فاتبعه بحير فقاتله بقرب مرو ، ودعا وكيـع بن الدورقية القريعي — واسم أبيه عميرة وأمه من سبى دورق نسب إليه — بدرعه وسلاحه فلبسه وخرج فحمل على ابن خازم ومعه بحير بن ورقاء فطعناه،وقعد وكيـع على صدره ، وقال : يا لثارات

دويلة ودويلة أخو وكيــع لأمه ، وكان مولى لبني قريع قتله ابن خازم فتنخم ابن خازم في وجهه ، وقال: لعنك الله أتقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوي كفاً من نوى ، وقال وكيـع :

ذق يا ابن عجلى مثل ما قد أذقتني ولا تحسبني كنت عن ذاك غافلا

عجلى أم ابن خازم ، وكان يكنى أبا صالح ، وكنية وكيـع بن الدورقيـة أبو ربيعة ، وقتل مع عبد الله بن خازم ابناه عنبسة ويحيى وطمن طهمان مولى ابن خازم ، وهو جد يعقوب بن داود كاتب أمير المؤمنين المهـــدي بعد أبي عبيد الله ، وأتي بكير بن وشاح برأس ابن خازم ؛ فبعث به إلى عبد الملك بن مروان فنصبه بدمشق ، وقطعوا يده اليمنى ، وبعثوا بها إلى ولد عثمـــان بن بشر بن المحتفز المزني .

وكان وكيع جافياً عظيم الخلقة صلى يوماً وبين يديه نبت،فجعل يأكل منه، فقيل له : أتأكل وأنت تصلي ؟ فقال : ما كان الله أحرم نبتاً أنبته بماء السماء على طين الثرى ، وكان يشرب الخمر فعوتب عليهـا ، فقال : في الخمر تعاتبوني وهي تجلو بولي حتى تصيره كالفضة .

قالوا : وغضب قوم لابن خازم ووقع الاختلاف ، وصارت طائفة مع بكير ابن وشاح ، وطائفة مع بجير ، فكتب وجوه أهل خراسان وخيـارهم إلى عبد الملك يعلمونه أنه لا تصلح خراسان بعد الفتنة إلا برجل من قريش ، فولى أمية ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية خراسان ، فولى بكير بن وشاح طخارستان ، ثم ولاه غزوما وراء النهر : ثم عزم أمية على غزو بخاري ثم اتيان موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ، فانصرف بكير إلى مرو ، وأخذ ابن أمية فحبسه ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ ذلك أمية فصالـح أهل بخارى على فدية قليلة واتخذ السفن ، وقد كان بكير أحرقها ورجع وترك موسى بن عبد الله فقدم فقاتله بكير ، ثم صالحه على أن يوليه أي ناحية شاء ، ثم

بلغ أمية انه يسعى في خلعه بعد ذلك ، فأمر إذا دخل داره أن يؤخذ فدخلها ، فأخذ وأمر بحبسه ، فوثب به بجير بن ورقاء فقتله .

وغزا أمية الختل وقد نقضوا بعد ان صالحهم سعيد بن عثمان فافتتحها .

ثم إن الحجاج بن يوسف ولي خراسان مع العراقين ، فولى خراسان المهلب ابن أبي صفرة ، واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن العتيك من الأزد ، ويكنى أبا سعيد ، سنة تسع وتسعين فغزا مغازي كثيرة ، وفتح الختل وقد انتقضت ، وفتح خجندة فأدت إليه السغد الأتاوة ، وغزا كش ونسف ورجع فمات بزاغول من مرو الروذ بالشوصة ، وكان بدء علته الحزن على ابنه المغيرة بن المهلب ، واستخلف المهلب ابنه يزيد بن المهلب ، فغزا مغازي كثيرة وفتح البتم على يد مخلد بن يزيد بن المهلب .

وولى الحجاج يزيد بن المهلب ، وصار عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب إلى هراة في فل ابن الأشعث وغيرهم ، وكان خرج مع ابن الأشعث ،فقتل الرقاد العتكي وجبى الخراج فسار إليه يزيد فاقتتلوا فهزمهم يزيد وأمر بالكف عن اتباعهم ولحق الهاشمي بالسند ،وغزا يزيد خارزم وأصاب سبياً فلبس الجند ثياب السبي فماتوا من البرد .

ثم ولى الحجاج المفضل بن المهلب بن أبي صفرة ، ففتح بادغيس وقد انتقضت وشومان وآخرون وأصاب غنائم قسمها بين الناس .

قالوا : وكان موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمذ ، فأتى سمرقند فأكرمه ملكها طرخون ، فوثب رجل من أصحابه على رجل من السغد فقتله ، فأخرجه ومن معه وأتى صاحب كش ، ثم أتى الترمذ وهو حصن ، فنزل على دهقان الترمذ ، وهيأ له طعاماً ، فلما أكل اضطجع ، فقال له الدهقان : اخرج فقال : لست أعرف منزلاً مثل هذا ، وقاتل أهل الترمذ حتى غلب عليها ، فخرج دهقانها وأهلها إلى الترك يستنصرونهم فلم ينصروهم ، وقالوا :

لعنكم الله فما ترجون بجبر ، أتاكم رجل من مائة ، وأخرجكم عن مدينتكم وغلبكم عليها .

ثم تتام أصحاب موسى إليه ممن كان مع أبيه وغيرهم ، ولم يزل صاحب الترمذ وأهلها بالترك حتى أعانوهم وأطافوا جميعاً بموسى ومن معه فبيتهم موسى وحوى عسكرهم ، وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا ، وكان ثابت وحريث ابنا قطبة الخزاعيان مع موسى ، فاستجاشا طرخون ، وأصحابه لموسى فأنجده وأنهض إليه بشراً كثيراً ، فعظمت دالتهما عليه ، وكانا الآمرين والناهيين في عسكره ، فقيل له : إنما لك الاسم وهذان صاحبا العسكر والأمر .

وخرج إليه من أهل الترمذ خلق من الهياطلة والترك، واقتتلوا قتالاً شديداً، فغلبهم المسلمين ومن معهم ، فبلغ ذلك الحجاج ، فقال : الحمد لله الذي نصر المنافقين على المشركين، وجعل موسى من رؤوس من قاتله جوسقين عظيمين، وقتل حريث بن قطبة بنشابة أصابته ، فقال أصحاب موسى لموسى : قد أراحنا الله من حريث، فأرحنا من ثابت فإنه لا يصفو عيش معه، وبلغ ثابتاً ما يخوضون فيه، فلما استثبته لحق بحشورا واستنجد طرخون فأنجده ، فنهض إليه موسى فغلب على ربض المدينة ، ثم كثرت امداد السغد فرجع إلى الترمذ فتحصن بها وأعانه أهل كش ونسف وبخارى ، فحصر ثابت موسى وهو في ثمانين ألفاً ، فوجه موسى يزيد بن هزيل كالمغري لزياد القصير الخزاعي وقد أصيب بمصيبة، فالتمس الغرة من ثابت فضربه بالسيف على رأسه ضربة عاش بعدها سبعة أيام ، ثم مات وألقى يزيد نفسه في نهر الصغانيان فنجا ، وقام طرخون بأمر أصحابه ، فبيتهم موسى فرجعت الأعاجم إلى بلادها ، وكان أهل خراسان يقولون : مارأينا مثل موسى قاتل مع أبيه سنتين لم يفل ، ثم أتى الترمذ فغلب عليها وهو في عدة يسيرة ، وأخرج ملكها عنها ، ثم قاتل الترك والعجم فهزمهم ، وأوقع بهم .

فلما عزل يزيد بن المهلب ، وتولى المفضل بن المهلب خراسان وجه عثمان بن مسعود، فسار حتى نزل جزيرة بالترمذ تدعى اليوم جزيرة عثمان،وهو في خمسة عشر ألفاً فضيق على موسى و كتب إلى طرخون فقدم عليه ، فلما رأى موسى الذي ورد عليه ، خرج من المدينة ، وقال لأصحابه الذين خلفهم فيها : إن قتلت فادفعوا المدينة إلى مدرك بن المهلب ، ولا تدفعوها إلى ابن مسعود،وحال الترك والسغد بين موسى والحصن وعثر به فرسه فسقط ، فارتدف خلف مولى له ، وجعل يقول: الموت كريه، فنظر إليه عثمان فقال: وثبة موسى ورب الكعبة ! وقصد له حتى سقط ومولاه ، فانطووا عليه فقتلوه ، وقتل أصحابه فلم ينج منهم إلا رقبة بن الحرفانه دفعه إلى خالد بن أبي برزة الأسلمي، وكان الذي أجهز على موسى بن عبد الله واصل بن طيسلة العنبري ، ودفعت المدينة إلى مدرك بن المهلب ، وكان قتله في آخر سنة خمس وثمانين وضرب رجل ساق موسى وهو قتيل ، فلما ولي قتيبة قتله .

قالوا : ثم ولى الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان، فخرج يريد آخرون، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ فعبروا معه النهر فأتاه حين عبر النهر ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب ، وأعطاه الطاعة ، ودعاه إلى نزول بلاده ، وكان ملك آخرون وشومان قد ضيق على ملك الصغانيان وغزاه، فلذلك أعطى قتيبة ما أعطاه ودعاه إلى ما دعاه إليه ، وأتى قتيبة ملك كفيان بنحو ما أتاه به ملك الصغانيان ، وسلما إليه بلديهما ، فانصرف قتيبة إلى مرو ، وخلف أخاه صالحاً على ما وراء النهر ، ففتح صالح كاسان واورشت ، وهي من فرغانة،وكان نصر بن سيار معه في جيشه وفتح بيمنخر ، وفتح خشكت من فرغانة ، وهي مدينتها القديمة ، وكان آخر من فتح كاسان وأورشت ، وقد انتقض أهلها ، نوح ابن أسد في خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله رحمه الله .

قالوا : وأرسل ملك الجوزجان إلى قتيبة فصالحه على أن يأتيه فصار إليه ،

ثم رجع فمات بالطالقان ، ثم غزا قتيبة بيكند سنة سبع وثمانين ومعه نيزك فقطع النهر من زم إلى بيكند ، وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر فغدروا واستنصروا السغد فقاتلهم وأغار عليهم وحصرهم فطلبوا الصلح ففتحها عنوة ، وغزا قتيبة تومشكت وكرمينية سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مرو بشار بن مسلم أخاه فصالحهم وافتتح حصوناً صغاراً ، وغزا قتيبة بخارى ففتحها على صلح .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أتى قتيبة بخارى فاحترسوا منه ، فقال: دعوني أدخلها فأصلي ركعتين ، فأذنوا له في ذلك ، فأكمن لهم قوماً ، فلما دخلوا كاثروا أهل الباب ودخلوا فأصاب فيها مالاً عظيماً ، وغدر بأهلها .

قال : وأوقع قتيبة بالسغد وقتل نيزك بطخارستان وصلبه ، وافتتح كش ونسف ، وهي نخشب ، صلحاً .

قالوا : وكان ملك خوارزم ضعيفاً ، وكان أخوه خراد قد ضاده وقوي عليه ، فبعث ملك خوارزم إلى قتيبة إني أعطيك كذا وكذا ، وأدفع إليك المفاتيح على أن تملكني على بلادي دون أخي ، وخوارزم ثلاث مدائن يحاط بها فارقين ، ومدينة الفيل أحصنها .

وقال علي بن مجاهد : إنما مدينة الفيل سمرقند ، فنزل الملك أحصن المدائن، وبعث إلى قتيبة بالمال الذي صالحه عليه وبالمفاتيح،فوجه قتيبة أخاه عبدالرحمن ابن مسلم إلى خرزاد فقاتله فقتله وظفر بأربعة آلاف أسير فقتلهم، وملك ملك خوارزم الأول على ما شرط له ، فقال له أهل مملكته : إنه ضعيف ووثبوا عليه فقتلوه ، فولى قتيبة أخاه عبيد الله بن مسلم خوارزم .

وغزا قتيبة سمرقند ، وكانت ملوك السغد تنزلها قديماً ، ثم نزلت اشتيخن، فحصر قتيبة أهل سمرقند والتقوا مراراً فاقتتلوا ، وكتب ملك السغد إلى ملك الشاش وهو مقيم بالطاربند، فأتاه في خلق من مقاتلته،فلقيهم المسلمون فاقتتلوا

أشد قتال ، ثم إن قتيبة أوقع بهم وكسرهم ، فصالحه غوزك على ألفي ألف ومائتي ألف درهم في كل عام ، وعلى أن يصلي في المدينة ، فدخلها وقد اتخذ له غوزك طعاماً فأكل وصلى ، واتخذ مسجداً ، وخلف بها جماعة من المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير ، ويقال : إنه صالح قتيبة على سبعمائة ألف درهم وضيافة المسلمين ثلاثة أيام ، وكان في صلحه بيوت الأصنام والنيران[1] فأخرجت الأصنام فسلبت حليتها وأحرقت ، وكانت الأعاجم تقول إن فيها أصناماً من استخف بها هلك ، فلما حرقها قتيبة بيده أسلم منهم خلق ، فقال المختار بن كعب الجعفي في قتيبة :

دوخ السغد بالقبائل حتى ترك السغد بالعراء قعودا

وقال أبو عبيدة وغيره : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند ، فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر ، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا ، فنصب لهم جميع بن حاضر الباجي ، فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب ، وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم .

وقال الهيثم بن عدي : حدثني ابن عياش الهمذاني ، قال : فتح قتيبة عامة الشاش وبلغ أسبيجاب ، وقيل كان فتح حصن أسبيجاب قديماً ، ثم غلب عليه الترك ومعهم قوم من أهل الشاش ، ثم فتحه نوح[2] بن أسد في خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله وبنى حوله سوراً يحيط بكروم أهله ومزارعهم .

---

(١) في هذا إشارة إلى انتشار كل من البوذية والزرادشتية في مناطق بلاد ما وراء النهر .

(٢) والي المأمون على سمرقند ، فكان من مؤسسي الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام ص ٣٤٧ .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : فتح قتيبة خوارزم وفتح سمرقند عنوة ؛ وقد كان سعيد بن عثمان صالح أهلها ففتحها قتيبة بعـــده ، ولم يكونوا نقضوا ولكنه استقل صلحهم .

قال : وفتح بيكند وكش ونسف والشاش ، وغزا فرغانة ففتح بعضها وغزا السغد وأشروسنة .

قالوا : وكان قتيبة مستوحشاً من سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنه سعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد ، فأراد دفعها عن سليمان ، فلما مات الوليد ، وقام سليمان خطب الناس فقال : إنه قد وليكم هبنقة العائشي – وذلك أن سليمان كان يعطي ويصطنع أهل النعم واليسار ويدع من سواهم ، وكان هبنقة وهو يزيد بن ثروان يؤثر سمان إبله بالعلف والمرعى ، ويقول : أنا لا أصلـــح ما أفسد الله– ودعا الناس إلى خلعه فلم يجبه أحد إلى ذلك ، فشتم بني تميم ونسبهم إلى الغدر ، وقـــال : لستم بني تميم ولكنكم بني ذميم ، وذم بني بكر بن وائل ، وقال : يا أخوة مسلمة ، وذم الأزد فقال بدلتم الرماح بالمرادي ، وبالسفن أعنة الحصن ، وقال : يا أهل السافلة ولا أقول أهل العالية لأضعنكم بحيث وضعكم الله .

قال : فكتب سليمان إلى قتيبة بالولاية ، وأمره بإطلاق كل من في حبسه ، وأن يعطى الناس أعطياتهم ويأذن لمن أراد القفول في القفول ، وكانوا متطلعين إلى ذلك ، وأمر رسوله باعلام الناس ما كتب به ، فقال قتيبة : هذا من تدبيره علي ، وقام فقال : أيها الناس ان سليمان قد مناكم مـخ أعضاد البعوض ، وإنكم ستدعون إلى بيعة أنوك صبي[1] لا تحل ذبيحته ، وكانوا حنقين عليه لشتمه إياهم ،

(١) يريد بذلك أيوب بن سليمان ، والأنوك هـــو الأحمق ، وتوفي أيوب في حياة أبيه ، وهناك خلاف حول أسباب ذلك ، وقد روى ابن حزم في كتابه نقط العروس : « أن أباه قتله سراً لأنه ارتد إلى النصرانية » انظر رسائل ابن حزم – ط . بيروت ١٩٨١ ج ٢ ص ٥١ ، ٢٤٢ .

فاعتذر من ذلك ، وقال : إني غضبت فلم أدر ماقلت وما أردت لكم إلا الخير ، فتكلموا ، وقالوا : إن أذن لنا في القفول كان خيراً ، وإن لم يفعل فلا يلومن إلا نفسه ، وبلغه ذلك فخطب الناس فعدد احسانـــه إليهم ، وذم قلة وفائهم له وخلافهم عليه وخوفهم بالأعاجم الذين استظهر بهم عليهم ، فأجمعوا على حربه ، ولم يجيبوه بشيء وطلبـــوا إلى الحضين بن المنذر أن يولوه أمرهم فأبى ، وأشار عليهم بوكيــع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة التميمي ، وقال : لا يقوى على هذا الأمر غيره ، لأنه أعرابي جاف تطيعه عشيرته ، وهو من بني تميم ، وقد قتل قتيبة بني الأهتم ، فهم يطلبونه بدمائهم ، فسعوا إلى وكيــع فأعطاهم يده فبايعوه ، وكان السفير بينه وبينهم قبل ذلك حيان مولى مصقلة ، وبخراسان يومئذ من مقاتلة أهل البصرة أربعون ألفاً ومن أهل الكوفة سبعة آلاف ، ومن الموالي سبعة آلاف ، وإن وكيعاً تمارض ولزم منزله ، فكان قتيبة يبعث إليه وقـــد طلى رجليه وساقه بمغرة ، فيقول : أنا عليل لاتمكنني الحركة ، وكان إذا أرسل إليه قوماً يأتونه به تسللوا وأتوا وكيعاً فأخبروه ، فدعا وكيــع بسلاحه وبرمح ، وأخــذ خمار أم ولده فعقده عليه ، ولقي رجل يقال له ادريس ، فقال له يا أبا مطرف إنك تريد أمراً وتخاف ما قد أمنك الرجل منه فالله الله ، فقال وكيـع : هذا ادريس رسول ابليس أقتيبة يؤمنني ، والله لا آتيه حتى أوتى برأسه ، ودلف نحو فسطاط قتيبة وتلاحق به ، وقتيبة في أهل بيته وقوم وفوا له ، فقال صالح أخوه لغلامه : هــات قوسي ، فقال له بعضهم وهو يهزأ به : ليس هذا يوم قوس ، ورماه رجل من بني ضبـــة فأصاب رهابته [1] فصرع ، وأدخل الفسطاس ، فقضى وقتيبة عند رأسه ، وكان قتيبة يقول لحيان ، وهو على الأعاجم : احمل فيقول : لم يأن ذلك بعد ، وحملت

---

(١) الرهابة : غضروف كاللسان معلق في أسفل الصدر مشرف على البطن. النهاية لابن الأثير .

العجم على العرب ، فقال حيان : يامعشر العجم لم تقتلون أنفسكم لقتيبة ألحسن بلائه عندكم ؟ فانحاز بهم إلى بني تميم ، وتهايج الناس ، وصبر مع قتيبة اخوته وأهل بيته وقوم من أبناء ملوك السغد أنفوا من خذلانه ، وقطعت أطناب الفسطاط وأطناب الفازة [١] ، فسقطت على قتيبة ، وسقط عمود الفازة على هامته فقتله فاحتز رأسه عبد الله بن علوان .

وقال قوم منهم هشام بن الكلبي : بل دخلوا عليه فسطاطه فقتله جهم بن زحر الجعفي ، وضربه سعد بن مجد واحتز رأسه ابن علوان .

قالوا : وقتل معه جماعة من اخوته وأهل بيته وأم ولده الصماء ، ونجا ضرار ابن مسلم ، أمنه بنو تميم ، وأخذت الأزد رأس قتيبة وخاتمه ، وأتي وكيع برأس قتيبة فبعث به إلى سليمان مع سليط بن عطية الحنفي .

وأقبل الناس يسلبون باهلة فمنع من ذلك ، وكتب وكيع إلى أبي مجلز لاحق ابن حميدة بعهده على مرو ، فقبله ورضي الناس به ، وكان قتيبة يوم قتل ابن خمس وخمسين سنة ، ولما قتله وكيع بن أبي سود تصارم بخراسان وضبطها ، فأراد سليمان توليته إياها فقيل له : إن وكيعاً ترفعه الفتنة ، وتضعه الجماعة ، وفيه جفاء وأعرابية ، وكان وكيع يدعو بطست فيبول والناس ينظرون إليه ، فمكث تسعة أشهر حتى قدم عليه يزيد بن المهلب ، وكان بالعراق ، فكتب إليه سليمان أن يأتي خراسان ، وبعث إليه بعهده ، فقدم يزيد مخلداً ابنه فحاسب وكيعاً وحبسه ، وقال له : أدّ مال الله ، فقال : أو خازناً لله كنت ؟ وغزا مخلد البتم ففتحها ثم نقضوا بعده فتركهم ومال عنهم فطمعوا في انصرافه ، ثم كر عليهم حتى دخلها ودخلها جهم بن زحر وأصاب بها مالاً وأصناماً من ذهب فأهل البتم ينسبون إلى ولائه .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كانوا يرون أن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم

---

(١) الفازة خيمة صغيرة .

أبا خاقان قد كتب إلى الحجاج يسعى بقتيبة ويخبر بما صار إليه من المال وهـــو يومئذ خليفة قتيبة على مرو ، وكان قتيبة إذا غزا استخلفه على مرو، فلما كانت غزوة بخارى وما يليها واستخلفه أتاه بشير أحد بني الأهتم، فقال له : إنك قد انبسطت إلى عبد الله وهو ذو غوائل حسود فلا نأمنه أن يعزلك فيستفسدنا ؛ قال : إنما قلت هذا حسداً لابن عمك ، قال : فليكن عـــذري عندك فإن كان ذلك عذرتني وغزا ، فكتب بما كتب به إلى الحجاج . فطوى الحجاج كتابه في كتابه إلى قتيبة ،فجاء الرسول حتى نزل السكة بمرو وجاوزها،ولم يأت عبد الله فأحس بالشر ، فهرب فلحق بالشام ، فمكث زمناً يبيـــع الخز والكتانيات في رزمة على عنقه يطوف بها ، ثم إنه وضع خرقـة وقطنة على إحدى عينيه ثم عصبها واكتنى بأبي طينة ، وكان يبيـــع الزيت فلم يزل على هـــذه الحال حتى هلك الوليد بن عبد الملك ، وقام سليمان فألقى عنه ذاك الدنس والخرقة ، وقام بخطبة تهنئة لسليمان ووقوعاً في الحجاج وقتيبة ، وكان قد بايـــع لعبد العزيز بن الوليد وخلع سليمان ، فتفرق الناس وهم يقولون : أبو طينة الزيات أبلغ الناس ، فلما انتهى إلى قتيبة كتاب ابن الأهتم إلى الحجاج وقد فاته عكر على بني عمـــه وبنيه ، وكان أحدهم شيبة أبو شبيب فقتل تسعة أناسي منهم ، أحدهم بشير فقال له بشير : اذكر عذري عندك فقال : قدمت رجلا وأخرت رجلا يا عدو الله فقتلهم جميعاً .

وكان وكيـــع بن أبي سود قبل ذلك على بني تميم بخراسان فعزله عنهم قتيبة واستعمل رجلا من بني ضرار الضبي ، فقال حـــين قتلهم : قتلني الله أنا أقتله ويفقدوه فلم يصل الظهر ولا العصر ، فقالوا له : إنـــك لم تصل ؟ فقال: وكيف أصلي لرب قتل منا عامتهم صبيان ، ولم يغضب لهم .

وقالَ أبو عبيدة : غزا قتيبة مدينة فيل ففتحها ، وقد كان أمية بن عبد الله

ابن خالد بن أسيد فتحها ، ثم نكثوا ورامهم يزيد بن المهلب فلم يقدر عليها ؛ فقال كعب الاشقري :

أعطتك فيل بأيديها وحق لها ورامها قبلك الفجفاجة الصلف

يعني يزيد بن المهلب [١] .

قالوا : ولما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك مــا وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام فأسلم بعضهم ، وكان عامل عمر على خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي فأخذ مخلد بن يزيد وعمال يزيد فحبسهم ووجه الجراح عبدالله بن معمر اليشكري إلى ما وراء النهر ، فأوغل في بلاد العدو ، وهمّ بدخول الصين فأحاطت به الترك حتى افتدى منهم وتخلص وصار إلى الشاش ، ورفع عمر الخراج على من أسلم بخراسان وفرض لمن أسلم وابتنى الخانات ؛ ثم بلـغ عمر عن الجراح عصبية ، وكتب إليه : إنه لا يصلح أهل خراسان إلا السيف فأنكر ذلك وعزله ، وكان عليه دين فقضاه ، وولى عبد الرحمن بن نعيم الغامدي حرب خراسان وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراجها .

قال : وكان الجراح بن عبد الله يتخذ نقراً من فضة وذهب ويصيرهـا تحت بساط في مجلسه على أوزان مختلفة ، فإذا دخل عليه الداخل من أخوته والمعترين به رمى إلى كل امرىء منهم مقدار ما يؤهل له .

ثم ولي يزيد بن عبد الملك فولى مسلمة بن عبد الملك العراق وخراسان ، فولى مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أميـــة خراسان ، وسعيد هذا يلقب حذيفة ، وذلك أن بعض دهاقين مــا وراء النهر دخل عليه وعليه معصفر وقد رجل شعره ، فقال : هذا حذيفة يعني دهقانه ، وكان سعيد صهر مسلمة على ابنته ، فقدم سعيد سورة بن الحر الحنظلي ، ثم

---

(١) انظر ما تقدم في كتاب الفتوح لابن الأعثم : ١٩٠٠ – ١٩٦٩ .

ابنه فتوجه إلى مـا وراء النهر فنزل اشتيخن ، وقد صارت الترك إليهـا ، فحاربهـم وهزمهم ومنع الناس من طلبهم حينـاً ، ثم لقي الترك ثانية فهزموهم وأكثروا القتل في أصحابه ، وولى سعيد نصر بن سيار ، وفي سعيـد يقول الشاعر :

فسرت إلى الأعداء تلهو بلعبة ... فأيرك مشهور وسيفك مغمد

وشخص قوم من وجوه أهل خراسان إلى مسلمة يشكون سعيداً فعزله ، وولى سعيد بن عمرو الحرشي خراسان ، فلما قدمها أمر كاتبه بقراءة عهده وكان لحاناً ، فقال سعيد : أيها الناس إن الأمير بريء مما تسمعون من هـذا اللحن ، ووجه الى السغد يدعوهم الى الفئة والمراجعة وكف عن مهـايجتهم حتى أتته رسله بإقامتهم على خلافه ، فزحف إليهم فانقطع عن عظيمهم زهـاء عشرة آلاف رجل ، وفارقوهم مائلين الى الطاعة ، وافتتح الحرشي عامة حصون السغد ونال من العدو نيلاً شافياً .

وكان يزيد بن عبد الملك ولى عهده هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيـد بعده ،فلما مات يزيد بن عبدالملك قام هشام فولى عمر بن هبيرة الفزاري العراق ، فعزل الحرشي [1] واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد فغزا افشين فصالحه على ستة آلاف رأس ، ودفع إليه قلعته ثم انصرف الى مرو ،وولى طخارستان نصر بن سيار فخالفـه خلق من العرب فأوقع بهم ، ثم سفرت بينهـم السفراء فاصطلحوا .

واستعمل هشام خالد بن عبد الله القسري على العراق ،فولى أسد بن عبدالله أخاه خراسان ، وبلغ ذلك مسلم بن سعيد ، فسار حتي أتى فرغانة فأناخ على مدينتها ، فقطع الشجر ، وأخرب العمارة والحدر عليه خاقان الترك في عسكره

(١) انظر ما تقدم في كتاب الفتوح لابن الأعثم الكوفي : ٢٠٢١-٢٠٢٣ .

فارتحل عن فرغانة ، وسار في يوم واحد ثلاث مراحل حتى قامت دوابه وتطرقت الترك عسكره فقال بعض الشعراء :

غزوت بنا من خشية العزل عاصياً   فلم تنج من دنيا معن غرورها

وقدم أسد سمرقند فاستعمل عليها الحسن بن أبي العمرطة ، فكانت الترك تطرق سمرقند وتغير ، وكان الحسن ينفر كلما أغاروا فلا يلحقهم ، فخطب ذات يوم فدعا على الترك في خطبته ، فقال : اللهم اقطع آثارهم وعجل أقدارهم وأنزل عليهم الصبر ، فشتمه أهل سمرقند ، وقالوا : لا بل أنزل الله علينا الصبر ، وزلزل أقدامهم .

وغزا أسد جبال نمرود ، فصالحه نمرود وأسلم ، وغزا الختل ، فلما قدم بلخ أمر ببناء مدينتها ، ونقل الدواوين إليها وصار الى الختل ، فلم يقدر منها على شيء وأصاب الناس ضر وجوع وبلغه عن نصر بن سيار كلام فضربه ، وبعث به الى خالد مع ثلاثة نفر اتهموا بالشغب ، ثم شخص أسد عن خراسان وخلف عليها الحكم بن عوانة الكلبي ، واستعمل هشام أشرس بن عبد الله السلمي على خراسان ، وكان معه كاتب نبطي يسمى عميرة ، ويكنى أبا أمية فزين له الشر ، فزاد أشرس وظائف خراسان واستخف بالدهاقين ، ودعا أهل ما وراء النهر الى الإسلام ، وأمر بطرح الجزية عمن أسلم فسارعوا الى الإسلام وانكسر الخراج ، فلما رأى أشرس ذلك أخذ المسالة فأنكروا ذلك وألاحوا منه ، وغضب لهم ثابت قطنة الأزدي ، وإنما قيل له قطنة لأن عينه فقئت فكان يضع عليها قطنة ، فبعث إليهم أشرس من فرق جمعهم ، وأخذ ثابتاً فحبسه ، ثم خلاه بكفالة ووجهه في وجه فخرجت عليه الترك فقتلته .

واستعمل هشام في سنة اثنتي عشرة ومائة الجنيد بن عبد الرحمن المري على

خراسان فلقي الترك فحاربهم ووجه طلائع له فظفروا بابن خاقان وهو سكران يتصيد ، فأخذوه فأتوا بـه الجنيد بن عبد الرحمن ، فبعث به الى هشام ، ولم يزل يقاتل الترك حتى دفعهم ، فكتب الى هشام يستمده فأمده بعمر بن مسلم في عشرة آلاف رجـــل من أهل البصرة وبعبد الرحمن بن نعيم في عشرة آلاف من أهل الكوفة ، وحمل اليه ثلاثين ألـــف قناة وثلاثين ألف ترس ، وأطلق يـــده في الفريضة ففرض لخمسة عشر ألف رجـــل ، وكانت للجنيد مغاز وانتشرت دعـاة بني هاشم في ولايته وقوي أمرهـم وكانت وفاة الجنيد بمرو .

وولى هشام خراسان عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: انتاثت نواح من طخارستان، ففتحها الجنيد ابن عبد الرحمن ، وردها الى صلحها ومقاطعتها .

قال : وكان نصر بن سيار غزا أشروسنة أيام مروان بن محمد فلم يقدر على شيء منها، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو العباس رحمه الله ومن بعده من الخلفاء كانوا يولون عمالهم فينتقصون حدود أرض العدو وأطرافهـا ، ويحاربون من نكث البيعة ونقض العهد من أهل القبالة، ويعيدون مصالحة من امتنع من الوفاء بصلحه بنصب الحرب له .

قالوا : ولما استخلف المأمون أمـير المؤمنين أغزى السغد وأشروسنة ومن انتقض عليه من أهل فرغانة الجند، وألح عليهم بالحروب وبالغارات أيام مقامه بخراسان وبعد ذلك، وكان مع تسريته الخيول اليهم يكاتبهم بالدعاء الى الإسلام والطاعة والترغيب فيهما .

ووجه الى كابل شاه جيشاً فأدى الأتاوة وأذعن بالطاعة ، واتصل إليهـا البريد حتى حمل اليه منها اهليلج وصل رطباً .

وكان كاوس ملك اشروسنـة كتب الى الفضل بن سهل المعروف بذي

الرئاستين، وهو وزير المأمون وكاتبه يسأله الصلح على مال يؤديه على أن لا يغزي المسلمين بلده فأجيب إلى ذلك، فلما قدم المأمون رحمه الله إلى مدينة السلام امتنع كاوس من الوفاء بالصلح ، وكان له قهرمان أثير عنده قد زوج ابنته من الفضل بن كاوس ، فكان يقرظ الفضل عنده ويقربه من قبله ، ويـــذم حيدر بن كاوس المعروف بالافشين ويشنعه ، فوثب حيدر على القهرمـــان فقتله على باب كنب مدينتهم ، وهرب إلى هاشم بن محور الختلي، وكان هاشم ببلده ملكاً عليه، فسأله أن يكتب الى أبيه في الرضى عليه ، وكان كاوس قد زوج أم جنيد حين قتل قهرمانه طراديس وهرب ببعض دهاقينه ، فلما بلغ حيدر ذلك أظهـر الإسلام وشخص الى مدينة السلام ، فوصف للمأمون سهولة الأمر في أشروسنة ، وهون عليه ما يهوله الناس من خبرها ، ووصف له طريقاً مختصرة إليها، فوجه المأمون أحمد بن أبي خالد الأحول الكاتب لغزوها في جيش عظيم ، فلما بلـغ كاوس إقباله نحوه بعث الفضل بن كاوس الى الترك يستنجدهم ، فأنجده منهم الدهم ، وقدم أحمد بن أبي خالد بلد أشروسنة فأناخ على مدينتهـــا قبل موافاة الفضل بالأتراك ، فكان تقدير كاوس فيه أن يسلك الطريق البعيدة وأنه لا يعرف هذه الطريق المختصرة ، فسقط في يده ونخب قلبه، فاستسلم وخرج في الطاعة، وبلغ الفضل خبره فانحاز بالأتراك الى مفازة هناك ، ثم فارقهم وسار جاداً حتى أتى أباه ، فدخل في أمانه وهلك الاتراك عطشاً .

وورد كاوس مدينة السلام ، فأظهر الإسلام وملكه المأمون على بلاده ، ثم ملك حيدر ابنه وهو الافشين بعـده ، وكان المأمون رحمه الله يكتب إلى عماله على خراسان في غزو من لم يكن على الطاعة والاسلام من أهل مـا وراء النهر ، ويوجه رسله فيفرضرن لمن رغب في الديوان ، وأراد الفريضة من أهل تلك النواحي وأبناء ملوكهم ، ويستميلهم بالرغبـة ، فإذا وردوا بابه شرفهم وأسنى صلاتهم وأرزاقهم ، ثم استخلف المعتصم بالله فكان على مثل ذلك حتى

صار جل شهود عسكره من جند أهل مـــا وراء النهر من السغد والفراغنة والاشروسنية وأهل الشاش وغيرهم ، وحضر ملوكهم بابه ، وغلب الإسلام على من هناك ، وصار أهل تلك البلاد يغزون من وراءهم من الترك .

وأغزى عبد الله بن طاهر ابنه طاهر بن عبد الله بلاد الغورية ،ففتح مواضع لم يصل إليها أحد قبله .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن قتيبة أسكن العرب ما وراء النهر ، حتى أسكنهم أرض فرغانة والشاش .



فتوح السند

أخبرنا علي بن محمـــد بن عبد الله بن أبي شيف ، قال : ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاصي الثقفي البحرين وعمان سنة خمس عشرة ، فوجه أخاه الحكم الى البحرين ، ومضى الى عمان فأقطع جيشاً الى تانه ، فلما رجع الجيش كتب الى عمر يعلمه ذلك ، فكتب إليه عمر : يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود ، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخـــذت من قومك مثلهم ، ووجه الحكم أيضاً الى بروص ، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي الى خور الديبل ، فلقي العدو فظفر .

فلما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق كتب إليه يأمره أن يوجه الى ثغر الهند من يعلم علمــه وينصرف إليه بخبره ، فوجه حكيم بن جبلة العبدي ، فلما رجع أوفده الى عثمان فسأله عن حال البلاد فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها ، قال : فصفها لي، قال : ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل ، إن قل الجيش فيها ضاعوا ، وإن كثروا جاعوا ، فقال له عثمان : أخابر أم ساجع ؟ قال : بل خابر فلم يغزها أحداً .

فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين ، وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توجه الى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بإذن عليّ ، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً ، وقسم في يوم واحـد ألف رأس ، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان إلا قليلاً ، وكان مقتله في سنة اثنتين وأربعين، والقيقان من بلاد السند مما يلي خراسان.

ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية سنة أربـع وأربعين فأتى بنة والأهواز وهما بين الملتان وكابل ، فلقيه العدو فقاتله ومن معه، ولقي

المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة فقاتلوه فقتلوا جميعاً، فقال المهلب : ماجعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منا، فحذف الخيل[١] فكان أول من حذفها من المسلمين وفي بنة يقول الأزدي :

ألم تر أن الازد ليلة بيتـــوا ... ببنة كانوا خير جيش المهلب

ثم ولى عبد الله بن عامر في زمن معاوية بن أبي سفيـــان عبد الله بن سوار العبدي ، ويقال ولاه معاوية من قبله ثغر الهند ، فغزا القيقان فأصاب مغنماً، ثم وفد الى معاوية وأهدى إليه خيلا قيقانية ، وأقام عنده ، ثم رجع الى القيقان فاستجاشوا الترك فقتلوه وفيه يقول الشاعر :

وابن سوار على عداته ... موقد النار وقتال السغب

وكان سخياً لم يوقد أحـــد ناراً غير ناره في عسكره ، فرأى ذات ليلة ناراً فقال : ما هذه ؟ فقالوا : امرأة نفساء يعمل لها خبيص ، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثاً .

وولى زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي ، وكان فاضلا متألهاً ، وهو أول من أحلف الجنـــد بالطلاق ، فأتى الثغر ففتح مكران عنوة ومصرها ، وأقام بها وضبط البلاد ، وفيه يقول الشاعر :

رأيت هذيلا أحدثت في يمينها ... طلاق نساء ما يسوق لها مهرا

لهان على حلفة ابن محبق ... إذا رفعت أعناقها حلقاً صفرا

وقال ابن الكلبي : كان الذي فتح مكران حكيم بن جبلة العبدي ، ثم استعمل زياد على الثغر راشد بن عمرو الجديدي من الأزد ، فأتى مكران ، ثم غزا القيقان فظفر ، ثم غزا الميد فقتل، وقام بأمر الناس سنان بن سلمة فولاه زياد الثغر فأقام به سنتين ، وقال أعشى همدان في مكران :

وأنت تسير إلى مكران ... فقد شحط الورد والمصدر

---

(١) أي قصر شعرها .

ولم تلك حاجتي مكران ولا الغزو فيها ولا المتجر
وحدثت عنها ولم آتها فما زلت من ذكرهـا أخر
بأن الكثير بها جائـــع وأن القليل بها معور [١]

وغزا عباد بن زياد ثغر الهند من سجستان ، فأتى سناروذ ، ثم أخـذ على جوي كهز الى الروذبار من أرض سجستان الى الهند مند ، فنزل كش وقطـــع المفازة حتى أتى القندهار ، فقاتل أهلها فهزمهم ، وفلهم وفتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين ، ورأى قلانس أهلها طوالا ، فعمل عليها فسميت العبادية وقال ابن مُفَرِّغ [٢]:

كم بالجروم وأرض الهند من قدم ومن سرائنك قتلى لا هم قبروا
بقندهار ومن تكتب منيته بقندهار يرجم دونه الخبر

ثم ولى زياد المنذر بن الجارود العبدي،ويكني أبا الأشعث ثغر الهند، فغزا البوقان والقيقان فظفر المسلمون وغنموا ، وبث السرايـــا في بلادهم ، وفتح قصدار وسبا بها ، وكان سنان قد فتحها إلا أن أهلها انتقضوا ، وبها مات فقال الشاعر :

حل بقصدار فأضحى بها في القبر لم يقفل مع القافلين
لله قصدار وأعنابهـــا أي فتى دنيا أجنت ودين

ثم ولى عبيد الله بن زياد حري بن حري الباهلي ، ففتـــح الله تلك البلاد على يده وقاتل بها قتالاً شديداً فظفر وغنم ، وقال قوم : ان عبيـــد الله بن زياد ولى سنان بن سلمـــة ،وكان حري على سراياه وفي حري بن حري يقول الشاعر :

---

(١) أي رديء أو ضعيف جبان . القاموس .

(٢) هو يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري ، شاعر غزل ، وكان هجاءاً مقذعـاً وله مديح ، توفي سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م . الأعلام للزركلي .

لولا طماني بالبوقان ما رجعت　　منه سرايا ابن حري بأسلاب

وأهل البوقان اليوم مسلمون ، وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بها مدينة سماها البيضاء ، وذلك في خلافة المعتصم بالله .

ولما ولى الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي العراق ولى سعيد ابن أسلم بن زرعة الكلابي مكران وذلك الثغر ، فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافيان فقتل ، وغلب العلافيان على الثغر ، واسم علاف هو ربان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهو أبو جرم .

فولى الحجاج مجاعة بن سعر التميمي ذلك الثغر فغزا مجاعة فغنم وفتح طوائف من قندابيل ، ثم أتم فتحها محمد بن القاسم ومات مجاعة بعد سنة بمكران قال الشاعر :

ما من مشاهدك التي شاهدتها　　إلا يزينك ذكرها مجاعا

ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمري فأهدى إلى الحجاج في ولايته ملك جزيرة الياقوت نسوة ولدن في بلاده مسلمات ، ومات آباؤهن وكانوا تجاراً فأراد التقرب بهن ، فعرض للسفينة التي كن فيها قوم من ميد الديبل في بوارج ، فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن ، وكانت من بني يربوع : ياحجاج ، وبلغ الحجاج ذلك فقال : يا لبيك ، فأرسل إلى داهر يسأله تخلية النسوة ، فقال : إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم، فأغزى الحجاج عبيد الله بن نبهان الديبل فقتل ، فكتب إلى بديل بن طهفة البجلي وهو بعمان يأمره أن يسير إلى الديبل،فلما لقيهم نفر به فرسه فأطاف به العدو فقتلوه وقال بعضهم قتله زط البدهة .

قال : وإنما سميت هذه الجزيرة جزيرة الياقوت لحسن وجوه نسائها، ثم ولى الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل في أيام الوليد بن عبد الملك فغزا السند ، وكان محمد بفارس وقد أمره أن يسير الى الري وعلى مقدمته أبو

الأسود جهم بن زحر الجعفي ، فرده إليه وعقد له على ثغر السند ، وضم إليه ستة آلاف من جند أهل الشام وخلقاً من غيرهم وجهزه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والمال ، وأمره ان يقيم بشيراز حتى يتتام إليه أصحابه ووافيه ما عد له ، فعمد الحجاج الى القطن المحلوج فنقع في الخل الخمر الحاذق ، ثم جفف في الظل، فقال : إذا صرتم الى السند فإن الخل بها ضيق فأنقعوا هذا القطن في الماء ثم اطبخوا به واصطبغوا ، ويقال إن محمد لما صار الى الثغر كتب يشكو ضيق الخل عليهم ، فبعث إليه بالقطن المنقوع في الخل .

فسار محمد بن القاسم الى مكران فأقام بها أياماً ثم أتى قنزبور ففتحها ، ثم أتى ارمابيل ففتحها وكان محمد بن هارون بن ذراع قد لقيه فانضم إليه وسار معه فتوفي بالقرب منها فدفن بقنبل ، ثم سار محمد بن القاسم من ارمابيل ومعه جهم بن زحر الجعفي ، فقدم الديبل يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والأداة ، فخندق حين نزل الديبل ، وركزت الرماح على الخندق ، ونشرت الأعلام ، وأنزل الناس على راياتهم ، ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس ، كان يمد فيها خمسمائة رجل ، وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل ، وعلى الدقل راية حمراء إذا هبت الريح أطافت بالمدينة، وكانت تدور، والبد فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم أو أصنام يشهر بها، وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً وكل شيء أعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد ، والصنم بد أيضاً .

وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام ، فورد على محمد من الحجاج كتاب ان انصب العروس واقصر منها قائمة ، ولتكن مما يلي المشرق ثم ادع صاحبها فمره أن يقصد برميته للدقل الذي وصفت لي ، فرمى الدقل فكسر ، فاشتد طرة [1] الكفر من ذلك ، ثم ان محمداً ناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى

(١) أي لطم وحزن أهل الكفر . القاموس .

ردم ، وأمر بالسلاليم فوضعت وصعد عليها الرجال ، وكان أولهم صعوداً رجل من مراد من أهل الكوفة ففتحت عنوة ، ومكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام ، وهرب عامل داهر عنها ، وقتل سادني بيت آلهتهم ، واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً وأنزلها أربعة آلاف .

قال محمد بن يحيى : فحدثني منصور بن حاتم النحوي مولى آل خالد بن أسيد أنه رأى الدقل الذي كان على منارة البد مكسوراً ، وأن عنبسة بن اسحاق الضبي ، العامل كان على السند في خلافة المعتصم بالله رحمه الله ، هدم أعلى تلك المنارة ، فعزل قبل استتمام ذلك ، وولي بعده هارون بن أبي خالد المروروذي ، فقتل بها .

قالوا: وأتى محمد بن القاسم النيرون وكان أهلها بعثوا سمنيين منهم الى الحجاج فصالحوه ، فأقاموا لمحمد العلوفة وأدخلوه مدينتهم ، ووفوا بالصلح وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبر نهراً دون مهران فأتاه سمنية سيويس فصالحوه عمن خلفهم ، ووظف عليهم الخراج ، وسار الى سهبان ففتحها ، ثم سار الى مهران فنزل في وسطه ، فبلغ ذلك داهر واستعد لمحاربته ، وبعث محمد بن القاسم محمد بن مصعب بن عبدالرحمن الثقفي الى سيوستان في خيل وجمازات [1] فطلب أهلها الأمان والصلح ، وسفر بينه وبينهم السمنية ، فأمنهم ووظف عليهم خرجاً وأخذ منهم رهناً ، وانصرف الى محمد ومعه من الزط أربعة آلاف فصاروا مع محمد ، وولى سيوستان رجلاً ، ثم ان محمداً احتال لعبور مهران حتى عبره مما يلي بلاد راسل ملك قصة من الهند على جسر عقده ، وداهر مستخف به لاه عنه ، ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله وترجل داهر ، وقاتل فقتل عند المساء ، وانهزم المشركون فقتلهم المسلمون كيف شاؤوا ، وكان الذي قتله في رواية المدائني رجلاً من بني كلاب وقال :

---

(١) الابل . القاموس .

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ... ومحمد بن القاسم بن محمد
أني فرجت الجمع غير معرد[1] ... حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجدلا ... متعفر الخدين غير موسد

فحدثني منصور بن حاتم ، قال : داهر والذي قتله مصوران ببروص ؛ وبديل بن طهفة مصور بقند وقبره بالديبل .

وحدثني علي بن محمد المدائني عن أبي محمد الهندي عن أبي الفرج قال : لما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند .

وقال ابن الكلبي : كان الذي قتل داهر القاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائي .

قالوا وفتح محمد بن القاسم راؤر عنوة ، وكانت بها امرأة لداهر ، فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها .

ثم أتى محمد بن القاسم برهمناباد العتيقة وهي على رأس فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ إنما كان موضعها غيضة ، وكان فل داهر ببرهمناباد هذه فقاتلوه ففتحها محمد عنوة ، وقتل بها ثمانية آلاف ، وقيل ستة وعشرين ألفاً وخلف فيها عامله وهي اليوم خراب ، وسار محمد يريد أرور وبغرور فتلقاه أهل ساوندري فسألوه الأمان فأعطاهم اياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ودلالتهم وأهل ساوندري اليوم مسلمون ، ثم تقدم إلى بسمد فصالح أهلها على مثل صلح ساوندري وانتهى محمد إلى ارور وهي من مدائن السند ، وهي على جبل فحصرهم أشهر ففتحها صلحاً على أن لا يقتلهم ولا يعرض لبدهم ، وقال : ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود ، وبيوت نيران المجوس ، ووضع عليهم الخراج بأرور وبنى مسجداً ، وسار محمد الى السكة وهي مدينة دون بياس ففتحها والسكة اليوم خراب ، ثم قطع نهر بياس الى الملتان فقاتله أهل الملتان فأبلى زائدة بن عمير الطائي ، وانهزم

(١) أي غير فار أو معرض . النهاية لابن الأثير .

المشركون فدخلوا المدينة وحصرهم محمد ونفدت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر ، ثم أتاهم رجل مستأمن فدلهم على مدخل الماء الذي منه شربهم وهو ماء يجرى من نهر بسمد فيصير في مجتمع له مثل البركة في المدينة وهم يسمونه البلاح َفغوَّره ؛ فلما عطشوا نزلوا على الحكم فقتل محمد المقاتلة وسبى الذرية ، وسبى سدنة البد، وهم ستة آلاف،وأصابوا ذهباً كثيراً فجمعت تلك الأموال في بيت يكون عشرة أذرع في ثماني أذرع يلقى ما أودعه في كوة مفتوحة في سطحه فسميت الملتان ، فرج بيت الذهب ، والفرج الثغر وكان بد الملتان بدأ تهدى إليه الأموال،وينذر له النذور ، ويحج إليه السند فيطوفون به ، ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده ، ويزعمون أن صنماً فيه هو أيوب النبي ﷺ .

قالوا : ونظر الحجاج فإذا هو قد أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف ووجد ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف ، فقال : شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر ، ومات الحجاج فأتت محمداً وفاته ، فرجع عن الملتان الى أرور وبغرور ، وكان قد فتحها فأعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشاً فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة وساله أهل سرست وهي مغزى أهل البصرة اليوم ، وأهلها الميد الذي يقطعون في البحر ، ثم أتى محمد الكنوج فخرج إليه دوهر فقاتله فانهزم العدو وهرب دوهر، ويقال قتل ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى قال الشاعر :

نحن قتلنا داهراً ودوهرا والخيل تردى منسراً فمنسرا

ومات الوليد بن عبد الملك ، وولي سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق،وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فحمل محمد بن القاسم مقيداً مع معاوية بن المهلب ، فقال محمد متمثلا :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى أهل الهند على محمد وصوروه بالكنوج فحبسه صالح بواسط فقال :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها | رهن الحديد مكبلاً مغلولا
فلرب فتية فارس قد رعتها | ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال :

لو كنت جمعت القرار لوطئت | اناث أعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا | ولا كان من عك عليّ أمير
ولا كنت للعبد المزوني[1] تابعاً | فيالك دهر بالكرام عثور

فعذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم[2] وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح ، وكان يرى رأي الخوارج ، وقال حمزة بن بيض الحنفي :

إن المروءة والسماحة والندى | لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة | ياقرب ذلك سؤددا من مولد

وقال آخر :

ساس الرجال لسبع عشرة حجة | ولداته[3] عن ذاك في أشغال

ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً ، واستعمل سليمان بن عبد الملك حبيب بن المهلب على حرب السند ، فقدمها وقد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم فرجع جيسيه بن داهر الى برهمناباد ونزل حبيب على شاطىء مهران فأعطاه أهل أرور الطاعة وحارب قوماً فظفر بهم .

ثم مات سليمان بن عبد الملك وكانت خلافة عمر بن عبد العزيز بعده فكتب الى الملوك يدعوهم الى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه فأسلم جيسيه والملوك وتسموا بأسماء العرب .

---

(١) أراد به يزيد بن المهلب .
(٢) لقد مرت بنا أوفى التفاصيل عن فتح السند في كتاب فتح نامه المتقدم.
(٣) أي رفاقه وأبناء جيله .

وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر ، وهرب بنو المهلب الى السند في أيام يزيد بن عبد الملك فوجه إليهم هلال بن أحوز التميمي ، فلقيهم فقتل مدرك بن المهلب بقندابيل ، وقتل المفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بني المهلب وقتل معاوية بن يزيد في آخرين .

وولي الجنيد بن عبد الرحمن المري من قبل عمر بن هبيرة الفزاري ثغر السند، ثم ولاه إياه هشام بن عبد الملك ، فلما قدم خالد بن عبد الله القسري العراق كتب هشام إلى الجنيد يأمره بمكاتبته ، فأتى الجنيد الديبل ، ثم نزل شط مهران فمنعه جيسيه العبور وأرسل إليه إني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك ، فأعطاه رهناً ، وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج ، ثم انهما ترادا الرهن وكفر جيسيه وحارب ، وقيل إنه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه ، فأتى الهند فجمع جموعاً وأخذ السفن واستعد للحرب،فسار إليه الجنيد في السفن فالتقوا في بطيحة الشرقي فأخذ جيسيه أسيراً وقد جنحت سفينته فقتله، وهرب دهرسيه بن داهر وهو يريد أن يمضي إلى العراق فيشكو غدر الجنيد ، فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله ، وغزا الجنيد الكنوج ، وكانوا قد نقضوا ، فاتخذ كباشاً نطاحة فصك بها حائط المدينة حتى ثلمه ودخلها عنوة فقتل وسبى وغنم ووجه العمال الى مرمد والمندل ودهنج وبروص ، وكان الجنيد يقول القتل في الجزع أكبر منه في الصبر ، ووجه الجنيد جيشاً إلى أزين ووجه حبيب بن مرة في جيش إلى أرض المالية فأغاروا على أزين، وغزوا بهريمد فحرقوا ربضها ، وفتح الجنيد البيلمان والجرز ، وحصل في منزله سوى ما أعطى زواره أربعين ألف ألف وحمل مثلها ، قال جرير :

أصبح زوار الجنيد وصحبه يحيون صلت الوجه جماً مواهبه[1]

---

(١) ديوان جرير — ط . دار صادر بيروت : ٤٨ مع فوارق .

وقال أبو الجويرية :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بإحسانهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من كرم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

ثم ولي بعد الجنيد تميم بن زيد العتبي فضعف ووهن ، ومات قريباً من الديبل بماء يقال له ماء الجواميس ، وإنما سمي ماء الجواميس لأنه يهرب بها إليه من دباب زرق تكون بشاطىء مهران ، وكان تميم من أسخياء العرب ، وجـــد في بيت المال بالسند ثمانية عشر ألف ألف درهم طاطرية فأسرع فيها، وكان قد شخص معه في الجند فتى من بني يربوع يقال له خنيس ، وأمه من طيء إلى الهند فأتت الفرزدق ، فسألته أن يكتب إلى تميم في إقفاله ، وعـــاذت بقبر غالب أبيه ، فكتب الفرزدق إلى تميم :

أتتني فعاذت يا تميم بغالب وبالحفرة السافي عليها ترابها
فهب لي خنيساً واتخذ فيه منة لحوبة أم ما يسوغ شرابها
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر ولا يخفى عليك جوابها
فلا تكثر الترداد فيها فإنني ملول لحاجات بطيء طلابها(١)

فلم يدر ما اسم الفتى أهو حبيش أم خنيس ، فأمر أن يقفل كل من كان اسمه على مثل هذه الحروف .

وفي أيام تميم خرج المسلمون عن بلاد الهند ، ورفضوا مراكزهم فلم يعودوا إليها إلى هذه الغاية .

ثم ولي الحكم بن عوانة الكلبي وقد كفر أهل الهند إلا أهـل قصة ، فلم ير للمسلمين ملجأ يلجؤون إليه فبنى من وراء البحيرة مما يلي الهند مدينة سماهـــا المحفوظة وجعلها مأوى لهم ومعاذا ومصرها، وقال لمشايخ كلب من أهل الشام: ما ترون أن نسميها ؟ فقال بعضهم : دمشق ، وقال بعضهم حمص ، وقال رجل

(١) ديوان الفرزدق : ١ / ٨٥ - ٨٦ مع فوارق واضحة .

منهم : سمها تدمر ، فقال : دمر الله عليك يا أحمق ، ولكني أسميها المحفوظة ونزلها ، وكان عمرو بن محمد بن القاسم مع الحكم ، وكان يفوض إليـــه ويقلده جسيم أموره وأعماله ، فأغزاه من المحفوظة ، فلما قدم عليه وقـد ظفر أمره فبنى دون البحيرة مدينة وسماها المنصورة فهي التي ينزلها العمال اليوم ، وتخلص الحكم ما كان في أيدي العدو مما غلبوا عليه ورضي الناس بولايته ، وكان خالد يقول : وا عجبا وليت فتى العرب فرفض يعني تميماً ووليت أبخل الناس فرضي به ! ثم قتل الحكم بها ، ثم كان العمال بعد يقاتلون العدو فيأخذون ما استطف لهم ، ويفتحون الناحية قد نكث أهلها .

فلما كان أول الدولة المباركة ولى أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم مغلساً العبدي ثغر السند وأخذ على طخارستان، وسار حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبي وهو بالسند ، فلقيه منصور فقتله وهزم جنده ، فلما بلغ أبا مسلم ذلك عقـــد لموسى بن كعب التميمي، ثم وجهه إلى السند ، فلما قدمها كان بينه وبين منصور ابن جمهور مهران،ثم التقيا فهزم منصوراً وجيشه وقتل منظوراً أخاه ، وخرج منصور مفلولاً هارباً حتى ورد الرمل فمات عطشاً . وولي موسى السند ، فرم المنصورة وزاد في مسجدها وغزا وافتتح .

وولى أمير المؤمنين المنصور رحمه هشام بن عمر التغلبي السند ففتح ما استغلق، ووجه عمرو بن جمل في بوارج إلى نارند، ووجه إلى ناحية الهند فافتتح قشميراً، وأصاب سبايا ورقيقاً كثيراً ، وفتح الملتان وكان بقندابيل متغلبـــة من العرب فأجلاهم عنها ، وأتى القندهار في السفن ففتحها وهدم البد ، وبنى موضعـــه مسجداً ، فأخصبت البلاد في ولايته فتبركوا به ، ودوخ الثغر وحكم أموره ، ثم ولى ثغر السند عمر بن حفص بن عثمان هزار مرد، ثم داود بن يزيد بن حاتم، وكان معه أبو الصمة المتغلب اليوم وهو مولى لكندة .

ولم يزل أمر ذلك الثغر مستقيماً حتى وليه بشر بن داود في خلافة المأمون ،

فعصى وخالف فوجه إليه غسان بن عباد ، وهو رجل من أهل سواد الكوفة ، فخرج بشر إليه في الأمان وورد بــه مدينة السلام ، وخلف غسان على الثغر موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ، فقتل باله ملك الشرقي ، وقد بذل له خمسمائة ألف درهم على أن يستبقيه ، وكان باله هذا التوى على غسان وكتب إليــه في حضور عسكره فيمن حضره من الملوك فأبى ذلك ، وأثر موسى أثراً حسنـاً ومات سنة إحدى وعشرين .

واستخلف ابنه عمران بن موسى ، فكتب إليــه أمير المؤمنين المعتصم بالله بولاية الثغر ، فخرج إلى القيقان وهم زط فقاتلهم فغلبهم ، وبنى مدينة سماهـــا البيضاء وأسكنها الجند ، ثم أتى المنصورة وصار منها إلى قندابيل وهي مدينة على جبل وفيها متغلب يقال له محمد بن الخليل فقاتله وفتحها وحمل رؤساءها إلى قصدار ، ثم غزا الميد وقتل منهم ثلاثــة آلاف ، وسكر سكراً يعرف بسكر الميد ، وعسكر عمران على نهر أرور ، ثم نادى بالزط الذين بحضرته فأتوه فختم أيديهم ، وأخذ الجزية منهم، وأمرهم بأن يكون مع كل رجل منهم إذا اعترض عليه كلب ، فبلــغ الكلب خمسين درهما ، ثم غزا الميد ومعه وجـــوه الزط ، فحفر من البحر نهـــراً أجراه في بطيحتهم حتى ملح ماءهم وشن الغارات عليهم .

ثم وقعت العصبية بين النزارية واليمانية فمال عمران إلى اليمانية فسار إليه عمر ابن عبد العزيز الهباري فقتله وهو غار ، وكان جد عمر هذا ممن قدم السند مـــع الحكم بن عوانة الكلبي .

وحدثني منصور بن حاتم ، قال : كان الفضل بن ماهان مولى بني سامة فتح سندان ، وغلب عليها ، وبعث إلى المأمون رحمه الله بفيل وكاتبــه ودعا له في مسجد جامع اتخذه بها ، فلما مات قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه ، فسار في سبعين بارجة إلى ميد الهند ، فقتل منهم خلقاً وافتتح فالى ورجع إلى سندان

وقد غلب عليها أخ له يقال له ماهان بن الفضل ، وكاتب أمير المؤمنين المعتصم بالله وأهدى إليه ساجاً لم ير مثله عظماً وطولاً ، وكانت الهند في أمر أخيه فمالوا عليه فقتلوه وصلبوه ، ثم إن الهند بعد غلبوا على سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجمعون فيه ويدعون للخليفة .

وحدثني أبو بكر مولى الكريزيين : ان بلداً يدعى العسيفان بين قشمير والملتان ، وكابل ، كان له ملك عاقل ، وكان أهل ذلك البلد يعبدون صنماً قد بني عليه بيت وأبدوه ، فمرض ابن الملك فدعا سدنة ذلك البيت ، فقال لهم : ادعوا الصنم أن يبرىء ابني فغابوا عنه ساعة ، ثم أتوه فقالوا قد دعوناه وقد أجابنا إلى ما سألناه ، فلم يلبث الغلام أن مات ، فوثب الملك على البيت فهدمه ، وعلى الصنم فكسره ، وعلى السدنة فقتلهم ، ثم دعا قوماً من تجار المسلمين فعرضوا عليه التوحيد فوحد وأسلم ، وكان ذلك في خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله رحمه الله .



في أحكام أراضي الخراج

قال بشر بن غياث ، قال أبو يوسف : أيما أرض أخذت عنوة مثل السواد ، والشام ، وغيرهما فإن قسمها الإمام بين من غلب عليها فهي أرض عشر وأهلها رقيق ، وإن لم يقسمها الإمام وردها للمسلمين عامة ، كما فعل عمر بالسواد فعلى رقاب أهلها الجزية ، وعلى الأرض الخراج ، وليسوا برقيق ، وهو قول أبي حنيفة (١) .

وحكى الواقدي عن سفيان الثوري مثل ذلك .

وقال الواقدي قال مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب : إذا أسلم كافر من أهل العنوة أقرت أرضه في يده يعمرها ويؤدي الخراج عنها ، ولا اختلاف في ذلك .

وقال مالك وابن أبي ذئب ، وسفيان الثوري ، وابن أبي ليلى عن الرجل يسلم من أهل العنوة : الخراج في الأرض ، والزكاة من الزرع بعد الخراج ، وهو قول الأوزاعي .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا يجتمع الخراج والزكاة على رجل .

وقال مالك ، وابن أبي ذئب ، وسفيان ، وأبو حنيفة : إذا زرع الرجل أرضه الخراجية مرات في السنة لم يؤخذ منه إلا خراج واحد . وقال ابن أبي ليلى : يؤخذ منه الخراج كلما أدركت له غلة ، وهو قول ابن أبي سبرة ، وأبي شمر .

وقال أبو الزناد ، ومالك ، وأبو حنيفة ، وسفيان ، ويعقوب ، وابن أبي

(١) انظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٢٨ .

ليلى ، وابن أبي سبرة ، وزفر ، ومحمـــد بن الحسن ، وبشر بن غياث : إذا عطل رجل أرضه قيل له ازرعها وأد خراجها وإلا فادفعها إلى غيرك يزرعها ، فأما أرض العشر فانه لا يقال له فيها شيء ان زرع أخذت منه الصدقة ، وان أبى فهو أعلم .

وقالوا : إذا عطل رجل أرضه سنتين ثم عمرها أدى خراجاً واحداً ، وقال أبو شمر : يؤدي الخراج للسنتين .

وقال أبو حنيفـــة ، وسفيان ، ومالك ، وابن أبي ذئب ، وأبو عمرو الأوزاعي : إذا أصابت الغلات آفة أو غرق ، سقط الخراج عن صاحبها ، وإذا كانت أرض من أراضي الخراج لعبد أو مكاتب أو امرأة فإن أبا حنيفة قال : عليها الخراج فقط ، وقال سفيان ، وابن أبي ذئب ، ومالك : عليها الخراج ، وفيما بقي من الغلة العشر .

وقال أبو حنيفة ، والثوري في أرض الخراج بنى مسلم أو ذمي فيهـا بناء من حوانيت أو غيرها ، إنه لا شيء عليه ، فإن جعلهـا بستاناً ألزم الخراج ، وقال مالك ، وابن أبي ذئب : نرى إلزامه الخراج لأن انتفاعه بالبناء كانتفاعه بالزرع فأما أرض العشر فهو أعلم ما اتخذ فيها .

وقال أبو يوسف في أرض موات من أرض العنوة يحييها المسلم إنهـا له وهي أرض خراج إن كانت تشرب من ماء الخراج ، فان استنبط لها عيناً أو سقاها من ماء السماء فهي أرض عشر [١] .

وقال بشر : هي أرض عشر شربت من ماء الخراج أو غيره .

وقال أبو حنيفة ، والثوري ، وأصحابها ومالك ، وابن أبي ذئب ، والليث ابن سعد في أرض الخراج التي لا تنسب إلى أحد يقعد المسلمون فيها فيتبايعون ويجعلونها سوقاً انه لا خراج عليهم فيها .

---

(١) انظر الخراج لأبي يوسف : ٦٤.

وقال أبو يوسف : إذا كانت في البلاد سنـة أعجمية قديمة لم يغيرها الإسلام ولم يبطلها فشكاها قوم إلى الإمام لما ينالهم من مضرتها فليس له أن يغيرها، وقال مالك ، والشافعي : يغيرها وان قدمت لأن عليه نفي كل سنة جائرة سنها أحد من المسلمين فضلاً عن ما سن أهل الكفر .

ذكر العطاء في خلافة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، قال : حدثنا اسماعيل بن المجالد عن أبيه مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : لمـا افتتح عمر العراق والشام وجبى الخراج جمع أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : إني قـد رأيت أن أفرض العطاء لأهله ؟ فقالوا : نعم رأيت الرأي يا أمير المؤمنين ، قال : فبمن أبدأ ؟ قالوا : بنفسك ، قال : لا ، ولكني أضع نفسي حيث وضعها الله ، وأبدأ بآل رسول الله ﷺ ، ففعل ، فكتب عائشة أم المؤمنين يرحمها الله في اثني عشر ألفاً ، وكتب سائر أزواج النبي ﷺ في عشرة آلاف ، وفرض لعلي بن أبي طالب في خمسة آلاف ، وفرض مثل ذلك لمن شهد بدراً من بني هاشم .

وحدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حمـاد بن سلمة عن الحجاج بن أرطاة عن حبيب بن أبي ثابت أن أزواج النبي ﷺ كـن يتتابعن إلى العطاء .

محمد بن سعد عن الواقدي عن عائذ بن يحيى عن أبي الحويرث عن جبير بن الحويرث بن نقيذ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان ، فقال له علي بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مـال ولا تمسك منه شيئاً ، وقال عثمان : أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حسبت أن ينتشر الأمر ، فقال له الوليـد بن

هشام بن المغيرة : قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً ، وجندوا جنداً ، فدون ديواناً وجند جنداً ، فأخذ بقوله ، فدعا عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا من نساب قريش ، فقال: اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤوا ببني هاشم،ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه،ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر إليه عمر ، قال : وددت والله انه هكذا،ولكن ابدؤوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى .

محمد عن الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ، قال : جاءت بنو عدي إلى عمر فقالوا : أنت خليفة رسول الله ﷺ ، وخليفة أبي بكر ، وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا ؟ قال : بخ بخ بني عدي أردتم الأكل على ظهري وأن أهب حسناتي لكم ، لا والله حتى تأتيكم الدعوة ، وإن يطبق عليكم الدفتر – يعني ولو أن تكتبوا آخر الناس ، إن لي صاحبين سلكا طريقاً ، فإن خالفتهما خولف بي،والله ما أدركنا الفضل في الدنيا وما نرجو الثواب على عملنا إلا بمحمد ﷺ ، فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب،والله لئن جاءت الأعاجم بعمل ، وجئنا بغير عمل لهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه .

محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن سعيد عن قوم آخرين سماهم الواقدي ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما أجمع عمر على تدوين الديوان وذلك في المحرم سنة عشرين بدأ ببني هاشم في الدعوة،ثم الأقرب فالأقرب برسول الله ﷺ فكان القوم إذا استووا في القرابة قدم أهل السابقة .

ثم انتهى إلى الأنصار ، فقالوا : بمن نبدأ ؟ فقال : ابدؤوا برهط سعد بن معاذ الأشهلي من الأوس ، ثم الأقرب فالأقرب لسعد .

وفرض عمر لأهل الديوان ، ففضل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض،

وكان أبو بكر قد سوى بين الناس في القسم ، فقيل لعمر في ذلك ، فقال : لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه ، فبدأ بمن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار ، وفرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة حليفهم ومولاهم معهم بالسواء .

وفرض لمن كان له اسلام كإسلام أهل بدر ، ومن مهاجرة الحبشة ممن شهد أحداً أربعة آلاف درهم لكل رجل .

وفرض لأبناء البدريين ألفين إلا حسناً وحسيناً فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما ؛ لقرابتهما برسول الله ﷺ ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف .

وفرض للعباس بن عبد المطلب خمسة آلاف لقرابته برسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فرض له سبعة آلاف درهم ، وقال سائرهم : ولم يفضل أحداً على أهل بدر إلا أزواج النبي ﷺ فإنه فرض لهن اثنى عشر ألفاً اثنى عشر ألفاً ، وألحق بهن جويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي بن أخطب .

وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل منهم ثلاثة آلاف درهم .

وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفين .

وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين كفرائض مسلمة الفتح ، وفرض لعمر بن أبي سلمة أربعة آلاف، فقال محمد بن عبد الله بن جحش : لم تفضل عمر علينا فقد هاجر آباؤنا وشهدوا بدراً ؟ فقال عمر : أفضله لمكانه من النبي ﷺ فليأت الذي يستغيث بأم مثل أم سلمة أغيثه ، وفرض لأسامه بن زيد أربعة آلاف،فقال عبد الله بن عمر:فرضت لي في ثلاثة آلاف وفرضت لأسامة في أربعة آلاف وقد شهدت ما لم يشهد أسامة؟فقال عمر : زدته لأنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك ، وكان أبوه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك .

ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم .

ثم جعل من بقي من الناس باباً واحداً ، فألحق من جاءه من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين ديناراً لكل رجل ، وفرض لآخرين معهم .

وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة ، ولم ينقص أحداً من ثلاثمائة ، وقال: لئن كثر المال لأفرض لكل رجل أربعة آلاف درهم: ألفاً لسفره، وألفاً لسلاحه، وألفاً يخلفه لأهله ، وألفاً لفرسه ونعله .

وفرض لنساء مهاجرات: فرض لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم ، ولأسماء بنت عميس ألف درهم ، ولأم كلثوم بنت عقبة ألف درهم ، ولأم عبد الله بن مسعود ألف درهم .

وقال الواقدي : فقد روى أنه فرض للنساء المهاجرات ثلاثة آلاف درهم لكل واحدة .

قال الواقدي في اسناده : وأمر عمر فكتب له عمال أهل العوالي ، فكان يجري عليهم القوت ، ثم كان عثمان فوسع عليهم في القوت والكسوة ، وكان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع بلغ مائتي درهم ، فإذا بلغ زاده، وكان إذا أتي باللقيط فرض له في مائة ، وفرض له رزقاً يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه ، ثم ينقله من سنة الى سنة ، وكان يوصي بهم خيراً ، أو يحمل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال .

وحدثنا محمد بن سعد عن الواقدي، قال : حدثني : حزام بن هشام الكعبي عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديد فتأتيه بقديد ، فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن ، ثم يروح فينزل عسفان فيفعل ذلك أيضاً حتى توفي .

محمد بن سعد عن الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن محمد بن زيد، قال: كان ديوان حمير على عهد عمر على حده .

محمد بن سعد قال : حدثنا الواقدي، قال : حدثني عبيد الله بن عمر العمري عن جهم بن أبي جهم ، قال : قدم خالد بن عرفطة العذري على عمر ، فسأله

عما وراءه فقال: تركتهم يسألون الله لك أن يزيد في عمرك من أعمارهم، ما وطىء أحد القادسية إلا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة، وما من مولود ذكراً كان أو أنثى إلا ألحق في مائة وجريبين في كل شهر، قال عمر: إنما هو حقهم وأنا أسعد بأدائه إليهم، لو كان من مال الخطاب ما أعطيتهموه، ولكن قد علمت أن فيه فضلاً، فلو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء ابتاع منه غنماً، فجعلها بسوادهم، فإذا خرج عطاؤه ثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها فإن بقي أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه، فإني لا أدري ما يكون بعدي، وإني لأعم بنصيحتي من طوقني الله أمره، فإن رسول الله ﷺ، قال: من مات غاشاً لرعيته لم يرح ريح الجنة.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عمرو عن الحسن، قال: كتب عمر الى حذيفة أن أعطي الناس أعطيتهم وأرزاقهم، فكتب إليه إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير، فكتب إليه: إنه فيئهم الذي أفاءه الله عليهم ليس هو لعمر، ولا لآل عمر فاقسمه بينهم.

قال: وحدثنا وهب بن بقية ومحمد بن سعد، قالا: حدثنا يزيد بن هارون قال: أنبأنا محمد بن عمر عن أبي سليمة عن أبي هريرة أنه قدم على عمر من البحرين، قال: فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه، فسألني عن الناس، ثم قال لي: ما جئت به، قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: هل تدري ما تقول؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: ماذا تقول؟ قلت: مائة ألف، ومائة ألف، فعددت خمساً، فقال: إنك ناعس، فارجع إلى أهلك فنم، فإذا أصبحت فأتني، قال أبو هريرة: فغدوت إليه فقال: ما جئت به؟ قلت: خمسمائة ألف، قال: أطيب؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذاك فقال للناس: إنه قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعده لكم عدداً، وان شئتم أن نكيله لكم كيلا، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم

يدونون ديواناً يعطون الناس عليـــه ، قال : فدون الديوان وفرض للمهاجرين الأولين في خمسة آلاف ، وللانصار في أربعة آلاف ، ولأزواج النبي ﷺ في اثني عشر ألفاً .

قال يزيد، قال محمد: فحدثني ابن خصيفة عن عبد الله بن رافع عن برزة بنت رافع ، قالت : لما خرج العطاء أرسل عمر الى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما أدخل إليها ، قالت : غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي كانت أقوى على قسم هذا مني ، قالوا : هذا كله لك ، قالت : سبحان الله واستترت منه بثوب ، ثم قالت صبوه واطرحوا عليه ثوباً ، ثم قالت لي : أدخلي يديك واقبضي منــــه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من ذوي رحمها وأيتام لها ، فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب ، قالت برزة بنت رافع : فقلت : غفر الله لك يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا المال حق ، قالت : فلكم مــــا تحت الثوب فوجدنا تحته خمسمائة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يدها الى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا ، قال : فماتت .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن محمـــد بن عجلان ، قال : لما دون عمر الدواوين ، قال : بمن نبدأ ، قالوا : بنفسك ، قال: لا إن رسول الله ﷺ إمامنا فبرهطه نبدأ ، ثم بالأقرب فالأقرب .

حدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا عبد الوهـــاب الثقفي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ألحق الحسن والحسين بأبيهما ، ففرض لهما خمسة آلاف درهم .

وحدثنا الحسين بن علي بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع عن سفيـــان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : لما وضع عمر الديوان استشار الناس بمن يبدأ ، فقالوا : ابدأ بنفسك ، قال : لا ولكني أبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ ، فبدأ بهم .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحاق عن مصعب بن أسعد : أن عمر فرض لأهـــل بدر في ستة آلاف ستة آلاف ، وفرض لأمهات المؤمنين في عشرة آلاف عشرة آلاف ، وفضل عائشة بألفين لحب رسول الله ﷺ إياها ، وفرض لصفيـــة وجويرية في ستة آلاف ستة آلاف ، وفرض لنساء من المهاجرات في ألف ألف ، منهـــن أم عبد وهي أم عبد الله بن مسعود .

حدثنا الحسين ، قال : حدثنا وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : فرض عمر لأهل بدر عربهم ومواليهم في خمسة آلاف خمسة آلاف ، وقال: لأفضلنهم على من سواهم .

حدثنا الحسين : حدثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر ، قال : كان فيهم خمسة من العجم ، منهم : تميم الداري،وبلال، قال وكيع : الدار من لخم، ولكن الشعبي قال هذا .

حدثنا الحسين ، قال : حدثنا وكيع عن سفيـــان عن الأسود بن قيس عن شيخ لهم ، قال : سمعت عمر يقول لئن بقيت إلى قابل لألحقن سفلة المهـــاجرين في ألفين ألفين .

وحدثنا أبو عبيد،قال : حدثنا عبد الله بن صالح المصري عن الليث بن سعد عن عبد الرحمن بن خالد الفهمي عن ابن شهاب:أن عمر حين دون الدواوين فرض لأزواج النبي ﷺ اللاتي نكح نكاحاً اثني عشر ألف درهم اثني عشر ألف درهم، وفرض لجويرية ، وصفية بنت حيي بن أخطب ستة آلاف درهـم ، لأنها كانتا مما أفاء الله على رسوله ، وفرض للمهاجرين الذين شهدوا بـــدراً خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض للأنصار الذين شهدوا بدراً أربعة آلاف أربعـــة آلاف ، وعـــم بفريضته كل صريح وحليف ومولى شهـــد بدراً فلم يفضل أحداً على أحد .

٣٠١٠

حدثنا عمرو الناقد وأبو عبيد، قال : حدثنا أحمد بن يونس عن أبي خيثمة قال : حدثنا أبو اسحاق عن مصعب بن سعد : أن عمر فرض لأهل بـــدر من المهاجرين والأنصار ستة آلاف ستـــة آلاف ، وفرض لنساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف ، وفضل عليهن عائشة ففرض لهـــا اثنى عشر ألـــف درهم ، وفرض لجويرية وصفيـــة ستة آلاف ستة آلاف ، وفرض للمهاجرات الأول : أسمـــاء بنت عميس ، وأسماء بنت أبي بكر ، وأم عبـــد الله بن مسعود ألفاً ألفاً .

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا وكيع عن محمد بن قيس الأسدي قال : حدثتني والدتي أم الحكم أن علياً ألحقها مائة من العطاء .

وحدثنا الحسين قال : حدثنا وكيع عن سفيـان عن الشيباني عن يسير بن عمرو : أن سعداً فرض لمن قرأ القرآن في ألفين ألفين ، قال : فكتب إليه عمر: لا تعط على القرآن أحداً .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب : أن عمر جعل عمرو بن العاصي في مائتين لأنه أمير، وعمير بن وهب الجمحي في مائتين ، لصبره على الضيق ، وبسر بن أبي أرطاة في مائتين ، لأنه صاحب فتح ، وقال : رب فتح قـد فتحه الله على يده ، فقال أبو عبيد : يعني بهذا العدد الدنانير .

وقال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب : أن عمر كتب إلى عمرو بن العاصي أن افرض لمن بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء،قال:يعني مائتي دينار، وأبلغ ذلك لنفسك بإمارتك،وافرض لخارجة بن حذافة في شرف العطاء لشجاعته .

وحدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعـد عن محمد بن عجلان : أن عمر فضل أسامة بن زيـــد على عبد الله بن عمر ، فلم يزل

الناس بعبد الله حتى كلم عمر ، فقـــال : أتفضل علي من ليس بأفضل مني ؟ فرضت له في ألفين ولي في ألف وخمسمائة درهم ! فقال عمر : فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عمر ، وأن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر .

وحدثني يحيى بن معين،قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن خارجة بن مصعب عن عبيد الله بن عمر عن نافع أو غيره ، عن ابن عمر أنـه كلم أباه في تفضيل أسامة عليه في العطاء ، وقال : والله مـــا سبقني إلى شيء ، فقال عمـــر : إن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك ، وإنـــه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك .

حدثنا محمد بن الصباح البزار : حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن ، قال : إن قوماً قدموا على عامل لعمر بن الخطاب فأعطى العرب منهم ، وترك الموالي ، فكتب إليه عمر: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، والسلام.

حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا خالد بن عمرو عن اسرائيل عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد أن عمر جعل عطاء عمار بن ياسر ستة آلاف درهم .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا خالد عن اسرائيل عن إسماعيل بن سميـع عن مسلم البطين : أن عمر جعل عطاء سلمان أربعة آلاف درهم .

وحدثنا روح بن عبد المؤمن ، قال : حدثني يعقوب عن حماد عن حميد عن أنس ، قال : فرض عمر للهرمزان في ألفين من العطاء .

حدثني العمري ، قال : حدثني أبو عبد الرحمن الطائي عن المجـالد عن الشعبي ، قال لما هم عمر بن الخطاب في سنة عشرين بتدوين الدواوين ، دعـــا بمخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم،فأمرهما أن يكتبا الناس على منازلهم،فكتبوا بني هاشم ، ثم اتبعوهم ، أبا بكر وقومه ، وعمر وقومه ، فلمـا نظر عمر في الكتاب ، قال : وددت أني في القرابة برسول الله ﷺ كـــذا ابدؤا بالأقرب

فالأقرب، ثم ضعوا عمر بحيث وضعه الله ، فشكره العباس بن عبد المطلب رحمه الله على ذلك وقال : وصلتك رحم ، قال : فلما وضع عمر الديوان ، قال أبو سفيان بن حرب : أديوان مثل ديوان بني الأصفر ، إنك إن فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة ، فقال عمر : لا بد من هذا فقد كثر فيء المسلمين .

قال : وفرض عمر لدهقان نهر الملك ولابن النخير خان، ولخالد وجميل ابني بصبهري دهقان الفلاليج ، ولبسطام بن نرسي دهقان بابل وخطرنية ، وللرفيل دهقان العال ، والهرمزان ، ولجفينة العبادي في ألف ألف ، ويقال إنه فضل الهرمزان ففرض له ألفين .

وحدثنا أبو عبيد عن اسماعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن حكيم بن عمير أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الاجناد : ومن أعتقتم من الحمراء ، فأسلموا فألحقوهم بمواليهم ، لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ، وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلهم أسوتهم في العطاء .

حدثنا هشام بن عمار عن بقية عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبيه عن أبي عبيدة أن رجالاً من أهل البادية سألوه أن يرزقهم ، فقال: والله لا أرزقكم حتى أرزق أهل الحاضرة .

وحدثنا أبو عبيدة قال : حدثنا أبو اليمان ، قال : حدثنا صفوان بن عمرو، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن حصين : أن مر للجند بالفريضة ، وعليك بأهل الحاضرة .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان لا يعطي أهل مكة عطاء ولا يضرب عليهم بعثا ، ويقول : كذا وكذا .

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة

عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« من ترك كلا فإلينا ومن ترك مالاً فلورثته » (١) .

حدثني هشام بن عمار الدمشقي ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم عن سليمان ابن أبي العاتكة وكلثوم بن زياد ، قال : حدثني سليمان بن حبيب أن عمر فرض لعيال المقاتلة وذريتهم العشرات، قال : فأمضى عثمان ومن بعده من الولاة ذلك وجعلوها موروثة يرثها ورثة الميت ممن ليس في العطاء ، حتى كان عمر بن عبد العزيز، قال سليمان : فسألني عن ذلك، فأخبرته بهذا فأنكر الوراثة، وقال: اقطعها وأعم بالفريضة ، فقلت : فاني أتخوف أن يستن بك من بعدك في قطع الوراثة ولا يستن بك في عموم الفريضة ، قال : صدقت وتركهم .

حدثني بكر بن الهيثم: حدثنا عبدالله بن صالح عن ابن لهيعة عن أبي قبيل، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرض للمولود إذا ولد في عشرة، فإذا بلغ أن يفرض له ألحق بالفريضة ، فلما كان معاوية فرض ذلك للفطيم ، فلما كان عبد الملك بن مروان قطع ذلك كله إلا عمن شاء .

حدثنا عفان ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أنبأنا يحيى بن المتوكل عن عبد الله ابن نافع عن ابن عمر أن عمر كان لا يفرض للمولود حتى يفطم، ثم نادى مناديه لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام .

وحدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا أحمد بن يونس عن زهير بن معاوية عن أبي اسحاق أن جده مر على عثمان ، فقال له : كم معك من عيالك ياشيخ؟ قال : معي كذا ، قال : قد فرضنا لك ، وفرضنا لعيالك مائة مائة .

(١) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٢٣٧ ، وقال أبو عبيد : « الكل عندنا كل عيل ، والذرية منهم ، فجعل ﷺ للذرية في المال حقاً ضمنه لهم » .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا مروان بن شجاع الجزري ، قال : أثبتني عمر بن عبد العزيز وأنا فطيم في عشرة دنانير [١] .

حدثنا ابراهيم بن محمد الشامي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن أبي الجحاف عن رجل من خثعم ، قال : ولد لي ولد فأتيت به علياً فاثبته في مائة [٢] .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عبد الله بن شريك عن بشر بن غالب ، قال : سئل الحسين بن علي – أو قال الحسن بن علي شك عمرو – ومتى يجب سهم المولود؟ قال : إذا استهل .

حدثني عمرو الناقد، قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد : أن ثلاثة مملوكين لبني عفان شهدوا بدراً ، فكان عمر يعطي كل إنسان منهم كل سنة ثلاثة آلاف درهم .

حدثنا أبو عبيد، قال : حدثنا ابن أبي عدي عن سفيان عن زهير بن ثابت – أو ابن أبي ذئب عن ذهل بن أوس – أن علياً أتى بمنبوذ فاثبته في مائة .

وحدثني عمرو والقاسم بن سلام ، قالا : حدثنا أحمد بن يونس عن زهير وحدثني عبد الله بن صالح المقري عن زهير بن معاوية،قال : حدثنا أبو إسحاق عن حارثة بن المضرب:أن عمر بن الخطاب أمر بجريب من طعام فعجن ثم خبز ثم برد بزيت ، ثم دعا بثلاثين رجلا فأكلوا منه غداءهم حتى أصدرهم ، ثم فعل بالعشي مثل ذلك ، فقال : يكفي الرجل جريبان كل شهر ، فكان يرزق الناس الرجل والمرأة والمملوك جريبين كل شهر ، قال عبد الله بن صالح : إن الرجل كان يدعو على صاحبه فيقول: رفع الله جريبيك أي قطعها عنك بالموت ، فبقي ذلك في ألسن الناس إلى اليوم .

---

(١) المصدر نفسه : ٣٢٩ .

(٢) الأموال : ٣٣٩ .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثني أبو اليمان عن صفوان بن عمرو عن أبي الزاهرية ان أبا الدرداء، قال : رب سنة راشدة مهدية قد سنها عمر في أمة محمد ﷺ منها المديان والقسطان [١] .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم عن ابن لهيعة عن قيس بن رافع أنه سمع سفيان بن وهب يقول قال عمر وأخذ المدى بيد والقسط بيد : اني قد فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مديي حنطة وقسطي زيت وقسطي خل ، فقال رجل : والعبد ؟ قال : نعم ، والعبد [٢] .

حدثني هشام بن عمار ، قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، قال : حدثني تميم ابن عطية ، قال : حدثني عبد الله بن قيس : أن عمر بن الخطاب صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنا أجرينا عليكم أعطياتكم وأرزاقكم في كل شهر ، وفي يديه المدي والقسط ، قال : فحركهما ، وقال : فمن انتقصهم فعل الله به كذا وكذا ودعا عليه .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا ابن أبي زائدة عن معقل بن عبيد الله عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته [٣] .

حدثنا عفان وخلف البزار ووهب بن بقية ، قالوا : أنبأنا يزيد ابن هارون ، قال : أنبأنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال الزبير بن العوام لعثمان بن عفان رضي الله عنهما بعد

---

(١) المصدر نفسه : ٣٥١ — ٣٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٧٠ .

موت عبـــد الله بن مسعود : اعطني عطاء عبد الله فعياله أحق بـه من بيت المال فأعطاه خمسة عشر ألفاً قال يزيد : قال اسماعيل : وكان الزبير وصي ابن مسعود .

وحدثني ابن أبي شيبة ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح بن حي عن سماك بن حرب ان رجلاً مات في الحي بعد ثمانية أشهر مضت من السنة فأعطاه عمر ثلثي عطائه [1] .



(١) المصدر نفسه : ٣٧١ .

أمر الخاتم

حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا شعبة،قال : أنبأنا قتادة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول: لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى ملك الروم قيل له: إنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوماً ، قال : فاتخذ خاتماً من فضة ، فكأني انظر إلى بياضه في يده ونقش عليه محمد رسول الله .

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ، قال : حدثنا حماد بن زيد قال: أنبأنا أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من فضة، وجعل فصه من باطن كفه .

حدثني محمد بن حيان الحياني،قال: حدثنا زهير عن حميد عن أنس بن مالك، قال : كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة كله وفصه منه .

حدثنا عمرو الناقد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن ، قال : كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق ، وكان فصه حبشياً .

حدثنا هدبة بن خالد ، قال : حدثنا همام بن يحيى عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ ، قال : قد صنعت خاتماً فلا ينقشن أحد على نقشه .

حدثنا بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وقتادة ، قالا : اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة ونقش عليه محمد رسول الله، فكان أبو بكر يختم به ثم عمر ثم عثمان ، وكان في يده فسقط من يده في البئر فنزفت فلم يقدر عليه ، وذلك في النصف من خلافته ، فاتخذ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر ، قال قتادة : وخربة [1] .

---

(١) وثقب مستدير . القاموس ، وسقط الخاتم من يد الخليفة عثمان في بئر أريس . انظر تاريخ الطبري : ٤ / ٢٨١ - ٢٨٣ (حوادث سنة ثلاثين) حيث المزيد من التفاصيل .

حدثنا هناد ، قال : حدثنا الأسود بن شيبان قال : أخبرنا خالد بن سمير ، قال: انتقش رجل يقال له معن بن زائدةعلى خاتم الخلافة فأصاب مالاً من خراج الكوفة على عهد عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فكتب إلى المغيرة بن شعبة : إنه بلغني أن رجلا يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب به مالاً من خراج الكوفة ، فإذا أتاك كتابي هذا فنفذ فيه أمري وأطع رسولي ، فلما صلى المغيرة العصر ، وأخذ الناس مجـالسهم ، خرج ومعه رسول عمر ، فاشرأب الناس ينظرون إليه حتى وقف على معن،ثم قال للرسول : إن أمير المؤمنين أمرني أن أطيع أمرك فيه ، فمرني بما شئت ، فقال الرسول : ادع لي بجامعة أعلقهـا في عنقه ، فأتي بجامعة فجعلها في عنقه وجبذها جبذاً شديداً، ثم قال للمغيرة احبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين ففعل،وكان السجن يومئذ من قصب فتمحل[1] معن للخروج ، وبعث إلى أهله أن ابعثوا لي بناقتي وجاريتي وعباءتي القطوانيـة ففعلوا ، فخرج من الليل وأردف جاريته ، فسار حتى إذا رهب ان يفضحـه الصبـح أناخ ناقته وعقلها ، ثم كمن حتى كف عنه الطلب ، فلما أمسى أعاد على ناقته العباءة وشد عليها وأردف جاريته، ثم سار حتى قدم على عمر وهو موقظ المتهجدين لصلاة الصبـح ومعه درته ، فجعل ناقته وجاريته ناحية ثم دنا من عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته،فقال : وعليك،من أنت؟ قال : معن بن زائدة جئتك تائباً ، قال : أبت فلا يحييك الله ، فلمـا صلى صلاة الصبح ، قال للناس: مكانكم ، فلما طلعت الشمس ، قال : هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالا من خراج الكوفة فما تقولون فيه؟ فقال قائل : اقطع يده ، وقال قائل : اصلبه وعلي ساكت ، فقال له عمر : ما تقول أبا الحسن ؟ قال : يا أمير المؤمنين رجل كذب كذبة عقوبته في بشره ، فضربه عمر ضرباً شديداً - أو قال مبرحاً - وحبسه فكان في الحبس ما شاء الله ، ثم

(١) المحل : المكر والكيد ، وتمحل : احتال . القاموس .

إنه أرسل إلى صديق له من قريش أن كلم أمير المؤمنين في تخلية سبيلي ، فكلمه القرشي ، فقال : يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلا ، فإن رأيت أن تخلي سبيله ، فقال عمر : ذكرتني الطعن وكنت ناسياً ، علي بمعن فضربه ،ثم أمر به إلى السجن فبعث معن إلى كل صديق له: لا تذكروني لأمير المؤمنين ، فلبث محبوساً ما شاء الله ثم إن عمر انتبه له ، فقال : معن فأتي به فقاسمه وخلى سبيله .

حدثني المفضل اليشكري وأبو الحسن المدائني عن ابن جابان عن ابن المقفع قال : كان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه وله خادم يثبت ذكره عنده في تذكرة تجمع لكل شهر ، فيختم عليها الملك خاتمه ، وتخزن ،ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم فينفذه إلى صاحب العمل فيكتب به كتاباً من الملك ، وينسخ في الأصل ثم ينفذ إلى صاحب الزمام فيعرضه على الملك فيقابل به ما في التذكرة ثم يختم بحضرة الملك أو أوثق الناس عنده .

وحدثني المدائني عن مسلمة بن محارب ، قال : كان زياد بن أبي سفيان أول من اتخذ من العرب ديوان زمام وخاتم امتثالا لما كانت الفرس تفعله .

حدثني مفضل اليشكري ، قال : حدثني ابن جابان عن ابن المقفع ، قال : كان للملك من ملوك فارس خاتم للسر ، وخاتم للرسل ، وخاتم للتخليد يختم به السجلات والاقطاعات ، وما أشبه ذلك من كتب الشريف ، وخاتم للخراج فكان صاحب الزمام يليها ، وربما أفرد بخاتم السر والرسائل رجل من خاصة الملك .

وحدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جابان عن ابن المقفع ، قال : كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك وهي يومئذ تكتب في صحف بيض ، وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبى

من الخراج ، وما أنفق في وجوه النفقات ، وما حصل في بيت المال فيختمها ويحرمها ، فلما كان كسرى بن هرمزابر ويزتأذى بروائح تلك الصحف ، وأمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه ما يرفع إلا في صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد ، وأن لا تكتب الصحف التي تعرض عليه بحمل المال وغير ذلك إلا مصفرة ، ففعل ذلك .

فلما ولي صالح بن عبد الرحمن خراج العراق تقبل [1] منه ابن المقفع بكور دجلة، ويقال بالبهقباذ فحمل مالا فكتب رسالته في جلد وصفرها فضحك صالح، وقال : أنكرت أن يأتي بها غيره ، يقول لعله بأمور العجم .

قال أبو الحسن : وأخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس ، وكذلك الكتب إلى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك ، فلما ولي أمير المؤمنين المنصور أمر وزيره أبا أيوب المورياني أن يكتب الرسائل بحمل الأموال في صحف ، وان تصفر الصحف ، فجرى الأمر على ذلك .



(١) أي لزم . القاموس .

أمر النقود

حدثنا الحسين بن الأسود ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثني الحسن ابن صالح،قال : كانت الدراهم من ضرب الأعاجم مختلفة كباراً وصغاراً فكانوا يضربون منها مثقالا وهو وزن عشرين قيراطاً ويضربون منها وزن اثنى عشر قيراطاً ويضربون عشرة قراريط وهي انصاف المثاقيل ، فلما جاء الله بالإسلام واحتيج في أداء الزكاة إلى الأمر الواسط فأخذوا عشرين قيراطاً واثني عشر قيراطاً وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطاً، فضربوا على وزن الثلث من ذلك وهو أربعة عشر قيراطاً فوزن الدرهم العربي أربعة عشر قيراطاً من قراريط الدينار العزيز ، فصار وزن كل عشرة دراهم سبع مثاقيل وذلك مائة وأربعون قيراطاً وزن سبعة .

وقال غير الحسن بن صالح : كانت دراهم الأعاجم ما العشرة منها وزن عشرة مثاقيل ، وما العشرة منها وزن ستة مثاقيل،وما العشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فجمع ذلك فوجد إحدى وعشرين مثقالا فأخذ ثلثه وهو سبعة مثاقيل فضربوا دراهم وزن العشرة منها سبعه مثاقيل .

القولان ترجع إلى شيء واحد .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر الأسلمي ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الله بن موهب عن أبيه عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ، قال : كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة في الجاهليـــة وترد عليهم دراهم الفرس البغلية ، فكانوا لا يتبايعون إلا على انها تبر وكان المثقال عندهم، معروف الوزن وزنه اثنان وعشرون قيراطاً إلا كسرا ، ووزن العشرة الدراهم سبعة مثاقيل ، فكان الرطل اثني عشر أوقية وكل أوقية أربعين درهماً ، فأقر رسول الله ﷺ

ذلك وأقره أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فكان معاوية فأقر ذلك على حاله .

ثم ضرب مصعب بن الزبير في أيام عبد الله بن الزبير دراهم قليلة كسرت بعد ، فلما ولي عبد الملك بن مروان سأل وفحص عن أمر الدراهم والدنانير فكتب إلى الحجاج بن يوسف أن يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطاً من قراريط الدنانير ، وضرب هو الدنانير الدمشقية .

قال عثمان : قال أبي: فقدمت المدينة وبها نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم من التابعين فلم ينكروا ذلك .

قال محمد بن سعد : وزن الدرهم من دراهمنا هذه أربعة عشر قريطاً من قراريط مثقالنا الذي جعل عشرين قيراطاً ، وهو وزن خمسة عشر قيراطاً من إحدى وعشرين قيراطاً وثلاثة أسباع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني اسحاق بن حازم عن المطلب بن السائب عن أبي وداعة السهمي أنه أراه وزن المثقال ، قال فوزنته فوجدته وزن مثقال عبد الملك بن مروان ، قال : هذا كان عند أبي وداعة بن ضبيرة السهمي في الجاهلية .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا الواقدي عن سعيد بن مسلم بن بابك عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي ، قال : كانت لقريش أوزان في الجاهلية فدخل الإسلام فأقرت على ما كانت عليه ، كانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير ، وكان لهم وزن الشعيرة ، وهو واحد من الستين من وزن الدرهم ، وكانت لهم الأوقية وزن أربعين درهماً ، والنش وزن عشرين درهماً ، وكانت لهم النواة وهي وزن خمسة دراهم ، فكانوا يتبايعون بالتبر على هذه الأوزان ، فلما قدم ﷺ مكة أقرهم على ذلك .

محمد بن سعد عن الواقدي ، قال: حدثني ربيعة بن عثمان عن وهب بن كيسان

قال : رأيت الدنانير والدراهم قبل ان ينقشها عبد الملك ممسوحة وهي وزن الدنانير التي ضربها عبد الملك .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن أبيه ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : من أول من ضرب الدنانير المنقوشة ؟ فقال : عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير ترد رومية ، والدراهم كسروية في الجاهلية .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبيه أن أول من ضرب وزن سبعة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أيام ابن الزبير .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني محمد بن عمر ، قال : حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه : أن عبد الملك أول من ضرب الذهب عام الجماعة (١) سنة أربع وسبعين . قال أبو الحسن المدائني : ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة خمس وسبعين ، ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة ست وسبعين .

وحدثني داود الناقد ، قال : سمعت مشايخنا يحدثون أن العباد من أهل الحيرة كانوا يتزوجون على مائة وزن ستة ، يريدون وزن ستين مثقالاً دراهم ، وعلى مائة وزن ثمانية ، يريدون ثمانين مثقالاً دراهم ، وعلى مائة وزن خمسة ، يريدون وزن خمسين مثقالا دراهم ، وعلى مائة وزن مائة مثقال .

قال داود الناقد : رأيت درهماً عليه ضرب هذه الدراهم بالكوفة سنة ثلاث وسبعين ، فأجمع النقاد أنه معمول ، وقال : رأيت درهماً شاذاً لم ير مثله عليه عبيد الله بن زياد ، فأنكر أيضاً .

---

(١) هذا عام الجماعة الثاني ، والأول يوم تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة لمعاوية .هذا وقد ضرب عرب شبه الجزيرة الدنانير قبل الاسلام فهذا ما ظهر من خلال الحفريات في الفا و(القرية) عاصمة كندة في شبه الجزيرة.

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني الواقدي عن يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه ، قال : ضرب مصعب الدراهم بأمر عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة وعليها بركة وعليها الله ، فلما كان الحجاج غيرها .

وروي عن هشام بن الكلبي أنــه قال : ضرب مصعب مــع الدراهم دنانير أيضاً .

حدثني داود الناقد ، قال : حدثني أبو الزبير الناقد ، قال : ضرب عبد الملك شيئاً من الدنانير في سنة أربع وسبعين ، ثم ضربهـا سنة خمس وسبعين ، وأن الحجاج ضرب دراهم بغلية كتب عليها : بسم الله الحجاج ، ثم كتب عليها بعد سنة ﴿ الله أحد الله الصمد ﴾ ، فكره ذلك الفقهاء فسميت مكروهة ،قال: ويقال : إن الأعاجم كرهوا نقصانها،فسميت مكروهة .قال : وسميت السميرية بأول من ضربها ، واسمه سمير .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، قال : حدثني عوانة بن الحكم أن الحجاج سأل عما كانت الفرس تعمل به في ضرب الدراهم،فاتخذ دار ضرب، وجمع فيها الطباعين ، فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من التبر وخلاصة الزيوف والستوقة والبهرجة ، ثم أذن للتجار وغيرهم في أن تضرب لهــم الأوراق،واستغلها من فضول ما كان يؤخذ من فضول الأجرة للصناع والطباعين، وختم أيدي الطباعين .

فلما ولي عمر بن هبيرة العراق ليزيـــد بن عبد الملك خلص الفضة أبلغ من تخليص من قبله، وجوّد الدراهم فاشتد في العيار .

ثم ولي خالد بن عبد الله البجلي ، ثم القسري العراق لهشام بن عبـد الملك فاشتد في النقود أكثر من شدة ابن هبيرة حتى أحكم أمرها أبلغ من أحكامه .

ثم ولي يوسف بن عمر بعده فأفرط في الشدة على الطباعين وأصحاب العيار وقطع الأيدي وضرب الأبشار ، فكانت الهبيرية ، والخالدية ، واليوسفيـــة :

أجود نقود بني أمية،ولم يكن المنصور يقبل في الخراج من نقود بني أمية غيرها فسميت الدراهم الأولى المكروهة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه : أن عبدالملك ابن مروان أول من ضرب الذهب والورق بعد عام الجماعة ، قال : فقلت لأبي : أرأيت قول الناس ان ابن مسعود كان يأمر بكسر الزيوف ؟ قال تلك زيوف ضربها الأعاجم فغشوا فيها .

حدثني عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة بن قيس أن ابن مسعود كانت له بقاية في بيت المال فباعها بنقصان ، فنهاه عمر بن الخطاب عن ذلك ، فكان يدينها بعد ذلك .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن قدامة بن موسى أن عمر وعثمان كانا إذا وجدا الزيوف في بيت المال ، جعلاها فضة .

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه أن عمر ابن عبد العزيز أتي برجل يضرب على غير سكة السلطان، فعاقبه وسجنه،وأخذ حديده فطرحه في النار .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله ابن حنطب أن عبد الملك بن مروان أخذ رجلاً يضرب على غير سكة المسلمين فأراد قطع يده ، ثم ترك ذلك وعاقبه .

قال المطلب : فرأيت من بالمدينة من شيوخنا حسنوا ذلك من فعله وحمدوه .

قال الواقدي: وأصحابنا يرون فيمن نقش على خاتم الخلافة ..ائمة في الأدب والشهرة ، وإن لا يرون عليه قطعاً وذلك رأي أبي حنيفة و ..ثوري ، وقال مالك ، وابن أبي ذئب ، وأصحابها : نكره قطع الدراهم إذا كانت على الوفاء

وتنهى عنه لأنه من الفساد ، وقال الثوري ، وأبو حنيفة وأصحابه : لا بأس بقطعها إذا لم يضر ذلك بالإسلام وأهله .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ابن عون عن ابن سيرين أن مروان بن الحكم أخذ رجلاً يقطع الدراهم فقطع يده، فبلغ ذلك زيد بن ثابت ، فقال : لقد عاقبه ، قال اسماعيل : يعني دراهم فارس .

قال محمد بن سعد ، وقال الواقدي : عاقب أبان بن عثمان وهو على المدينة من يقطع الدراهم ضربه ثلاثين ، وطاف به ، وهذا عندنا فيمن قطعها ودس فيها المفرغة والزيوف .

وحدثني محمد عن الواقدي عن صالح بن جعفر عن ابن كعب في قوله: ﴿ أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾[1] قال : قطع الدراهم .

حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله، قال : حدثنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا يحيى بن سعيد ، قال : ذكر لابن المسيب رجل يقطع الدراهم ، فقال سعيد : هذا من الفساد في الأرض .

حدثنا عمرو الناقد، قال : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم ، قال : حدثنا يونس ابن عبيد عن الحسن ، قال : كان الناس وهم أهل كفر قد عرفوا موضع هذا الدرهم من الناس، فجودوه وأخلصوه، فلما صار إليكم غششتموه وأفسدتموه ، ولقد كان عمر بن الخطاب قال : هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل ، فقيل له إذاً لا بعير ، فأمسك .

---

(١) سورة هود — الآية : ٨٧ .

أمر الخط

حدثني عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن جده وعن الشرقي بن القطامي ، قال : اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقة ، وهم : مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ، ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمها الخط فعلمها الهجاء ، ثم أراهما الخط ، فكتبا ، ثم إن بشراً وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس فسمي عمرو الكاتب ، ثم أتى بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين أيضاً رجل من طابخة كلب فعلمه رجلا من أهل وادي القرى ، فأتى الوادي يتردد فأقام بها وعلم الخط قوماً من أهلها (١) .

وحدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد، قالا : حدثنا محمد بن عمر الواقدي عن خالد بن الياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم العدوي ، قال: دخل

(١) الحديث عن تاريخ الخط العربي هنا له قيمة روائية فقط لأن المعطيات الحديثة حكت أشياء أخرى .

الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وطلحة ويزيد بن أبي سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو أخو سهيل بن عمرو العامري من قريش ، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأبان بن سعيد ابن العاصي بن أمية ، وخالد بن سعيد أخوه ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وحويطب بن عبد العزي العامري ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عقبة أن النبي ﷺ ، قال للشفاء بنت عبد الله العدوية من رهط عمر بن الخطاب : ألا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة ، وكانت الشفاء كاتبة في الجاهلية .

وحدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن سعد ، قال : كانت حفصة زوج النبي ﷺ تكتب .

وحدثني الوليد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن علقمة عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان أن أم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب .

وحدثني الوليد عن الواقدي عن فروة عن عائشة بنت سعد أنها قالت : علمني أبي الكتاب .

وحدثني الوليد عن الواقدي عن موسى بن يعقوب عن عمته عن أمها كريمة بنت المقداد أنها كانت تكتب .

حدثني الوليد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن ابن عون عن ابن ميـاح عن عائشة أنها كانت تقرأ المصحف ولا تكتب .

وحدثني الوليد عن الواقدي عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن سالم سبلان عن أم سلمة أنها كانت تقرأ ولا تكتب .

وحدثني الوليد ومحمد بن سعد عن الواقدي عن أشياخه ، قالوا : أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة أُبَيّ بن كعب الأنصاري وهو أول من كتب في آخر الكتاب ، وكتب فلان ، فكان أُبَيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله ﷺ زيد بن ثابت الأنصاري،فكتب له فكان أُبَيّ وزيد يكتبان الوحي بين يديه، وكتبه إلى من يكاتب من الناس ، وما يُقْطِع وغير ذلك.

قال الواقدي : وأول من كتب له من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم ارتد ورجع إلى مكة وقال لقريش : أنا آتي بمثل ما يأتي به محمد ، وكان يمل عليه « الظالمين » فيكتب « الكافرين » يمل عليه « سميع عليم» فيكتب «غفور رحيم » وأشباه ذلك ، فأنزل الله ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾[1] . فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بقتله ، فكلمه فيه عثمان بن عفان وقال:أخي من الرضاع ، وقد أسلم ، فأمر رسول الله ﷺ بتركه ، وولاه عثمان مصر .

فكتب لرسول الله ﷺ عثمان بن عفان وشرحبيل بن حسنة الطابخي ، من خندف حليف قريش ، ويقال بل هو كندي ، وكتب له جهيم بن الصلت بن مخرمة ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد بن العاصي والعلاء بن الحضرمي .

فلما كان عام الفتح : أسلم معاوية كتب له أيضاً ودعاه يوماً وهو يأكل فأبطأ فقال: لا أشبع الله بطنه .فكان يقول لحقتني دعوة رسول الله ﷺ،وكان يأكل في اليوم سبع أكلات ، وأكثر وأقل.

وقال الواقدي وغيره : كتب حنظلة بن الربيع بن رباح الأسيدي من بني تميم بين يدي رسول الله ﷺ مرة فسمي حنظلة الكاتب .

وقال الواقدي : كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً،وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول فجاء

---

(١) سورة الأنعام – الآية : ٩٣ .

الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وهم : ســـعد بن عبادة بن دليم ، والمنذر بن عمرو ، وأُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت ، فكان يكتب العربيـــة والعبرانية ، ورافع بن مالك وأُسَيْد بن حضير ، ومعن بن عدي البلوي حليف الأنصار ، وبشير بن سعد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن خولي ، وعبد الله بن أُبَيّ المنافق .

قال : فكان الكملة منهم والكامل من يجمع إلى الكتاب الرمي والعوم : رافع بن مالك ، وسعد بن عبادة ، وأُسَيْد بن حضير ، وعبـد الله بن أُبَيّ ، وأوس بن خولي وكان من جمع هذه الأشياء في الجاهلية من أهل يثرب : سويد ابن الصامت ، وحضير الكتائب .

قال الواقدي : وكان جفينة العبادي من أهل الحيرة نصرانياً ظئراً[1] لسعد ابن أبي وقاص ، فاتهمه عبيد الله بن عمر بمشايعة أبي لؤلؤة على قتل أبيـــه فقتله وقتل ابنيه .

حدثنا إسحاق بن أبى اسرائيل ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد أن أباه زيـــد بن ثابت ، قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود ، وقال لي : أني لا آمن يهـــوداً على كتابي ، فلم يمر بي نصف شهر حتى تعلمته ، فكنت أكتب له إلى يهـود ، وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم .

---

(١) الظئر المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى ، أي يقع على زوج المرضعة . النهاية لابن الأثير .

فهرس كتاب البلدان وفتوحها وأحكامها

